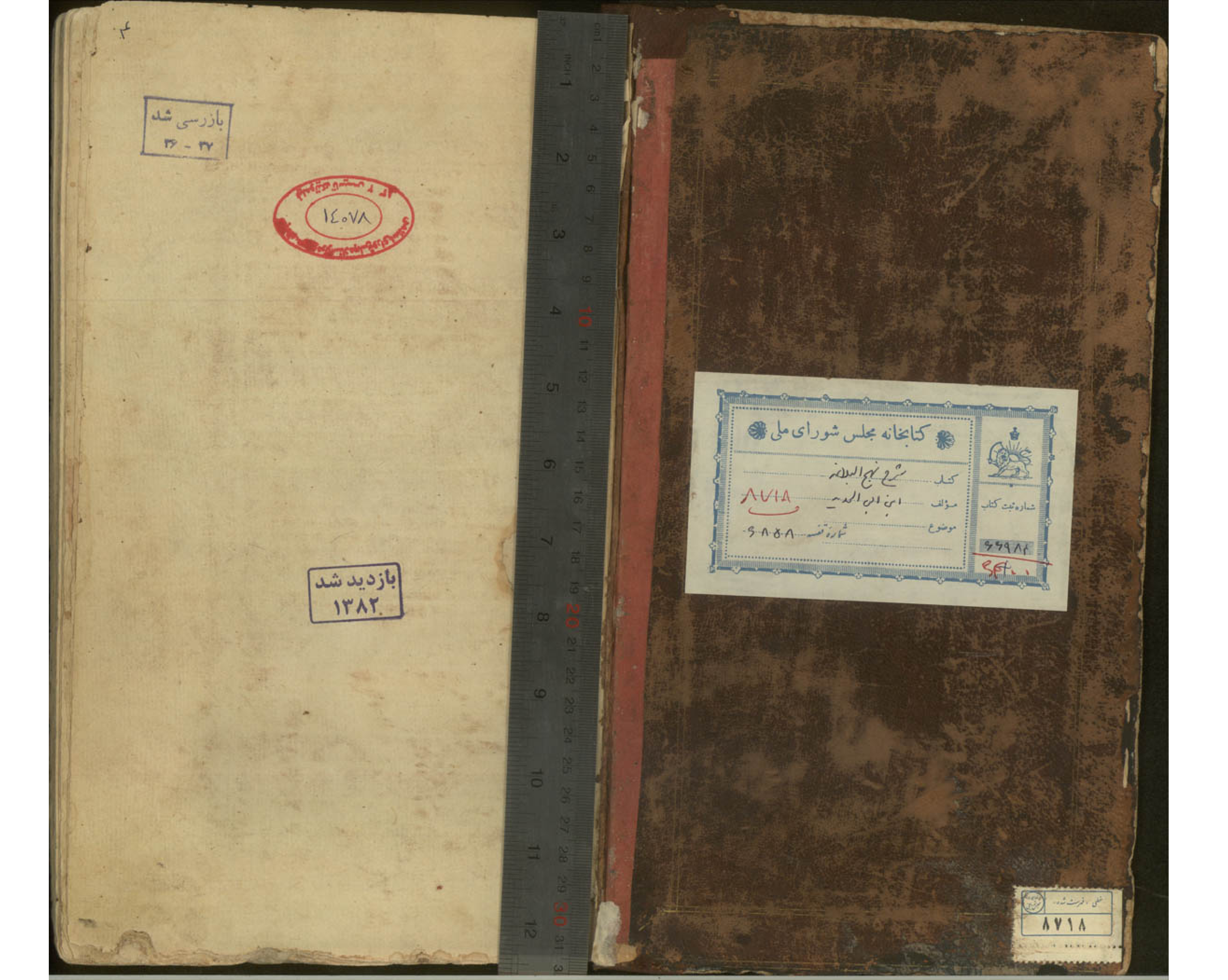

بازرسی شد
۳۷ - ۳۶
۱٤۰۷۸
بازدید شد
۱۳۸۲
کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب شرح نهج البلاغه
مؤلف ابن ابی الحدید
۸۷۱۸
موضوع
شماره ثبت کتاب
۸۷۱۸


مجلس شورای ملی
کتابخانه



فقد بين الله سبيلك بل يكون كقولهم لمن يامرونه بالوقوف جئت انت قف جئت انت
فلا يذكرون الفعل ومثله قولهم مكانك اى قف مكانك قوله فقد احريت يقال فلان
قد اجرى بكلامه الى كذا اى الغاية التى يقصدها هى كذا ماخوذ من اجراء الخيل للمسابقة
ولذلك قد اخرى بفعله الى كذا اى انتهى به الى كذا ويروى فقد اوحلتك شرا وورطتك
فى الوحل والغى ضد الرشاد والتحمتك غيا جعلتك مقتحما له واوعرت عليك المسالك
جعلتها وعرة واول هذا الكتاب اما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر مشاغبتى وتستقبح
موازرتى وتزعمنى متجبرا وعن حق الله مقصرا فسبحان الله تستجيز الغيبة وتستحسن
الفضيحة انى لم اشاغب الا فى امر بمعروف او نهى عن منكر ولم اتجبر الا على باغ مارق وملحد منافق
ولم اخذ فى ذلك الا بقول الله سبحانه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم واما التقصير فى حق الله تعالى فمع [illegible]
المقصر فى حق الله جل ثناؤه من عطل الحقوق المؤكدة وركن الى الاهو [illegible]
الى الضلالة المحيرة ومن العجائب ان تصف يا معوية الاحسان وتخالف ال [illegible]
التى هى لله عز وجل طلبه وعلى عباده حجة مع نبذ الاسلام وتضيع الا [illegible]
للجرى فى الهوى والتهوك فى الردى فاتق الله فيما لديك وانظر فى [illegible]
المذكور فى الكتاب وفى الخطبة زيادات يسيرة لم يذكرها الرضى رحمه [illegible]
جماعة يد الله عليها وغضب الله على من خالفها فنفسك نفسك قبل حلول رمسك فانك
الى الله راجع والى الحشر مهطع وسيمظك كربه ويحل بك غمه فى يوم لا يغنى النادم ندمه
ولا يقبل من المعتذر عذره يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون الاصل ومن وصية
للحسن ابنه كتبها اليه بحاضرين عند انصرافه من صفين من الوالد الفان المقر للزمان
المدبر العمر المستسلم للدهر الذام للدنيا الساكن مساكن الموتى الظاعن عنها غدا الى المولود

المؤمل

المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك غرض الاسقام ورهينة الايام ورمية المصائب
وعبد الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا واسير الموت وحليف الهموم وقرين الاحزان ونصب
الافات وصريع الشهوات وخليفة الاموات الشرح قال الزبير بن بكار فى كتاب انساب
قريش ولد الحسن بن على للنصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وسماه رسول الله
صلى الله عليه وسلم حسنا وتوفى لليال خلون فى شهر ربيع الاول سنة خمسين قال والمروى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حلق حسنا وحسينا يوم سابعهما واشتق اسم حسين من
اسم حسن قال وروى جعفر بن محمد ان فاطمة حلقت حسنا وحسينا يوم سابعهما ووزنت
شعرهما فتصدقت بوزنه فضة قال الزبير وروت زينب بنت ابى رافع قالت فاطمة بابنيها
الى رسول الله فى شكوه الذى توفى فيه فقالت يا رسول الله هذان ابناك فورثهما شيئا
فقال اما حسن فان له هيبتى وسؤددى واما حسين فان له جراءتى وجودى وروى
[illegible] حبيب فى اماليه ان الحسن حج خمس عشرة حجة ماشيا تقاد الجنائب معه وخرج
[illegible] وقاسم الله عز وجل ثلاث مرات ماله حتى انه كان يعطى نعلا ويمسك نعلا
[illegible] وى ابو جعفر محمد بن حبيب ايضا ان الحسن اعطى شاعرا فقال له رجل
[illegible] سبحان الله اتعطى شاعرا يعصى الرحمن ويقول البهتان فقال يا عبد الله ان
[illegible] ن ما لك ما وقيت به عرضك وان من ابتغاء الخير اتقاء الشر قال وروى ابو جعفر
قال ابن عباس رحمه الله اول ذل دخل على العرب موت الحسن وروى ابو الحسين المداينى
قال سقى الحسن السم اربع مرات فقال لقد سقيته مرارا فما شق على مثل هذه المرة
فقال له الحسين اخبرنى من سقاك قال لتقتله قال نعم قال اما انا بمخبرك ان يكن صاحبى
الذى اظن فالله اشد نقمة والا فما احب ان يقتل بى برىء وروى ابو الحسن قال
قال قال معوية لابن عباس بمكة يا عجبا من وفاة الحسن شرب عسله بماء رومة فقضى نحبه

تزوجته فقالت لا والله ما افعل وقد فعلت ما فعلت بى مرتين لا والله لا ابراك فى ترك له
ابدًا وروى المدايني عن جويرية بن اسما قال لما مات الحسن اخرجوا جنازته فحمل مروان
بن الحكم سريره فقال له الحسين تحمل اليوم وجنازته وكنت بالامس تجرعه الغيظ قال
مروان نعم كنت افعل ذلك بمن يوازن حمله الجبال وروى المدايني عن يحيى بن زكريا
عن هشام بن عروة قال قال الحسن عند وفاته ادفنوني عند قبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا ان تخافوا ان يكون فى ذلك شر فلما ارادوا دفنه قال مروان ابن الحكم لا يدفن
عثمان فى حش كوكب ويدفن الحسن هاهنا فاجتمع بنو هاشم وبنو امية واعان هؤلاء
قوم وهؤلاء قوم وجاؤا بسلاح فقال ابو هريرة لمروان اتمنع الحسن ان يدفن فى هذا
الموضع وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الحسن والحسين سيدا شباب
الجنة قال مروان دعنا منك لقد ضاع حديث رسول الله اذا كان لا يحفظه غيرك
وغير ابى سعيد الخدرى وانما اسلمت ايام خيبر قال ابو هريرة صدقت [illegible]
ولكنى لزمته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم اكن افارقه وكنت [illegible]
بذلك حتى علمت من احب ومن ابغض ومن قرب ومن ابعد ومن [illegible]
ومن دعا له فلما رات عايشة السلاح والرجال وخافت ان يعظم [illegible]
الدماء قالت البيت بيتى ولا آذن لاحد ان يدفن فيه وابا الحس[illegible]
مع جده فقال له محمد بن الحنفيه يا اخى انه لو اوصى ان تدفنه لدفناه او نموت قبل
ذلك ولكنه قد استثنى وقال الا ان تخافوا الشر فاى شر ترى اشد مما نحن فيه فدفنوه
فى البقيع قال ابو الحسن المدايني وصل نعى الحسن الى البصرة فى يومين
وليلتين فقال الجارود بن ابى سبرة ٭ اذا كان شر سار يومًا وليلة ٭
واذا كان خير خود السير اربعا ٭ اذا ما بريد الشر اقبل نحونا ٭

باحدى الدواهى الدبد سار فاسرعا ٭ ويروى الحسن المدايني قال خرج على معوية قوم
من الخوارج بعد دخوله الكوفة وصلح الحسن له فارسل معوية الى الحسن يسأله ان يخرج
فيقاتل الخوارج فقال الحسن سبحان الله تركت قتالك وهو لى حلال لصلاح الامة والفتهم
افأقاتل معك فخطب معوية اهل الكوفة فقال انى ما قاتلتكم على الصلاة والزكوة والحج وقد
علمت انكم تصلون وتزكون وتحجون ولكن قاتلتكم لا تأمر عليكم وعلى رقابكم فقد اتانى الله ذلك وانتم
كارهون الا ان كل مال ودم اصيب فى هذه الفتنة فمطلول وكل شرط شرطته فتحت قدمى
هاتين ولا يصلح الناس الا ثلاث اخراج العطاء عند محله واقفال الجنود لوقتها
وغزوا العدو فى دارهم فانهم ان لم تغزوهم غزوكم ثم نزل قال المدايني فقال المسيب بن
نجبه للحسن ما ينقضى عجبى منك بايعت معوية ومعك اربعون الفا ولم تاخذ
لنفسك وثيقة وعقدا اعطاك امرا فيما بينك وبينه ثم قال ما قد سمعت والله اراد
[illegible] فما ترى قال ارى ان ترجع الى ما كنت عليه فقد نقض ما كان بينه
[illegible] يا مسيب انى لو اردت بما فعلت الدنيا لم يكن معوية باصبر عند اللقاء
[illegible] الحرب منى ولكنى اردت صلاحكم وكف بعضكم عن بعض فارضوا بقدر الله
[illegible] يستريح برّ او يستراح من فاجر قال المدايني ودخل عبيد بن عمرو الكندى
[illegible] ضرب على وجهه مرته وهو مع قيس بن سعد بن عبادة فقال ما الذى
ارى بوجهك قال اصابنى مع قيس فالتفت حجر بن عدى الى الحسن فقال لوددت انك
كنت مت قبل هذا ولم يكن ما كان انا رجعنا راغمين عما كرهنا ورجعوا مسرورين
بما احبوا فتغير وجه الحسن وغمز الحسين حجرا فسكت فقال الحسن يا حجر ليس كل الناس
يحب ما تحب ولا رايه رايك وما فعلت ما فعلت الا ابقاء عليك والله كل يوم فى
شان قال ودخل عليه سفيان ابن الليلى النهدى فقال له السلام عليك يا مذل المؤمنين

فقال للحسن اجلس يرحمك الله ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رفع له ملك بني
امية فنظر اليهم يعلون منبره واحدا فواحدا فشق ذلك عليه فانزل الله تعالى في ذلك
قرآنا قال له وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في
القرآن وسمعت علي بن ابي طالب رحمه الله يقول سيلي امر هذه الامة رجل واسع البلعوم كبير
البطن فسألته من هو فقال معوية وقال ان القرآن قد نطق على ملك بني امية ومدتهم
قال تعالى ليلة القدر خير من الف شهر قال ابي هي مدة ملك بني امية قال المدايني
فلما كان عام الصلح اقام الحسن بالكوفة اياما ثم تجهز للشخوص الى المدينة فدخل عليه
المسيب بن نجبة الفزاري وظبيان بن عمارة التيمي ليودعاه فقال الحسن الحمد لله الغالب
على امره لو اجمع الخلق جميعا على ان لا يكون ما هو كائن ما استطاعوا فقال اخوه الحسين
لقد كنت كارها لما كان طيب النفس على سبيل ابي حتى عزم علي اخي فاطعته وكانما
يجذ انفي فقال المسيب انه والله ما يكبر علينا هذا الامر الا ان تضاموا وتنتقصوا
فاما نحن فانهم سيطلبون مودتنا بكل ما قدروا عليه فقال الحسين يا مس[illegible]
انك تحبنا فقال الحسن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقو[illegible]
قوما كان معهم فعرض له المسيب وظبيان بالرجوع فقال ليس الى ذلك [illegible]
عند خروج فلما صار بدير هند نظر الى الكوفة وقال ولا عن قلى فارقت دار معا[illegible]
هم المانعون حوزتي وذماري ۵ ثم صار الى المدينة قال المدايني ۵ فقال معوية
يومئذ للوليد بن عقبة بن ابي معيط بعد شخوص الحسن يا با وهب هل رمت
قال نعم وسموت قال المدايني اراد معوية قال الوليد بن عقبة يحرضه على الطلب
بدم عثمان ۵ الا ابلغ معوية بن حرب ۵ فانك من اخي ثقة مليم ۵ قطعت الدهر
كالسدم المعنى ۵ تهدر في دمشق ولا تريم ۵ فلو كنت القتيل وكان حيا

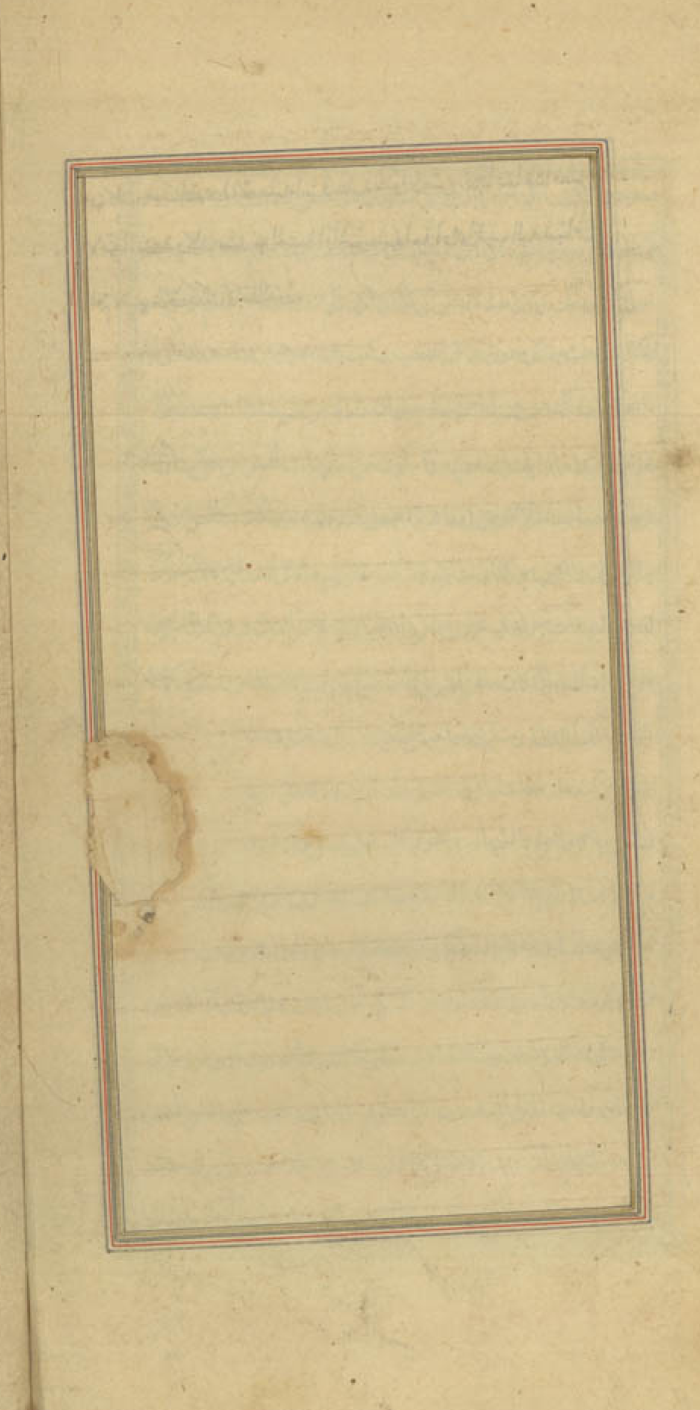
لشمر لا كف ولا سؤوم وانك والكتاب الى علي كدابغة وقد حلم الاديم وروى المدايني عن ابراهيم
بن محمد عن زيد بن اسلم قال دخل رجل على الحسن بالمدينة وفي يده صحيفة فقال له الرجل
ما هذه قال هذا كتاب معوية يتوعد فيه على امر كذا فقال الرجل لقد كنت على النصف
فما فعلت فقال الحسن اجل ولكني خشيت ان ياتي يوم القيامة ستون الفا او ثمانون
الفا تشخب اوداجهم دما كلهم يستعدي الله فيم هريق دمه قال ابو الحسن وكان الحصين
ابن المنذر الرقاشي يقول والله ما وفا معوية للحسن بشيء مما اعطاه قتل حجرا واصحاب
حجر وبايع لابنه وسم الحسن قال ويروى ابو الطفيل قال قال ابو الحسن لمولى له اتعرف
معوية بن خديج قال نعم قال اذا رايته فاعلمني فرآه خارجا من دار عمرو بن حريث فقال
هو هذا فدعاه فقال له انت الشاتم عليا عند ابن آكلة الاكباد اما والله لئن وردت
الحوض ولم ترده لترينه مشمرا عن ساقيه حاسرا عن ذراعيه يذود عنه المنافقين
[illegible] قول الحسن وروى هذا الخبر ايضا قيس بن الربيع عن بدر بن الخليل عن مولى الحسن
[illegible] وحدثنا سليمان بن ايوب عن الاسود بن قيس العبدي ان الحسن لقي
[illegible] بن مسلمة فقال له يا حبيب رب مسير لك في غير طاعة الله فقال اما مسيري
[illegible] فليس من ذلك قال بلى والله ولكنك اطعت معاوية على دنيا قليلة زائلة
فلئن كان قام لك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك ولو كنت اذا فعلت شرا قلت خيرا
كان ذلك كما قال عز وجل خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ولكنك كما قال سبحانه كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون قال ابو الحسن طلب زياد رجلا من اصحاب الحسن ممن كان في كتاب
الامان فكتب اليه الحسن من الحسن بن علي الى زياد اما بعد فقد علمت ما كنا اخذنا
من الامان لاصحابنا وقد ذكر لي فلان انك تعرضت له فاحب ان لا تعرض له الا بخير
والسلام فلما اتاه الكتاب وذلك بعد ادعاء معوية اياه غضب حيث لم ينسبه الى ابي

سفيان فكتب اليه من زياد بن ابى سفيان الى الحسن اما بعد فانى اتانى كتابك
فى فاسق يؤويه الفساق من شيعتك وشيعة ابيك وايم الله لاطلبنه بين
جلدك ولحمك وان احب الناس الى لحماً ان آكله للحم انت منه والسلم فلما قرأ الحسن
الكتاب بعث به الى معوية فلما قرأ غضب وكتب من معوية بن ابى سفيان الى زياد
اما بعد فان لك رأيين رأياً من ابى سفيان ورأياً من سمية فاما رأيك من ابى سفيان
فحلم وحزم واما رأيك من سمية فما يكون من مثلها ان الحسن بن على كتب الى انك
عرضت لصاحبه فلا تعرض له فانى لم اجعل لك عليه سبيلاً وان الحسن ممن يرمى
به الرجوان والعجب من كتابك اليه لا تنسبه الى ابيه او الى امه وكله فالآن حين اخترت
له والسلم قلت جرى فى مجلس بعض الاكابر وانا حاضر القول فى ان علياً اشرف
بفاطمة فقال انسان كان حاضر المجلس بل فاطمة شرفت به وخاض الحاضرون فى ذلك بعد
انكارهم تلك اللفظة وسألنى صاحب المجلس ان اذكر ما عندى فى [illegible]
افضل على ام فاطمة فقلت اما ايهما افضل فان اريد بالافضل الاجمع [illegible]
الناس بها نحو العلم والشجاعة ونحو ذلك فعلى افضل وان اريد [illegible]
منزلة عند الله تعالى فالذى استقر عليه رأى المتاخرين من اصحا[illegible]
المسلمين كافة منزلة عند الله تعالى بعد رسول الله صلى الله عليه [illegible]
من الذكور والاناث وفاطمة امرأة من المسلمين وان كانت سيدة نساء العالمين
ويدل على ذلك انه قد ثبت انه احب الخلق الى الله تعالى بحديث الطائر وفاطمة
من الخلق واحب الخلق اليه سبحانه اعظمهم ثواباً يوم القيمة على ما قرره المحققون
من اهل الكلام وان اريد بالافضل الاشرف نسباً ففاطمة افضل لان اباها سيد
ولد آدم من الاولين والآخرين فليس فى آبائه على مثله ولا مقاربه وان اريد بالافضل

من كان

من كان رسول الله صلى الله عليه اشد عليه حنواً وامس به رحماً ففاطمة افضل
لانها ابنته وكان شديد الحب لها والحنو عليها جداً وهى اقرب اليه نسباً من ابن
العم لا شبهة فى ذلك فاما القول

مقدمته له فى اثنى عشر الفا الى الشام وجرح هو يريد المداين وطعن بساباط فانتهب
متاعه ودخل المداين وبلغ ذلك معوية فاشاعه وجعل اصحاب الحسن الذين
وجههم مع عبيد الله يتسللون الى معوية الوجوه واهل البيوتات فكتب عبيد الله
بن العباس بذلك الى الحسن فخطب الناس ووبخهم وقال خالفتم ابى حتى حكم
وهو كاره ثم دعاكم الى قتال اهل الشام بعد التحكيم فابيتم حتى صار الى كرامة الله ثم
بايعتمونى على ان تسالموا من سالمنى وتحاربوا من حاربنى وقد اتانى ان اهل الشرف
منكم قد اتوا معوية وبايعوه فحسبى منكم لا تغرونى من دينى ونفسى وارسل عبد الله
بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وامه هند بنت ابى سفين بن حرب
الى معوية يساله الى المسالمة واشترط عليه العمل بكتاب الله وسنة نبيه
وان لا يبايع لاحد من بعده وان يكون الامر شورى وان يكون الناس اجمعون
امنا منه وكتب بذلك كتابا فابى الحسين وامتنع فكلمه الحسن ثم رضى وقدم
الكوفة قال ابو الحسن وحدثنا بكر بن الاسود قال كتب ابن عباس الى الحسن
... المسلمين ولوك امرهم بعد على فتشمر للحرب وجاهد عدوك وقارب
اصحابك واشتر من الظنين دينه بما لا يثلم لك دينا وول اهل البيوتات
والشرف يستصلح به عشايرهم حتى يكون للناس جماعة فان بعض ما يكره الناس ما لم
يتعد الحق وكانت عواقبه تودى الى ظهور العدل وعز الدين خير من كثير مما يحبه
الناس اذا كانت عواقبه تدعو الى ظهور الجور وذل المومنين وعز الفاجر واقتد
بما جاء عن ايمة فقد جاء عنهم انه لا يصلح الكذب الا فى حرب او اصلاح بين الناس
فان الحرب خدعة ولك فى ذلك سعة اذا كنت محاربا ما لم تبطل حقا واعلم ان عليا
اباك انما رغب الناس عنه الى معوية انه اسى بينهم فى الفئ وسوى بينهم فى العطا فثقل



عليهم واعلم انك تحارب من حارب الله ورسوله فی ابتدا الاسلام حتی ظهر امر الله
فلما وحّد الرب ومحق الشرك وغير الدين اظهروا الايمان وقرأوا القرآن مستهزين
بآياته وقاموا الی الصلوة وهم كسالی وادّوا الفرايض وهم لها كارهون فلما راوا انه
لا تعزّ في الدين الا الانقيا الابرار توسموا بسيماء الصالحين ليظن المسلمون بهم
خيرًا فما زالوا بذلك حتی شركوهم فی اماناتهم وقالوا حسابهم علی الله فان
كانوا صادقين فاخواننا فی الدين وان كانوا كاذبين كانوا بما افترقوا هم
الاخسرون وقد منيت باولئك وبابنائهم واشباههم والله ما زادهم طول
العمر الا غيا ولا زادهم ذلك لاهل الدين الا مقتا فجاهدهم ولا ترض ولا
تقبل خسفًا فان عليًا لم يجب الی الحكومة حتی غلب علی امره فاجاب وانهم يعلمون
انه اولی بالامر ان حكموا بالعدل فلما حكموا بالهوی رجع الی ما كان عليه حتی
اتی عليه اجله فلا تخرجن حتی انت اولی به حتی يحول [illegible]
والسلم قال المداينی وكتب الحسن الی معوية من عبد الله الحس[illegible]
الی معوية بن ابی سفين اما بعد فان الله بعث محمدًا رحمة للعالم[illegible]
للحق وقمع به الشرك واعزّ به العرب عامة وشرّف به قريشا خاصة فقال وانه
لذكر لك ولقومك فلما توفاه الله تنازعت العرب الامر بعده فقالت قريش
نحن عشيرته واولياؤه فلا تنازعونا سلطانه فعرفت العرب لقريش ذلك وجاحدتنا
قريش ما عرفت لها العرب فهيهات ما انصفتنا قريش وقد كانوا ذوی فضيلة
فی الدين وسابقة فی الاسلام ولا غرو الا منازعتك ايانا الامر بغير حق
فی الدنيا معروف ولا اثر فی الاسلام محمود فالله الموعد نسأل الله ان لا يؤتينا
فی هذه الدنيا شيئا ينقصنا عنده فی الآخرة ان عليًا لما توفاه الله ولّاه المسلمون

الامر بعده فاتق الله يا معوية وانظر لامة محمد ما تحقن به دماءها وتصلح به امرها
والسلام وبعث بالكتاب مع الحرث بن سويد التيمی تيم الرباب وجندب الازدی
فقدما علی معوية فدعواه الی بيعة الحسن فلم يجبهما وكتب جوابه اما بعد فقد فهمت
ما ذكرت به رسول الله صلی الله عليه وآله وهو احق الاولين والآخرين بالفضل كله
وذكرت تنازع المسلمين الامر بعده فصرحت بتهمة ابی بكر وعمر وابی عبيدة وصلحا المهاجرين
فكرهت لك ذلك ان الامة لما تنازعت الامر بينها رأت قريشا والانصار وذوی الفضل
والدين من المسلمين ان يولوا من قريش اعلمها بالله واخشاها له واقواها علی الامر فاختاروا
ابا بكر ولم يالوا ولو علموا مكان رجل غير ابی بكر يقوم مقامه ويذب عن حرم الاسلام
وبه ما عدلوا بالامر الی ابی بكر والحال اليوم بينی وبينك علی ما كانوا عليه فلو علمت
انك اضبط لامر الرعية واحوط علی هذه الامة واحسن سياسة واكيد للعدو
واقوی علی جمع الفیء لسلمت لك الامر بعد ابيك فان اباك سعی علی عثمان حتی قتل مظلوما
و[illegible] الله يومه ومن يطلبه الله فلا يفوته ثم ابتز الامة امرها وفارق جماعتها
[illegible] من اهل السابقة والجهاد والقدم فی الاسلام فادعی انهم نكثوا
بيعته فقاتلهم فسفكت الدما واستحلت الحرم ثم اقبل الينا لا يدعی علينا
بيعة ولكنه يريد ان يملكنا اعتزازا فحاربناه وحاربنا ثم صارت الحرب الی ان اختار
رجلا واخترنا رجلا ليحكما بما يصلح الامة ونعود به الجماعة والالفة واخذنا عليهما
بذلك ميثاقا وعليه مثله علی الرضی بما حكما فامضی الحكمان عليه الحكم بما قد علمت
وخلعاه فوالله ما رضی بالحكم ولا صبر لامر الله فكيف تدعونی الی امر انما تطلبه
بحق ابيك وقد خرج منه فانظر لنفسك ولدينك والسلام قال ثم قال للحرث وجندب
ارجعا فليس بينی وبينكم الا السيف فرجعا واقبل الی العراق فی ستين الفا واستخلف

على الشام الضحاك بن قيس الفهري والحسن مقيم بالكوفة لم ينهض حتى بلغه ان معوية
وعبر منبج فوجه حجر بن عدي يامر العمال بالاحتراس وندب الناس فسارعوا فعقد لقيس
بن سعد بن عبادة على اثنى عشر الفا فنزل دير عبد الرحمن واستخلف على الكوفة
المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وامر قيس بن سعد بالمسير وودعه واوصاه
فاخذ على الفرات وقرى الفلوجة ثم الى مسكن وارتحل الحسن متوجها نحو المداين
فاتى ساباط فاقام بها اياما فلما اراد ان يدخل الى المداين قام فخطب الناس
فقال ايها الناس انكم بايعتموني على ان تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت
واني والله ما اصبحت على احد من هذه الامة ضغينة في شرق ولا غرب ولما تكرهون
في الجماعة والالفة والامن وصلاح ذات البين خير مما تحبون في الفرقة والخوف
والتباغض والعداوة وان عليا ابي كان يقول لا تكرهوا امارة معوية فانكم
لو فارقتموه لرايتم الرؤس تندر عن كواهلها كالحنظل ثم نزل فقال الناس ما قال
هذا الا وهو خالع نفسه ومسلم الامر لمعوية فثاروا به فقطعوا [illegible]
ساعة ونزعوا مطرفا كان عليه واخذوا جارية كانت معه و[illegible]
فصارت طائفة معه واكثرهم عليه فقال اللهم انت المستعان وامر بالرحيل
فارتحل الناس واتاه رجل بفرس فركبه واطاف به بعض اصحابه فمنعوا الناس
عنه وسار وتقدمه سنان بن الجراح الاسدي الى مظلم ساباط فاقام به فلما
دنى منه تقدم اليه كانه يكلمه فطعنه في فخذه بمعول طعنة كادت تصل الى
العظم فغشي عليه وابتدره اصحابه فسبق اليه عبد الله الطائي فصرع سنانا
واخذ ظبيان بن عمارة المعول من يده فضربه به فقطع انفه ثم ضربه بصخرة على راسه
فقتله وافاق الحسن من غشيته فعصبوا جرحه وقد نزف وضعف فقدموا به

المداين

المداين وعليها سعد بن مسعود عم المختار بن ابي عبيد واقام بالمداين حتى برئ
من جرحه قال المدايني وكان الحسن اكبر ولد علي وكان سيدا سخيا حليما خطيبا
وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبه سابق يوما بين الحسين وبينه فسبق
الحسن فاجلسه على فخذه اليمنى ثم اجلس الحسين على الفخذ اليسرى فقيل له يا رسول الله
ايهما احب اليك فقال اقول كما قال ابراهيم ابونا وقيل له اي ابنيك احب اليك
قال اكبرهما وهو الذي يلد ابني محمد وروى المدايني عن زيد بن ارقم قال خرج الحسن وهو
صغير وعليه بردة ورسول الله صلى الله عليه يخطب فعثر فسقط فقطع رسول الله
عليه الخطبة ونزل مسرعا اليه وقد حمله الناس فاخذه على كتفه وقال ان الولد
لفتنة لقد نزلت اليه وما ادري ثم صعد فاتم الخطبة وروى المدايني قال لقي عمرو بن
العاص الحسن في الطواف فقال له يا حسن زعمت ان الدين لا يقوم الا بك وبابيك
فقد رايت الله اقامه بمعوية فجعله راسيا بعد ميله وبينا بعد خفائه افرضي
الله بقتل عثمان او من الحق ان تطوف بالبيت كما يدور الجمل بالطحين عليك ثياب
كغرقئ البيض وانت قاتل عثمان والله انه لالم للشعث واسهل للوعث ان يوردك
معوية حياض ابيك فقال الحسن ان لاهل النار علامات يعرفون بها الحاد لله
ولاولياء الله وموالاة لاعداء الله والله انك لتعلم ان عليا لم يرتب في الدين ولم يشك
في الله ساعة ولا طرفة عين قط وايم الله لتنتهين يا ابن ام عمرو او لانفذن حضنيك
بنوافذ اشد من القعضبية فاياك والتهجم علي فاني من قد عرفت لست
بضعيف الغميزة ولا هش المشاشة ولا مري المأكلة واني من قريش كواسطة
القلادة يعرف حسبي ولا ادعى لغير ابي وانت من تعلم ويعلم الناس تحاكمت
فيك رجال قريش فغلب عليك جزارها الامهم حسبا واعظمهم لوما فاياك عني فانك

رجس ونحن اهل بيت الطهارة اذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا فلم يفهم وانصرف
كئيبا وروى ابو الحسن المدائني قال سال معوية الحسن بن علي بعد الصلح ان يخطب الناس
فامتنع فناشده ان يفعل فوضع له كرسي فجلس عليه ثم قال الحمد لله الذي توحد في ملكه
وتفرد في ربوبيته يؤتي الملك من يشاء وينزعه عمن يشاء والحمد لله الذي اكرم بنا
مؤمنكم واخرج من الشرك اولكم وحقن دماء آخركم وبلاؤنا عندكم قديما وحديثا
احسن البلاء ان شكرتم او كفرتم ايها الناس ان رب علي كان اعلم بعلي حين قبضه
اليه ولقد اختصه بفضل لم يعتدوا بمثله ولم يجدوا مثل سابقته فهيهات
هيهات طالما قلبتم الامور حتى اعلاه الله عليكم وهو صاحبكم وعدوكم في بدر
واخواتها جرعكم رنقا وسقاكم علقا واذل رقابكم واشرقكم بريقكم فلستم بملومين
على بغضه وايم الله لا ترى امة محمد خفضا ما كانت سادتهم وقادتهم بني امية
ولقد وجه الله اليكم فتنة لن تصدروا عنها حتى تهلكوا لطاعتكم طواغيتكم
وانضوائكم الى شياطينكم فعند الله احتسب ما مضى وما ينتظر من سوء رعيتكم وحيف
حكمكم ثم قال يا اهل الكوفة لقد فارقكم بالامس سهم من مرامي الله صائب على اعداء الله
نكال على فجار قريش لم يزل آخذا بحناجرها جاثما على انفاسها ليس بالملومة
في امر الله ولا بالسروقة لمال الله ولا بالفروقة في حرب اعداء الله اعطى الكتاب
خواتمه وعزائمه دعاه فاجابه وقاده فاتبعه لا تاخذه في الله لومة لائم
فصلوات الله عليه ورحمته ثم نزل فقال معوية اخطا عجل او كاد واصاب
متثبت او كاد ماذا اردت من خطبة الحسن فاما ابو الفرج علي بن الحسين
الاصفهاني فانه قال في لسان ابي محمد الحسن رضي الله عنه ثقل قال فحدثني
محمد بن الحسين الاشناني قال حدثني محمد بن اسمعيل الاحمسي عن مفضل

بن صالح عن جابر قال كان في لسان الحسن رتة فكان سلمان الفارسي رحمه الله
يقول اتته من قبل عمه موسى بن عمران عليه السلام قال ابو الفرج ومات
شهيدا مسموما دس معوية اليه والى سعد بن ابي وقاص حين اراد ان
يعهد الى يزيد ابنه بالامر بعده سما فماتا منه في ايام متقاربة وكان
الذي تولى ذلك منه للحسن زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس لمال
بذله لها معوية ويقال ان اسمها سكينة ويقال عائشة ويقال شعثا والصحيح
ان اسمها جعدة قال ابو الفرج فروى عمرو بن ثابت قال كنت اختلف الى ابي
اسحق السبيعي اساله عن الخطبة التي خطب بها الحسن بن علي عقيب وفاة ابيه
ولا يحدثني بها فدخلت اليه في يوم شات وهو في الشمس وعليه برنسه
وكان غول فقال لي من انت فاخبرته فبكى وقال كيف ابوك وكيف اهلك قلت
صالحون قال في اي شيء تردد منذ سنة قلت في خطبة الحسن بن علي بعد
ابيه فقال حدثني هبيرة بن مريم قال خطب الحسن بعد وفاة امير المؤمنين
فقال لقد قتم في هذه الليلة رجل لم يسبقه الاولون ولا يدركه الاخرون لقد
كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه فيقيه بنفسه ولقد كان يوجهه
برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح عليه
ولقد توفي في الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم والتي توفي فيها
يوشع بن نون وما خلف صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم من عطائه
اراد ان يبتاع بها خادما لاهله ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه
ثم قال ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا الحسن بن محمد رسول الله
انا ابن البشير انا ابن النذير انا ابن الداعي الى الله باذنه والسراج المنير

انا من اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا والذين
افترض الله مودتهم فى كتابه اذ يقول ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا
فاقتراف الحسنة مودة اهل البيت قال ابو الفرج فلما انتهى الى هذا الموضع
من الخطبة قام عبيد الله بن العباس بين يديه فدعى الناس الى بيعته
فاستجابوا وقالوا اما احبه الينا واحقه بالخلافة فبايعوه ثم نزل عن المنبر
قال ابو الفرج ودس معوية رجلا من حمير الى الكوفة ورجلا من بنى القين الى
البصرة يكتبان اليه بالاخبار فدل على الحميرى وعلى القينى فاخذا وقتلا
وكتب الحسن رضى الله عنه الى معوية اما بعد فانك دسست الى الرجال كانك
تحب اللقاء لا اشكك فى ذلك فتوقعه ان شاء الله وبلغنى انك شمت بما لا
يشمت به ذو الحجى وانما مثلك فى ذلك كما قال الاول ۞ فانا ومن قد مات
منا لكالذى يروح فيمسى فى المبيت ليغتدى ۞ فقل للذى يبغى خلاف
الذى مضى تجهز لاخرى مثلها فكان قد اجابه معوية اما بعد فقد وصل
كتابك وفهمت ما ذكرت فيه علمت بما حدث فلم افرح ولم احزن ولم اشمت
ولم آس وان عليا اباك لكما قال اعشى بنى قيس بن ثعلبة ۞ فانت الجواد وانت
الذى ۞ اذا ما القلوب ملأن الصدورا ۞ جدير بطعنة يوم اللقاء ۞
تضرب منها النساء النحورا ۞ وما مزبد من خليج البحا ر ۞
يعلو الاكام ويعلو الجسورا ۞ باجود منه بما عنده ۞
فيعطى الالوف ويعطى البدورا ۞ قال ابو الفرج وكتب عبد الله بن
عباس رحمه الله من البصرة الى معوية اما بعد فانك ودسك اخا بنى
القين الى البصرة تلتمس من غفلات قريش مثل ما ظفرت به من يمانيتك

فكما قال امية بن ابى الصلت ۞ لعمرك انى والخزاعى طارقا ۞
كنعجة عاد حتفها تتحفر ۞ اثارت عليها شفرة بكراعها ۞
فظلت بها من آخر الليل تنحر ۞ شمت بقوم فى صديقك اهلكوا ۞
اصابهم يوم من الدهر اصفر ۞ فاجابه معوية اما بعد فان الحسن بن على قد
كتب الى بنحو ما كتبت به وانبئنى بما لم يحق ۞ سوء ظن ورأى فى وانك لم تصب مثلى
ومثلكم وانما مثلنا كما قال طارق الخزاعى يجيب امية عن هذا الشعر ۞ فوالله ما
ادرى وانى لصادق ۞ الى اى من تظننى اتعذر ۞ اعنف ان كانت زبينة اهلكت
ونال بنى لحيان شر فانفروا ۞ قال ابو الفرج فكان اول شئ احدثه الحسن انه زاد
المقاتلة مائة مائة وقد كان على رضى الله عنه فعل ذلك يوم الجمل وفعله الحسن
حال الاستخلاف فتبعه الخلفاء من بعده فى ذلك قال وكتب الحسن الى معوية مع
حرب بن عبد الله الازدى من الحسن بن على امير المؤمنين الى معوية بن ابى
سفيان سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فان الله
جل جلاله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ومنة على المؤمنين وكافة
للناس اجمعين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فبلغ رسالات الله
وقام بامر الله حتى توفاه الله غير مقصر ولا وان وبعد ان اظهر الله به الحق ومحق
به الشرك وخص به قريشا خاصة فقال له وانه لذكر لك ولقومك
فلما توفى تنازعت سلطانه العرب فقالت قريش نحن قبيلته واسرته واولياؤه
ولا يحل لكم ان تنازعونا سلطان محمد وحقه فرأت العرب ان القول ما قالت
قريش وان الحجة لهم فى ذلك على من نازعهم امر محمد فانعمت لهم وسلمت اليهم ثم حاججنا
نحن قريشا بمثل ما حاجت به العرب فلم تنصفنا قريش انصاف العرب لها انهم اخذوا

هذا الامر دون العرب بالانصاف والاحتجاج فلما صرنا اهل بيت محمد واوليائه
محاجتهم وطلب النصف منهم باعدونا واستدلوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت
منهم لنا فالموعد الله وهو الولي النصير ولقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين
علينا في حقنا وسلطان نبينا وان كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الاسلام
وامسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين ان يجد المنافقون والاحزاب في ذلك
مغمزا يثلمونه به او يكون لهم بذلك سبب الى ما ارادوا من افساده فاليوم فليتعجب
المتعجب من توثبك يا معوية على امر لست من اهله لا بفضل في الدين معروف ولا اثر
في الاسلام محمود وانت ابن حزب من الاحزاب وابن اعدى قريش لرسول الله ولكتابه
والله حسيبك فسترد فتعلم لمن عقبى الدار وبالله عن قليل ربك ثم ليجزينك
بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد ان عليا لما مضى لسبيله رحمة عليه يوم قبض
ويوم من الله عليه بالاسلام ويوم يبعث حيا ولاني المسلمون الامر بعده فاسال الله ان
لا يؤتينا في الدنيا الزايلة شيئا ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامته وانما حملني
على الكتاب اليك الاعذار فيما بيني وبينك الله عز وجل في امرك ولك في ذلك ان فعلته
الحظ الجسيم والصلاح للمسلمين فدع التمادي في الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس
من بيعتي فانك تعلم اني احق بهذا الامر منك عند الله وعند كل اواب حفيظ ومن
له قلب منيب واتق الله ودع البغي واحقن دماء المسلمين فوالله ما لك خير من ان
تلقى من دمائهم باكثر مما انت لاقيه وادخل في الاسلام والطاعة ولا تنازع الامر اهله
ومن هو احق به منك ليطفئ الله النائرة بذلك ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين وان انت
ابيت الا التمادي في غيك سرت اليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا
وهو خير الحاكمين فكتب معوية اليه من عبد الله معوية امير المؤمنين الى الحسن بن علي سلام

عليك

عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت
ما ذكرت به محمدا رسول الله صلى الله عليه من الفضل وهو احق الاولين والآخرين
بالفضل كله قديمه وحديثه وصغيره وكبيره وقد والله بلغ وادى ونصح وهدى
حتى انقذ الله به من الهلكة وانار به من العمى وهدى به من الجهالة والضلالة
فجزاه الله افضل ما جزى نبيا عن امته وصلوات الله عليه يوم ولد ويوم بعث ويوم
قبض ويوم يبعث حيا وذكرت وفاة النبي صلى الله عليه وتنازع المسلمين الامر بعده
وتغلبهم على ابيك فصرحت بتهمة ابي بكر وعمر وابي عبيدة وحواري رسول الله وصلحاء
المهاجرين والانصار فكرهت ذلك لك انك امرء عندنا وعند الناس غير الظنين
ولا المسيء ولا اللئيم وانا احب لك القول السديد والذكر الجميل ان هذه الامة
لما اختلفت بينها لم تجهل فضلكم ولا سابقتكم ولا قرابتكم من نبيكم ولا مكانكم
في الاسلام واهله فرات الامة ان تخرج عن هذا الامر لقريش لمكانها من نبيها
وراى صلحاء الناس من قريش والانصار وغيرهم من سائر الناس وعوامهم ان يولوا
هذا الامر من قريش اقدمها اسلاما واعلمها بالله واحبها والفضيلة والناظرين للامة
فاوقع ذلك في صدورهم لهم التهمة ولم يكونوا متهمين ولا فيما اتوا بالمخطئين ولو رات
المسلمون ان فيكم من يغني غناءه ويقوم مقامه او يذب عن حريم الاسلام ذبه ما
عدلوا بالامر الى غيره رغبة ولكنهم عملوا في ذلك بما راوه صلاحا للاسلام واهله والله
يجزيهم عن الاسلام واهله خيرا وقد فهمت الذي دعوتني من الصلح والحال فيما
بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليها انتم وابو بكر بعد وفاة النبي صلى الله
عليه واله فلو علمت انك اضبط مني للرعية واحوط على هذه الامة واحسن سياسة
واقوى على جمع الاموال واكيد للعدو لاجبتك الى ما دعوتني اليه ورايتك لذلك

اهلا ولكن قد علمت اني اطول منك ولاية واقدم منك لهذه الامة تجربة واكبر منك سنا فانت
احق ان تجيبني الى هذه التي سالتني فادخل في طاعتي ولك الامر من بعدي ولك ما في بيت
مال العراق بالغا ما بلغ تحمله الى حيث احببت ولك خراج اي كور العراق اردت معونة
لك على نفقتك يجبيها امينك ويحملها اليك في كل سنة ولك ان لا يستولى عليك
بالاساءة ولا تقضى دونك الامور ولا تعصى في امر اردت به طاعة الله اعاننا الله واياك
على طاعته انه سميع مجيب الدعاء والسلام قال جندب فلما اتيت الحسن بكتاب معوية
قلت له ان الرجل سائر اليك فابداه بالمسير حتى تقاتله في ارضه وبلاده وعمله فاما
ان تقدر انه ينقاد لك فلا والله حتى يرى منا اعظم من يوم صفين فقال افعل ثم قعد عن
مشورتي وتناسى قولي قالوا وكتب معوية الى الحسن اما بعد فان الله يفعل في عباده ما يشاء
لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب فاحذر ان تكون منيتك على يدي رعاع الناس وايئس
من ان تجد فينا غميزة وان انت اعرضت عما انت فيه وبايعتني وفيت لك بما وعدت
واجزت لك ما شرطت واكون في ذلك كما قال اعشى بني قيس بن ثعلبة وان احد اسدى اليك
امانة فاوف بها تدعى اذا مت وافيا ۞ ولا تحسد المولى اذا كان ذا غنى ۞ ولا تجفه
كان في المال فانيا ثم الخلافة لك من بعدي فانت اولى الناس بها والسلام فاجابه
الحسن اما بعد فقد وصل الي كتابك تذكر فيه ما ذكرت فتركت جوابك خشية البغي عليك
وبالله اعوذ من ذلك فاتبع الحق تعلم اني من اهله وعلي اثم ان اقول فاكذب والسلام فلما
وصل كتاب الحسن الى معوية ثم كتب الى عماله على النواحي من عبد الله معوية امير المؤمنين
الى فلان بن فلان ومن قبله من المسلمين سلام عليكم فاني احمد الله اليكم الذي لا اله
الا هو اما بعد فالحمد لله الذي كفاكم مؤنة عدوكم وقتلة خليفتكم ان الله بلطفه وحسن
صنيعه اتاح لعلي بن ابي طالب رجلا من عباده فاغتاله فقتله فترك اصحابه متفرقين

مختلفين

مختلفين وقد جاءتنا كتب اشرافهم وقادتهم يلتمسون الامان لانفسهم وعشائرهم
فاقبلوا الي حين ياتيكم كتابي هذا بجهدكم وجندكم وحسن عدتكم فقد اصبتم
بحمد الله الثار وبلغتم الامل واهلك الله اهل البغي والعدوان والسلام عليكم ورحمة الله قال
فاجتمعت العساكر الى معوية فسار بها قاصدا الى العراق وبلغ الحسن خبره ومسيره
وانه قد بلغ جسر منبج فتحرك عند ذلك وبعث حجر بن عدي يامر العمال والناس بالتهيؤ
للمسير ونادى المنادي الصلاة جامعة فاقبل الناس يثوبون ويجتمعون وقال الحسن
اذا رضيت جماعة الناس فاعلمني وجاء سعيد بن قيس الهمداني فقال له اخرج فخرج الحسن
فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الله كتب الجهاد على خلقه وسماه
كرها ثم قال لاهل الجهاد من المؤمنين اصبروا ان الله مع الصابرين فلستم ايها الناس نائلين
ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون انه بلغني ان معوية بلغه انا كنا ازمعنا على المسير اليه
فتحرك لذلك اخرجوا رحمكم الله الى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظرون ونرى
وترون قال وانه في كلامه ليتخوف خذلان الناس له قال فسكتوا فما تكلم منهم احد ولا
اجابه بحرف فلما راى ذلك عدي بن حاتم قام فقال انا ابن حاتم سبحان الله ما اقبح
هذا المقام الا تجيبون امامكم وابن بنت نبيكم اين خطباء مضر الذين السنتهم كالمخاريق
في الدعة فاذا جد الجد فرواغون كالثعالب اما تخافون مقت الله ولا عيبها
وعارها ثم استقبل الحسن رضي الله بوجهه فقال اصاب الله بك المراشد وجنبك المكاره
ووفقك لما تحمد ورده وصدره قد سمعنا مقالتك وانتهينا الى امرك وسمعنا لك
واطعناك فيما قلت وما رايت وهذا وجهي الى معسكري فمن احب ان يوافي فليواف ثم
مضى لوجهه فخرج من المسجد ودابته بالباب فركبها ومضى الى النخيلة وامر غلامه ان يلحقه
بما يصلحه فكان عدي بن حاتم اول الناس عسكرا وقام قيس بن سعد بن عبادة الانصاري

ومعقل بن قيس الرياحي وزياد بن حصفه التيمي فانبوا الناس ولاموهم وحرضوهم
وكلموا الحسن رضه بمثل كلام عدي بن حاتم في الاجابة والقبول فقال لهم الحسن صدقتم
رحمكم الله مازلت اعرفكم بصدق النية والوفا والقبول والمودة الصحيحة فجزاكم الله
خيرا ثم نزل ثم خرج الناس فعسكروا ونشطوا للخروج الحسن رضه الى المعسكر واستخلف
على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وامره باستحثاب الناس واشخاصهم
اليه فجعل يستحثهم ويخرجهم حتى تئام العسكر وسار الحسن في عسكر عظيم وعدة حسنة
حتى نزل دير عبد الرحمن واقام به ثلاثا حتى اجتمع الناس ثم دعا عبيد الله بن العباس
بن عبد المطلب فقال له يا ابن عم اني باعث معك اثني عشر الفا من فرسان العرب وقرا
المصر الرجل منهم يزيد الكتيبة فسر بهم والن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وافرش لهم
جناحك وادنهم من مجلسك فانهم بقية ثقات امير المؤمنين وسر بهم على شط الفرات
حتى تصير بمسكن ثم امض حتى تستقبل بهم معوية فان انت لقيته فاحبسه حتى اتيك
فاني على اثرك وشيكا وليكن خبرك عندي كل يوم وشاور هذين يعني قيس بن سعد وسعيد
بن قيس واذا لقيت معوية فلا تقاتله حتى يقاتلك فان فعل فقاتله وان اصبت فقيس
بن سعد على الناس وان اصيب قيس بن سعد فسعيد بن قيس على الناس فسار عبيد الله
حتى انتهى الى شينور حتى خرج الى شاهي ثم لزم الفرات والفلوجة حتى اتى مسكن واخذ الحسن على
حمام عمر حتى اتى دير كعب ثم بكر فنزل ساباط دون القنطرة فلما اصبح نادى في الناس الصلاة
جامعة فاجتمعوا فصعد المنبر يخطبهم فقال الحمد لله كلما حمده حامد واشهد ان لا اله الا الله
كلما شهد له شاهد واشهد ان محمدا رسول الله ارسله بالحق وائتمنه على الوحي صلى الله عليه وآله
اما بعد فوالله اني لارجو ان اكون قد اصبحت بحمد الله ومنه وانا انصح خلق الله لخلقه
وما اصبحت محتملا على مسلم ضغينة ولا مريدا له بسوء ولا غايلة الا وان ما تكرهون في الجماعة

خير لكم مما تحبون في الفرقة الا واني ناظر لكم خيرا من نظركم لانفسكم فلا تخالفوا امري ولا
تردوا علي رايي غفر الله لي ولكم وارشدني واياكم لما فيه محبته ورضاه ان شاء الله ثم نزل
قال فنظر الناس بعضهم الى بعض وقالوا ما ترونه يريد بما قال قالوا نظنه يريد ان يصالح
معوية ويكل الامر اليه كفر والله الرجل ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه حتى اخذوا مصلاه
من تحته ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الازدي فنزع مطرفه عن عاتقه
فبقي جالسا متقلدا سيفا بغير ردا فدعا بفرسه فركبه واحدق به طوائف من خاصته
وشيعته ومنعوا منه من اراده ولاموه وضعفوه لما تكلم به فقال ادعوا الى ربيعة
وهمدان فدعوا له فاطافوا به ودفعوا الناس عنه ومعهم شوب من غيرهم فلما مر في
مظلم ساباط قام اليه رجل من بني اسد نصر بن قعين يقال الجراح بن سنان وبيده معول
فاخذ بلجام فرسه وقال الله اكبر يا حسن اشرك ابوك ثم اشركت انت وجعلته بالمعول
فوقعت في فخذه فشقه حتى خالط اربيته وسقط الحسن رضه الى الارض بعد ان ضرب
الذي طعنه بسيف كان بيده واعتنقه فخرا جميعا الى الارض فوثب عبد الله بن الاخطل
الطائي فنزع المعول من يد جراح بن سنان فخضخضه به واكب ظبيان بن عمارة عليه
فقطع انفه ثم اخذ الاجر فشدخوا راسه ووجهه حتى قتلوه وحمل الحسن على سرير
الى المداين وبها سعيد بن مسعود الثقفي واليا عليها من قبله وقد كان علي رضه
ولاه المداين فاقام الحسن عليها فاقام عنده يعالج نفسه فاما معوية فانه وافى حتى
نزل قرية يقال لها الحبوبية بمسكن واقبل عبيد الله بن العباس حتى نزل بازائه
فلما كان من غد وجه معوية بخيله اليه فخرج اليهم عبيد الله فيمن معه فضربهم حتى
ردهم الى معسكرهم فلما كان الليل ارسل معوية الى عبيد الله بن عباس ان الحسن قد راسلني
في الصلح وهو مسلم الامر الي فان دخلت في طاعتي الان كنت متبوعا والا دخلت

وانت تابع ولك ان جئتني الآن ان اعطيك الف الف درهم اعجل لك في هذا الوقت
نصفها واذا دخلت الكوفة النصف الآخر فاقبل عبيد الله ليلاً حتى دخل عسكر معوية
فوفا له بما وعده واصبح الناس ينتظرون عبيد الله ان يخرج فيصلي بهم فلم يخرج حتى اصبحوا
فطلبوه فلم يجدوه فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة ثم خطبهم فثبتهم وذكر عبيد الله
فنال منه ثم امرهم بالصبر والنهوض الى العدو فاجابوه بالطاعة وقالوا له انهض بنا الى
عدونا على اسم الله فنزل فنهض بهم وخرج اليه بسر بن ارطاة فصاح الى اهل العراق ويحكم
هذا اميركم عندنا قد بايع وامامكم الحسن قد صالح فعلام تقتلون انفسكم فقال لهم
قيس بن سعد اختاروا احدى اثنتين اما القتال مع غير امام واما ان تبايعوا بيعة ضلال
فقالوا بل نقاتل بلا امام فخرجوا فضربوا اهل الشام حتى ردوهم الى مصافهم وكتب معوية
الى قيس بن سعد يدعوه ويمنيه فكتب اليه قيس لا والله لا تلقاني ابداً الا بيني و[بينك]
الرمح فكتب اليه معوية حينئذ لما يئس منه اما بعد يهودي بن يهودي تشقي نفسك
وتقتلها فيما ليس لك فان ظهر احب الفريقين اليك نبذك وان ظهر ابغضهم اليك
نكل بك وقتلك وقد كان ابوك اوتر غير قوسه ورمى غير غرضه فاكثر الحز واخطأ
المفصل فخذله قومه وادركه يومه فمات بحوران طريداً غريباً والسلام فكتب
اليه قيس بن سعد اما بعد فانما انت وثن بن وثن دخلت في الاسلام كرها واقمت
فيه فرقاً وخرجت طوعاً ولم يجعل الله لك فيه نصيباً لم يقدم اسلامك ولم يحدث
نفاقك ولم تزل حرباً لله ولرسوله وحزباً من احزاب المشركين وعدواً لله ولنبيه
والمؤمنين من عباده وذكرت ابي فلعمري ما اوتر الا قوسه ولا رمى الا غرضه فشغب
عليه من لا يشق غباره ولا يبلغ كعبه وزعمت اني يهودي بن يهودي وقد
علمت وعلم الناس اني وابي اعداء الدين الذي خرجت منه وانصار الدين الذي د[خلت]

فيه

فيه وحرت اليه والسلام فلما قرأ معوية كتابه اغاظه واراد اجابته فقال له
عمرو مهلاً فانك ان كاتبته اجابك باشد من هذا وان تركته دخل فيما دخل فيه النا[س]
فامسك عنه قال وبعث معوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة الى الحسن
للصلح فدعواه اليه وزهداه في الامر واعطياه ما شرط له معوية وان لا يتبع احد بما
مضى ولا ينال احد من شيعة علي بمكروه ولا يذكر علي الا بخير واشياء اشترطها الحسن
فاجاب الى ذلك وانصرف قيس بن سعد فيمن معه الى الكوفة وانصرف الحسن ايضاً
اليها واقبل معوية قاصد الكوفة واجتمع الى الحسن رض وجوه الشيعة واكابر اصحاب
امير المؤمنين يلومونه ويبكون اليه جزعاً مما فعله قال ابو الفرج فحدثني محمد بن احمد
ابو عبيد قال حدثنا الفضل بن الحسن المصري قال حدثنا ابن عمرو قال حدثنا مكي بن
ابراهيم قال حدثنا السري بن اسمعيل عن الشعبي عن سفيان بن الليل قال ابو الفرج
[بعض] وحدثني به ايضاً محمد بن الحسين الاشنانداني وعلي بن العباس المقلة عن عنبسان بن
عن عمرو بن ثابت عن الحسن بن الحكم عن عدي بن ثابت عن سفيان بن الليل
قال اتيت الحسن بن علي حين بايع معوية فوجدته بفناء داره وعنده رهط [فقلت]
السلام عليك يا مذل المؤمنين قال وعليك السلام يا سفيان فنزلت فعقلت [راحلتي]
ثم اتيته فجلست اليه فقال كيف قلت يا سفيان قلت السلام عليك يا مذل [المؤمنين]
ما جرّ هذا منك الينا قلت انت والله بابي انت وامي اذللت رقابنا حين اعطيت
هذا الطاغية البيعة وسلمت الامر الى اللعين بن آكلة الاكباد ومعك مائة
الف كلهم يموت دونك وقد جمع الله عليك امر الناس فقال يا سفيان انا اهل
بيت اذا علمنا الحق تمسكنا به واني سمعت علياً يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله]
وسلم يقول لا يذهب الايام والليالي حتى يجتمع امر هذه الامة على رجل واسع السرم ضخم [البلعوم]

ياكل ولا يشبع لا ينظر الله اليه ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذر ولا في الارض
ناصر وانه لمعوية واني عرفت ان الله بالغ امره ثم اذن المؤذن فقمنا على حالة يحلب
ناقته فتناول الاناء فشرب قائما ثم سقاني وخرجنا نمشي الى المسجد فقال ما جاء بك
يا سفيان قلت حبكم والذي بعث محمدا بالهدى ودين الحق قال فابشر يا سفيان فاني
سمعت عليا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول يرد الحوض اهل بيتي ومن احبهم
من امتي كهاتين يعني السبابتين او كهاتين يعني السبابة والوسطى احداهما تفضل على الاخرى
ابشر يا سفيان فان الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله امام الحق من آل محمد عليه
السلام قلت قوله ولا في الارض ناصر اي ناصر دين اي لا يمكن احدا ان ينتصر له بتاويل
ديني اي يتكلف بر عذره الا نعاله فان قال قوله وانه لمعاوية من الحديث المرفوع
ام من كلام علي رض ام من كلام الحسن قلت الظاهر انه من كلام الحسن فانه قد غلب على ظنه
ان معوية صاحب هذه الصفات وان كان القسمان الاولان غير ممتنعين فان قلت فمن
هو امام الحق من آل محمد قلت اما الامامية فتزعم انه صاحبهم الذي يعتقدون انه الآن
حي في الارض واما اصحابنا فيزعمون انه فاطمي يخلقه الله تعالى في آخر الزمان قال ابو
الفرج وسار معوية حتى نزل النخيلة وجمع الناس بها فخطبهم قبل ان يدخل الكوفة خطبة
طويلة لم ينقلها احد من الرواة تامة وجاءت منقطعة في الحديث وسنذكر ما
انتهى الينا منها فاما الشعبي فانه روى انه قال في الخطبة ما اختلف امر امة بعد نبيها
الا ظهر اهل باطلها على اهل حقها ثم انتبه فندم فقال الا هذه الامة فانها وانها
واما ابو اسحاق السبيعي فقال ان معوية قال في خطبته بالنخيلة الا ان كل شيء
اعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا افي به قال ابو اسحاق وكان والله غدارا
وروى الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد قال صلى بنا معوية بالنخيلة الجمعة

ثم خطبنا

ثم خطبنا فقال اني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا انكم
لتفعلون ذلك وانما قاتلتكم لاتأمر عليكم وقد اعطاني الله ذلك وانتم كارهون
قال فكان عبد الرحمن ابن شريك اذا حدث بذلك يقول هذا والله هو التهتك
قال ابو الفرج وحدثني ابو عبيد محمد بن احمد قال حدثني الفضل بن الحسن المصري
قال حدثني يحيى بن معين قال حدثني ابو حفص اللبان عن عبد الرحمن ابن شريك
عن اسمعيل بن ابي خالد عن حبيب بن ابي ثابت قال خطب معوية بالكوفة حين
دخلها والحسن والحسين جالسان تحت المنبر فذكر عليا فنال منه ثم نال
من الحسن فقام الحسين ليرد عليه فاخذه الحسن بيده فاجلسه ثم قام فقال ايها
الذاكر عليا انا الحسن وابي علي وانت معوية وابوك صخر وامي فاطمة وامك
هند وجدي رسول الله وجدك عتبة بن ربيعة وجدتي خديجة وجدتك
قتيلة فلعن الله اخملنا ذكرا والامنا حسبا وشرنا قديما وحديثا واقدمنا
كفرا ونفاقا فقال طوائف من اهل المسجد امين قال الفضل وانا اقول امين قال
ابو الفرج قال ابو عبيد وانا اقول امين ويقول علي بن الحسين الاصفهاني
امين قلت ويقول عبد الحميد بن ابي الحديد مصنف هذا الكتاب امين ابو الفرج
ودخل معوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة بين يديه خالد بن
عرفطة ومعه حبيب بن حماد يحمل رايته فلما صار بالكوفة دخل المسجد من باب
الفيل واجتمع الناس اليه قال ابو الفرج فحدثني ابو عبيد الصيرفي واحمد بن عبيد
الله بن عمار عن محمد بن ابي خلف عن محمد بن عمرو الرازي عن مالك بن سعيد عن محمد
بن عبد الله الليثي عن عطاء بن السائب عن ابيه قال بينما علي بن ابي طالب على منبر الكوفة
دخل رجل فقال يا امير المؤمنين مات خالد بن عرفطة فقال لا والله ما مات ولا يموت

حتى يدخل من باب المسجد واشار الى باب الفيل ومعه راية ضلالة يحملها حبيب بن حمار
قال فوثب رجل فقال يا امير المؤمنين انا حبيب بن حمار وانا لك شيعة فقال فانه
كما اقول فوالله لقد قدم خالد بن عرفطة على مقدمة معوية يحمل رايته حبيب بن حمار
قال ابو الفرج وقال مالك بن سعيد وحدثني الاعمش بهذا الحديث قال حدثني صاحب
هذه الدار واشار الى دار السائب بن الاقرع انه سمع عليا يقول هذا القول فلما تم الصلح
بين الحسن ومعوية ارسل الى قيس بن سعد يدعوه الى البيعة وكان رجلا طوالا يركب
الفرس المشرف ورجلاه يخطان في الارض وما في وجهه طاقة شعر وكان يسمى خصي
الانصار فلما ارادوا ادخاله اليه قال حلفت الا القاه الا وبيني وبينه الرمح او السيف
فامر معوية برمح وبسيف فوضعا بينه وبينه ليبر يمينه قال ابو الفرج وقد
روى ان الحسن لما صالح معوية اعتزل قيس بن سعد في اربعة الاف وابى ان يبايع فلما
بايع الحسن ادخل قيس ليبايع فاقبل على الحسن فقال افي حل انا من بيعتك قال نعم فالقي له
كرسي وجلس معوية على سريره والحسن معه فقال معوية اتبايع يا قيس قال نعم
ووضع يده على فخذه ولم يمدها الى معوية فجثا معوية على سريره واكب على قيس حتى
مسح يده على يده وما رفع قيس اليه يده قال ابو الفرج ثم ان معوية امر الحسن ان
يخطب وظن انه سيحصر فقام فخطب فقال في خطبته انما الخليفة من سار بكتاب
الله وسنة نبيه وليس الخليفة من سار بالجور ذلك رجل ملك ملكا يمتع به قليلا
ثم تخمته لذته وتبقى تبعته وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين
قال وانصرف الحسن الى المدينة فاقام بها واراد معوية البيعة لابنه يزيد فلم
يكن شيء اثقل عليه من امر الحسن بن علي وسعد بن ابي وقاص فدس اليهما سما
فماتا منه قال ابو الفرج فحدثني احمد بن عبيد الله بن عمار عن عيسى بن مهران عن عبيد

بن الصباح

بن الصباح الخراز عن جرير عن مغيرة قال ارسل معوية الى بنت الاشعث بن قيس
وهي تحت الحسن فقال لها اني مزوجك يزيد ابني على ان تسمي الحسن وبعث اليها مائة
الف درهم ففعلت وسمت الحسن فسوغها المال ولم يزوجها منه فخلف عليها
رجل من آل طلحة فاولدها فكان اذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيروهم
فقالوا يا بني مسمة الازواج قال وحدثني احمد قال حدثني عيسى عن يحيى بن بكير
عن شعبة عن ابي بكر بن حفص قال توفي الحسن بن علي وسعد بن ابي وقاص في
ايام متقاربة وذلك بعدما مضى من امارة معوية عشر سنين وكانوا يرون انه
سقاهما السم قال ابو الفرج وحدثني احمد عن ابن عون عن عمير بن اسحاق قال كنت مع
الحسن والحسين في الدار فدخل الحسن المخرج فقال لقد سقيت السم مرارا ما سقيته
مثل هذه المرة لقد لفظت قطعة من كبدي فجعلت اقلبها بعود معي فقال الحسين
ومن سقاكه قال وما تريد منه اتريد ان تقتله ان يكن هو هو فالله
اشد نقمة منك وان لم يكن هو فما احب ان تاخذ بي بريا قال ابو الفرج ودفن الحسن
في قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله في البقيع وقد كان اوصى ان يدفن
مع النبي صلى الله عليه فمنع مروان بن الحكم من ذلك وركبت بنو امية في السلاح وجعل
مروان يقول يا رب هيجا هي خير من دعة ايدفن عثمان في البقيع ويدفن الحسن
في بيت النبي عليه السلام والله لا يكون ابدا وانا احمل السيف وكادت الفتنة
ان تقع وابى الحسين ان يدفنه الا مع النبي صلى الله عليه وآله فقال له عبد الله
بن جعفر عزمت عليك يا ابا عبد الله بحقي ان لا تكلم بكلمة فمضوا به الى البقيع
وانصرف مروان قال ابو الفرج وقد روى الزبير بن بكار ان الحسن ارسل الى عائشة
ان تاذن له ان يدفن مع النبي صلى الله عليه وآله فقالت نعم فلما سمعت بنو امية

بذلك استلاموا في السلاح وساروا هم وبنو هاشم للقتال فبلغ ذلك الحسن
فارسل الى بني هاشم اما اذا كان هذا فلا حاجة لي فيه ادفنوني في الجنب
امي فدفن الى جنب فاطمة قال ابو الفرج قد ما يحيى بن الحسن صاحب كتاب
النسب فانه روى ان عايشة ركبت ذلك اليوم بغلا واستفزت بني امية
مروان ومن كان هناك منهم ومن حشمهم وهو قول القائل ۞ فيوما على بغل ويوما
على جمل ۞ قلت ليست في رواية يحيى بن الحسن ما يؤخذ على عايشة لانه لم يروا
انها استنفرت الناس لما ركبت البغل وانما المستنفرون هم بنو امية ويجوز
ان تكون عايشة ركبت لتسكن الفتنة لانها وقد روى عنها انه لما طلب
منها الدفن قالت نعم فهذه الحال والقصة منقبة من مناقب عايشة قال ابو
الفرج وقال جويرية بن اسماء لما مات الحسن واخرجوا جنازته جاء مروان
حتى دخل تحته فحمل سريره فقال له الحسين اتحمل اليوم سريره وبالامس كنت
تجرعه الغيظ قال مروان كنت افعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال قال
وقدم الحسين للصلاة عليه سعيد بن العاص وهو يومئذ امير المدينة
وقال تقدم فلولا انها سنة لما قدمتك قال قيل لابي اسحاق السبيعي متى
ذل الناس فقال حين مات الحسن وادعي زياد وقتل حجر بن عدي قال
اختلف في سن الحسن وقت وفاته فقيل ابن ثمان واربعين وهو المروي
عن جعفر ابن محمد رض في رواية هشام بن سالم وقيل ابن ست واربعين
وهو المروي ايضا عن جعفر رض في رواية ابي بصير قال وفي الحسن يقول
سليمان ابن قتة يرثيه وكان له محبا ۞ ياكذب الله من نعى حسنا ۞
ليس لتكذيب نعيه ثمن ۞ كنت خليلي وكنت خالصتي ۞ لكل حي من اهله سكن

اجول

اجول في الدار لا اراك وفي ۞ الدار اناس جوارهم غبن ۞ بدلتهم منك ليت انهم
اضحوا ببيني وبينهم عدن ثم نرجع الى تفسير الفاظ الفصل اما قوله كتبتها
اليه بحاضرين فالذي كنا نقرأ وقديما كتبتها اليه بالحاضرين على صيغة
التثنية يعني حاضر حلب وحاضر قنسرين وهي الارباض والضواحي المحيطة
بهذه البلاد ثم قرأناه بعد ذلك على جماعة من الشيوخ بغير لام ولم يفسروه
ومنهم من يذكره بصيغة الجمع لا بصيغة التثنية ومنهم من يقول
بحاضرين يظنونه تثنية حاضر او جمعها وقد طلبت هذه الكلمة
في الكتب المصنفة لاسماء البلاد والارضين فلم اجدها ولعلي اظفر بها
فيما بعد فالحقها في هذا الموضع اقول من الوالد الفان حذف البنا
ها هنا للازدواج بين الفان والزمان ولانا نقف وقياس الوقف على
يجوز مع اللام حذف اليا واثباتها والاثبات هو الوجه ومع عدم اللام يجوز
الامر واسقاط اليا هو الوجه المقر للزمان المعترف له بالغلبة كان جعل
نفسه فيما مضى خصما للزمان فلما كبر اقر للزمان بالقهر قوله المدبر العمر لانه
كان قد جاوز الستين ولا يبقى بعد مجاوزة الستين الا ادبار العمر لانها
نصف العمر الطبيعي الذي قل ان يبلغه احد فعلى تقدير ان يبلغه فكل
ما بعد الستين اقل مما مضى فلا جرم يكون العمر قد ادبر قوله المستسلم للدهر
هذا اكد من قوله المقر للزمان لانه قد يقر الانسان لخصمه ولا يستسلم قوله
التام للدنيا هذا وصف له بسجية عند الكبر بل لم يزل عليه ولكن يجوز
ان يريد ذمه لحال الشيخ بنقص قوته التي يستعين بها على الدنيا
والدين جميعا فلا يزال يتاسف من الدنيا قوله الساكن مساكن الموتى

اشعارا انه سيموت وهذا من قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا
انفسهم قوله الظاعن عنها غدا لا يريد الغد بعينه بل يريد قرب الرحيل و الظعن
وهذا الكلام من امير المؤمنين كلام من قد ايقن بالفراق ولا ريب في ظهور
الاستكانه والخضوع عليه ويدل ايضا على كرب وضيق عطن لما بلغه
من حرب اهل الشام وانعكس ما قدره بتخاذل اصحابه عنه ونفوذ حكم عمرو
بن العاص فيه لحمق ابي موسى وغباوته والخرافة ايضا قوله تعالى الى المولود
هذه اللفظة بازاء الوالد قوله المؤمل ما لا يدرك لو قال قائل لا انه يكفي بذلك
عن انه لا ينال الخلافة بعد موتي وان كان مؤملا لها لم يبعد ويكون ذلك
اخبارا عن غيب ولكن الاظهر انه لم يرد ذلك وانما اراد جنس البشر لا خصوص
الحسن وكذلك سائر الاوصاف التي تلي هذه اللفظة لا يخص الحسن بعينه
بل هي وان كانت في الظاهر له فانها للناس كلهم في الحقيقة الا ترى الى قوله
بعدها السالك سبيل من قد هلك فان كل واحد من الناس يؤمل الامور لا
يدركها وكل واحد من الناس سالك سبيل من هلك قبله قوله غرض الاسقام
لان الاسقام كالهدف الآفات الدنيا ولم لعلهما قوله ورهينة الايام الرهينة
هاهنا المهزول يقال ان الراهن وان الرهبة اذا كان مهزولا باليا قال الراجز
اما ترى جسمي خلا قد رهن هزلا وما مجد الرجال في السمن ويجوز ان يريد بالرهينة
واحدة الرهائن يقال للاسير او للمرتهن او للعاجز من الرجل انه رهينة وذلك
لان الرهائن محبوسة عند من يرتهنها قوله ورمية المصائب الرمية ما يرمى قوله
وعبد الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا لان الانسان طلوع شهوته فهو عبد
الدنيا وحركاته فيها مبنية على غرور لا اصل له فهو تاجر الغرور لا محالة ولما كانت

المنايا تطالبه بالرحيل عن هذه الدار كانت غريما له يقتضيه ما لا بد من ادائه قوله
واسير الموت وحليف الهموم وقرين الاحزان ونصب الآفات وصريع الشهوات
لما كان الانسان مع الموت كما قال طرفة لعمرك ان الموت ما اخطا الفتى لكالطول
المرخى وثنياه باليد كان اسيرا له لا محالة ولما كان لا بد لكل انسان من الهم كان
حليف الهموم وكذلك لا يخلو ولا ينفك من الحزن فكان قرينا له ولما كان
معرضا للآفات كان نصبا لها ولما كان انما يهلك بشهوته كان صريعها قوله و خليفة
الاموات قد اخذه من قال ان امرءا ليس بينه وبين آدم الا اب ميت لمعرق له في الموت
واعلم انه عد من صفات نفسه سبعا وعد من صفات ولده اربع عشرة صفة فجعل
بازاء كل واحدة مما له اثنتين مما لولده فليلمح ذلك ومن جيد ما يجيء به شاعر بنفسه
ووصف ما انتقص الدهر من قواه قول عوف بن محلم الشيباني في عبد الله بن طاهر
امير خراسان يا ابن الذي دان له المشرقان والبس الامن به المغربان
ان الثمانين وبلغتها * قد احوجت سمعي الى ترجمان وبدلتني بالشطاط انحنا
وكنت كالصعدة تحت السنان * وقاربت مني خطا لم تكن * مقاربات
وثنت من عنان * وعوضتني من زماع الفتى * وهمه هم الجبان الهدان * و افنات
بيني وبين الورى * عنانة من غير نسج العنان * ولم تدع في لمستمتع الا لساني
وكفاني لسانه * ادعو به الله واثني به * على الامير المصعبي الهجان * ومن الشعر القديم
الجيد في هذا المعنى قول سالم بن عونة الضبي * لا يبعدن عصر الشباب *
ولا لذاته ونباته النضر * والمرشفات من الحدثه * كايماض الغمام تجود بالقطر
وطراد حل سلها التقت الحفيظة وتقاعد الجميز * ولا اولئك ما حفلت متى عوليت
في خرج الى قبري * هرت ربينه او مرت برجمي * وان الحنا التقادم ظهري * من بعد ما

عهدت فادلقني * يوم يمر وليلة تسري * حتى كاني حائل تنضاء * والمرء بعد تمام عمري
لانهزاي جهة رنيت لها * في ذلك من عجيب ولا سحر * الم تري تمحق اهلكه * ما اقتات
من ستة ومن شهر * وبقا امر كلما انقرضت ايامه عادت لي نسر ما ثل * من آمد على لبد
رجعت محاربتي الي قصر * ولقد حليت الدهر انتظر * وعلمت ما الذي من الامر *
اذا استفصح قوله ما اقتات من ستة ومن شهر جعل الزمان كالقوت ومن اقتات
الشيء * فقد اكله والاكل سبب المرض والمرض سبب الهلاك الاصل اما بعد فان
فيما تبينت من ادبار الدنيا عني وجموح الدهر علي واقبال الآخرة الي ما يزعني عن ذكر
من سواي والاهتمام بما وراي غير اني حيث تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي فصدفني
راي وصرفني عن هواي وصرح لي محض امري فافضى بي الى جد لا يكون فيه لعب وصدق
الى محض امري فافضى بي الى الجد لا يكون فيه لعب وصدق لا يشوبه كذب وجدتك بعضي
بل وجدتك كلي حتى كان شيئا لو اصابك اصابني وكان الموت لو اتاك اتاني فعناني
من امرك ما يعنيني من امر نفسي فكتبت اليك كتابي هذا مستظهرا به ان انا بقيت لك او
فنيت الشرح يزعني يكفني ويصدني وزعت فلانا ولابد للناس من وزع سوى
لفظ يقصر اذا اكثرت سبيتها وعقلا اذا منحتها وهنا بمعنى عن ومن قبلها بمعنى شيء
منكر كقوله رب من انضجت غيظا قلبه والتقدير عن ذكر انسان سواي ويجوز
ان يكون من موصولة وقد حذف احد جزئي الصلة والتقدير عن ذكر الذي هو
غيري كما قالوا في لننزعن من كل شيعة ايهم اشد اي هو اشد بقوله ان فيما قد بان لي
من تنكر الوقت وادبار الدنيا واقبال الآخرة شاغلا لي عن الاهتمام باحد غيري وعن الفكر
في امر الولد وغيره ممن اخلفه وراي ثم عاد فقال الآن انا هم بنفسي يقتضي اهتمامي
بك لانك بعضي بل كلي فان كان اهتمامي بنفسي يصرفني عن غيري لم تكن انت داخلا في

جملة

جملة من يصرفني همي بنفسي عنهم لانك لست غيري فان قلت افهذا الهم حدث لامير المؤمنين
الآن ومن قبل لم يكن عالما بان الدنيا مدبرة والآخرة مقبلة قلت كلا بل لم يزل عارفا
بذلك ولكنه الآن تاكد وقوي بطريق علو السن وضعف القوى وهذا امر يحصل
للانسان على سبيل الايجاب لابد من حصوله لكل احد وان كان عالما بالحال من قبل
ولكن ليس العيان كالخبر ومن مستحسن ما قيل في هذا المعنى قول ابي اسحق الصابي
اقبلك الردي بي اني تنبهت من كرى * سهوت على طول المدى واعتراني * فابنيت
شخصا دانيا كان خافيا * على البعد حتى صار نصب عياني * هو الاجل المحتوم لجد جده
وكان من بني غفلة المتولي * له نذر قد اذنتني بحيه * له لست منها اخذا بامان
ولابد منه ممهلا او معاجلا * سيباء في فلا تنبيه على نائي * واقل هذه القصيدة
وهو دليل * في هذا المعنى ايضا * اذا ما تعدت بي وسارت محفة * لها ارجل تسعى بها
رجلان * وما كنت من فرسانها غير انها * وقت لي لما خانت القدمان * نزلت اليها
عن سراة حصاني * بحكم مشيب او فراش حصان * فقد حملت مني ابن سبعين سالكا
سبيلا عليها يسلك الثقلان * كما حمل المهد الصبي وقبلها * وعرت اسود الغيل
بالرتوان * ولي بعدها اخرى تسمى جنازة * جنيبة يوم للمنية داني * تسير على
اقدام اربعة الى * ودار البلي سعة ودهر غاني * واني على عيب الردي في جوار حي ثان
وما كنت من خطوي وبطش بناني * فان لم يدع الاقواد امر وعلة * بيد عبرا بي من الحد
تلوم تحت الحجب نفث حكمة * الا اذن يصغي لبطو لساني * لا علم اني بيت عاق دفنه
وما قليل في غد هو فاني * وان فما للارض غرثا صائما * سر اصد من اكلي حصرتي اوان
يدبره عم الوري بمجامع * تركن فلانا ناكلا لفلان غدا فاغرا ينكي الطوي وهي رابع
فما تلتقي يوما له الشفتان * اذا عاصنا بالشك ممن نقوله فلا او الاسنة ممهلك يا لي

الى ذات يوم لا ترى الارض واراياه سرى الله من الذى تراه وعان قوله تفرد بى دون
هموم الناس هم نفسى اى دون الهموم التى قد كانت تعترينى لاجل احوال الناس فصدفنى رأيى
يقال صدفته كذا اى عن كذا وفى المثل صدفنى سن بكره لانه لما نفر قال له هدع وهى كلمة
تسكن بها صغار الابل اذا نفرت والمعنى ان هذا الهم صدفنى عن الصفة التى يجب ان يكون
رأى عليها وتلك الصفة هى ان لا يفكر فى امر شىء من الموجودات اصلا الا فى الله تعالى ونفسه
وفوق هذه الطبقة طبقة اخرى عالية جدا وهى ان لا يفكر فى شىء قط الا فى الله تعالى
وحده وفوق هذه الطبقة طبقة اخرى يجل عن الذكر والتفسير ولا يصلح لاحد من المخلوقين
الا النادر الشاذ وقد ذكرها هو فيما سبق وهو ان لا يفكر فى شىء اصلا لا فى المخلوق
ولا فى الخالق لانه قد قارب ان يتحد بالخالق فاستغنى عن الفكر فيه قوله وصرفنى
عن هواى اى عن هواى وفكرى فى تدبير الخلافة وسياسة الرعية والقيام بما يصنعه به
الائمة قوله وصرح لى محض امرى يروى بنصب محض ورفعه فمن نصب فتقديره عن محض
فلما حذف الجار نصب ومن رفع جعله فاعلا بصرح اى كشف وانكشف قوله فافضى بى الى
كذا ليس يعنى انه كان من قبل يمازح جد اللعب بل المعنى ان همومه الاولى قد كانت بحيث
يمكن ان يتخللها وقت لعب او دعابة لا يخرج بها عن الحق كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله
يمزح ولا يقول الا حقا فالآن قد تخلت عنه هموم لا يمكن ان يتخللها من ذلك شىء اصلا و
مقدار الفرق بين الحالتين ان الاولى والثانية على امكان اللعب لا نفس اللعب فلا يلزم
من قوله افضى بى هذا الهم الى انتفاء امكان اللعب ان يكون همومه الاولى مما كان يلزمها
اللعب ولكن يلزم من ذلك انها قد كانت يمكن ذلك فيها امكانا محضا على ان اللعب غير
منكر اذا لم يكن باطلا الا ترى الى قول النبى صلى الله عليه وآله المؤمن دعب لعب لعب
القول فى قوله وصدق لا يشوبه كذب اى لا يمكن ان يشوبه كذب وليس المراد بالصدق

والكذب هاهنا مفهوميهما المشهورين بل هو من قولهم صدقونا اللقاء ومن قولهم
حمل عليهم فما كذب قال زهير ليث بعثر يصطاد الرجال اذا ما كذب الليث عن اقرانه صدقا
اى قضى بى هذا الهم الى ان صدقنى الدنيا خبرها كانه جعل نفسه محاربة للدنيا
اى صدقتنى الدنيا حربها ولم تكذب اى لم تجبن ولم تحجم ثم اخبر عن شدة اتحاد ولده
به فقال ووجدتك بعضى قال الشاعر وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشى على الارض لو هبت
الريح على بعضهم لامتنعت عينى من الغمض وغضب معوية على ابنه يزيد فاستعطفه
له الاحنف فقال يا امير المؤمنين اولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة
وارض ذليلة فان غضبوا فارضهم وان سالوا فاعطهم ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا
حياتك ويتمنوا موتك وقيل لابنة الخس اى ولدك احب اليك قالت الصغير حتى
يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يقدم وغضب الطرماح على امرأته فشفع فيها ولده
منها صمصام وهو غلام لم يبلغ عشرا فقال الطرماح اصمصام ان تشفع لامك تلقها
لها شافع فى الصدر لم يتبرح هل الحب الا انها لو تعرضت تراك اثر عنبس
مصلح اذا امسك وسط القوم راسك مكة يقول له التاهى ملكت فاسجح وفى الحديث
المرفوع ان ريح الولد من ريح الجنة وفى الحديث الصحيح انه قال للحسن او للحسين
انكم لتجبنون وانكم لتبخلون وانكم لمن ريحان الله ومن ترقيص الاعراب قول
اعرابية لولدها يا حبذا ريح الولد ريح الخزامى فى البلد اهكذا كل ولد ام لم يلد قبلى
احد وفى الحديث المرفوع من كان له صبى فليستصب له وانشد الرياشى من سره الدهر ان
يرى الكبد تمشى على الارض فليبر الولد الاصل فانى اوصيك بتقوى الله اى بنى
ولزوم امره وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله واى سبب اوثق من سبب بينك
وبين الله ان انت اخذت به احى قلبك بالموعظة وامته بالزهادة وقوه باليقين

وتنوره بالحكمة وذلله بذكر الموت وقرره بالفنا وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة
الدهر وفحش تقلب الليالي والايام واعرض عليه اخبار الماضين وذكره بما اصاب
من كان قبلك من الاولين وسر في ديارهم واثارهم فانظر ما فعلوا واين انتقلوا واين
حلوا ونزلوا فانك تجدهم انتقلوا عن الاحبة وحلوا دار الغربة وكانك عن قليل
قد صرت كاحدهم فاصلح مثواك ولا تبع اخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف والخطاب
فيما لم تكلف وامسك عن طريق اذا خفت ضلالته فان الكف عن حيرة الضلال خير
من ركوب الاهوال **الشرح** قوله واى سبب اوثق اشارة الى القرآن لانه هو المعتصم عنه
بقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا اتى بلفظتين متقابلتين
وذلك من لطيف الصنعة فقال احى قلبك بالموعظة وامته بالزهادة والمراد
احياء دواعيه الى الطاعة واماتة الشهوات عنه قوله واعرض عليه اخبار الماضين
يعني قد تداوله الناس قال الشاعر سبيل من الماضين ان نطقت عنهم الاجداث
والبرك ٥ اى دار الليالى نزلوا ٥ وسبيل الردى سلكوا قوله ودع القول فيما
لا تعرف من قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعبد الله بن عمرو بن العاص يا عبد الله
كيف بك اذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم وامانتهم وصار الناس
هكذا وشبك بين اصابعه قال عبد الله فقلت مرني يا رسول الله فقال خذ ما تعرف
ودع ما لا تعرف وعليك بخويصة نفسك قوله والخطاب فيما لم تكلف من قول رسول الله
صلى الله عليه وآله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقال معوية في عبد الملك
بن مروان وهو غلام ان لهذا الغلام لهمة وانه مع ذلك تارك لثلاث اخذ بثلاث
تارك مساءة الصديق جدا وهزلا تارك ما لا يعتذر منه اخذ باحسن الحديث اذا
وباحسن الاستماع اذا حدث وباهون الامرين عليه اذا خولف قوله وامسك عن طريق

اذا خفت ضلالته ماخوذ من قول النبي صلى الله عليه وآله دع ما يريبك الى ما لا
يريبك وفي خبر آخر اذا رابك امر فدعه **الاصل** وأمر بالمعروف تكن من اهله
وانكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك وجاهد في الله حق جهاده
ولا تاخذك في الله لومة لائم وخض الغمرات الى الحق حيث كان وتفقه في
الدين وعود نفسك الصبر على المكروه ونعم الخلق الصبر والجئ نفسك في امورك
كلها الى الهك فانك تلجئها الى كهف حريز ومانع عزيز واخلص في المسئلة لربك
فان بيده العطا والحرمان واكثر الاستخارة وتفهم وصيتي ولا تذهبن عنها
صفحا فان خير القول ما نفع واعلم انه لا خير في علم لا ينفع ولا ينتفع بعلم لا يحق
تعلمه **الشرح** امره ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهما واجبان عندنا
واحد الاصول الخمسة التي هي اصول الدين ومعنى قوله تكن من اهله لان
اهل المعروف هم الابرار الصالحون ويجب انكار المنكر باللسان فان لم ينجع
فباليد وتفصيل ذلك وترتيبه مذكور في كتبي الكلامية قوله وخض
الغمرات الى الحق لا يتيسر ان الحسن رض لو تمكن لخاضها الان من فقد الانصار
لا حيلة له وهل ينهض البازى بغير جناح واما الذي خاضها مع عدم الانصار
هو الحسين ولهذا اعظم عند الناس قدره فقدمه قوم كثير على الحسن فان قلت
فما تقول انتم في ذلك قلت هما عندنا في الفضيلة سيان اما الحسن فلوقوفه
مع قوله تعالى الا ان تتقوا واما الحسين فلاعزاز الدين قوله فنعم الخلق الصبر
قد تقدم لنا كلام شاف في الصبر قوله واكثر الاستخارة ليس يعني بها ما
يفعله اليوم قوم من الناس من سطر رقاع وجعلها في بنادق وانما
المراد امره اياه بان يطلب الخيرة من الله فيما يأتي ويذر قوله لا خير في علم

لا ينفع قول حق لانه اذا لم ينفع كان عبثا قوله ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه اى لا يجب ولا
يندب اليه وذلك لان النفع انما هو نفع الآخرة فما لم يكن من العلوم مرغبا فيه
اما بايجاب او ندب فلا انتفاع به فى الآخرة وذلك كعلم الهندسة والارثماطيقى ونحوها
الاصل اى بنى انى لما رايتنى قد بلغت سنا ورايتنى ازداد وهنا بادرت بوصيتى
اليك خصالا منها ان يعجل بى اجلى دون ان افضى اليك بما فى نفسى وان انقص
فى راى كما نقصت فى جسمى او يسبقنى اليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا
فتكون كالصعب النفور وانما قلب الحدث كالارض الخالية ما القى فيها من شئ قبلته
فبادرتك بالادب قبل ان يقسو قلبك ويشتغل لبك لتستقبل بجد رايك من الامر
ما قد كفاك اهل التجارب بغيته وتجربته فتكون قد كفيت مؤنة الطلب وعوفيت
من علاج التجربة فاتاك من ذلك ما قد كنا ناتيه واستبان لك ما ربما اظلم علينا منه
الشرح هذه الوصية كتبها للحسن بعد ما تجاوز الستين وروى انه ذكر عند
رسول الله صلى الله عليه وآله ما بين الستين والسبعين فقال معترك المنايا
قوله وان انقص فى راى هذا يدل على بطلان قول من قال انه لا يجوز ان ينقص
فى رايه وان الامام معصوم عن امثال ذلك وكذلك قوله للحسن او يسبقنى اليك
بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا يدل على ان الامام لا يجب ان يعصم عن غلبات
الهوى ولا عن فتن الدنيا قوله فتكون كالصعب النفور اى كالبعير الصعب الذى
لا يمكن راكبا وهو مع ذلك نفور عن الانس ثم ذكر ان التعلم انما هو فى الصبى وفى
المثل الغلام كالطين يقبل الختم ما دام رطبا وقال الشاعر اختم وطينك رطب ان قدرت
فكم قد امكن الختم قوما فما ختموا ومثل هو قلب الحدث بالارض الخالية ما القى فيها
من شئ قبلته وكان يقال العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر والعلم فى الكبر كالخط على الماء قوله

فاتاك

فاتاك من ذلك ما كنا ناتيه اى الذى كنا نتجشم المشقة فى اكتسابه ونتكلف طلبه
ياتيك انت الآن صفوا عفوا الاصل اى بنى انى وان لم اكن عمرت عمر من كان
قبلى فقد نظرت فى اعمالهم وفكرت فى اخبارهم وسرت فى آثارهم حتى عدت كاحدهم
بل كانى بما انتهى الى من امورهم قد عمرت مع اولهم الى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره
ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل امر نخيله وتوخيت لك جميله وصرفت عنك
مجهوله ورايت حيث عنانى من امرك ما يعنى الوالد الشفيق واجمعت عليه من ادبك
ان يكون ذلك وانت مقبل العمر مقتبل الدهر ذو نية سليمة ونفس صافية وان ابتدئك
بتعليم كتاب الله عز وجل وتاويله وشرائع الاسلام واحكامه وحلاله وحرامه لا اجاوز
ذلك بك الى غيره ثم اشفقت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من اهوائهم
وارائهم مثل الذى التبس عليهم فكان احكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له احب الى
من اسلامك الى امر لا آمن عليك فيه الهلكة ورجوت ان يوفقك الله فيه لـ
رشدك وان يهديك لقصدك فعهدت اليك وصيتى هذه الشرح
هذا الفصل وما بعده يشعر بالنهى عن علم الكلام حسب ظاهر لفظه لانه
قال له كنت عازما على ان اعلمك القرآن وتفسيره والفقه وهو المعرفة باحكام
الشريعة ولا اجاوز ذلك بك الى غيره ثم خفت ان تدخل عليك شبهة فى اصول
الدين فيلتبس عليك فى عقيدتك الاصلية ما التبس على غيرك من الناس فعدلت
عن العزم الاول الى ان اوصيك بوصايا تتعلق باصول الدين ومعنى قوله
فكان احكام ذلك الى قوله لا آمن عليك فيه الهلكة اى فكان احكامى الامور الاصولية
عندك وتقريرها الوصية التى اوصيك بها فى ذهنك فيما يرجع الى النظر فى
العلوم الالهية وان كنت كارها لان اخوض معك فيه وتبيينك عليه احب الى من ان اترك

سدى مهملا يتلاعب بك الشبه وتعتورك الشكوك في اصول دينك فربما
افضى ذلك بك الى الهلكة فان قلت فلما اذا كان كارها تبينه ولدم على ذلك وانتم
تقولون ان معرفة الله واجبة على المكلفين وليس يليق بامير المؤمنين ان يكره
ما اوجبه الله تعالى قلت لعله علم اما من طريق وصية رسول الله صلى الله عليه
وآله او من طريق معرفته بما يصلح ان يكون لطفا لولده ومعرفته بما يكون مفسدة
لكثرة التجربة له وطول الممارسة لاخلاقه وطباعه ان الاصلح له ان لا يخوض
في علم الكلام الخوض الكلي وان لا يقتنع بالمبادي والجمل مضا الشر تختلف فرب
انسان مصلحته في امر ذلك الامر بعينه مفسدة لغيره ونحن وان اوجبنا المعرفة
فلم يوجب منها الا الامور الجملية التفصيلات الدقيقة الغامضة فلا يجب الا
عند ورود الشبهة فاذا لم يقع الشبهة في نفس المكلف لم يجب عليه الخوض في

قوله التفصيلات

قد عمرت معي اولهم الى آخرهم العين مفتوحة والميم مكسورة مخففة يقول
عمر الرجل يعمر عمرا وعمرا على غير قياس لان قياس مصدره التحريك اي عاش زمانا
طويلا واستعمل في القسم احدهما فقط وهو المفتوح قوله حيث عناني من امرك
اي اهمني قال عناني من صدودك ما عناني قوله واجمعت عليه اي عزمت
ومقتبل الدهر يقال اقتبل الغلام فهو مقتبل بالفتح وهو من الشواذ ومثله
احصن الرجل اذا تزوج فهو محصن واذا عف فيحصن ومحصن ايضا واسهب اذا
اطال الحديث فهو مسهب والفج اذا افتقر فهو ملفج وينبغي ان يكون لمن قوله
تبينهك له بمعنى عليها او يكون على اصلها اي ما كرهت تبينهك لاجله فان
قلت الى الان ما افترت لما ذكره تبينه على هذا الفن قلت بلى قد اشر اليه
وهو انه كره ان يعدل بك عن تفسير القرآن وعلم الفقه الى الخوض في الامور الدقيقة

فينبهه

الانسان
فينبهه على امور بمجرد النظر وتامل الادلة والشبهات اليها دقيقة يخاف عليه
من الخوض فيها ان تضطرب عقيدته الا انه لم يجد بدا من تنبيهه على اصول
الديانة وان كان كارها للتعريض لخطر الشبهة فنبهه على امور جملية غير مفصلة
وامره ان يلزم ذلك ولا يتجاوزه الى غيره وان يمسك عما اشتبه عليه وسياتي
ذكر ذلك الاصل اعلم يا بني ان احب ما انت اخذ به الي من وصيتي تقوى الله
والاقتصار على ما افترضه عليك والاخذ بما مضى عليه الاولون من آبائك والصالحون
من اهل بيتك فانهم لم يدعوا ان نظروا لانفسهم كما انت ناظر وفكروا كما انت
مفكر ثم ردهم آخر ذلك الى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا فان ابت نفسك
ان تقبل ذلك دون ان تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لا بتورط
الشبهات وعلو الخصومات وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة عليه
بالهك والرغبة اليه في توفيقك وترك كل شائبة اولجتك في شبهة او اسلمتك
الى ضلالة فاذا ايقنت ان قد صفا قلبك فخشع وتم رايك فاجتمع وكان
همك في ذلك هما واحدا فانظر فيما فسرت لك وان انت لم يجتمع لك ما تحب من
نفسك وفراغ نظرك وفكرك فاعلم انك انما تخبط العشواء وتتورط الظلماء وليس
طالب الدين من خبط او خلط والامساك عن ذلك امثل الشرح امره ان يقتصر على
القيام بالفرائض وان ياخذ بسنة الصالحين من آبائه واهل بيته فانهم لم يقتصروا
على التقليد بل نظروا لانفسهم وتاملوا الادلة ثم رجعوا آخر الامر الى الاخذ بما عرفوا
والامساك عما لم يكلفوا فان قلت من سلفه هؤلاء الذين اشار اليهم قلت اما
الاولون من بني هاشم او بني المطلب فحمزة وجعفر والعباس وعبيدة بن الحرث وكابي
طالب في قول الشيعة وكثير من اصحابنا وكابي طالب في قول الشيعه

اصحابنا وكعبد المطلب في قول الشيعة خاصة فان قلت فهل يكون امير المؤمنين نفسه
معدوداً من جملة هؤلاء قلت لا فانه لم يكن من اهل المبادي والجمل المقتصر بهم في
تكليفهم العقليات على اوايل الادلة بل كان سيد اهل النظر كافة وامامهم فان قلت
ما معنى قوله لم يدعوا ان نظروا لانفسهم كما ينظر الانسان لنفسه ليخلصها من مضرة
عظيمة بسبيلها ان تقع به ان لم ينظر في الخلاص منها وهذا هو الحجة في وجوب النظر
في طريق معرفة الله تعالى وهو الخوف من اهمال النظر فان قلت ما معنى قوله الى ان اخذ
بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا قلت الاخذ بما عرفوا مثل ادلة حدوث الاجسام وتوحيد
الباري وعدله والامساك عما لم يكلفوا مثل النظر في اثبات الجزء الذي لا يتجزا
او نفيه ومثل الكلام في الخلاء والملاء والكلام في ان هل بين كل حركتين مستقيمتين
سكون ام لا وامثال ذلك مما لا يتوقف اصول التوحيد والعدل عليه فانه لا يلزم
اصحاب الجمل والمبادي ان يخوضوا في ذلك لانهم لم يكلفوا الخوض فيه وهو من
وظيفة قوم آخرين **قوله** فان ابت نفسك دون ذلك ان تعلم كما علموا هذا الحق صنع
فيه نظراً لانا قد قلنا انهم لم يعلموا التفاصيل الدقيقة فكيف تجعلهم عالمين بها
تقول ان تعلم كما علموا وينبغي ان يقال ان الكاف وما عملت فيه في موضع نصب لانه
صفة مصدر محذوف وتقديره فان ابت نفسك ان تقبل ذلك علماً كما علموا دون
ان تعلم التفاصيل الدقيقة وجاز انتصاب علماً والعامل فيه تقبل لان القبول
من جنس العلم لان القبول اعتقاد والعلم اعتقاد وليس لقائل ان يقول فاذاً يكون
فصل بين الصفة والموصوف باجنبي لان الفصل بينهما قد جاء كثيراً قال الشاعر
جزى الله كفاً ملاها من سعاده سرت في هلاك المال والمال نائم ويجوز ان يقال
كما علموا الآن بعد موتهم فانهم بعد الموت يكونون عالمين بجميع ما يشتبه على الناس في

الحيوة الدنيا لان المعارف ضرورية بعد الموت والنفوس باقية على قول كثير من المليين
وغيرهم واعلم ان الذي يدعو الى تكلف هذه التاويلات ان ظاهر الكلام كونه
يامر بتقليد النبي صلى الله عليه وآله والاخذ بما في القرآن وترك النظر العقلي
هذا هو ظاهر الكلام الا تراه كيف يقول له الاقتصار على ما فرضه الله عليك والاخذ
بما مضى عليه اهل بيتك وسلفك فانهم لما جادلوا النظر رجعوا بآخرة الى السمعيات
وتركوا العقليات لانها افضت بهم الى ما لا يعرفونه ولا هو من تكليفهم ثم قال
فان كرهت التقليد المحض واحببت ان تسلك مسلكهم في النظر وان افضى
بك الامر بآخرة الى تركه والعود الى المعروف من الشرعيات وما ورد به الكتاب
والسنة فينبغي ان تنظر وانت مجتمع الهم خال من الشبهة وتكون طالباً
للحق غير قاصد الى الجدل والمراء فلما وجدنا ظاهر اللفظ يقتضي هذه المعاني
ولم يجز عندنا ان يامر المؤمنين ولده مع حكمته واهليته ولده بالتقليد وترك
النظر رجعنا الى تاويل كلامه على وجه يخرج به من ان يامر بما لا يجوز لمثله
ان يامر به واعلم انه قد اوصاه اذا هم بالشروع في النظر بمجموع ما نذكره المتكلمون
وذلك امور منها ان يرغب الى الله في توفيقه وتسديده ومنها ان يطلب
المطلوب النظري بتفهم وتعلم لا بجدال ومغالبة ومراء ومخاصمة ومنها
اطراح العصبية لمذهب ومنها ترك الالف والعادة ونصرة امر يطلب به
الرياسة وهو المعنى بالشوائب التي تولج في الضلال ومنها ان يكون صافي
القلب مجتمع الفكر غير مشغول السر بامر من جوع او شبع او غضب ولا يكون
ذا هموم كثيرة وافكار موزعة مقتسمة بل يكون فكره وهمه هماً واحداً قال فاذا
اجتمع لك كل ذلك فانظر وان لم يجتمع لك فنظرت كنت كالناقة العشواء الخابطة

لا تهتدي وكمن يتورط في الظلماء لا يعلم بصنع قدمه وليس طالب الدين من كان
خابطاً او خالطاً والامساك عن ذلك امثل وافضل **الاصل** فتفهم يا بني وصيتي واعلم
ان مالك الموت هو مالك الحيوة وان الخالق هو المميت وان المفني هو المعيد وان المبتلي
هو المعافي وان الدنيا لم تكن لتستقر الا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء
والجزاء في المعاد او ما شاء مما لا يعلم فان اشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك
فانك اول ما خلقت جاهلا ثم علمت وما اكثر ما تجهل من الامر ويتحير فيه رايك
ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك **الشرح** قد تعلق بهذه
اللفظة وهو قوله او ما شاء مما لا تعلم قوم من التناسخية وقالوا المعنى بها الجزاء
في الهياكل التي تنتقل النفوس اليها وليس ما قالوه بظاهر ويجوز ان يريد ان الله
تعالى قد يجازي المذنب في الدنيا بنوع من العقوبة كالاسقام والفقر وغيرهما
والعقاب وان كان على وجه الاستحقاق والاهانة فيجوز لمستحقه وهو الباري
ان يقتصر منه على الايلام فقط لان الجميع حقه فله ان يستوفي البعض ويسقط
البعض وقد روي او ما شاء بالزيادة وروي بما لا يعلم فاما الثواب فلا يجوز
ان يجازي به المحسن في الدنيا لان من شرط صفته لا يمكن ان يجامع التكليف فيحمل لفظ
الجزاء على جزاء العقاب خاصة ثم عاد وصيته الاولى فقال فان اشكل عليك
شيء من امر القضاء والقدر وهو كون الكافر مخصوصاً بالنعم والمؤمن مخصوصاً
بضرب من الابتلاء وكون الجزاء قد يكون في المعاد وقد يكون في غير المعاد فاحمله
على جهالتك به في سكون قلبك الى ما عرفتك جملته وهو ان الله تعالى هو المحيي المميت
المفني المعيد المبتلي وان الدنيا بنيت على الابتلاء والانعام وانهما لمصالح وامور يستاثر
الله تعالى بعلمها وانه يجازي عباده اما في الآخرة او في غير الآخرة على حسب ما يريد

ويختار

ويختاره ثم قال له انما خلقت في مبدأ خلقتك جاهلا فلا تطلبن نفسك غاية
من العلم لا وصول لها اليها او لها اليها وصول بعد امور صعبة ومتاعب شديدة
فمن خلق جاهلا حقيق ان يكون جهله مدة عمره اكثر من علمه استصحابا بالاصل
ثم اراد ان يونسه بكلمة استدرك بها ايحاشه فقال له وعساك اذا جهلت
شيئا من ذلك ان تعلمه فيما بعد فما اكثر ما تجهل من الامور وتتحير فيه ثم تبصره
وتعرفه وهذا من الطب اللطيف والرقى الناجعة والسحر الحلال **الاصل**
فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك وليكن له تعبدك واليه رغبتك ومنه
شفقتك واعلم يا بني ان احدا لم ينبئ عن الله سبحانه كما انبأ عنه نبينا صلى الله عليه
وآله فارض به رائدا والى النجاة قائدا فاني لم آلك نصيحة وانك لن تبلغ في النظر
لنفسك وان اجتهدت مبلغ نظري لك **الشرح** عاد الى الامر باتباع الرسول
صلى الله عليه وآله وان يعتمد على السمع وما وردت الشريعة ونطق به
الكتاب وقال له ان احدا لم يخبر عن الله تعالى كما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وآله
وصدق فان التورية والانجيل وغيرهما من كتب انبياء بني اسرائيل لم تتضمن
من الامور الالهية ما تضمنه القرآن وخصوصا في امر المعاد فانه في احد
الكتابين مسكوت عنه وفي الآخر مذكور ذكرا مضطربا والذي كشف القناع
في هذا المعنى وصرح بالامر هو القرآن ثم ذكر له انه انصح له من كل احد وانه ليس يبلغ
وان اجتهد في النظر لنفسه ما يبلغه هو له لشفقته وحبه وايثار مصلحته وقوله
لم آلك نصحا لم اقصر في نصحك آلا الرجل في كذا يألو اي قصر فهو آل والفعل لازم
ولكنه حذف اللام فوصل الفعل الى الضمير فنصبه وكان اصله لا آلو لك نصحا ونصحا
منصوب على التمييز وليس كما قاله الراوندي ان انتصابه على انه مفعول واحد لا يتعدى

فكيف الى اثنين وتقول هذه امرأة السماء مقترة وجهها اوال وفي المثل لاخطية فلا آلية اصله في المرأة تصلف عند بعلها فتوتى حيث فانتها الحظوة ان لا تألو في التردد اليه والتحبب الى قلبه وقوله ومنه شفقتك اى خوفك ورأيا بدا اصل الرجل بتقدم القوم فيزداد طم المرعى الاصل واعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله ولرأيت اثار ملكه وسلطانه ولعرفت افعاله وصفاته ولكنه اله واحد كما وصف نفسه لا يضاده في ملكه احد ولا يزول ابدا ولم يزل اول قبل الاشيا بلا اولية وآخر بعد الاشياء بلا نهاية عظم ان يثبت ربوبيته باحاطة قلب او بصر فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك ان يفعله في صغر خطيره وقلة مقدرته وكثرة عجزه وعظيم حاجته اليه ربه في طلب طاعته والرهبة من عقوبته والشفقة من سخطه فانه لم يأمرك الا بحسن ولم ينهك الا عن قبيح الشرح يمكن ان يستدل بهذا الكلام عن نفي الثاني من وجهين احدهما انه لو كان في الوجود ثان للباري تعالى لما كان القول بالوحدانية حقا بل كان الحق هو القول بالتثنية ومحال ان لا يكون ذلك الثاني حكيما ولو كان الحق هو اثبات هو اثبات ثان حكيم لوجب ان يبعث رسولا يدعو المكلفين الى التثنية لان الانبيا كلهم دعوا الى التوحيد والتوحيد على هذا الفرض ضلال فيجب على الثاني الحكيم ان يبعث من ينبه المكلفين على ذلك الضلال ويرشدهم الى الحق وهو اثبات والا كان منسوبا في اهمال ذلك الى السفه واستفساد المكلفين وذلك لا يجوز لكنا ما اتانا رسول يدعو الى اثبات ثان في الالهية فبطل كون القول بالتوحيد ضلالا واذا لم يكن ضلالا كان نقيضه وهو القول باثبات الثاني باطلا الوجه الثاني انه لو كان في الوجود ثان للقديم تعالى لوجب ان يكون لنا طريق الى اثباته اما من مجرد افعاله او من صفات افعاله او من صفات نفسه او لا من هذا

ولا بين هذا

ولا بين هذا في التوقف وهذه هي الاقسام التي ذكرها امير المؤمنين لان قوله لاتتك رسله هو التوقيف وقوله ولرأيت اثار ملكه وسلطانه هو صفات افعاله وقوله ولعرفت افعاله وصفاته هما القسمان الآخران اما اثبات الثاني من مجرد العقل فباطل لان العقل انما يدل على الفاعل ولا يدل على التعدد واما صفات افعاله وهي كون افعاله محكمة متقنة فان فان الاحكام الذي نشاهده انما يدل على عالم ولا يدل على التعدد واما صفات ذات الثاني فالعلم بها فرع على العلم بذاته فلو اثبتت ذاته بها لزم الدور واما التوقيف فلم يأتنا رسول ذو معجزة صحيحة يدعونا الى الثاني واذا بطلت الاقسام كلها وقد ثبت ان لا طريق الى اثباته فلا يجوز اثباته بطل القول باثبات الثاني ثم قال لا يضاده في ملكه احد لانه يريد المتكلمون من نفي ذات هي مماثلة لذات الباري تعالى في صفاتها كمضادة السواد للبياض بل مراده نفي الثاني لا غير فان نفي الضد بحث آخر لا دخول له بين هذا الكلام ثم ذكر ان الباري قديم سابق للاشياء لا يسبقه حد محدود واول معين بل لا اول له مطلقا ثم قال وهو مع هذا آخر للاشياء آخرية مطلقة ليس ينتهي الى غاية معينة ثم ذكر ان ربوبيته جلت عن ان تحيط بها الابصار وقد سبق منا من نفي هذا المعنى وذكرنا من نظمنا في هذا النمط اشياء لطيفة ونحن نذكر هاهنا من نظمنا في هذا المعنى وفي فننا الذي اشتهرنا به وهو المناجاة والمخاطب على طريقة ارباب الطريقة ما لم نذكره هناك فمن ذلك قولي فلا والله ما وصل ابن سينا

ولا اغنى ذكاء ابي الحسين ۞ ولا رجعا بشيء بعد بحث ۞

وتدقيق سوى خفي حنين ۞ لقد طوفت اطلبكم ولكن ۞

يحول الوقت بينكم وبيني ۞ فهل بعد انقضا الوقت لخطي
بوصلكم غدا وتقر عيني ۞ شي عشينا بها زمنا وكانت
تشوفنا بصدق او بمين ۞ فان اكدت فذاك صباغ ديني
وان اجدت فذاك حلول ديني ۞ ومنها اموالي قد احرقت قلبي ولا يكن
غدا محرقا بالنار من كان سيدكا ۞ اتجمع لي نارين نار محبته
ونار عذاب انت ارحم من ذاكا ۞ ومنها قرمهي ناهو اسنين كما قد
جاء في النص قدرها اربعونا ۞ ولحا ليوم تابها في هوا من
لا اسمى وجه خمسونا ۞ قل لاحبابنا الام سدعوهم
الوصل منكم وانتم تمنعونا ۞ وكم نناجيكم فلا ترشدونا
وتناديكم فلا تسمعون ناحسبنا ۞ علكم بانا نتوا اليكم
وان كنتم لنا كارهينا ۞ نعسى تدركنا السعادة ارباب
المعاصي فيصبحوا اقاربنا ۞ ومنها والله ما لي من الدنيا علي
مال ولا ولد ولا سلطان ۞ بل في صميم القلب مني حسرة
تبقى معي وتلف في اكفاني ۞ اني اراك بباطني ولا ظاهري
فالحسن مشغلة عن العرفان ۞ يا من يسمي متفكرا في امره
خمسين حولا دائم الحولان ۞ احرمن نعامه يتنهى
واصل سعيا من بلا عنيان ۞ ومنها وحقك ان ادخلتني النار قلت
للذين بها قد كنت ممن يحبه ۞ وافنيت عمري في علوم دقيقة
وما بغيتي الا رضاه وقربه ۞ هبوني مسيئا اوتغ الحكم جهله
واوبقه بين السبر بين ذنبه ۞ اما كان يقتضي شرع التكرم عتقه

ايحسن

ايحسن ان ينسى هواه وحبه ۞ اما كان ينوي الحق فيها بقوله
الم تنتصر التوحيد والعدل كتبه ۞ اما رد زيغ ابن الخطيب وشكه
والحاده ادخل في الدين خطبه ۞ اما قلتم من كان فينا مجاهدا
سيكرم مثواه ويعذب شربه ۞ ويهدي برسبلا هي هدانا جهاده
ويدخله خير المداخل كسبه ۞ فاي اجتهاد فوق ما كان صانعا
وقد احرقت زرق الشياطين شهبه ۞ وما نال قلب الجبن جنس محمد
كما نالت من اهل الضلالة قلبه ۞ فان يصفحوا نعيم وان تحتموا
فتعذيبكم حلو المذاق عذبه ۞ وابن صدق الصب لو نعدته لاذى
اذا كان من يهوى عليه بصيته ۞ ومنها اذا فكرت فيك يحير عقلي
والحق بالمجانين الكبار ۞ واصحو تارة فيذوب ذهني
ويقدح خاطري كشرار نار ۞ فيا من تاهت العقلا فيه
فامسى كلهم صرعى غفاد ۞ ويا من كاعت الافكار عنه
فابت بالمتاعب والخسار ۞ ويا من ليس يعلمه نبي
ولا ملك ولا يدري داري ۞ ويا من ليس قدام ولا خلف
ولا جهة اليمين ولا اليسار ۞ ولا فوق السما ولا تحت
من الارضين في لج البحار ۞ ويا من امره مع ذاك احلى
من اين ذكا لوضح النهار ۞ سألتك باسمك المكنون الا
فككت النفس من رق الاسار ۞ وجدت لها بما تهوى انت العليم
بباطن اللعز الضماد ۞ ومنها يا رب انك عالم
بمحبتي لك واجتهادي ۞ وتجردي للذنب عنك

على مراعته الاعادي ٭ بالعدل والتوحيد
اصدع معلنا في كل نادي ٭ وكشفت زيغ ابن الخطيب
ولبسه بين العناد ٭ ونقضت سايرما بناه
من الضلالة والفساد ٭ واتيت عن اغوايه
في دين احمد ذي الرشاد ٭ وجعلت الحجة ناصريه
محتمات بالسواد ٭ وكففت من علوايهم
بعد التمرد والعناد ٭ فكانما تخلل الرماد
وقصدت وجهك ابتغي ٭ حسن المثوبة في المعاد
فاقض على العقد الفقير ٭ اليكم نور السداد
وارزقه قبل الموت ٭ معرفة المصاير والمبادي
وافكك اسير الحرص ٭ بالاصفاد من اسر الصفاد
واغسل يصفو البحر من ٭ ابوابكم كدر البعاد
واغصه من حر الغليل ٭ بوصلكم يبرد الفواد
وارحم عيونا فيك هاميه ٭ وقلبا فيك صاد
يا باطح الارض المهاد ٭ وممسك السبع الشداد

الاصل يا بني اني قد انبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها وانبأتك عن الآخرة وما اعد لاهلها فيها وضربت لك فيهما الامثال لتعتبر بها وتحذو عليها انما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل جديب فاموا منزلا خصيبا وجنابا مريعا فاحتملوا وعثاء الطريق وفراق الصديق وخشونة السفر وخشونة المطعم ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم

فليس

فليس يجدون لشيء من ذلك الما ولا يرون نفقة فيه مغرما ولا شيء احب اليهم مما قربهم من منزلهم وادناهم الى محلتهم ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب فليس شيء اكره اليهم ولا افظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه الى ما يهجمون عليه ويصيرون اليه الشرح . حذا عليه يحذو واحتذى مثاله يحتذي اي اقتدى به وقوم سفر بالتسكين اي مسافرون واموا قصدوا والمنزل الحديث ضد المنزل الخصيب والجناب الفناء والمريع بفتح الميم ذو الكلاء والعشب وقد مرع الوادي بالضم والجناب الفناء ووعثاء الطريق مشقتها وحشونة المطعم غلظة طعام خشب ومخشوب ويقال ايضا للذي لا ادم معه يقول مثل من عرف الدنيا وعمل فيها للآخرة كمن سافر من منزل جدب الى منزل خصب فلقي في طريقه مشقة فانه لا يكترث بذلك في جنب ما يطلب وبالعكس من عمل للدنيا واهمل امر الآخرة فانه كمن يسافر الى منزل ضنك ويهجر منزلا رحبا طيبا وهذا من قول رسول الله صلى الله عليه وآله الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر الاصل يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم واحسن كما تحب ان يحسن اليك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل فيما لا تعلم ولا تقل للناس ما لا تحب ان يقال لك واعلم ان الاعجاب ضد الصواب وآفة الالباب واسع في كدحك ولا تكن خازنا لغيرك واذا انت هديت لرشدك فكن اخشع ما تكون لربك الشرح جاء في الحديث المرفوع لا يكمل ايمان عبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال بعض الاسارى لبعض الملوك افعل معي ما تحب ان يفعله الله فاطلقه وهذا هو معنى قوله ولا تظلم

كما لا تحب ان تظلم وهو قوله من قول الله واحسن كما احسن الله اليك وقوله واستقبح
من نفسك سئل الاحنف عن المروة قال ان تستقبح من نفسك ما تستقبحه
من غيرك وروى وارض من الناس لكن هي احسن واما العجب وما ورد في ذمه
فقد قدمنا فيه قولا مقنعا قوله واسع في كدحك اي اذهب ما اكتسبت بالانفاق
والكدح ههنا هو المال الذي كدح في حصوله والسعي فيه انفاقه وهذه كلمة وقد
نظاير قوله ولا تكن خازنا لغيرك امره ان يكون اخشع ما يكون لله اذا هداه
الرشد وذلك لان هدايته اياه الى رشده نعمة عظيمة منه موجبة لتقابل الخشوع
لانه ضرب من الشكر **الاصل** واعلم ان امامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة
شديدة وانه لا غناء بك فيه عن حسن الارتياد وقدر بلاغك من الزاد مع
خفة الظهر فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك
واذا وجدت من اهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيمة فيوافيك به غدا حيث
تحتاج اليه فاغتنمه وحمله اياه واكثر من تزويده وانت قادر عليه فلعلك تطلبه
فلا تجده واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك
واعلم ان امامك عقبة كؤودا المخف فيها احسن حالا من المثقل والمبطي عليها اقبح
حالا من المسرع وان مهبطها بك لا محالة على جنة او على نار فارتد لنفسك قبل نزولك
ووطئ المنزل قبل حلولك **الشرح** امره في هذا بانفاق المال والصدقة والمعروف
فقال ان بين يديك فلا غناء له عن ان يرتاد لنفسه ويتزود من الزاد قدر ما
يبلغه الغاية وان يكون خفيف الظهر في سفره ذلك فاياك ان تحمل من المال
ثقلك ويكون وبالا عليك واذا وجدت من الفقراء والمساكين من يحمل ذلك
الثقل عنك فيوافيك به غدا وقت الحاجة فحمله اياه فلعلك تطلب مالك فلا تجده

جاء في الحديث المرفوع خمس من اتى الله بهن او بواحدة منهن وجبت له الجنة من سقى
هامة صادية او اطعم كبدا هافية او كسى جلدة عارية وحمل قدما حافية او اعتق
رقبة عانية قيل لحاتم الاصم لو قرأت لنا شيئا من القرآن قال نعم فافتتح فقرا
الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويضيعون
الصلاة ومما رزقناهم يكنزون قالوا ايها الشيخ ما هكذا انزل قال صدقتم ولكن
هكذا انتم **الاصل** واعلم ان الذي بيده خزائن السموات والارض قد اذن
لك في الدعاء وتكفل لك بالاجابة وامرك ان تسأله ليعطيك وتسترحمه ليرحمك
ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه ولم يلجئك الى من يشفع لك اليه ولم
يمنعك ان اسأت من التوبة ولم يعاجلك بالنقمة ولم يفضحك حيث تعرضت
للفضيحة ولم يشدد عليك في قبول الانابة ولم يناقشك بالجريمة ولم يؤيسك
من الرحمة بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة وحسب سيئتك واحدة وحسب
حسنتك عشرا وفتح لك باب المتاب وباب الاستعتاب فاذا ناديته سمع نداك
واذا ناجيته علم نجواك فافضيت اليه بحاجتك وابثثته ذات نفسك وشكوت اليه
همومك واستكشفته كروبك واستعنته على امورك وسألته من
خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره من زيادة الاعمار وصحة الابدان
وسعة الارزاق ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما اذن لك فيه من مسألته
فمتى شئت استفتحت بالدعاء ابواب نعمته واستمطرت شآبيب رحمته فلا
يقنطنك ابطاء اجابته فان العطية على قدر النية وربما اخرت عنك الاجابة
ليكون ذلك اعظم لاجر السائل واجزل لعطاء الآمل وربما سألت الشيء فلا
تؤتاه واوتيت خيرا منه عاجلا او آجلا او صرف عنك لما هو خير لك فلرب امر

قد طلبته فيه هلاك دينك او اتيته فليكن مسالتك فيما يبقى لك جماله وينفى
عنك وباله فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له الشرح قد تقدم القول في الدعا قوله
بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة هذا متفق عليه بين اصحابنا وهو ان تارك
القبيح لانه قبيح يستحق الثواب قوله وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك
عشرا هذا اشارة الى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها قوله وابثثته ذات نفسك اى حاجتك ثم ذكر له وجوها
في سبب ابطاء الاجابة منها ان ذلك امر عائد الى النية فلعلها لم تكن خالصة
ومنها انه ربما اخرت ليكون اعظم لاجر السائل لان الثواب على قدر المشقة
ومنها انه ربما يعطى السائل خيرا مما سأل اما عاجلا او اجلا او في الحالين
ومنها انه ربما صرف ذلك عن السائل لان في اعطائه اياه مفسدة في الدين
قوله فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له لفظ شريف فصيح ومعنى صادق محقق فيه
عظة بالغة وقال ابو الطيب شعر ابن الجبابرة الاكاسرة الاولى كنزوا الكنوز
فما بقين ولا بقوا • ويروى من يحجبه عنك ودعوت الفضيحة اى حيث الفضيحة
موجود لا منك واعلم ان في قوله قد اذن لك في الدعاء وتكفل لك بالاجابة
اشارة الى قوله تعالى استجب لكم وفي قوله وامرك ان تساله ليعطيك اشارة
الى قوله واسألوا الله من فضله وفي قوله ولتسترحمه ليرحمك اشارة الى قوله وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون وفي قوله ولم يمنعك ان اسات من التوبة اشارة
الى قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
وكان الله غفورا رحيما الاصل واعلم انك انما خلقت للآخرة لا للدنيا
وللفناء لا للبقاء وللموت لا للحياة وانك في منزل قلعة ودار بلغة وطريق

الى الآخرة

الى الآخرة وانك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه ولا بد انه مدركك فكن منه
على حذر ان يدركك وانت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة
فيحول بينك وبين ذلك فاذا انت قد اهلكت نفسك يا بني اكثر من ذكر الموت
وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت اليه حتى ياتيك وقد اخذت منه حذرك
وشددت اليه ازرك ولا ياتيك بغتة فيبهرك واياك ان تغتر بما ترى من اخلاد
من اهل الدنيا وتكالبهم عليها فقد نباك الله عنها ونعت هي لك نفسها
وتكشفت لك عن مساويها فانما اهلها كلاب عاوية وسباع ضارية يهر بعضها
على بعض وياكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها نعم معقلة واخرى مهملة
قد اضلت عقولها وركبت مجهولها سروح عاهة بواد وعث ليس لها راع يقيمها
ولا مسيم يسيمها سلكت بهم الدنيا طريق العمى واخذت بابصارهم عن منار
الهدى فتاهوا في حيرتها وغرقوا في نعمتها واتخذوها ربا فلعبت بهم ولعبوا
بها ونسوا ما وراءها رويدا يسفر الظلام كان قد وردت الاظعان يوشك
من اسرع ان يلحق الشرح تقول هذا منزل قلعة بضم القاف وسكون اللام
اى ليس بمستوطن ويقال هذا مجلس قلعة اذا كان صاحبه يحتاج ان يقوم
مرة بعد مرة ويقال ايضا هم على قلعة اى على رحلة والقلعة ايضا هم على قلعة
اى على رحلة والقلعة ايضا المال العارية وفي الحديث بئس المال القلعة
وكله يرجع الى معنى واحد قوله سروح عاهة فالسروح جمع سرح وهو المال
السارح والعاهة الآفة اعاة القوم اصابت ماشيتهم العاهة وواد وعث
لا يثبت الحافر والخف فيه بل يغيب فيه ويشق على من يمشي فيه واوعث القوم
وقعوا في الوعث ومسيم يسيمها راع يرعاها قوله رويدا يسفر الظلام الى آخر الفصل

ثلاثة امثال لمحركه لمن عنده استعداد واستقرائي ابو الفرج محمد بن عباد رحمه الله
وانا يومئذ حدث هذه الوصية فقرأتها عليه من حفظي فلما وصلت الى هذا
الموضع صاح صيحة شديدة وسقط وكان جبارا فانتهى القلب واعلم انا قدمنا
في وصف الدنيا والفنا والموت من محاسن كلام الصالحين والحكماء ما فيه
الشفا وانا ذكر الان اشياء آخر فمن كلام الحسن البصري يا ابن آدم انما انت ايام
مجموعة فاذا مضى يوم مضى بعضك بعض الحكماء رحم الله امرءا ما يعزم ما يرى
من كثرة الناس فانه يموت وحده ويقبر وحده ويحاسب وحده وقال بعضهم
لا وجه لمقاساة الهموم لاجل الدنيا والاعتداد بشيء من متاعها ولا التخلي منها
اما ترك الاهتمام لها فمن جهة ان لا سبيل الى دفع الكائن من مقدورها فاما ترك
الاعتداد بها فان مرجع كل احد الى تركها واما ترك التخلي منها فلان الآخرة لا تدرك
الا بها ومن كلام بعض الحكماء افضل اختيار الانسان ما توجه به الى الآخرة واعرض
به عن الدنيا وقد تقدمت الحجة واوذنا بالرحيل ولنا من الدنيا على الدنيا
دليل وانما احدنا في مدة بقائه صريع لمرض او مكتئب بهم او مطروق بمصيبة
او مترقب لمخوف لا يامن المرء اصناف لذته من المطعوم والمشروب ان يكون سبب
موته ولا يامن مملوكه وجاريته ان يقتلاه بحديد او بسم وهو مع ذلك عاجز
عن استدامة سلامة عقله من زوال وسمعه من صمم وبصره من عمى ولسانه
من خرس وسائر جوارحه من زمانة ونفسه من تلف وماله من بوائق وحبيبه
من فراق فكل ذلك يشهد شهادة قطعية انه فقير الى ربه ذليل في قبضته محتاج
اليه ولا يزال المرء بخير ما حاسب نفسه وعمر آخرته بتخريب دنياه واذا عرضت
بحار المكاره جعل معابرها الصبر والتاني ولم يغتر بتتابع النعم وابطاء حلول

النعم

النعم ودام صحبة التقى وفطم النفس عن الهوى فانما الدنيا كبضاعة منفق
من راس المال منها ولا يمكنه ان يزيد فيها ومثل ذلك يوشك فناؤه وسرعة زواله
وقال ابو العتاهية في ذكر الموت ٭ سيباشر الترب خدك ٭ وسيضحك
الباكون بعدك ٭ ولينزلن بك البلى ٭ وليخلقن الموت عهدك ٭
وليفنينك مثل ما ٭ افنى اباك فلا تجدك ٭ لو قد رحلت عن القصور ٭
وطيبها وسكنت لحدك ٭ لم تنتفع الا بفعل صالح ٭ قد كان عندك ٭
وتبع الذين قسمت ما ٭ لك بينهم حصصا وكدك ٭ تبلذذون بما جمعت ٭
لهم ولا يجدون فقدك

الاصل واعلم يا بني ان من كانت مطيته الليل والنهار
فانه يسار به وان كان واقفا ويقطع المسافة وان كان مقيما وادعا واعلم
يقينا انك لن تبلغ املك ولن تعدو اجلك وانك في سبيل من كان قبلك فخفض
في الطلب واجمل في المكتسب فانه رب طلب قد جر الى حرب وليس كل طالب بمرزوق
ولا كل مجمل بمحروم واكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى الرغائب فانك لن
تعتاض عما تبذل من نفسك عوضا ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا وما
خير خير لا يوجد الا بشر ويسر لا ينال الا بعسر واياك ان توجف بك مطايا الطمع
فتورد مناهل الهلكة وان استطعت ان لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة
فافعل فانك مدرك قسمك واخذ سهمك وان اليسير من الله سبحانه اكرم واعظم
من الكثير من خلقه وان كان كل منه **الشرح** مثل الكلمة الاولى قول بعض
الحكماء وقد نسب ايضا الى امير المؤمنين اهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام قوله فخفض
في الطلب من قول رسول الله صلى الله عليه وآله ان روح القدس نفث في روعي
انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاجملوا في الطلب قال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو بال الغنى بسؤاله
واذا النوال الى السؤال قرنته * رجح السؤال وخف كل نواله
وقال آخر ردت رونق وجهي في صحيفته * رد الصقال بهاء الصارم الخذم
وما ابالي وخير القول اصدقه * حقنت لي ما وجهي او حقنت دمي
وقال آخر وانى لاختار الزهيد عن الغنى * وا جزاء بالماء القراح عن المحض
وادرع الاملاق صبرا وقدارى * مكان الغنى كي لا اهين له عرضي
وقال ابو محمد اليزيدي في المامون * ابقى لنا الله الامام وزاده * شرفا
الى الشرف الذى اعطاه * والله اكرمنا بانا معشر *
اتقاء من نعم العباد سواد وقال آخر كيف النهوض عا اوليت من حسن
ام كيف اشكر ما طوقت من نعم * ملكتني ماء وجه كاد يسكبه
ذل السؤال بفجع برهمي * لا تحرصن على الحطام فانما
يا تيك رزقك حين يؤذن فيه * سبق القضا بقدره وزمانه
وبانه يا تيك اونا يته وكان يقال ما استغنى احد بالله الا افتقر الناس
اليه وقال رجل في مجلس فيه قوم من اهل العلم لا ادرى ما يحمل من يوقن
بالقدر على الحرص على طلب الرزق فقال احد الحاضرين يحمله القدر فبكت
اقول لو كنت حاضرا لقلت اعماله القدر لما نهاه العقلاء عن الحرص وعلما
ولما مدحوه على القناعة فان عاد وقال وا ولئك الجاءهم القدر الى المدح والزم
والامر والنهى فقد جعل نفسه وغيره من الناس من جميع الحيوانات بمنزلة
الجمادات التي يحركها غيرها * ومن بلغ الى حد الحد لا يكلم وقال الشاعر
اراك تزيدك الايام حرصا * على الدنيا كانك لا تموت * فهل لك غاية ان صرت يوما

اليها قلت حسبي قد رضيت ابو العتاهية اعيش يكون اطيب من عيش
كفاف قوت بقدر البلاغ * تصرمت الايام عقلي وماله
وشبابي وصحتي وفراغي * واوصى بعض الادبا ابنه فكتب اليه
كن حسن الظن برب خلقك * بنى واحمده على ما رزقك *
واعلم بان الحرص يطفى * رونقك * فجانب الحرص وحسن خلقك *
واصدق وصادق ابدا من صدقك * دار معاديك ومن من ومقك *
وجعل لاعدائك حربا ملقك * وجنبن حشو الكلام منطقك *
هذى وصاة من قد عشقك * وصاة من يقلقه ما اقلقك *
ارشدك الله لها ووفقك ابو العتاهية اجل الفتى مما يؤمل اسرع
فاراك تجمع دائبا لا تشبع * قل لي لمن اصبحت تجمع دائبا *
البعل عرسك لا ابالى تجمع * واوصى زياد ابنه عبد الله عند موته فقال
لا تدنس عرضك ولا تبذلن وجهك ولا تخلقن جدتك بالطلب الى من ان
ردك كان رده عليك عيبا وان قضى حاجتك جعلها عليك منا واحتمل
الفقر بالتنزه عما في يدي غيرك والزم القناعة بما قسم لك فان سوء حمل الفقر
الشريف يخمل الذكر ويوجب الحرمان الاصل وتلافيك ما فرط من صمتك
ايسر من ادراكك ما فات من منطقك * وحفظ ما في يدك احب *
الى من طلب ما في يدى غيرك ومراده * الياس خير من الطلب الى الناس والحرفة
من العفة خير من الغنى مع الفجور والمرء احفظ السره ورب ساع فيما يضره
من اكثر اهجر ومن تفكر ابصر قارن اهل الخير تكن منهم وباين اهل الشر تبن
عنهم بئس الطعام الحرام وظلم الضعيف افحش الظلم اذا كان الرفق خرقا كان الخرق

رفقا وكان الدواء داء والداء دواء ورب ناصح غير الناصح وغش المستنصح اياك
والاتكال على المنى فانها بضائع النوكى والعقل حفظ التجارب وخير ما جربت
ما وعظك بادر الفرصة قبل ان تكون غصة ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤوب
ومن الفساد اضاعة الزاد ومفسدة المعاد ولكل امر عاقبة سوف ياتيك
ما قدر لك التاجر مخاطر ورب يسير انمى من كثير **الشرح** هذا الكلام
قد اشتمل على امثال كثيرة حكمية اولها قوله تلافيك ما فرط من صمتك
ايسر من ادراكك ما فات من منطقك وهذا مثل قولهم انت قادر على
ان تجعل صمتك كلاما ولست بقادر على ان تجعل كلامك صمتا وهذا
حق لان الكلام يسمع وينقل فلا تستطيع اعادته صمتا والصمت
عدم الكلام فالقادر على الكلام قادر على ان يبدله بالكلام وليس الصمت
بمنقول ولا مسموع فيتعذر استدراكه وثانيها قوله حفظ ما في يديك احب
الي من طلب ما في يدي غيرك هذا مثل قولهم في المثل البخل خير من سؤال البخيل
وليس مراد امير المؤمنين وصايته بالامساك والبخل بل نهيه عن التفريط والتبذير
قال الله تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا واحمق الناس من اضاع
ماله اتكالا على مال الناس وظنا انه يقدر على الاستخلاف قال الشاعر
اذا حدثتك النفس انك قادر على ما حوت ايدي الرجال فكذب وثالثها
قوله مرارة الياس من الطلب من الناس من هذا اخذ الشاعر قوله
وان كان طعم الياس مرا فانه ۞ الذ واحلى من سؤال الاراذل
وقال البحتري واليأس احدى الراحتين ولن ترى
تعبا كظن الخائب المكدود ورابعها قوله الحرفة مع العفة خير من الغنى

مع الفجور الحرفة بالكسر مثل الحرف بالضم وهو نقصان الحظ وعدم نمو المال ومنه
قولهم رجل محارف بفتح الراء يقول لان يكون المرء هكذا وهو عفيف الفرج
واليد خير من الغنى مع الفجور وذلك لان الحرفة مع العفة ومشقتها انما هي في
ايام قليلة وهي ايام العمر ولذة الغنى اذا كان مع الفجور ففي مثل تلك الايام يكون ولكن
يستعقب عذابا طويلا فالحال الاولى خير لا محالة وايضا ففي الدنيا هي خير ايضا للذكر
فيها وبالذكر القبيح في الثانية وللمحافظة على المروة في الاولى وسقوط المروة
في الثانية وخامسها قوله المرء حفظ السر اي الاولى ان لا تبوح بسرك
الى احد فانت احفظ له من غيرك فان اذعته فانتشر فلا تلم الا نفسك لانك
ان كنت عاجزا عن حفظ سر نفسك فغيرك عن حفظ سرك وهو اجنبي اعجز
قال الشاعر اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر
اضيق وسادسها قوله رب ساع فيما يضره قال عبد الحميد الكاتب في كتابه
الى ابي مسلم لو اراد الله بالنملة صلاحا لما انبت لها جناحا وسابعها من اكثر اهجر
يقال اهجر الرجل اذا افحش في المنطق السوء والخنا قال الشماخ كماجدة الاعراق قال
ابن صرح عليهما كلاما جار فيه واهجرا وهذا مثل قولهم من كثر كلامه كثر سقطه
وقالوا ايضا قلما سلم مكثار او امن من عثار وثامنها قوله من تفكر ابصر
البصر نحو المحسوس وكما ان من حدق نحو المبصر وحدقته صحيحة والموانع مرتفعة
لابدان يبصر كذلك من نظر بعين عقله وفكر فكرا صحيحا لابدان يدرك
الامر الذي فكر فيه وبنا له وتاسعها قوله فان اهل الخير تكن منهم وباين اهل
الشر تبن عنهم كان يقال حاجبك وجهك وكاتبك لسانك وجليسك كلك قال
الشاعر عن المرء لا تسال وسل عن قرينه فان القرين بالمقارن مقتدي وعاشرها

قال الشاعر

قوله بئس الطعام الحرام هذا من قوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما
ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وحادي عشرها قوله ظلم الضعيف
افحش الظلم راى معوية ابنه يزيد يضرب غلاما له فقال كيف لا يسع حلمك من تضربه
فلا يمتنع منك وامر المامون باشخاص الخطابي القاص من البصرة فلما مثل بين يديه
قال له يا سليمن انت القايل العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة
ومسجدي عين المربد وانا عين مسجدي وانت اعور فاذن عين الدنيا عوراء
قال يا امير المومنين لم اقل ذاك ولا اظن امير المومنين احضرني لذلك قال بلغني
انك اصبحت فوجدت على سارية من سواري مسجدك رحم الله عليا انه كان تقيا
فامرت بمحوه قال يا امير المومنين كان فلقد كان نبيا فامرت بازالته قال كذبت
كانت القاف اصح من عينك الصحيحة تزوى والله لولا ان اقيم لك عند العامة
سوقا لاحسنت تاديبك قال يا امير المومنين قد ترى ما انا عليه من الضعف والزمانة
والهرم وقلعة البصر فان عاقبتني مظلوما فاذكر قول ابن عمك علي رضي الله
عنه ظلم الضعيف افحش الظلم وان عاقبتني بحق فاذكر ايضا قوله لكل شي راس والحلم
راس السودد فنهض المامون من مجلسه وامر برده الى البصرة ولم يصله بشي ولم
يحضر احد مجلس المامون الا وصله غير الخطابي وليس الخطابي هنا هو محمد
الحافظ المشهور ذلك ابو سليمان احمد بن محمد بن احمد البستي كان في الايام
المطيع والطايع وهذا قاص بالبصرة كان يقال له ابو زكريا سليمان بن محمد البصري
وثاني عشرها قوله اذا كان الرفق خرقا كان الخرق رفقا يقول اذا كان استعمال
الرفق مفسدة وزيادة في الشر فلا تستعمله لا انه رفق بل هو خرق ولكن
استعمل الخرق فانه يكون رفقا والحالة هذه لان الشر لا يلقى الا بالشر مثله قال

حكاية حسنة

عن الخطابي

عمرو بن كلثوم الا لا يجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا *
وفي المثل ان الحديد بالحديد يفلح وقال زهير ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم قال ابو الطيب ووضع الندى في موضع السيف
للعدى * مضر كوضع السيف في موضع الندى * وثالث عشرها قوله ربما
كان الدواء داء والداء دواء هذا مثل قول ابي الطيب وربما صحت الاجسام
بالعلل ومثل قول ابي نواس وداوني بالتي كانت هي الداء ومثل قول الشاعر
تداويت من ليلى بليلى فلم يكن * دواء ولكن كان سقما مخالفا * ورابع عشرها
قوله ربما نصح غير الناصح وغش المستنصح كان المغيرة بن شعبة يبغض عليا رضي
الله عنه منذ ايام رسول الله صلى الله عليه واله وتاكدت بغضته له ايام ابي
بكر وعمر وعثمان واشار عليه يوم بويع بالخلافة ان يقر معوية على الشام
مدة يسيرة فاذا خطب له بالشام وتوطدت دعوته دعاه اليه كما كان عمر و
عثمان يدعوانه اليهما وصرفه فلم يقبل وكان ذلك نصيحة من عدو كاشح
واستشار الحسين رضي الله عبد الله ابن الزبير وهما بمكة في الخروج عنها وقصد العراق
ظانا انه ينصحه فغشه وقال لا تقم بمكة فليس بها من يبايعك ولكن دونك
العراق فانهم متى راوك لم يعدلوا بك احدا فخرج الى العراق حتى كان من امره ما كان وخامس
عشرها قوله واياك والاتكال على المنى فانها بضايع النوكى جمع انوك وهو الاحمق
من هذا اخذ ابو تمام قوله * من كان مرعى عزمه وهمومه * روض الاماني لم يزل مهزولا
ومن كلامهم ثلاث تخلق العقل وهي اوضح دليل على الضعف طول التمني وسرعة الجواب
والاستغراق في الضحك وكان يقال التمني والحلم اخوان وقال اخر اشرف الغنى ترك المنى
وسادس عشرها قوله العقل حفظ التجارب من هذا اخذ المتكلمون قولهم العقل

اقوله دع عنك لومي فان اللوم اغراء

ونعمان غريزي ومكتسب فالغريزي العلوم البديهية والمكتسب ما افادته التجربة وفطنة
النفس وسابع عشرها قوله خير ما جربت ما وعظك مثل هذا قول افلاطون اذا لم تعظك
التجربة فلم تجرب بل انت ساذج كما كنت وثامن عشرها قوله بادر الفرصة قبل ان تكون
غصة حضر عبيد الله بن زياد عند هانی بن عروه عايدا وقد كمن له مسلم بن عقيل
وامره ان يقتله اذا جلس واستقر فلما جلس جعل مسلم يوامر نفسه ويريدها على
الوثوب به فلم تطعه وجعل هانی ينشد كانه يترنم بالشعر ما الانتظار بسلمى لا تحييها
ويكرر ذلك فاوجس عبيد الله خيفة ونهض فعاد الى قصر الامارة وفات
مسلما منه ما كان يوصله باضاعته الفرصة حتى صار امره الى ما صار وتاسع عشرها
قوله ليس كل طالب * يصيب ولا كل غائب * يؤوب الاول * كقول القائل
ما كل وقت ينال المرء ما طلبه * ولا يسعه المقدار ما وهبه * والثانی كقول
عبيد * وكل ذي غيبة يؤوب * وغائب الموت لا يؤوب العشرون قوله
من الفساد اضاعة الزاد ومفسدة المعاد لا ريب ان من كان فی سفر وضاع زاده
وافسد الحال التی يعود اليها فانه احمق وهذا مثل ضربه للانسان فی دنياه وآخرته
الحادی والعشرون قوله لكل امر عاقبة هذا مثل المثل المشهور لكل سايلة قرار الثانی
والعشرون قوله سوف ياتيك ما قدر لك من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وان يقدر لاحدكم رزق فی قلة جبل او حضيض بقاع ياته الثالث والعشرون قوله
التاجر مخاطر هذا حق لا يستعجل باخراج الثمر ولا يعلم ايعود او لا وهذا الكلام ليس على ظاهره
بل له باطن وهو ان من يمزج اعمال الصالحة بالاعمال السيئة مثل قوله خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا فانه مخاطر لانه لا يؤمن ان يكون بعض اعماله الصالحة يكفر تلك السيئات
والمراد انه لا يجوز للمكلف ان يفعل الا الطاعة والمباح الرابع والعشرين قوله

رب

رب يسير انمى من كثير قد جاء فی الاثر قد يجعل الله من القليل الكثير ويجعل من الكثير
البركة وقال الفرزدق فان تميما قبل ان يلد الحصا * اقام زمانا وهو فی الناس واحد
وقال ابو عثمان الجاحظ رايتنا بالبصرة اخوين كان ابوهما يحب احدهما ويبغض الاخر فاعطى
محبوبه يوم موته كل مال وكان اكثر من مائتی الف درهم ولم يعط للاخر شيئا فكان
يتجر فی الزيت ويكتسب منه ما يصرفه فی نفقة عياله فرايتنا اولاد الاخ الموسر بعد
موت الاخوين من عايلته ولد الاخ المعسر يتصدقون عليهم من فواضل ارزاقهم

حكاية

الاصل لا خير فی معين مهين ولا فی صديق ظنين ساهل الدهر ما ذل لك
قعوده ولا تخاطر بشیء رجاء اكثر منه واياك ان تجمح بك مطية اللجاج احمل نفسك
من اخيك عند صرمه على الصلة وعند صدوده على اللطف والمقاربة وعند جموده
على البذل وعند تباعده على الدنو وعند شدته على اللين وعند جرمه على العذر حتى كانك
له عبد وكانه ذو نعمة عليك واياك ان تضع ذلك غير موضعه او تفعله بغير
اهله لا تتخذن عدو صديقك صديقا * فتعادی صديقك وامحض اخاك النصيحة
حسنة كانت او قبيحة وتجرع الغيظ فانه يوشك ان يلين لك وخذ على عدوك
بالفضل فانه احلى الظفرين وان اردت قطيعة اخيك فاستبق له من نفسك
بقية يرجع اليها ان بدا ذلك له يوما ما ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه ولا
يضيعن حق اخيك اتكالا على ما بينك وبينه فانه ليس لك باخ من اضعت
حقه ولا يكن اهلك اشقى الخلق بك ولا ترغبن فيمن زهد فيك ولا يكونن اخوك
اقوى على قطيعتك منك على صلته ولا يكونن على الاساءة اقوى منك على الاحسان
ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى فی مضرته ونفعك وليس جزاء من سرك
ان تسوءه الشرح هذا الفصل قد اشتمل على كثير من الامثال الحكمية فاولها

قوله لا خير في معين مهين ولا في صديق ظنين مثل الكلمة الاولى قولهم اذا تكفيت
بغير كافي وجدت الهم غير شافي ومن كلمة الثانية اخذ الشاعر قوله فان من الاخوان
من يسخط التوى به وهو راع للوصال امين ومنهم صديق العين تحلو وما غيبه
فظنين وثالثها قوله ساهل الدهر ما ذل ذلك تعوده هذا استعارة والقعودة البكر
حين يمكن ظهره من الركوب الى ان يثنى ومثل هذا المعنى قولهم في المثل من ناطح اصبح اجم
ومثله ودريع الدهر كيفما دار ومثله ومن فاتر الايام من نزواتها فاجر بها ان تخطا
ولها القم ومثله اذا الدهر اعطاك العنان فسر به رويدا ولا تعنف فيصبح شامتا
وثالثها قوله لا تخاطر بشيء رجا اكثر منه هذا مثل قولهم من طلب الفضيل حرم الاصل
ورابعها قوله اياك وان تجمح بك مطية اللجاج هذا استعارة وفي المثل لج من
خنفسا ولج من زنبور وكان يقال اللجاج من القحة والقحة من قلة الحيا وقلة الحيا
من قلة المروة وفي المثل لج صاحبك فحج وخامسها قوله احمل نفسك من اخيك
الى قوله او تفعله بعجز اهله اللطف بفتح اللام والطاء الاسم من الطفة بكذا اى برء
به وجائتنا لطفة من فلان اى هدية من الملاطفة المبارزة ويروى على اللطف
الرفق ويروى على التلطف وهو الترفق للامر والمعنى انه اوصاه اذا قطعه اخوه
ان يصله واذا جفاه ان يبره واذا بخل عليه ان يجود عليه الى آخر الوصاة ثم قال
لا تفعل ذلك مع غير اهله قال الشاعر وان الذي بيني وبين بني ابي وبين بني امي لمختلف
جدا فان اكلوا لحمي وفرت لحومهم وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا وان زجروا طيرا
بنحس تمر بي زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا ولا احمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس
القوم من يحمل الحقدا وقال الشاعر وان كان ابن عمي كاشحا لمقاذف من خلفه
وورائه ومفيده نصري وان امر سترجحا في ارضه وسمائه واكون للعزة

واصوته

واصوته حتى يحن على وقت اداية وان الحوادث اجحفت بسوامه قرنت صحيحنا
الى جربانه واذا دعا باسمي ليركب مركبا صعبا قعدت له على سيسائه واذا احن
فليقه في خلده لم اطلع مما وراء خبائه واذا ارتدى ثوبا جميلا لم اقل يا ليت
ان على فضل ردائه وسادسها قوله لا تتخذن عدو صديقك صديقا فتعادي
صديقك قد قال الناس في هذا فاكثر وقال بعضهم اذا صافى صديقك من تعادى
فقد عاداك وانقطع الكلام وقال آخر صديق صديقي داخل في صداقتي وخصم
صديقي ليس لي بصديق وقال آخر تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ان الرأي عنك لعازب
وسابعها قوله امحض اخاك النصيحة حسنة كانت ام قبيحة ليس يعني بالقبيحة
ههنا القبيح الذي يستحق به الذم والعقاب وانما يريد نافعة له في العاجل كانت
او كانت في عاجل الحال ضارة له فعبر عن النفع والضر بالحسن والقبيح كقوله تعالى
وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون وقد فسره قوم فقالوا اراد
كانت نافعة لك او ضارة ويحتمل تفسيرا آخر وهو وصيته اياه ان يمحض اخاه
النصيحة سواء كانت مما لا يستحيى من ذكرها وشياعها او كانت مما يستحيى من ذكرها
واستفاضتها بين الناس كمن ينصح صديقه في اهله ويشير عليه بفراقهم لفجور
اطلع عليه منهم فان الناس يستحيون مثل هذا اذا شاع فنحا وثامنها قوله تجرع
الغيظ فاني لم ار جرعة احلى منها عاقبة ولا الذ مغبة هذا مثل قولهم الحلم مرارة
ساعة وحلاوة الدهر كله وكان يقال مثل قولهم الناس مصايد الشرف وقال المبرد في
الكامل وصى علي بن الحسين ابنه محمد بن علي فقال يا بني عليك بتجرع الغيظ من الرجال
فان اباك لا يسره بنصيبه من تجرع الغيظ من الرجال حمر النعم والحلم عز اخوك فهو
والاصل في هذا قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه

علي بن الحسين ع

وكنت

ولي جيم وعاشرها قوله جد على عدوك بالفضل فانه احد الظفرين هذا معنى مليح ومنه
قول ابن هانئ في المعز هزت هام الروم منتقما وفي اعناقهم من جوده اعباء
لولا انبعاث السيف وهو مسلط • في قتلهم قتلتهم النعماء • وكنت كاتبا بديوان الخلافة
والوزير حينئذ نصر الدين ابو الازهر ابن الناقد رحمه الله فوصل الى حضرة الديوان في سنة
اثنتين وثلاثين وستماية محمد بن محمد الامير البحري بن علي البرهان وصل بعد الهرمزي صاحب
هرمز في دجلة بالمراكب البحرية وهو من هذه فرضته في البحر بنحو عمان بغداد من عرب
محمد بن محمد واصحاب الهرمزي وكانت تلك الايام ايام المستنصر زاهرة بما افاض المستنصر على الناس
من عطايا والوفود تزدحم من اقطار الارض على ابواب ديوانه فكتبت يوم دخول
الهرمزي الى الوزير ابياتا استحثت على البديهة وانا متشاغل بما كنت فيه من مهام الخدمة
وكان لا يزال يذكرها وينشدها لي يستحسنها • يا ايها المحمد بن محمد انت الذي • علقت يداه
بانفس الاعلاق • املكت بغداد بملكك ان ترى • ابدا ملوك البحر في الاسواق • وحلو
عليها عبرة وتنافس • شغفا بها كتنافس العشاق • وغدت صلاتك في رقاب
سراتهم وبذاك كالاطواق في الاعناق • لبسيط رايك اصبحت حجاتهم • وتالفوا
من بعد طول شقاق • لله همة ماجد لم تعتلق بجميل آراء ولا اخلاق • جلب
السلاهب من اول وبعدها فعل من • جلب المراكب من جزيرة واق • هذا العدو الغداء
قول ابن حجر في لاي وعناق • ما ظنه والظن علام • سيجيبنا انما ملك الافاق اتا
اسير صيغة فضله • بالجود غل او اسير وثاق • لا زال في ظل الخليفة ماله • فانه دو
المعظم باق • وحادي عشرها قوله اذا اردت قطيعة اخيك فاستبق له من نفسك بقية
ترجع اليها ان بدا لك يوما هذا مثل قولهم احبب حبيبك هونا عسى ان يكون بغيضك
يوما ما وابغض بغيضك هونا عسى ان يكون حبيبك يوما ما وكان يقول اذا هويت

فلا تكن

فلا تكن غالبا وثاني عشرها قوله من ظن بك خيرا فصدق ظنه كثير من ارباب الهمم
يفعلون هذا يقال لمن يشتهر فاس العلم هذا عالم هذا فاضل فيدعوه بما ظن فيه من ذلك
الى تحقيقه فيلطب على الاشتغال بالعلم حتى يصير عالما فاضلا حقيقة وكذلك يقول الناس
هذا كثير العبادة هذا كثير الزهد لمن قد شرع في شيء من ذلك فيحمله اقوال الناس على
الالتزام بالزهد والعبادة وثالث عشرها قوله ولا تضيعن حق اخيك اتكالا على ما بينك
وبينه فليس لك باخ من اضعت حقه من هذا النحو قول الشاعر اذا خنتم بالغيب عهدي
فما لكم • تدلون ادلال المقيم على العهد • صلوا وافعلوا فعل المدل بوصله • والا فصدوا
وافعلوا فعل ذي الصد • وكان يقال اضيع الحقوق دليه العقوق • ورابع عشرها
لا ترغبن فيمن زهد فيك الرغبة في الزاهد هي الذل الخفي قال العباس بن الاحنف ما زلت
ازهد في مودة راغب حتى ابتليت برغبة في زاهد • هذا هو الداء الذي ضاقت به
حيل الطبيب وطال باس العابد وقد قال الشعراء المتقدمون والمتاخرون فاكثروا نحو قولهم
وفي الناس ان رثت حبالك واصل • وفي الارض عن دار القلى متحول • وقول تابط شرا
اني اذا خلة ضنت بنائلها • وامسكت بضعيف الحبل احذاق • نجوت منها نجائي من
بجيلة اذ • القيت ليلة جنب الرهط ارواقي • وخامس عشرها قوله لا يكونن اخوك
اقوى على قطيعتك منك على صلته ولا يكونن على الاساءة اقوى منك على الاحسان

حكاية

هذا امر له بان يصل من قطعه وان يحسن الى من اساء اليه ظفر المامون عبد الله
ابن هارون الرشيد بكتب قد كتبها علي بن محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق الى
اهل الكرخ وغيرهم من اعمال اصفهان يدعوهم فيها الى نفسه فاحضره بين يديه ودفعها
اليه وقال له اتعرف هذه فاطرق خجلا فقال له انت آمن وقد وهبت هذا الذنب
لعلي وفاطمة فنعم لي منزلك وتخبرنا شيئا من الذنوب فانا نتجر كثير مثل ذلك

من العفو وسادس عشرها لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرته ونفعك

حكاية

وليس جزاء من سرك ان تسوءه جاء في الخبر المرفوع انه صلى الله عليه وآله وسلم سمع عايشة
تدعو على من سرق عقدًا لها فقال لا تستبخي عنه بدعائك اي لا تخففي عذابه وقوله
وليس جزاء من سرك ان تسوءه يقول لا تنتقم ممن ظلمك فانه قد نفعك في الآخرة بظلمه لك
وليس جزاء من نفع انسانا ان يسعى اليه وهذا المقام جليل لا يقدر عليه الا الافراد والاولياء

حكاية

الابدال وقبض بعض الجبابرة على قوم صالحين فحبسهم وقيدهم فلما طال عليهم الامر زجر
بعضهم زجرة شديدة ودعا على ذلك الجبار فقال له بعض اولادهم وكان افضل اهل زمانه
في العبادة وكان مستجاب الدعوة لا تدع عليه فتخفف من عذابه قالوا يا فلان اما
ترى ما بنا وبك الا يأنف ربك لنا قالوا ان لفلان مهبطا في النار لم يكن ليبلغه
الا بما تزون وان لكم لمصعدا في الجنة لم تكونوا لتبلغوه الا بما ترون قالوا فقد نالنا من
العذاب والحديد ما فادع الله ان يخلصنا وينقذنا مما نحن فيه قال الجد لا الحق اني لو
فعلت لفعل ولكن والله لا افعل حتى اموت هكذا فالقى الله فاقول له رب سل فلانا لم فعل
هذا ومن الناس من يجعل قوله وليس جزاء من سرك ان تسوءه كلمة مفردة مستقلة بنفسها
ليست من تمام الكلام الامام والصحيح ما ذكرناه وسابع عشرها ومن حقه ان تقدم
ذكره قوله ولا يكن اهلك اشقى الخلق بك هذا كما يقال في المثل من سرّه الساحر انتما
اول ما ابتدا باهلها والمراد من هذه الكلمة النهي عن قطيعة الرحم واقصاء الاهل
وحرمانهم وفي الخبر المرفوع بلّوا ارحامكم ولو بالسلام **الاصل** واعلم يا بني ان
الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان انت لم تأته اتاك ما اقبح الخضوع عند
الحاجة والجفاء عند الغنى انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك وان
كنت جازعا على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل اليك استدل على ما لم يكن بما

كان

كان فان الامور اشباه ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة الا اذا بالغت في ايلامه فان العاقل
يتعظ بالادب والبهايم لا تتعظ الا بالضرب اطرح عنك واردات الهموم بعزايم الصبر
وحسن اليقين من ترك القصد جار الصاحب مناسب والصديق من صدق
غيبه والهوى شريك العمى رب بعيد اقرب من قريب وقريب ابعد من بعيد
والغريب من لم يكن له حبيب من تعدى الحق ضاق مذهبه ومن اقتصر على قدره
كان ابقى له واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله سبحانه من لم
يبالك فهو عدوك قد يكون اليأس ادراكا اذا كان الطمع هلاكا ليس كل عورة
تظهر ولا كل فرصة تصاب وانما اخطأ البصير قصده واصاب الاعمى رشده اخر
الشر فانك اذا شئت تعجلته وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل من امن الزمان
خانه ومن عظمه اهانه ليس كل من رمى اصاب اذا تغير السلطان تغير الزمان
سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار **الشرح** قد مضى لنا كلام

حكاية حسنة

شاف في الرزق وروى ابن حسان قال رفع الواقدي الى المأمون رقعة يذكر فيها
غلبة الدين عليه وكثرة العيال وقلة الصبر فوقع المأمون عليها انت رجل
فيك خلتان السخاء والحياء فاما السخاء فهو الذي اطلق ما في يديك واما الحياء
فهو الذي يبلغ بك الى ما ذكرت وقد امرنا لك بمائة الف درهم فان كنا اصبنا
ارادتك فازدد في بسط يدك وان كنا لم نصب ارادتك فبجنايتك على نفسك
وانت كنت حدثتني وانت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحاق عن الزهري
عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال للزبير يا زبير ان مفاتيح
الرزق بازاء العرش ينزل الله للعباد ارزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثّر كُثِّر له ومن
قلّل قُلّل له قال الواقدي وكنت انسيت هذا الحديث فكانت مذاكرته اياي به احب

الى من صلته واعلم ان هذا الفصل يشتمل على نكت كثيرة حكمية منها قوله الرزق
رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك وهذا لا رحن ذلك انما يكون على حسب
ما يعلم الله تعالى من مصلحة المكلف فتارة يأتيه الرزق بغير اكتساب ولا
تكلف حركة ولا تجشم سعي وتارة يكون الامر بالعكس دخل عماد الدولة

حكاية حسنة

ابو الحسن بن بويه شيراز بعد ان هزم ابن ياقوت عنها وهو فقير لا مال له فساخت
احدى قوائم فرسه في الصحرا فنزل منها وابتدرها غلمانه تخلصها فظهر لهم في
ذلك الموضع ثقب وسيع فامرهم بحفره فوجدوا فيه اموالا عظيمة وذخاير
لابن ياقوت ثم استلقى يوما آخر على ظهره في داره بشيراز التي كان ابن ياقوت
يسكنها فرأى حية في السقف فامر غلمانه بالصعود اليها وقتلها فهربت الحية
منهم ودخلت في خشب الكنيسة فامران يقلع الخشب وتستخرج وتقتل فلما قلعوا الخشب
وجدوا فيه اكثر من خمسين الف دينار ذخيرة لابن ياقوت واحتاج ان يفصل
ويخيط ثيابا له ولاهله فقيل ها هنا خياط حاذق كان يخيط لابن ياقوت
وهو رجل منسوب الى الدين والخير الا انه اصم لا يسمع شيئا اصلا فامر باحضاره
فاحضر وعنده رعب وهلع فلما ادخله اليه كلمه وقال اريد ان تخيط لنا كذا وكذا
قطعة من الثياب فارتعد الخياط واضطرب كلامه وقال والله يا مولانا ما له
عندي الا اربعة صناديق ليس غيرها فلا تسمع قول الاعداء في فتعجب عماد الدولة
وامر باحضار الصناديق فوجدها ذهبا وحليا وجواهر مملوءة وديعة لابن ياقوت
واما الرزق الذي يطلبه الانسان ويسعى له فهو كثير لا يعد ولا يحصى ومنها
قوله ما اقبح الخضوع عند الحاجة والجفا عند الغنى هذا من قول الله تعالى حتى اذا
كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج

من كل

من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق ومن الشعر
الحكمي في هذا الباب قول القائل * خلقان لا ارضاهما الفتى * تيه الغنى ومذلة الفقر
فاذا اغنيت فلا تكن بطرا * واذا افتقرت فته على الدهر ومنها انما لك من دنياك
ما اصلحت به مثواك هذا من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله يا ابن آدم ليس لك
من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فابقيت وقال ابو العتاهية
ليس للمتعب المكادح من دنياه الا الرغيف والطمران ومنها قوله وان كنت جازعا
على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل اليك يقول لا ينبغي ان تجزع على ما
ذهب من مالك كما لا ينبغي ان تجزع على ما فاتك من المنافع والمكاسب فانه لا فرق بينهما
الا ان هذا حصل وذلك لم يحصل بعد وهذا فرق غير مؤثر لان الذي تظن انه حاصل
على الحقيقة ما اكلته او لبسته واما القنيات والمدخرات فلعلها ليس لك كما قال
الشاعر وذي ابل يسعى ويحسبها له * اخي تعب في رعيها ودؤوب غدت
وغدا رب سواه يسوقها * وبدل احجارا ورحال قليب * ومنها قوله استدل على ما لم
يكن بما كان فان الامور اشباه يقال اذا شئت ان تنظر الدنيا بعدك فانظرها
بعد غيرك وقال ابو الطيب وسيف الدولة ذكي تظنينه عينه * يرى قلبه في
يومه ما يرى غدا ومنها قوله * ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة الى قوله الا بالضرب نحو قول
الشاعر * العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامة * وكان يقال اللئيم كالعبد
والصيد كالبهيمة عتبها ضربها ومنها قوله اطرح عنك واردات الهموم بحسن
الصبر وكرم العزا هذا كلام شريف فصيح عظيم النفع والفائدة وقد اخذ عبد الله بن
الزبير بعض هذه الالفاظ فقال في خطبته لما ورد عليه الخبر بقتل مصعب اخيه لقد جاءنا

من العراق خبر خيرنا وسرنا جاءنا خبر قتل المصعب فاما سرورنا فلان ذلك كان لشهادة
وكان لنا ان شاء الله خيرة فاما الحزن فلوعة يجدها الحميم عند فراق حميمه ثم يرعوى بعد(ها)
ذو الرأى الى حسن الصبر وكرم العزى ومنها قوله من ترك القصد جاره القصد (الطريق)
المعتدلة يعني ان خير الامور اوساطها فان القضايا بل يحيط بها الرذايل فمن تعدى هذه
يسير وقع في هذه ومنها قوله الصاحب مناسب كان يقال الصديق نسيب الروح والاخ
نسيب البدن قال ابو الطيب • ما الخل الا من اود بقلبه وارى بطرف لا يرى بسوائه ومنها
قوله الصديق من صدق غيبه من ههنا اخذ ابو نواس قوله في المنهوكة هل لك والهل
خير فيمن اذا غبت حضر او مالك القوم انا دعا ان رأى خيرا مكن اوكان تقصير عذر
ومنها قوله الهوى شريك العمى هذا مثل قولهم حبك الشيء يعمي ويصم قال الشاعر
وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما ان عين السخط تبدي المساويا ومنها قوله رب
بعيد اقرب من قريب وقريب ابعد من بعيد هذا معنى مطروق قال الشاعر لعمرك ما بعد (البعيد)
يوما اذا ادنت القلوب من القلوب • وقال الاحوص • لا لا تمنعك الصدود وانني قسما
اليك مع الصدود لا امل وقال البحتري • ومازحة والدار منها قريبة وما قرب ثاو في
التراب مغيب قومها والغريب من لم يكن له حبيب • يريد بالحبيب ههنا المحب
لا المحبوب قال الشاعر • اسرة المرء يوما والداء وفيما بين حضنيها الحيوة تطيب
فاذا اولياء عن المرء يوما • فهو في الناس اجنبي غريب • ومنها قوله من يعتدي الحق
ضاق مذهبه يريد بمذهبه ههنا طريقه وهذه استعارة والمعنى ان طريق الحق
لا مشقة فيها لسالكها وطرق الباطل فيها المشاق والمضار فكان سالكها سالك
طريق ضيقة يتعثر فيها ويخبط في سلوكها ومنها قوله من اقتصر على قدره كان ابقى (له)
هذا مثل قوله رحم الله امرأ عرف قدره وقال من جهل قدره قتل نفسه وقال ابو الطيب • ومن

جهلت

ومن جهلت نفسه قدره • راى غيره منه ما لا يرى ومنها قوله اوثق سبب اخذت
به سبب بينك وبين الله سبحانه هذا مثل قول الله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن
بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ومنها قوله من لم يبالك فهو عدوك
اي من لم يكترث بك وهذه الوصاة خاصة بالحس وبامثاله من الولاة ارباب الرعايا و(ليست)
عامة للمتصرفة بين افناء الناس وذلك لان الوالي اذا ابس من بعض رعيته انه لا يبالي
ولا يكترث به فقد ابدى صفحته ومن ابدى لك صفحته فهو عدوك واما غير الوالي
من افناء الناس فليس لاحدهم اذا لم يبال الآخر بعد قوله ومنها قوله قد يكون اليأس
ادراكا اذا كان الطمع هلاكا هذا مثل قول القائل من عاش لاقى ما يسوء من الامور وما
يسر • ولرب حتف فوقه • ذهب وياقوت ودر والمعنى انه ما كان بلوغ الامل
في الدنيا والفوز بالمطلوب منها سببا للهلاك فيها واذا كان كذلك كان الحرمان
خيرا من الظفر ومنها قوله ليس كل عورة تظهر ولا كل فرصة تصاب يقول قد تكون
عورة العدو مستترة عنك فلا تظهر لك ولا يمكنك اصابتها وقال بعض الحكما
الفرصة نوعان فرصة في عدوك وفرصة في غير عدوك فالفرصة في عدوك ما اذا بلغتها
نفعتك واذا فاتتك ضرتك وفي غير عدوك ما اذا اخطاك نفعه لم تصل اليك (ضرة)
ومنها قوله قد يخطئ البصير قصده ويصيب الاعمى رشده من هذا النحو قولهم
في المثل مع الخواطي سهم صائب وقولهم رمية من غير رام وقالوا في مثل اللفظة
الاولى الجواد يكبو والحسام ينبو وقال قد يهفو الحليم ويجهل العليم ومنها قوله اخر
الشر فانك اذا شئت تعجلته مثل هذا قولهم في الامثال الطفلية كل اذا وجدت
فانك على الجوع قادر ومن الامثال الحلمية ابدا بالحسنة قبل السيئة فلست بمستطيع
للحسنة في كل وقت وانت على الاساءة متى شئت قادر ومنها قوله قطيعة الجاهل تعدل

صلة العاقل هذا حق لان الجاهل اذا قطعك انتفعت ببعده عنك كما تنتفع بمواصلة
الصديق العاقل لك وهذا كما تقوله المتكلمون عدم المضرة كوجود المنفعة ويمكن
ان يبتنى على هذا قولهم كما ان فعل المفسدة قبيح من البارى فالاخلال باللطف منه ايضا
يجب ان يكون قبيحا ومنها قول من امن الزمان خانه ومن اعظمه اهانه مثل الكلمة
الاولى قول الشاعر ومن يامن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خانته فروج الانامل وقالوا
حلب الدنيا اما استقامت لك ومن الامثال الحكمية من امن الزمان صنع صنعة المحق فا
ومثل الكلمة الثانية قولهم الدنيا كالامة اللئيمة المعشوقة كلما ازددت لها عنفا
وعليها تيها لكما ازدادت لك اذلالا وعليك استطالة وقال ابو الطيب وهي معشوقة
على الغدر لا تحفظ عهدا ولا تتم وصلا لشتم الغانيات فيها فلا ادرى لذا اسمها
الناس ام لا ومنها قوله ليس كل من رمى اصاب هذا يعني سهم وقال ابو الطيب ما كل من طلب
المعالى نافذا فيها ولا كل الرجال فحولا ومنها قوله اذا تغير السلطان في كتب الفرس ان

حكاية حسنة

انوشروان جمع عمال السواد وبيده درة يقلبها فقال اي شيء اضر بارتفاع السواد
وادعى الى محقه من قال ما في نفسي جعلت هذه الدرة في فيه فقال بعضهم الجواد
وقال بعضهم انقطاع الشرب وقال بعضهم انقطاع الشرب وقال بعضهم احتباس المطر
وقال بعضهم استيلاء الجنوب وعدم الشمال فقال للوزير قل انت فاني اظن عقلك
يعادل عقول الرعية كلها او يزيد عليها قال تغير راى السلطان في رعيته واضمار
الحيف لهم والجور عليهم فقال لله ابوك بهذا العقل اهلك آبائي واجدادي لما
اهلوك له ودفع اليه الدرة فجعلها في فيه ومنها قوله عن الرفيق قبل الطريق وعن
الجار قبل الدار وقد روي هذا الكلام مرفوعا وفي المثل جار السوء كلب هارش وافعى ناهش
وفي المثل الرفيق اما رحيق واما حريق **الاصل** اياك ان تذكر من الكلام ما كان

مضحك

مضحكا ان حكيت ذلك عن غيرك واياك ومشاورة النساء فان رايهن الى افن وعزمهن
الى وهن واكفف عليهن من ابصارهن بحجابك اياهن فان شدة الحجاب ابقى عليهن وليس
خروجهن باشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن وان استطعت ان لا يعرفن غيرك
فافعل ولا تملك المراة من امرها ما جاوز نفسها فان المراة ريحانة وليست بقهرمانة
ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تطمعها في ان تشفع لغيرها واياك والتغاير في غير موضع
غيرة فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم والبريئة الى الريب واجعل لكل انسان من خدمك
عملا تاخذه به فانه احرى ان لا يتواكلوا في خدمتك واكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي
به تطير واصلك الذي اليه تصير ويدك التي بها تصول استودع الله دينك ودنياك
واسأله خير القضاء لك في العاجلة والدنيا والآخرة ان شاء الله **الشرح** نهاه ان
يذكر من الكلام ما كان مضحكا لان ذلك من شغل ارباب الهزل والبطالة وقل ان يخلو
اكثر ذلك من غيبة او سخرية ثم قال وان حكيت ذلك عن غيرك فانه كما يستهجن الابتداء بذلك
يستهجن حكايته عن الغير وكذلك كل كلام قبيح الا ترى انه لا يجوز الابتداء بكلمة الكفر
ويكره ايضا حكايتها وقال عمر نهاني رسول الله صلى الله عليه وآله ان احلف بابي فما حلفت
بها ذاكرا ولا اثرا ولا حاكيا وكان يقال من مازح استخف به ومن كثر ضحكه قلت هيبته
فاما مشاورة النساء فانه من فعل عجزة الرجال قال الفضل بن الربيع ايام الحرب بين الامين
والمامون في كلام يذكر فيه الامين ويصفه بالعجز ينام نوم الظربان وينتبه انتباه
الذئب همه بطنه ولذته فرجه لا يفكر في زوال نعمه ولا يروي في امضاء راي ولا مكيدة
قد شمر عبد الله عن ساقه وفوق له اشد سهامه يرميه على بعد الدار بالحتف النافذ والموت
القاصد قد عبا له المنايا على متون الخيل وناط له البلايا باسنة الرماح وشفار السيوف
فكانه هو قال هذا الشعر ووصف به نفسه واخاه يقارع اتراك ابن خاقان ليلة حله

ان يرى الاصباح لا ينلعم فيصبح من طول الظما جسمه نحيل واضحى في النعيم اصم

وهمي كاس من عقار وقينة وهمتي درع وريح ومخذم فشتان ما بيني وبين ابن خالد

امية في الرزق الذي الله يقسم ونحن معا نجري الى الغاية ان نقصر عنها ذممنا وان نجهد

في بلوغها انقطعنا وانما نحن شعب من اصل قوي قوتنا وان ضعف ضعفنا ان هذا

الرجل تدلى بين الفا الامر الوكعا بشام النسا ويعتزم على الزو وبانه امكن على الفنا

واللهو من سمعه فهم يمينون من النظر ويعدون عقب الايام والمهالك سريع الى اليمن السيل الى

تبعات الرجل **قوله** فان رايتهن الى افن الافن بالسكون النقص والناقص المنتقص يقال

فلان يتافن بنتقصه ويعيبه ومن رواه الى افن بالتحريك فهو ضعيف الراي افن

الفرق بين الافن والافن

الرجل يافن افنا اي ضعف راي وفي المثل ان الرقين يغطي افن الافين والوهن الضعف

وكفف عليهن من ابصارهن من هاهنا زائدة ومن مذهب ابي الحسن الاخفش زيادة

زيادة من في الواجب ويجوز ان يحمل على مذهب سيبويه فيعني به فاكفف عليهن بعض

ابصارهن ثم ذكر فائدة الحجاب ونهاه ان يدخل عليهن من لا يوثق به وقال ان خروجهن

من ذلك وذلك لان من تلك صفته يتمكن من الخلوة ما لا يتمكن منه من يراهن

في الطرقات ثم قال ان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل كان لبعضهم بنت حسنا

فخ بها فكان يقصبت عينها ان يكشف للناس وجهها فقيل له في ذلك فقال

انما الحذر من رؤيتها الناس لا من رؤية الناس لها **قوله** ولا تملك المراة من امرها ما جاوز

نفسها اي لا تدخلها معك في تدبير ولا مشورة ولا تعدها حال نفسها وما يصلح شانها

فان المراة ريحانة وليست بقهرمانة انما تصلح للمتعة واللذة وليست وكيلا في مال ولا

وزيرا في راي ثم اكد الوصية الاولى فقال ولا تعد بكرامتها نفسها الحا هو قوله ولا تملكها

من امرها ما جاوز نفسها ثم نهاه ان يطمعها في الشفاعات روى الزبير بن بكار قال كانت

الخيزران كثيرا ما يكلم موسى ابنها لما استخلف في الحوائج وكان يجيبها الى ما تسال

حتى مضت اربعة اشهر من خلافته وانثال الناس اليها وطمعوا فيها وكانت

المواكب تغدو الى بابها فكلمته يوما في امر فلم يجد الى اجابتها سبيلا واحتج

عليها بحجة فقالت لا بد من اجابتي فقال لا افعل قالت اني قد ضمنت هذه

الحاجة لعبد الله بن مالك فغضب موسى وقال ويلي على ابن الفاعلة قد علمت

انه صاحبها والله لا قضيتها لك ولا له قالت اذا والله لا اسالك حاجة ابدا

قال اذا والله لا ابالي فقامت مغضبة فقال مكانك تستوعي كلامي والله

والا فانا بري من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله لئن بلغني انه وقف احد من قوادي

وخاصتي وخدمي وكتابي على بابك لاضربن عنقه ولاقبضن ماله فمن شا

فليلزم ذلك ما هذه المواكب التي تغدو الى بابك كل يوم اما لك مغزل يشغلك

او مصحف يذكرك او بيت يصونك اياك ثم اياك ان تفتحي فاك في حاجة لملي

او ذمي فانصرفت وما تعقل ما تطا عليه ولم تنطق عنده بحلوة ولا مرة

بعدها حتى هلك واخذ هذه اللفظة منه وهي قوله المراة ريحانة وليست

بقهرمانة الحجاج فقالها للوليد بن عبد الملك روى ابن قتيبة في عيون

الاخبار قال دخل الحجاج على الوليد بن عبد الملك وعليه درع وعمامة سودا

وقوس عربية وكنانة وذلك في اول قدمة قدمها عليه من العراق فبعثت

ام البنين بنت عبد العزيز بن مروان وهي تحت الوليد اليه من هذا الاعرابي

المستلئم في السلاح عندك وانت في غلالة فارسل اليها هذا الحجاج فاعادت

اليه الرسول والله لان يخلو بك ملك الموت في اليوم احيانا احب الي من ان يخلو

بك الحجاج فاخبر الوليد بذلك وهو يمازحه فقال يا امير المومنين دع عنك مفاكهة

النساء بزخرف القول فانما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعها
على سرك ومكايدة عدوك فلما دخل الوليد عليها اخبرها وهو يمازحها بمقالة
الحجاج فقالت امير المؤمنين حاجتي ان تامره غدا ان ياتيني مسلما ففعل ذلك
فاتاها الحجاج فحجبته فلم يزل قائما ثم اذنت له فقالت يا حجاج انت الممتن
على امير المؤمنين بقتلك ابن الزبير وابن الاشعث اما والله لولا ان الله
علم انك اشر خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام ولا بقتلك ابن ذات النطاقين
اول مولود في دار هجرة الاسلام واما نهيك امير المؤمنين عن مفاكهة النساء و
بلوغ لذاته واوطاره فان كن ينفرجن عن مثلك فاحقه بالاخذ منك وان
كن ينفرجن عن مثلك فهو غير قابل لقولك اما والله لقد نفض نساء امير المؤمنين
الطيب من غدائرهن فبعنه في اعطية اهل الشام حين كنت في اضيق من قرن
قد اظلتك رماحهم واثخنك كفاحهم وحين كان امير المؤمنين احب اليهم من
ابنائهم فما نجاك الله من عدو امير المؤمنين الا بحبهم اياه قاتل الله الذي ينظر اليك
وسنان غزالة بين كتفيك اسد علي وفي الحروب نعامة ربداء تنفر من صفير
الصافر هلا برزت الى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر فاخرج
فخرج فاما قوله واياك والتغاير في غير موضع غيرة فقد قيل هذا المعنى قال بعض
المحدثين ٭ يا ايها الغايرة لا تقربي الا لما تدركه بالبصر ما انت في ذلك الا كمن
ينبه الذئب لمعجر ٭ وكان مسكين الدارمي احد من يستهجن الغيرة ويستقبح
وقوعها في غير محلها فمن شعره في هذا المعنى ٭ ما احسن الغيرة في حينها واقبح
الغيرة في غير حين ٭ من ترك منها غريمه مناصبا فيها الرجم الظنون يوشك
ان يغريها بالذي ٭ يخاف وينصبها للعيون ٭ حسبك من تحصينها ضمها منك

الى خير كريم ودين ٭ لا يظهرون منك على عورة ٭ فيطمع المغرون بقبل القرين وقال
ايضا الا ايها الغائر المستشيط ٭ علام تغار اذا لم تغر ٭ فما خير حرة اذا
خفتها ٭ وما خير بيت اذا لم تثق ٭ تغار من الناس ان ينظروا ٭ وهل يفتن
الصالحات النظر ٭ فاني ساخلي لها بينها ٭ فتحفظ لي نفسها او تذر ٭ اذا الله لم
يعطه ودها ٭ فلن يعطي الود سوط ممر ٭ ومن ذا يراعي له عرسه ٭ اذا ضمه والركاب
السفر وقال ايضا ولست امرأ لا ابرح الدهر قاعدا ٭ الى جنب عرسي لا افارقها
شبرا ٭ ولا مقسما لا ابرح الدهر بيتها ٭ لاجعله قبل الممات لها قبرا ٭
ولا حاملا ظني ولا قول قائل ٭ على غيرة حتى احيط لها خبرا ٭
وهبني امرأ راعيت ما دمت شاهدا ٭ فكيف اذا ما سرت من بيتها شهرا ٭
اذا هي لم تحصن امام فنائها ٭ فليس يحجبها بناء لها قصرا ٭
فاما قوله واجعل لكل انسان من خدمك عملا تاخذه به فقد قالت الحكماء هذا
المعنى قال ابرويز في وصيته لولده شيرويه ٭ وانظر الى كتابك فمن كان منهم
ذا ضياع قد احسن عمارتها فوله الخراج ومن كان منهم ذا عبيد قد احسن
سياستهم وتثقيفهم فوله الجند ومن كان منهم ذا سراري وضرب قد احسن
القيام عليهن فوله النفقات والقهرمة وهكذا فاصنع في خدم دارك ولا تجعل
امرك فوضى بين خدمك فيفسد عليك ملكك واما قوله واكرم عشيرتك فانهم
جناحك فقد تقدم منا كلام في وجوب الاعتضاد بالعشائر روى ابو عبيدة

حكاية

قال كان الفرزدق لا ينشد بين يدي الخلفاء والامراء الا قاعدا فدخل على سليمان
بن عبد الملك يوما فانشد شعرا فخر فيه باباه وقال من جملته ٭ تالله ما حملت من ناقة
رجلا ٭ مثلي الى الحرم يعتني على الكور ٭ فقال سليمان هذا المدح لك قال لي

حكاية

يا امير المؤمنين فغضب سليمان وقال قم فاقم فلا تنشد بعدها الا قائما فقال الفرزدق
لا والله او يسقط الى الارض اكثري شعرا فقال سليمان ويلي على الاحمق ابن الفاعلة لا يكنى
وارتفع صوته فسمع الضوضا بالباب فقال ما هذا قيل بنو تميم على الباب قالوا لا ينشد
الفرزدق قائما وايدينا في مقابض سيوفنا قال فلينشد قاعدا وروى ابو عبيد الله
محمد بن موسى بن عمران المرزباني قال كان الوليد بن جابر بن ظالم الطائي ممن وفد على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ثم صحب عليا وشهد معه صفين وكان من رجاله المشهورين ثم وفد
على معوية في الاستقالة وكان معوية لا يثبته معرفة بعينه فدخل عليه في جملة الناس
فلما انتهى اليه استنسبه فانتسب له فقال انت صاحب ليلة الهرير قال نعم قال والله ما تخلو
مسامعي من رجزك تلك الليلة قد علا صوتك اصوات الناس وانت تقول شدوا فداء لكم
امي واب فانما الامر غدا لمن غلب • هذا ابن عم المصطفى والمنتجب • للعليا سادات
العرب • ليس بموصوم اذا نص النسب • اقل من صام وصلى قرب • قال نعم انا قائلها
قال فلما ذا قلتها قال لانا كنا مع رجل لا نعلم خصلة توجب الخلافة ولا فضيلة تصير الى
التقدمة الا وهي مجموعة له كان اول الناس سلما واكثرهم علما وارجحهم حلما فات الجياد
فلا يشق غباره واستولى على الامد فلا يخاف عثاره واوضح منهج الهدى فلا يبيد مناره
وسلك القصد فلا تدرس اثاره فلما ابتلانا الله بافتقاده وحول الامر الى من يشاء
من عباده ودخلنا في جملة المسلمين فلم ننزع يدا عن طاعة ولم نصدع صفاة جماعة على
ان لك منا ما ظهر وقلوبنا بيد الله وهو املك بها منك فاقبل صفونا واعرض عن كدرنا
ولا تستثيروا من الاحقاد فان النار تقدح بالزناد قال معوية وانك لتهددني يا اخا طي
باوباش العراق اهل النفاق ومعدن الشقاق فقال يا معوية هم الذين اشرقوك بالريق
وحبسوك في المضيق وذادوك عن سنن الطريق حتى لذت منهم بالمصاحف وعرت

ايهما

ايهما من صدق بها وكذب وامن بعث لها وكفرت وعرف من تاويلها ما انكر فغضب
معوية وادار طرفه فيمن حوله فاذا جلهم من مضر ونفر قليل من اليمن فقال يا ايها الشقي
الخائن اني لاخال هذا آخر كلام تفوه به وكان عفير بن سيف بن ذي يزن بباب معوية
ح فعرف موقف الطائي ومراد معوية فخاف عليه فهجم عليهم الدار واقبل على اليمانية
فقال شاهت الوجوه ذلا وقلا وجوعا فلا كشم الله هل الانف كشما سوعبا ثم التفت الى معوية
ما اقول قولي هذا حبا لاهل العراق ولا جنوحا اليهم ولكن الحفيظة تذهب الغضب لقد رايتك
بالامس خاطبت اخا ربيعة يعني صعصعة بن صوحان وهو اعظم عندك من هذا وانكا
لقلبك ما قدح في صفاتك واجد في عداوتك واشد استيصالا فحزبك ثم ابتسه
وسرحته وانت الان مجمع على قتل هذا زعمت استصغارا لجماعتنا فانا لا نمر ولا نحلي ولعمري
لو وكلتنا ابنا قحطان الى قومك لكان جدك العاثر وذكرك الداثر وحدك المفلول وعرشك
المثلول فاربع على ضلعك واطونا على بلائنا لتسهل لك حزننا وتطامن لك شاردنا
لانا لا نرام بالضيم ولا نتلمظ جرع الخسف ولا نغمز بغماز الفتن ولا نذر على الغضب فقال معوية
الغضب شيطان فاربع عليك ايها الانسان فانا لم نات الى صاحبك مكروها ولم نركب منه
مغضا ولم ننتهك منه محرما فدونكه فانه لم يضق عنه حلمنا ويسع غيره فاخذ عفير بيد
الوليد وخرج به الى منزله وقال والله لتؤوبن باكثر مما آب به معدي من معوية وجمع من اليمانية
فرض على كل رجل دينارين في عطائه فبلغت اربعين الفا فتعجلها من بيت المال
ودفعها الى الوليد ورده الى العراق الاصل ومن كتاب له الى معوية وارديت
جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك والقيتهم في موج بحرك تغشاهم الظلمات
وتتلاطم بهم الشبهات فجاروا عن وجهتهم ونكصوا على اعقابهم وتولوا على
ادبارهم وعولوا على احسابهم الا من آمن فان اهل البصائر فارقوك بعد معرفتك

وهربوا الى الله من موازرتك اذ حملتهم على الصعب وعدلت بهم عن القصد فاتق
الله معوية في نفسك وجاذب الشيطان قيادك فان الدنيا منقطعة عنك
والآخرة قريبة منك والسلم. الشرح أرديتهم اهلكتهم وجيلاً من الناس
من الناس والغي الضلال وجاروا وعدلوا عن القصد ووجهتهم بكسر الواو يقال
هذا وجه الرأي اي هو الرأي نفسه والاسم الوجه بالكسر وبضم بالفتح قوله وعولوا
على احسابهم اي لم يعتمدوا على الدين فانما ردتهم الحمية ونخوة الجاهلية فاخلدوا
اليها وتركوا الدين والاشارة الى بني امية وخلفائهم الذين اتهموا امير المؤمنين
بدم عثمان فحاموا عن الحسن ولم يأخذوا بموجب الشرع في تلك الواقعة ثم استثنى
قوما فقال الا من فاء اي رجعوا عن نصرة معوية وقد ذكرنا في اخبار صفين من فارق
معوية ورجع الى امير المؤمنين او فارقه واعتزل الطائفتين. حملتهم الصعب
اي على الامر الشاق واصله في ذلك البعير المستصعب يركبه الانسان فيغرر بنفسه
لقول هذا الكتاب من عبد الله علي امير المؤمنين الى معوية ابن ابي سفيان
اما بعد فان الدنيا دار تجارة وربحها او خسرها الآخرة فالسعيد من كانت
بضاعته فيها الاعمال الصالحة ومن رأى الدنيا بعينها وقدرها بقدرها
واني لاعظك مع علمي بسابق العلم فيك مما لا مرد له دون نفاذه ولكن الله تعالى
اخذ على العلماء ان يؤدوا الامانة وان ينصحوا الغوي والرشيد فاتق الله ولا
تكن ممن لا يرجو لله وقارا ومن حقت عليه كلمة العذاب فان الله بالمرصاد وان
دنياك ستدبر عنك وستعود حسرة عليك فاقلع عما انت عليه من الغي والضلال
على كبر سنك وفناء عمرك فان حالك اليوم كحال الثوب المستهيل الذي لا يصلح
من جانب الا فسد من الآخر وقد ارديت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك

الى آخر

الى آخر الكتاب قال ابو الحسن علي بن محمد المدائني فكتب اليه معوية بن ابي سفيان
الى علي بن ابي طالب اما بعد فقد وقفت على كتابك وقد ابيت على الفتن الا تماديا
واني العالم ان الذي يدعوك الى ذلك مصرعك الذي لا بد لك منه وان
كنت موائلاً فازدد غيا الى غيك فطالما خف عقلك ومنيت نفسك
ما ليس لك والتويت على من هو خير منك ثم كانت العاقبة لغيرك واحتملت الوزر
بما احاط بك من خطيئاتك والسلام فكتب علي اليه اما بعد فان ما اتيت به من ضلالك
ليس ببعيد الشبه مما اتى به اهلك وقومك الذين حملهم الكفر وتمني الاباطيل
على حسد محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى صرعوا مصارعهم حيث علمت لم يمنعوا
حريما ولم يدفعوا عظيما وانا صاحبهم في تلك المواطن الصالي بحربهم والفال
لحدهم والقاتل لرؤسهم رؤس الضلالة والمتبع ان شاء الله خلفهم بسلفهم
فبئس الخلف خلف اتبع سلفا محله محطه النار والسلام قال فكتب اليه
معوية اما بعد فقد طال في الغي ما استمرت ادراجك كما طالما تمادى عن
الحرب نكوصك وابطائك فتوعد وعيد الاسد وتروغ روغان الثعلب فحتام تحيد
عن اللقاء ومباشرة الليوث الضارية والافاعي القاتلة فلا تستبعدنها فكل
ما هو آت قريب ان شاء الله والسلام قال فكتب علي اما بعد فما اعجب ما يأتيني منك
واعلمني بما انت اليه صائر وليس ابطائي عنك الا ترقبا لما انت له مكذب
وانا له مصدق وكاني بك غدا وانت تضج من الحرب ضجيج الجمال من الاثقال
وستدعوني انت واصحابك الى كتاب تعظمونه بالسنتكم وتجحدونه بقلوبكم
والسلام قال فكتب معوية اما بعد فدعني من اساطيرك واكفف عني من احاديثك
واقصر عن تقولك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وافترائك

من الكذب ما لم يقل وعن ورد من معك والجناع لهم فقد استغويتهم ويوشك
امرك ان ينكشف لهم فيعتزلوك ويعلموا ان ما جئت به باطل مضمحل والسلام
قال فكتب اليه علي اما بعد فطالما دعوت انت واولياؤك اولياء الشيطان الرجيم
الحق اساطير الاولين ونبذتموه وراء ظهوركم وجهدتم في اطفاء نور الله
بايديكم وافواهكم والله متم نوره ولو كره الكافرون ولعمري ليتمن النور على كرهك
ولينفذن العلم بصغارك ولتجازين بعملك فعث في دنياك المنقطعة
عنك ما طاب لك فكانك بباطلك وقد انقضى وبعملك وقد هوى ثم
الى لظى لم يظلمك الله شيئا وما ربك بظلام للعبيد قال فكتب اليه معوية
اما بعد فما اعظم الرين على قلبك والغطاء على بصرك الشره من شيمتك و
فليس للحرب واصبر للضرب فوالله ليرجعن الامر الى ما علمت والعاقبة للمتقين
هيهات هيهات اخطاك ما تمنى وهوى قلبك مع من هوى فاربع على ضلعك
وقس شبرك بفترك لتعلم اين حالك من حال من يزن الجبال حلمه ويفصل
بين اهل الشك علمه والسلام قال فكتب اليه علي اما بعد فان مساويك مع علم الله
فيك حالت بينك وبين ان يصلح لك امرك وان يرعوي قلبك يابن الشك على
وانت الخلف المنافق الاغلف القلب القليل العقل الجبان الرذل فان كنت صادقا
فيما تسطر ويعينك عليك اخو بني سهم فدع الناس جانبا وتيسر لما دعوتني اليه من الحرب
والصبر على الضرب واعف الفريقين من القتال ليعلم اينا المرين على قلبه المغطى
على بصره فانا ابو الحسن قاتل جدك واخيك وخالك وما انت منهم ببعيد والسلام
قلت عجيب واطرف ما جاء به الدهر وان كانت عجائبه وبدائعه جمة
ان يفضي امر علي الى ان يصير معوية ندا له ونظيرا يتعارضان الكتاب

عجيب

والجواب

والجواب ويتساويان فيما يواجه به احدهما صاحبه ولا يقول له علي كلمة الا قال مثلها
واخشن مساءة منها فليت محمدا صلى الله كان شاهدا ذلك ليرى عيانا لا خبرا
ان الدعوة التي قام بها وقاسى اعظم المشاق في تحملها وكابد الاهوال في الذب
عنها وضرب بالسيوف عليها لما شيده ولما توطدت اركانها وملات الافاق بها
خلصت صفوا عفوا لاعدائه الذين كذبوه لما دعى اليها واخرجوه عن اوطانه لما
حض عليها وادموا وجهه وقتلوا عمه واهله فكانه كان يسعى لهم ويدأب لراحتهم
كما قال ابو سفين في ايام عثمان وقد مر بقبر حمزة فضربه برجله وقال يا ابا عمارة ان الامر
الذي اجتلدنا عليه بالسيف امس في يد غلماننا اليوم يتلعبون به ثم آل الامر الى ان
يفاخر معوية عليا كما يتفاخر الاكفاء والنظراء اذا عير الطاي بالبخل مادر وقرا
قسا بالفهاهة باقل وقال السها للشمس انت خفية وقال الدجى يا صبح لونك
حايل وفاخرت الارض السماء سفاهة وكاثرت الشهب الحصى والجنادل فيا موت
زر ان الحياة ذميمة ويا نفس جدي ان دهرك هازل ثم اقول ثانيا لامير المؤمنين
ليت شعري لماذا فتح باب الكتاب والجواب بينه وبين معوية واذا كانت
الضرورة قد قادت الى ذلك فهلا اقتصر في الكتاب اليه على الموعظة من غير
المفاخرة والمنافرة واذا كان لا بد منهما فهلا اكتفى بهما من غير تعرض لامر آخر يوجب
المقابلة والمعارضة بمثله وباشد منه ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا
الله عدوا بغير علم وهلا ربع هذا الرجل العظيم الجليل نفسه عن سباب هذا السفيه
الاحمق هذا مع انه القائل من واجه الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون اي
عليه وقالوا فيه الباطل ايها الشامي ليحجب مثلي اغا انت في الضلال تهيم
فلست تبي ان بيتي من الرجال الكريم وهكذا جرى في القنوت واللعن

قنت بالكوفة على معوية ولعنه في الصلوة وخطبة الجمعة واضاف اليه عمرو بن العاص
وابا موسى وابا الاعور السلمي وحبيب بن سلمة فبلغ ذلك معوية بالشام فقنت عليه
ولعنه في الصلوة وخطبة الجمعة واضاف اليه الحسن والحسين وابن عباس و الاشتر
النخعي ولعل امير المؤمنين قد كان يظهر له من المصلحة حينئذ ما يغيب عنا والله
امره بالسعة

الاصل ومن كتاب له الى قثم بن العباس وهو عامله على مكة اما
بعد فان عيني بالمغرب كتب الي يعلمني انه وجه الى الموسم اناس من اهل الشام العمي القلوب
الصم الاسماع الكمه الابصار الذين يلبسون الحق بالباطل ويطيعون المخلوق
في معصية الخالق ويحتلبون الدنيا درها بالدين ويشترون عاجلها باجل الابرار
المتقين ولن يفوز بالخير الا عامله ولا يجزى جزاء الشر الا فاعله فاقم على ما في
يديك قيام الحازم الصليب والناصح اللبيب والتابع لسلطانه المطيع لامامه
واياك وما يعتذر منه ولا تكن عند النعماء بطرا ولا عند البأساء فشلا والسلام

الشرح كان معوية قد بعث الى مكة دعاة في السر يدعون الى طاعته
ويثبطون العرب عن نصرة امير المؤمنين ويوقعون في انفسهم انه اما قاتل لعثمن
او خاذل وان الخلافة لا تصلح فيمن قتل او خذل وينشرون عندهم محاسن معوية
بزعمهم واخلاقه وسيرته فكتب امير المؤمنين هذا الكتاب الى عامله بمكة
ينبهه على ذلك ليعتمد فيه بما يقتضيه السياسة ولم يصرح في هذا الكتاب بماذا
يامره ان يفعل اذا ظفر بهم **قوله** عيني بالمغرب اي اصحاب اخباره عند معوية وسمى
الشام مغربا لانه من الاقاليم المغربية والموسم الايام التي يقام فيها الحج ويحتلبون
الدنيا درها بالدين دلالة على ما قلناه انهم كانوا دعاة يظهرون سمت الدين
وناموس العبادة وفيه ابطال قول من ظن ان المراد بذلك السرايا التي كان معوية

يا اخي هذا الشارح في ايراده
على امير المؤمنين ع

بعثها فتغير على اعمال علي ودتها منصوب بالبلد من الدنيا ووصف الذين يلبسون
الحق بالباطل ويطلبونه لانهم يتبعون معوية وهو على الباطل التماسا لطلب الحق
ولا يعلمون انهم قد ضلوا قوله واياك وما يعتذر منه عند حضوره قوله ولا
عند النعماء بطرا ولا عند البأساء فشلا يعني مستعمل قال الشاعر فلست بمفراح
اذا الدهر سرني ❊ ولا جازع من صرفه المتقلب ❊ ولا ابتغي الشر والشر تاركي
ولكن متى احمل على الشر اركب ❊ فاما قثم بن العباس فامه ام اخوته وروى ابن عبد
البر في كتاب الاستيعاب عن عبد الله بن جعفر قال كنت انا وعبيد الله
وقثم ابنا العباس نلعب فمر بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راكبا فقال
ارفعوا الي هذا الفتى يعني قثم اليه فاردفه ثم جعلني بين يديه ودعا لنا فاستشهد
قثم بسمرقند قال ابن البرقي عن عبد الله بن عباس قال كان قثم اخر الناس عهدا
برسول الله صلى الله عليه وآله اخر من خرج من قبره ممن نزل فيه قال وكان المغيرة
بن شعبة يدعي ذلك لنفسه فانكر علي بن ابي طالب ذلك وقال بل اخر من خرج
من القبر قثم بن العباس قال ابن عبد البر وكان قثم واليا لعلي على مكة عزل
عنها خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي وكان واليها لعثمن
وولاها ابا قتادة الانصاري ثم عزله عنها وولى مكانه قثم بن العباس فلم يزل واليا
عليها حتى قتل علي قال هذا قول خليفة وقال الزبير بن بكار استعمل علي قثم بن العباس
على المدينة قال ابن عبد البر واستشهد قثم بسمرقند كان قد خرج اليها مع سعيد بن
عثمان بن عفان زمن معوية فقتل هناك قال وكان قثم يشبه رسول الله صلى الله
عليه وفيه يقول داود بن مسلم عتقت من حل ومن رحله ❊ يا ناق ان ادنيتني من قثم
انك ان دنيت منه غدا ❊ حالفني اليسر ومات العدم ❊ في كفه بحر وفي



وجهه بدر وفي العرنين منه شمم ، اصم عن قيل الخنا سمعه ، وما عن الخير
من صمم ، لم يدر ما الا ولي قد دري ، فعافها لي عناص منهما يعم **الاصل** ومن
كتاب له الى محمد بن ابي بكر لما بلغه توجده من عزله بالاشتر عن مصر ثم توفي الاشتر
في توجهه الى هناك قبل وصوله ، وقد بلغني موجدتك من تسريح الاشتر الى عملك
واني لم افعل ذلك استبطاء لك في الجهد ولا ازدياد لك في الجد ولو نزعت
ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو ايسر عليك مؤونة واعجب اليك ولاية
الرجل الذي كنت وليته امر مصر كان رجلا لنا ناصحا وعلى عدونا شديدا ناقما
فرحمه الله فلقد استكمل ايامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون اولاه الله رضوانه
وضاعف الثواب له فاصحر لعدوك وامض على بصيرتك وشمر لحرب من حاربك
وادع الى سبيل ربك واكثر الاستعانة بالله يكفك ما اهمك ويعنك على ما
ينزل بك ان شاء الله **الشرح** ام محمد رحمه الله اسماء بنت عميس الخثعمية وهي اخت
ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله واخت لبابة ام الفضل وعبد الله زوج العباس
بن عبد المطلب وكانت من المهاجرات الى ارض الحبشة وهي اذ ذاك تحت جعفر
بن ابي طالب فولدت له هناك محمد بن جعفر وعبد الله وعونا ثم هاجرت معه
الى المدينة فلما قتل جعفر يوم مؤتة تزوجها ابو بكر فولدت له محمد بن ابي
بكر هذا ثم مات عنها فتزوجها علي بن ابي طالب فولدت له يحيى بن علي لا خلاف
في ذلك وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ذكر ابن الكلبي ان عون بن علي امه اسماء
بنت عميس ولم يقل ذلك احد غيره وقد روي ان اسماء كانت تحت حمزة بن عبد المطلب
فولدت له بنتا تسمى امة الله وقيل امامة ومحمد بن ابي بكر ممن ولد في عصر رسول الله
صلى الله عليه وآله قال ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب ولد عام حجة الوداع

اخت ميمونة

ولم يقل

في عقب

في عقب ذي القعدة بذي الحليفة حين توجه رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم الى الحج فسمته عائشة محمدا وكنته ابا القسم بعد ذلك لما ولد له ولد سماه القسم
ولم تكن الصحابة ترى بذلك بأسا ثم كان في حجر علي وقتل بمصر وكان علي
يثني عليه ويقرظه ويفضله وكان لمحمد رحمه الله عبادة واجتهاد وكان ممن
حصر عثمان ودخل عليه فقال له لو رآك ابوك لم يسره هذا المقام منك فخرج و
تركه فدخل عليه بعده من قتله ويقال انه اشار الى من كان معه فقتلوه **قوله**
بلغني موجدتك اي غضبك وجدت على فلان موجدة ووجدا بالغضب قليلة
وانشدوا ، كلانا رد صاحبه بغيظ ، على حنق ووجدان شديد فاما في الحزن
فلا يقال الا وجدت وجدا انا بالفتح لا غير والجهد الطاقة اي لم استبطك في بذل
طاقتك ووسعك ومن رواها الجهد بالفتح فهو من قولهم اجهد جهدك في كذا
اي ابلغ الغاية ولا يقال هذا الحرف هاهنا الا مفتوحا ثم طيب نفسه بان قال له
لو تم الامر الذي شرعت فيه من ولاية الاشتر مصر لعوضتك بما هو اخف عليك
مؤونة وثقلا واقل نصبا من ولاية مصر لانه كان في مصر بازاء معاوية في الشام
وهو مدفوع الى حربه ثم اكد ترغيبه بقوله واعجب اليك ولاية فان قلت
فما الذي كان بيده مما هو اخف على محمد مؤونة واعجب اليه من ولاية مصر قلت
الاسلام كله كان بيده رضي الله عنه الا الشام فيجوز ان يكون قد كان في عزمه
ان يوليه اليمن او خراسان او ارمينية او فارس ثم اخذ في الثناء على الاشتر وكان شديد
الاعتضاد به كما كان هو شديد التحقق بولايته وطاعته وناقما فاعل من نقمت
على فلان كذا اذا انكرته عليه وكرهته ثم دعا له بالرضوان ولست اشك في ان الاشتر
الدعوة يغفر الله له ويكفر ذنوبه ويدخله الجنة فلا فرق عندي بينها وبين دعوة

ولم تكن

ولست اشك

رسول الله صلى الله عليه وباطوفي لمن حصل من ذرعلى بعض هذا **قوله** تامحو وكي
اى ابن زاد ولا تستغز عنه بالمدينة التي انت بها امحو الاسد ومن جنة اذ لج
الى الصحرا وشمر فلان للحرب اذا اخذ لها اهبتها **الاصل** ومن كتابه الى عبد الله
بن العباس رحمه الله بعد مقتل محمد بن ابي بكر اما بعد فان مصر قد افتتحت ومحمد بن
ابي بكر رحمه الله قد استشهد فعند الله نحتسبه ولدا ناصحا وعاملا كادحا وسيفا
قاطعا وركنا دافعا وقد كنت حثثت الناس على لحاقه وامرتهم بغياثه قبل الوقعة
ودعوتهم سرا وجهرا وعودا وبدءا فمنهم الاتي كارها ومنهم المعتل كاذبا ومنهم
القاعد خاذلا اسال الله تعالى ان يجعل لي منهم فرجا عاجلا فوالله لولا طمعي
عند لقاء عدوي في الشهادة وتوطيني نفسي على المنية لاحببت ان لا ابقى
مع هؤلاء يوما واحدا ولا التقي بهم ابدا **الشرح** انظر الى الفصاحة كيف تعطي
هذا الرجل قيادها وتملكه زمامها واعجب لهذه الالفاظ المنصوبة يتلو بعضها
بعضا كيف تواتيه وتطاوعه سلسة سهلة تتدفق من غير تعسف ولا تكلف
حتى انتهى الى آخر الفصل فقال يوما واحدا ولا التقي بهم ابدا وانت وغيرك
من الفصحاء اذا شرعوا في كتاب او خطبة جاءت القراين والفواصل تارة مرفوعة
وتارة مجرورة وتارة منصوبة فان ارادوا قسرها باعراب واحد ظهر منها التكلف
اثر بين وعلامة واضحة وهذا الصنف من البيان احد انواع الاعجاز في
القرآن ذكره عبد القاهر قال انظر الى سورة النساء وبعدها سورة المائدة
الاولى منصوبة الفواصل والثانية ليس فيها منصوب اصلا ولو مزجت احدى
السورتين بالاخرى لم تمتزجا وظهر اثر التركيب والتاليف بينهما ثم ان فواصل كل
واحدة منهما تنساق وتقتضي البيان الطبيعي لا الصناعة التكلفية ثم انظر الى الصفات

انظر الى الفصاحة

الاعجاز

فلم من

والموصوفات في هذا الفصل كيف قال ولدا ناصحا وعاملا كادحا وسيفا قاطعا
وركنا دافعا لو قال ولدا كادحا وعاملا ناصحا وكذلك ما بعده لما كان صوابا
ولا في الموقع واقعا فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصايص
الشريفة ان يكون غلام من ابناء عرب مكة ينشا بين اهله لم يخالط الحكما وخرج
اعرف بالحكمة ودقايق العلوم الالهية من افلاطون وارسطو ولم يعاشر ارباب
الحكم الخلقية والاداب النفسية لان قريشا لم يكن احد منهم مشهورا بمثل ذلك
وخرج اعرف بهذا الباب من سقراط ولم يرب بين الشجعان لان اهل مكة كانوا
ذوي تجارة ولم يكونوا ذوي حرب وخرج اشجع من كل بشر مشى على الارض قيل
لخلف الاحمر ايما اشجع عنبسة وبسطام ام علي بن ابي طالب فقال انما يذكر عنبسة
وبسطام مع البشر والناس لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة فقيل له فعلى كل حال قال
والله لو صاح في وجوههما لماتا قبل ان يحمل عليهما وخرج افصح من سحبان وقس
ولم تكن قريش بافصح العرب كان غيرها افصح منها قالوا افصح العرب جرهم وان لم يكن
لهم نباهة وخرج ازهد الناس في الدنيا واعفهم عنها مع ان قريشا ذوو حرص ومحبة
للدنيا ولا غرو فيمن كان محمد صلى الله عليه وآله مربيه ومخرجه والعناية الالهية
تمده وترفده ان يكون منه ما كان يقال احتسب ولده اذا مات كبيرا وافترط ولده
اذا مات صغيرا قوله فمنهم الاتي قسمهم اقساما فمنهم من اجابه وخرج كارها
للخروج كما قال تعالى كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون ومنهم من قعد واعتل
بعلة كاذبة كما قال تعالى يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا
ومنهم من تاخر وصرح بالقعود والخذلان كما قال تعالى فرح المخلفون بمقعدهم خلاف
رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والمعنى ان حاله كانت

من افلاطون

الفرق بين احتسب وافترط

مناسبة لحال النبي عليه السلام ومن تدبر احوالهما وسيرتهما وما جرى لهما الى
ان قبضا علم تحقيق ذلك ثم اقسم لولا طمعه في الشهادة لما اقام مع اهل العراق
ولا صحبهم فان قلت فهلا خرج الى معوية وحده من غير جيش ان كان يريد
الشهادة قلت ذلك لا يجوز له لانه القاء النفس الى التهلكة وللشهادة شروط
متى فقدت فقدت ولا يجوز ان يحمل احدى الحالتين على الاخرى **الاصل**
ومن كتاب له في ذكر جيش انفذه الى بعض الاعداء وهو جواب كتاب كتبه اليه
اخوه عقيل بن ابي طالب فسرحت جيشا كثيفا من المسلمين فلما بلغه ذلك شمر هاربا
ونكص نادما فلحقوه ببعض الطريق وقد طفلت الشمس للاياب فاقتتلوا
شيئا كلا ولا فما كان الا الموقف ساعة حتى نجا جريضا بعد ما اخذ منه بالمخنق
ولم يبق معه غير الرمق فلايا بلاي ما نجا فدع عنك قريشا وتركاضهم في الضلال
وتجوالهم في الشقاق وجماحهم في التيه فانهم قد اجمعوا على حربي كاجماعهم على حرب
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجزت قريشا عني الجوازي فقد قطعوا رحمي
وسلبوني سلطان ابن امي واما ما سألت عنه من رأيي في القتال فان رأيي قتال
المحلين حتى القى الله لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة ولا تحسبن
ابن ابيك ولو اسلمه الناس متضرعا متخشعا ولا مقرا للضيم واهنا ولا سلس الزمام للقائد
ولا وطئ الظهر للراكب المقتعد ولكنه كما قال اخو بني سليم فان تسأليني
كيف انت فانني • صبور على ريب الزمان صليب • يعز علي ان ترى بي
كآبة فيشمت عاد او يساء حبيب **الشرح** قد تقدم ذكر هذا الكتاب في
اقتصاصنا ذكر حال بسر بن ارطاة وغارته على اليمن في اول الكتاب ويقال
طفلت الشمس بالتشديد اذا مالت للغروب وطفل الليل مشددا ايضا اذا اقبل

ظل الته

ظله والطفل بالتحريك بعد العصر حين تطفل الشمس للغروب ويقال اتيته
طفلا اذ في ذلك الوقت وقوله للاياب اي للرجوع اي ما كانت عليه في الليلة التي
قبلها يعني غيبوبتها تحت الارض وانها تخرج كل يوم فتسير على العالم ثم تعود الى
منزلها فتأوي اليه كما ياوي الناس ليلا الى منازلهم وقال الراوندي عند
الاياب عند الزوال وهذا غير صحيح لان ذلك الوقت لا يسمى طفلا ليقال ان الشمس
قد طفلت فيه قوله فاقتتلوا شيئا كلا ولا اي شيئا قليلا وموضع كلا ولا نصب
لانه صفة شيئا وهي كلمة يقال لما يستقصر وقته جدا والمعروف عند اهل اللغة
كلا وذا قال ابن هانئ المغربي واسرع في العين من لحظة واقصر في السمع من لا وذا
وفي شعر الكميت كلا وكذا تغميضة وقد رويت في نهج البلاغة كذلك الا ان اكثر
النسخ كلا ولا ومن الناس من يرويها كلا ولات وهي حرف اجري مجرى ليس ولا
يجيء الا مع حين الا ان تحذف في شعر ومن الرواة من يرويها كلا ولاي ولاي
فعل معناه ابطأ قوله نجا جريضا اي قد غص بالريق من شدة الجهد والكرب
يقال جرض بريقه يجرض بالكسر مثل كسر يكسر ورجل جريض مثل قدر يقدر فهو
قدير ويجوز ان يريد بقوله جريضا اي ذا جريض والجريض الغصة نفسها
وفي المثل حال الجريض دون القريض قال الشاعر كأن الفتى لم يغن في الناس
ليلة اذا اختلف اللحيان عند الجريض قال الاصمعي ويقال هو يجرض بنفسه اي
يكاد يموت ومنه قول امرئ القيس وافلتهن علباء جريضا ولو ادركنه صفر الوطاب
واجرضه الله بريقه اغصه قوله بعد ما اخذ منه بالمخنق هو موضع الخنق من الحيوان
وكذلك الخناق بالضم يقال اخذ بخناقه فاما الخناق
بالكسر فالحبل يخنق به الشاة و

وَا لرّمق بعتيــــة الرقح قوله فلاي ا ثلاى ما بحاى بعد بطى وشدة وما زائدة
او مصدرية وانتصب ثابتا على المصدر القايم مقام الحال اى بحا مبطيا والعامل في
المصدر محذوف اى ابطا بطاء والفائدة فى تكرير اللفظة المبالغة في وصف البط
الذى كانت موصوفة برايى لا اباء مغرورنا بلاى وقال الراوندى هذه القصة
وهذا الهارب خرج منا وبعد لاى ما نجا هو معوية قال وقد قيل ان معوية بعث ابنا
فهرب على هذه الحال والاول اصح وهذا عجيب مضحك ووددت له ان لا يكون شرح هذا
الكتاب فقوله فدع عنك قريشا الى قوله على حرب رسول الله صلى الله عليه هذا الكلام حق
فان قريشا كلهم تبدا واحد على شقاقه وحربه كما كانت حالهم فى ابتداء الاسلام مع
رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يتحرم حالهم من حاله شيئا الا ان ذلك عصمه الله من القتل
فمات موتا طبيعيا وهذا اغنا له انسان نفسه قوله فجزت قريشا عني الجوازي
فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن امي هذه كلمة تجري مجرى المثل يقول الحق يجني
اليك وتدعوا عليه جزتك عني الجوازى يقال جزاه الله بما صنع وجازاه الله بما صنع
ومصدر الاول جزاء والثاني مجازاة واصل ان الكلمة الجوازى جمع جازية كالجواري
جمع جارية فكانه يقول جزت قريشا عني بما صنعت لى كل خصلة من نكبة او شدة
او مصيبة او خاصية اى جعل الله هذه الدواهى كلها جزاء قريش بما صنعت بى وسلطان
ابن امى يعني به الخلافة وابن امه هو رسول الله صلى الله عليه وآله لانهما ابنا فاطمة
بنت عمرو بن عمران بن عايذ بن مخزوم ام عبد الله وابى طالب ولم يقل سلطان
ابن ابى لان غير ابى طالب من الاعمام يشركه في النسب الى عبد المطلب قال الراوندي
الجوازى جمع جازية وهي النفس التي تجزى اى جزاهم
وفعل بهم ما يستحقون عساكر الا جلى

عجيب مضحك

ابنا فاطمه

وفي بنا بني وكفاهم سرية تهمض اليهم وهذا اشارة الى ان بني امية يهلكون
من بعد وهذا تفسير غريب ظريف وقال ايضا قوله سلطان ابن امي يعني نفسه
اى سلطانه لانه ابن ام نفسه قال وهذا من احسن الكلام والاشبهة انه على
تفسير الراوندى لو قال وسلبوني سلطان ابن اخت خالتي او ابن اخي عمي لكان
احسن واحسن وهذا الرجل وقد كان يحب ان يحجر عليه ولا يمكن من تفسير هذا
الكتاب ويوخذ عليه ايمان البيعة ان لا يتعرض له قوله فان راى قتال المحلين
اى الخارجين من الميثاق والبيعة يعني البغاة ومخالفي الامام ويقال لكل من خرج
من اسلام او حارب في الحرم وفي الاشهر الحرم محل وعلى هذا فسر قول زهير وكم بالقنان
من محل ومحرم اى من لا حرمة له ومن له ذمة وكذلك قول خالد بن يزيد بن
معوية فى زوجته رملة بنت الزبير ابن العوام ۰ الا من لقلب معنى عرلحت المحلة
اخت المحل اى ناقضة العهد اخت المحارب فى الحرب او اخت ناقض بيعة
بني امية وروي متضرعا متخضعا بالصاد وبقرا للضم وبالضم اى لا ترضين
عليهم واهنا اى ضعيف والتلين السهل والمعتقد البعير ينسب الى العباس بن
مرداس السلمي ولم اجده في ديوانه ومعناه ظاهر وفي الامثال الحكمية لا تشكون
حالك الى مخلوق مثلك فانه ان كان صديقا احزنته وان كان عدوا اشمته
ولا خير في واحد من الامرين الاصل ومن كتاب له الى معوية فسبحان
الله ما اشد لزومك للاهوا المبتدعة والحيرة المتبعة مع تضييع الحقائق والطراح
الوثائق التي هي لله تعالى طلبه وعلى عباده حجة فاما اكثارك الحجاج على
عثمان وقتلته فانك انما نصرت عثمان حيث كان النصر لك وخذلته
حيث كان النصر له والسلام الشرح اقول هذا الكتاب جوابا بعد فان

يحجد

في الامثال

الدنيا حلوة خضرة ذات زينة وبهجة لم يصب اليها احد الا وشغلته بزينتها
عما هو انفع له منها وبالآخرة امرنا وعليها حثثنا فدع يا معوية ما يفنى واعمل لما
يبقى واحذر الموت الذي اليه مصيرك والحساب الذي اليه عاقبتك واعلم
ان الله اذا اراد بعبد خيرا حال بينه وبين ما يكره ووفقه لطاعته واذا اراد
بعبد سوءا اغراه بالدنيا وانساه الآخرة وبسط له امله وعاقه عما فيه
صلاحه وقد وصلني كتابك فوجدتك ترمي غير غرضك وتنشد غير ضالتك
وتخبط في عمايه وتتيه في ضلاله وتعتصم بغير حجة وتلوذ باضعف
شبهة فاما سؤالك الي المتاركة والاقرار لك على الشام فلو كنت فاعلا ذلك
اليوم لفعلته امس واما قولك ان عمر ولاكه فقد عزل من كان ولاه صاحبه
وعزل عثمان من كان عمر ولاه ولم ينصب للناس امام الا ليرى من صلاح الامة
اماما قد كان ظهر لمن قبله او خفي عنهم عيبه والامر يحدث بعده الامر ولكل
والي رأي واجتهاد فسبحان الله ما اشد لزومك للاهواء المبتدعة والحيرة
المتبعة الى آخر الفصل واما قولك انما نصرت عثمان حيث كان النصر لك آخر
روى البلاذري قال لما ارسل عثمان الى معوية يستمده بعث يزيد بن اسد
القسري جد خالد بن عبد الله بن يزيد امير العراق وقال له اذا اتيت ذا خشب
فاقم بها ولا تتجاوزها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فانني انا الشاهد
وانت الغائب قال فاقام بذي خشب حتى قتل عثمان فاستقدمه
حينئذ معوية فعاد الى الشام بالجيش الذي كان ارسل معه وانما صنع ذلك
معوية ليقتل عثمان فيدعو الى نفسه وكتب معوية الى ابن عباس عند صلح
الحسن انه كتابا يدعوه فيه الى بيعته ويقول له فيه ولعمري لو قتلتك

وانما صنع

بعثمان

بعثمان رجوت ان يكون ذلك لله رضا وان يكون رايا صوابا فانك من الساعين
عليه والخاذلين له والسافكين دمه وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك مني
ولا بيدك امان فكتب اليه ابن عباس جوابا طويلا يقول فيه واما قولك اني
من الساعين على عثمان والخاذلين له والسافكين دمه فاقسم بالله لانت المتربص
بقتله والمحب لهلاكه والحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من امره ولقد
اتاك كتابه وصريخه يستغيث بك ويستصرخ فما حفلت به حتى بعثت اليه معذرا
باجرة انت تعلم انهم لن يتركوه حتى يقتل فقتل كما كنت اردت ثم علمت عند ذلك
ان الناس لن يعدلوا بيننا وبينك فطفقت تنعى عثمان وتلزمنا دمه وتقول
قتل مظلوما فان يك قتل مظلوما فانت اظلم الظالمين ثم لم تزل مصوبا ومصعدا
وجاثما ورابضا تستغوي الجهال وتنازعنا حقنا بالسفهاء وقد ادركت ما طلبت
وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين **الاصل** ومن كلام له الى اهل
مصر لما ولى عليهم الاشتر رحمه الله من عبد الله علي امير المؤمنين الى القوم الذين
غضبوا لله حين عصي في الارض وذهب بحقه فضرب الجور سرادقه على البر
والفاجر والمقيم والظاعن فلا معروف يستراح اليه ولا منكر يتناهى عنه اما
بعد فقد بعثت اليكم عبدا من عباد الله لا ينام ايام الخوف ولا ينكل على الاعدا
ساعات الروع اشد على الفجار من حريق النار وهو مالك بن الحارث اخو
مذحج واسمعوا له واطيعوا امره فيما طابق الحق فانه سيف من سيوف الله لا كليل
الظبة ولا نابي الضريبة فان امركم ان تنفروا فانفروا وان امركم ان تقيموا فاقيموا فانه
لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم الا عن امري وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته
لكم وشدة شكيمته على عدوكم **الشرح** هذا الفصل يشكل علي تاويله لان اهل مصر هم

يشكل على

الذين قتلوا عثمن واذا شهد امير المومنين بانهم غضبوا لله حين عصى في الارض
فهذه شهادة قاطعة على عثمن بالعصيان واتيان المنكر ويمكن ان يقال وان كان
متعسفا ان الله تعالى عصى في الارض لا من عثمان بل من ولاية وامرائه واهله وذهب
بينهم بحق الله وضرب الجور سرادقه بولايتهم قد امرتهم على البر والفاجر والمقيم
والظاعن فشاع المنكر وفقد المعروف فيتحقق ان يقال هب ان الامر كما قلت فهؤلاء
الذين غضبوا لله الى ما ذا آل امرهم البين الامر الجلي انهم قطعوا المسافة من مصر
الى المدينة فقتلوا عثمان فلا تعدو حالهم امرين اما ان يكونوا اطاعوا الله بقتله
فيكون عثمان عاصيا مستحقا للقتل او يكونوا اسخطوا الله تعالى بقتله فعثمان
اذا على حق وهم الفساق العصاة فكيف يجوز ان يجلهم ويخاطبهم خطاب الصالحين
ويمكن ان يجاب عن ذلك بانهم غضبوا لله وجاؤا من مصر وانكروا على عثمان
تاميره الامراء الفساق وحصروه في داره طلبا ان يدفع اليهم مروان ليحبسوه او يؤدبوه
على ما كتبه في امرهم فلما حصر طمع فيه مبغضوه واعداؤه من اهل المدينة وغيرها
وصار معظم الناس البا عليه وقل عدد المصريين بالنسبة الى من اجتمع من الناس
على حصره ومطالبته بخلع نفسه وتسليم مروان وغيره من بني امية اليهم وعزل
عماله والاستبدال بهم ولم يكونوا حينئذ يطلبون نفسه لكن قوما منهم ومن غيرهم
تسوروا داره فرماه بعض عبيده بالسهام فجرح بعضهم فقادت الضرورة الى
النزول والاحاطة به وتسرع اليه واحد منهم فقتله ثم ان ذلك القاتل قتل في
الوقت وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم وشرحنا فلا يلزم من فسق ذلك القاتل وعصيانه
ان يفسق الباقون لانهم ما انكروا الا المنكر واما القتل فلم يقع منهم ولا راموه ولا
ارادوه فجاز ان يقال انهم غضبوا لله وان يثني عليهم ويعدلهم ثم وصف الاشتر باوصاف

متعسفا

به ومثل

به ومثل قوله لا ينام ايام الخوف قولهم لا ينام ليلة يخاف ولا يشبع ليلة
يضاف وقال فانت بر جوش الفواد مبطنا سهرا اذا ما نام ليل الهوجل
لزامهم ان يطيعوه فيما يأمرهم مما يطابق الحق وهذا من شدة دينه
وصلابته لم يسامح نفسه في حق احب الخلق اليه ان يهمل هنا الفئة قال
رسول الله صلى الله عليه وآله لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقال
ابو حنيفة قال لي الربيع في دهليز المنصور ان امير المومنين يأمرني بالشيء
بعد الشيء من امور ملكه فانفذه وانا خائف على ديني فما تقول لي في ذلك
قال ولم يقل لي ذلك الا في ملاء من الناس فقلت له افيأمر امير المومنين بغير
الحق قال لا قلت فلا باس عليك ان تفعل بالحق قال ابو حنيفة فاراد ان يصطادني
فاصطدته والذي صدق بالحق في هذا المقام الحسن البصري قال له عمر بن هبيرة
امير العراق في خلافة يزيد بن عبد الملك في ملاء من الناس منهم الشعبي وابن
سيرين يا با سعيد ان امير المومنين يأمرني بالشيء اعلم ان في تنفيذه الهلكة
في الدين فما تقول لي في ذلك قال الحسن ماذا اقول ان الله مانعك من يزيد
ولن يمنعك يزيد من الله يا عمر خف الله واذكر يوما يأتيك تتمخض ليلته
عن القيمة انه سينزل عليك ملك من السماء فيحطك عن سريرك
الى قصرك ويضيرك من قصرك الى لحد فراشك ثم ينقلك عن فراشك
الى قبرك ثم لا يغني عنك الا عملك فقام عمر بن هبيرة باكيا يصطك اسنانه
قوله فانه سيف من سيوف الله هذا لقب خالد بن الوليد واختلف فيمن لقبه
به فقيل لقبه رسول الله صلى الله عليه وآله والصحيح انه لقبه به ابو بكر لقتاله
اهل الردة وقتله مسيلمة والظبة بالتخفيف حد السيف والثاني عن السيف

حكاية

والصحيح

الذي لا يقطع واصله نبا اي ارتفع فلما لم يقطع كان مرتفعا فسمي نابيا
وفي الكلام حذف تقديره والا فمضارب الضريبة ومضارب الضريبة هي حد
السيف فاما الضريبة نفسها فهي الشيء المضروب بالسيف وانما دخلته الهاء
وان كان بمعنى مفعول لانه صار في عداد الاسماء كالنطيحة والاكيلة
ثم امرهم بان يطيعوه في جميع ما يامرهم به من الاقدام والاحجام وقال انه لا يقدم
ولا يؤخر الا عن امري وهذا ان كان قاله مع انه قد فسح له ان يعمل برايه في
امور الحرب من غير مراجعته فهو عظيم جدا لانه يكون قد اقامه مقام نفسه
وجاز ان يقول انه لا يفعل شيئا الا عن امري وان كان لا يراجعه في الجزئيات
على عادة العرب في مثل ذلك لانهم يقولون فيمن يثقون به نحو ذلك وقد
ذهب كثير من الاصوليين الى ان الله تعالى قال لمحمد عليه السلام احكم بما شئت
في الشريعة فانك لا تحكم الا بالحق وانه كان يحكم من غير مراجعة لجبرئيل عليه
السلام وان كان تعالى قد قال في حقه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
وان كان امير المؤمنين قال هذا القول عن الاشتر لانه قد قرر معه بينه
وبينه ان لا يعمل شيئا قليلا او كثيرا الا بعد مراجعته يجوز ولكن هذا
بعيد لان المسافة طويلة بين العراق ومصر وكانت الامور هناك تقف
وتفسد ثم ذكر انه آثرهم على نفسه وهكذا قال عمر لما انفذ عبد الله بن
مسعود الى الكوفة في كتابه اليهم قد آثرتكم على نفسي وذلك ان عمر كان يستفتيه
في الاحكام وعلي كان يصول على الاعداء بالاشتر ويقوي انفس جيشه بمقامه
بينهم فلما بعثه الى مصر كان موثرا اهل مصر به **الاصل** ومن كتاب له
الى عمرو بن العاص فانك جعلت دينك تبعا لدنيا امرئ ظاهر غيه مهتوك

قد ذهب

يستفتيه

ستره

ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فاتبعت اثره وطلبت
فضله اتباع الكلب للضرغام يلوذ بمخالبه وينتظر ما يلقي اليه من فضل فريسته
فاذهبت دنياك وآخرتك ولو بالحق اخذت ادركت ما طلبت فان يمكني الله
منك ومن ابن ابي سفيان اجزكما بما قدمتما وان تعجزا او تبقيا فما امامكما
شر لكما والسلام **الشرح** كل ما قاله فيهما هو الحق الصريح بعينه لم يحمله بغضه
لهما وغيظه منهما الى ان بالغ في ذمهما به كما يبالغ الفصحاء عند سورة الغضب
وتدفق الالفاظ على الالسنة ولا ريب عند احد من العقلاء ذوي الانصاف
ان عمرا جعل دينه تبعا لدنيا معاوية وانه ما بايعه وتابعه الا على جعالة
جعلها له وضمان تكفل له بايصاله اليه وهي ولاية مصر مؤجلة وقطعة
وافرة من المال معجلة ولولديه وغلمانه ما ملأ اعينهم فاما قوله في معاوية
ظاهر غيه فلا ريب في ظهور ضلاله وبغيه وكل باغ غاو اما انه مهتوك
ستره فانه كان كثير الهزل والخلاعة صاحب جلساء وسمار ومعاوية
لم يتوقر ولم يلزم قانون الرياسة الا منذ خرج على امير المؤمنين واحتاج الى
الناموس والسكينة والا فقد كان في ايام عثمان شديد التهتك موسوما
بكل قبيح وكان في ايام عمر يستر نفسه قليلا خوفا منه الا انه كان يلبس الحرير
والديباج ويشرب في آنية الذهب والفضة ويركب البغلات ذوات السروج
المحلاة بها وعليها جلال الديباج والوشي وكان حينئذ شابا عنده نزق الصبا
واشر الشبيبة وسكر السلطان والامرة ونقل الناس عنه في كتب
السير انه كان يشرب الخمر في ستر وقيل انه لم يشرب ولا خلاف في انه سمع الغناء
وطرب عليه واعطى ووصل عليه ايضا وروى ابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني

ومعوية

قال قال عمرو بن العاص لمعوية في قدمة قدمها الى المدينة في ايام خلافته
قم بنا الى هذا الذي قد هدم شرفه وهتك ستره عبد الله بن جعفر نقف على
بابه فنسمع غناء جواريه فقاما ليلاً ومعهما وردان غلام عمرو فوقفا بباب
عبد الله بن جعفر فاستمعا الغناء واحس عبد الله بوقوفهما ففتح وعزم
على معوية ان يدخل فجلس على سرير عبد الله له وقدم عليه يسيراً من طعام
فاكل فلما انس قال يا امير المؤمنين الا تاذن لجواريك ان يتممن اصواتهن فانك
قطعتك عليهن قال فليقلن فرفعن اصواتهن وجعل معوية يتحرك قليلاً
قليلاً حتى ضرب برجله السرير ضرباً شديداً فقال عمرو قم ايها الرجل فان الذي
جئت لتلحاه او لتعجب من امره احسن حالاً منك فقال مهلاً فان الكريم طروب
اما قوله يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فالامر كذلك لانه لم يكن
في مجلسه الا شتم بني هاشم وقذفهم والتعرض بذكر الاسلام والطعن عليه
وان اظهره لانما انما البر واما طلب عمرو فضله واتباع اثره اتباع الكلب الاسد
فظاهر ولم يقل الثعلب غضاً من قدر عمرو وتشبيهاً له بما هو ابلغ في الاهانة والاستخفاف
ثم قال ولو بالحق اخذت ادركت ما طلبت اي لو قعدت عن نصره ولم تشخص اليه
ماليا له على الحق لوصل اليك من بيت المال قدر كفايتك الا ان القايل ان يقول
ان عمراً ما كان يطلب قدر الكفاية وعلي ما كان يعطيه الا حقه فقط ولم يعطيه
بلداً ولا طرفاً من الاطراف والذي كان يطلب ملك مصر لانه فتحها ايام عمر ووليها
برهة وكانت حسرة في قلبه وحزازة في صدره فباع اخرته بها فالاولى ان يقال
معناه لو اخذت بالحق ادركت ما طلبت من الاخرة فان قلت ان عمراً لم يكن
يعتقد انه من اهل الاخرة فكيف يكون له هذا الكلام قلت لا خلل ولا زلل

ضرب

في كلامه

في كلامه لانه لو اخذ بالحق لكان معتقداً كون علي على الحق فذلك اخذ به
وتابعه ويلزم من كونه معتقداً كون علي على الحق اعتقاد صحة نبوة رسول الله
صلى الله عليه وآله وصحة التوحيد فيصير تقدير الكلام لو بايعتني معتقد
اللزوم بيعتي لك لكنت في ضمن ذلك طالباً الثواب فكنت تدركه في الاخرة
ثم قال معدداً لها ومتوعداً اياهما فان يمكن الله منك ومن ابن ابي سفيان
واقول لو ظفر بهما لما كان في غالب ظني يقتلهما فانه كان حليماً كريماً ولكن كان
يحبسهما ليحسم بحبسهما مادة فسادهما ثم قال وان تعجزا او تبقيا اي وان لم استطع
اخذكما والظفر بكما او امت قبل ذلك وبقيتما بعدي فما امامكما شر لكما من عقوبة
الدنيا لان عذاب الدنيا منقطع وعذاب الاخرة غير منقطع وذكر نصر بن مزاحم في
كتاب صفين هذا الكتاب بزيادة لم يذكرها الرضي قال نصر وكتب علي الى
عمرو بن العاص من عبد الله علي امير المؤمنين الى الابتر ابن الابتر عمرو بن العاص
بن وايل شانئ محمد في الجاهلية والاسلام سلام على من اتبع الهدى اما بعد
فانك تركت مروتك لامرء فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه
الحليم بخلطته فصار قلبك لقلبه تبعاً كما قيل وافق شن طبقه فسلبك
دينك وامانتك ودنياك وآخرتك وكان علم الله بالغاً فيك فصرت كالذيب
يتبع الضرغام اذا ما الليل دجا او الصبح اتى تلتمس فاضل سورة وحوايا فريسته ولكن
لا نجاة من القدر ولو بالحق اخذت لادركت ما رجوت وقد رشد من كان الحق
قايده فان يمكن الله منك ومن ابن اكلة الاكباد الحقتكما بمن قتله الله من ظلمة
قريش على عهد رسوله عليه السلام وان تعجزا او تبقيا بعدي فالله حسبكما
وكفى بانتقامه انتقاماً وبعقابه عقاباً والسلام الاصل ومن كتاب له

واقول

الى بعض عماله اما بعد فقد بلغني عنك امر ان كنت فعلته فقد اسخطت
ربك وعصيت امامك واخزيت امانتك بلغني انك جردت الارض فاخذت
ما تحت قدميك واكلت ما تحت يديك فارفع الي حسابك واعلم ان حساب
الله اعظم من حساب الناس والسلام **الشرح** اخزيت امانتك اذللتها
واهنتها وجردت الارض قشرتها والمعنى انه ينسبه الى الخيانة في المال والى
اخراب الضياع وفي حكمة ابرويز انه قال للخازن انني لا اعذرك
على خيانة درهم ولا احمدك على حفظ عشرة الاف الف درهم لانك انما
تحقن بذلك دمك وتعمر به امانتك فانك ان خنت قليلا خنت كثيرا واحترس من خصلتين
من النقصان فيما تاخذ ومن الزيادة فيما تعطي واعلم اني لم اجعلك على ذخائر
الملك وعمارة المملكة والعدة على العدو الا وانت آمن عندي من الموضع الذي
هي فيه ومن خواتيمها التي هي عليها فحقق ظني في اختياري اياك احقق
ظنك في رجائك لي ولا تتعوض بخير شرا ولا برفعة ضعة ولا بسلامة
ندامة ولا بامانة خيانة وفي الحديث المرفوع من ولي لنا عملا فليتزوج امرأة
وليتخذ مسكنا ومركبا وخادما فمن اتخذ سوى ذلك كنزا جاء يوم
القيامة غالا سارقا وقال عمر في وصيته لابن مسعود اياك والهدية وليست
بحرام ولكني اخاف عليك الدالة واهدى رجل لعمر فخذ جزور فقبله ثم
ارتفع اليه بعد ايام مع خصم له فجعل في اثناء الكلام يقول يا امير المؤمنين
افصل القضاء بيني وبينه كما يفصل فخذ الجزور فقضى عمر عليه ثم قام فخطب
الناس وحرم الهدايا على الولاة والقضاة واهدى انسان للمغيرة سراجا
من شبه واهدى آخر اليه بغلا ثم انه تقدما خصومة في امر فترافعا اليه

فجعل

فجعل صاحب السراج يقول ان امري اضوأ من السراج فلما اكثر قال المغيرة ويحك
ان البغل يرمح السراج فكسرها وقرع عمر بناء بني بآجر وجص لبعض عماله فقال
ابت الدراهم الا ان تخرج اعناقها وروي هذا الكلام عن علي وكان عمر يقول لي
على كل عامل امينان الماء والطين ولما قدم ابو هريرة من البحرين قال له عمر يا
عدو الله وعدو كتابه اسرقت مال الله تعالى قال ابو هريرة لست بعدو الله ولا
عدو كتابه ولكني عدو من عاداهما ولم اسرق مال الله فضربه بجريدة
على راسه ثم ثناه بالدرة واغرمه عشرة الاف درهم ثم احضره فقال يا ابا
هريرة من اين لك عشرة الاف درهم قال خيلي تناسلت وعطائي تلاحق
وسهامي تتابعت فقال عمر كلا والله ثم تركه اياما ثم قال له الا تعمل قال لا قال
قد عمل من هو خير منك يا ابا هريرة قال من هو قال يوسف الصديق فقال
ابو هريرة ان يوسف عمل لمن لم يضرب راسه وظهره ولا شتم عرضه ولا نزع
ماله لا والله لا اعمل لكما ابدا وكان زياد اذا ولى رجلا قال له خذ عهدك وسر
الى عملك واعلم انك محاسب راس سنتك وانك ستصير الى اربع خصال فاختر
لنفسك انا ان وجدناك امينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلمتك
من معرتنا امانتك وان وجدناك خائنا قويا استعنا بقوتك واحسنا
ادبك على خيانتك واوجعنا ظهرك واثقلنا غرمك وان جمعت علينا الجرمين
جمعنا عليك المضرتين وان وجدناك امينا قويا زدنا رزقك ورفعنا ذكرك
وكثرنا مالك واوطأنا الرجال عقبك ووصف اعرابي عاملا خائنا فقال الناس
ياكلون اماناتهم لقما وهو يحسوها حسوا وقال الانس بن ابي الدؤلي لحارثة بن بدر
الغداني وقد ولي سرق ويقال انها لابي الاسود احار بن بدر قد وليت ولاية فكن جرذا

فضربه

فيها يحون وتشرق ، ولا تحقرن يا جار شيئا اصبته ، تخطف من ملك العراقين مسرق
وباه عيما بالعفى ان العنى ، لستا نابل المرا الصبوبه ينطق ، فان جميع الناس اما مكذب
يقول بما تهوى واما مصدق ، يقولون اقوالا ولا يتقنونها ، وان قيل هاتوا حققوا
لم يحققوا ، فيقال انها بلغت حارثة بن بدر ، فقال اصاب الله بك الرشاد
فلم يعد باشارته ما في نفسي **الاصل** ومن كتاب له الى بعض عماله اما بعد فاني
كنت اشركتك في امانتي وجعلتك شعاري وبطانتي ولم يكن في اهلي اوثق منك
في نفسي لمواساتي وموازرتي واداء الامانة الي فلما رايت الزمان على ابن عمك قد كلب
والعدو قد حرب وامانة الناس قد خزيت وهذه الامة قد فنكت وشغرت
قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين وخنته مع الخائنين
فلا ابن عمك آسيت ولا الامانة اديت وكانك لم تكن الله تريد بجهادك وكانك
لم تكن على بينة من ربك وكانك انما كنت تكيد هذه الامة عن دنياهم وتنوي
غرتهم عن فيئهم فلما امكنتك الشدة في خيانة الامة اسرعت الكرة وعاجلت الوثبة
واختطفت ما قدرت عليه من اموالهم المصونة لاراملهم وايتامهم اختطاف الذئب
الازل دامية المعزى الكسيرة فحملته الى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متاثم من اخذه
كانك لا ابا لغيرك حدرت على اهلك تراثك من ابيك وامك فسبحان الله اما
تؤمن بالمعاد اوما تخاف نقاش الحساب ايها المعدود كان عندنا من ذوي الالباب
كيف تسيغ شرابا وطعاما وانت تعلم انك تاكل حراما وتبتاع الاماء وتنكح النساء من
مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين افاء الله عليهم هذه الاموال
واحرز بهم هذه البلاد فاتق الله واردد الى هؤلاء القوم اموالهم فانك ان لم تفعل ثم
امكنني الله منك لاعذرن الى الله فيك ولاضربنك بسيفي الذي ما ضربت به احدا الا

دخل

دخل النار ووالله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي
هوادة ولا ظفرا مني بارادة حتى آخذ الحق منهما وازيح الباطل عن مظلمتهما واقسم بالله
رب العالمين ما يسرني ان ما اخذته من اموالهم حلال لي اتركه ميراثا لمن بعدي فضح
رويدا فكانك قد بلغت المدى ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك اعمالك بالمحل
الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة ويتمنى المضيع فيه الرجعة ولات حين مناص
اشركتك في امانتي جعلتك شريكي فيما قمت به من الامر وائتمنني الله عليه من سياسة
الامة وسمى الخلافة امانة كما سمى الله تعالى التكليف امانة في قوله انا عرضنا الامانة
فاما قوله واداء الامانة الي فامر آخر ومراده بالامانة الثانية ما يتعارفه الناس
من قولهم فلان ذو امانة اي لا يخون فيما اسند اليه وكلب الزمان اشتد وكذلك كلب البرد
وحرب العدو استاسد وخزيت امانة الناس ذلت وهانت وشغرت الامة خلت من
الخير وشغر البلد خلا من الناس وقلبت له ظهر المجن اذا كنت معه فصرت عليه واصل
ذلك ان الجيش اذا لقوا العدو كانت ظهور مجانهم الى وجه العدو وبطون مجانهم الى جهة
عسكرهم فاذا فارقوا رئيسهم وصاروا مع العدو صارت ظهور مجانهم الى رئيسهم
بدلا من الوضع الذي كان من قبل وذلك لان ظهور الترسة لا يمكن ان يكون الا في وجوه الاعداء
لانها مرمى سهامهم وامكنتك الشدة اي الحملة **قوله** اسرعت الكرة لا يجيء يقال الكرة الا
بعد فرة فكانه لما كان مقلعا في ابتداء الحال عن التعرض باموالهم كان كالفار عنها
فلذلك قال اسرعت الكرة والذئب الازل الخفيف الوركين وذاك اشد لعدوه واسرع
لوثبته وان اتفق ان تكون شاة من المعزى كسيرة ودامية ايضا كان الذئب على اختطافها
اقدر ونقاش الحساب مناقشته قوله فضح رويدا كلمة يقال لمن يؤمر بالتؤدة والاناة والسكينة
واصلها الرجل يطعم ابله ضحى ويسيرها مسرعا فلا يشبعها فيقال له ضح رويدا وقد اختلف

بل المراد بالامانة في هذه الآية ايضا الخلافة كما في احاديث اهل البيت عليهم السلام

معنى قولهم قلب ظهر المجن

عبد الله بن العباس

الناس في المكتوب اليه هذا الكتاب فقال الاكثرون انه عبد الله بن العباس ورووا في
ذلك روايات واستدلوا عليه بالفاظ من الفاظ الكتاب كقوله اشركتك في امانتي
وجعلتك بطانتي وشعاري وانه لم يكن في اهلي رجل اوثق منك وقوله على ابن عمك
قد كلب ثم قال ثانيا قلبت لابن عمك ظهر المجن ثم قال ثالثا فلا ابن عمك آسيت وقوله
لا ابا لغيرك وهذه الكلمة لا يقال الا لمثله فاما غيره من افناء الناس فان عليا كان يقول
لا اباك وقوله ايها المعدود كان عندنا من اولي الالباب وقوله والله لو ان الحسن والحسين
وهذا يدل على ان المكتوب اليه هذا الكتاب قريب من ان يجري مجراهما عنده وقد روى ارباب
هذا القول ان عبد الله بن عباس كتب الى علي جوابا عن هذا الكتاب قالوا وكان جوابه اما
بعد فقد اتاني كتابك تعظم علي ما اصبت من بيت مال البصرة ولعمري ان حقي في بيت المال
لاكثر مما اخذت والسلام قالوا فكتب اليه علي اما بعد فان العجب لتزيين لك نفسك ان لك في
بيت مال المسلمين من الحق اكثر مما لرجل من المسلمين فقد افلحت ان كان تمنيك الباطل
وادعاؤك ما لا يكون ينجيك من المآثم ويحل لك المحرم انك لانت المهتدي السعيد اذا
وقد بلغني انك اتخذت مكة وطنا وضربت بها عطنا تشتري بها مولدات مكة والمدينة
والطائف تختارهن على عينك وتعطي فيهن مال غيرك فارجع هداك الله الى رشدك وتب
الى الله ربك واخرج الى المسلمين من اموالهم فعما قليل تفارق من الفت وتترك ما جمعت وتغيب
في صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد فارقت الاحباب وسكنت التراب وواجهت
الحساب غنيا عما خلفت فقيرا الى ما قدمت والسلام قالوا فكتب اليه ابن عباس اما بعد فانك
قد اكثرت علي ووالله لان القى الله قد احتويت على كنوز الارض كلها وذهبها وعقيانها
ولجينها احب الي من ان القاه بدم امرئ مسلم والسلام وقال آخرون وهم الاقلون هذا لم يكن ولا
فارق عبد الله بن عباس عليا ولا باينه ولا خالفه ولم يزل اميرا على البصرة الى ان قتل علي قالوا

ويدل

ويدل على ذلك ما رواه ابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني من كتابه الذي كتبه الى معوية
من البصرة لما قتل علي وقد ذكرناه من قبل قالوا وكيف يكون ذلك ولم يخدعه معوية ويجره
الى جهته فقد علمتم كيف اختدع كثيرا من عمال امير المؤمنين واستمالهم اليه بالاموال فمالوا اليه
امير المؤمنين فما باله وقد علم النبوة التي حدثت بينهما لم يستمل ابن عباس ولا اجتذبه الى نفسه
وكل من قرأ السير وعرف التواريخ يعرف مشاقة ابن عباس لمعاوية بعد وفاة علي وما كان يلقاه
به من قوارع الكلام وشديد الخصام وما كان يثني به على امير المؤمنين ويذكر خصائصه
وفضائله ويصدع به من مناقبه ومآثره فلو كان بينهما غبار او كدر لما كان الامر كذلك بل
كانت الحال تكون بالضد مما اشتهر من امرهما وهذا عندي هو الامثل والاصوب وقد قال
الراوندي المكتوب اليه هذا الكتاب هو عبيد الله بن العباس لا عبد الله وليس ذلك بصحيح
فان عبيد الله كان عامل علي على اليمن وقد ذكرنا قصته مع بسر بن ارطاة فيما تقدم ولم ينقل عنه انه
اخذ مالا ولا فارق طاعة وقد اشكل علي امر هذا الكتاب فان انا كذبت النقل وقلت هذا
كلام موضوع على امير المؤمنين خالفت الرواة فانهم قد اطبقوا على رواية هذا الكلام
عنه وقد ذكر في اكثر كتب السيرة وان صرفته الى عبد الله بن عباس صدني عنه
ما اعلم من ملازمته لطاعة امير المؤمنين في حياته وبعد مماته وان صرفته الى غيره لم
اعلم الى من اصرفه من اهل امير المؤمنين والكلام يشعر بان الرجل المخاطب من اهله وبني
عمه فانا في هذا الموضع من المتوقفين **الاصل** ومن كتاب له الى عمر بن ابي سلمة
المخزومي وكان عامله على البحرين فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي مكانه
اما بعد فاني قد وليت النعمان بن عجلان الزرقي على البحرين ونزعت يدك بلا ذم
لك ولا تثريب عليك فلقد احسنت الولاية واديت الامانة فاقبل غير ظنين ولا ملوم ولا
متهم ولا مأثوم فقد اردت المسير الى ظلمة اهل الشام واحببت ان تشهد معي فانك

والاصوب

اشكل علي

ممن استظهرت به على جهاد العدو واقامة عمود الدين ان شاء الله **الشرح** اما
عمر بن ابي سلمة فهو ربيب رسول الله صلى الله عليه امه ام سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه
امه ام سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وابوه ابو سلمة بن عبد الاسد بن هلال
بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة يكنى ابا حفص ولد في السنة الثانية من الهجرة بارض
الحبشة وقيل انه كان يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن تسع سنين وتوفي
بالمدينة في خلافة عبد الملك سنة ثلاث وثمانين وقد حفظ عن رسول الله صلى الله عليه
وآله الحديث وروى عنه سعيد بن المسيب وغيره ذكر ذلك كله ابن عبد البر في الاستيعاب
واما النعمان بن عجلان الزرقي فمن الانصار ثم من بني زريق وهو الذي خلف على
خولة زوجة حمزة بن عبد المطلب بعد قتله قال ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب
كان النعمان هذا لسان الانصار وشاعرهم وكان احمر قصيرا ازرق العينين الا انه كان
سيدا وهو القائل يوم السقيفة وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم * عتيق بن عثمان
حلال ابا بكر واهل ابو بكر لها خير قائم * وان عليا كان اخلق بالامر * وان هوانا في علي
وانه * لاهل لها من حيث يدري ولا يدري * ولا تربت عليك فالتثريب الاستقصاء
في اللوم ويقال ثربت عليه وعربت عليه اذا قبحت عليه فعله والظنين المتهم والظنة
التهمة والجمع الظنن يقول قد اظن زيد عمرا والالف الف وصل والظاء مشددة
والنون مشددة ايضا وجاء بالطاء المهملة ايضا اي اتهمه وفي حديث ابن سيرين
لم يكن علي يظن في قتل عثمان الحرفان مشددان وهو يفتعل من تظنن فادغم
قال الشاعر وما كل من يظنني انا معتب * وما كل ما يروى علي اقول **الاصل** ومن كتاب له
الى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على اردشير خره بلغني عنك امر ان كنت فعلته
فقد اسخطت الهك واغضبت امامك انك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم

خيولهم واريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك من اعراب قومك فوالذي فلق الحبة
وبرأ النسمة لئن كان ذلك حقا لتجدن لك علي هوانا ولتخفن عندي ميزانا
فلا تستهن بحق ربك ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الاخسرين اعمالا
الا وان حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء يردون عليه
ويصدرون عنه **الشرح** قد تقدم ذكر نسب مصقلة بن هبيرة واردشير خره
كورة من كور فارس واعتامك اختارك من بين الناس اصله من العيمة بالكسر وهي
خيار المال اعتام المصدق اذا اخذ العيمة وقد روي فيمن اعتماك بالقلب والصحيح
المشهور الاول وروي ولتجدن بك عندي هوانا بالباء ومعناها اللام او لتجدن بسبب
فعلك هوانك عندي والباء ترد للسببية كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم والمحق الاهلاك والمعنى انه نهى مصقلة عن ان يقسم الفيء
على اعراب قومه الذين اتخذوه سيدا ورئيسا ويحرم المسلمين الذين حازوه بانفسهم
وسلاحهم وهذا هو الامر الذي كان ينكر على عثمان وهو ايثار اهله واقاربه بمال
الفيء وقد سبق شرح مثل ذلك **الاصل** ومن كتاب له الى زياد بن ابيه وقد بلغه
ان معاوية كتب اليه يريد خديعته باستلحاقه وقد عرفت ان معاوية كتب اليك يستزل
لبك ويستفل غربك فاحذره فانما هو الشيطان ياتي المرء من بين يديه ومن خلفه
وعن يمينه وعن شماله ليقتحم غفلته ويستلب غرته وقد كان من ابي سفيان في
زمن عمر بن الخطاب فلتة من حديث النفس ونزغة من نزغات الشيطان لا يثبت
بها نسب ولا يستحق بها ارث والمتعلق بها كالواغل المدفع والنوط المذبذب فلما
قرأ زياد الكتاب قال شهد بها ورب الكعبة ولم يزل في نفسه حتى ادعاه معاوية
الشرح يستزل لبك يطلب زللـه وخطأه اي يحاول ان تزل واللب العقل

ويستقبل عزمك يحاول ان يفل حدك اى عزمك وهذا من باب المجاز ثم امره ان
يحذرهم وقال انه يعني معوية كالشيطان يأتي المرء من كذا ومن كذا وهذا ماخوذ من قول
الله تعالى ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد
اكثرهم شاكرين قالوا في تفسيره من بين ايديهم يطمعهم في العفو ويغريهم بالعصيان
ومن خلفهم تذكرهم بمخلفهم ويحسن لهم جمع المال وتركه لهم وعن ايمانهم يحبب اليهم
الرياسة والثناء وعن شمائلهم يحبب اليهم اللهو واللذات وقال شقيق البلخي ما من
صباح الا قعد الشيطان اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن
شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرا فاني لغفار لمن
تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرا وما
من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني من جهة الثناء
فاقرا والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرا وحيل بينهم
وبين ما يشتهون فان قلت لم يقل ومن فوقهم ومن تحتهم قلت لان جهة فوق جهة
نزول الرحمة ومستقر الملائكة ومكان العرش والانوار الشريفة فلا سبيل اليها واما
جهة تحت فلان الاتيان منها يوحش وينفر عنه لانها الجهة المعروفة بالشياطين
فعدل عنها الا ما هو ادعى الى قبول وساوسه واضاليله وقد فسر قوم المعنى
الاول فقالوا من بين ايديهم من جهة الدنيا ومن خلفهم جهة الآخرة
وعن ايمانهم الحسنات وعن شمائلهم السيئات اى يحثهم على طلب الدنيا
ويؤيسهم من الآخرة ويثبطهم عن الحسنات ويغريهم بالسيئات
قوله ليقتحم غفلته اى ليلج ويهجم عليه وهو غافل جعل اقتحامه
اياه اقتحاما للغرة نفسها لما كانت غالبة وليستلب غرته ليس المعنى باستلابه

حكمة

للغرة

الغرة ان ياخذها بل يغتنمها لانه لو كان كذلك لكان ضد ذلك الغافل للغرة فا
قدا للغفلة والغرة فكان يكون لبيبا فطنا فلا يبقى له سبيل عليه وانما المعنى
بقوله ويستلب غرته ما يعنيه الناس بقولهم اخذ فلان غفلة وفعل كذا ومعنى
اخذها هنا اخذ ما يستدل على غفلته وقلته امر وقع من غير تثبت ولا روية
ونزعة كلمة فاسدة من نزعات الشيطان اى حركاته القبيحة التي يستفسد بها
المكلفين لا يثبت بها نسب ولا يستحق بها ارث لان المقر بالزنا لا يلحقه النسب ولا
يرثه المولود لقوله صلى الله عليه الولد للفراش وللعاهر الحجر فاما زياد فهو زياد
بن عبيد فمن الناس من يقول عبيد بن فلان وينسبه الى ثقيف والاكثرون يقولون
ان عبيدا كان عبدا وانه بقي الى ايام زياد فابتاعه واعتقه وسنذكر ما ورد في ذلك
ونسبة زياد الى غير ابيه لخمول ابيه والدعوة التي استلحق بها فقيل تارة زياد بن
سمية وهي امه وكانت امة للحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي طبيب العرب وكانت
تحت عبيد وقيل تارة زياد بن ابيه وقيل تارة زياد بن امه ولما استلحق قال له اكثر
الناس زياد بن ابي سفيان لان الناس مع الملوك الذين هم مظنة الرهبة والرغبة وليس اتباع
الدين بالنسبة الى اتباع الملوك الا كالقطرة في البحر المحيط فاما ما كان يدعى به قبل
الاستلحاق فزياد بن عبيد لا يشك في ذلك احد وروى ابو عمر ابن عبد البر في كتاب
الاستيعاب عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن ابيه عن ابي صالح عن ابن عباس
ان عمر بعث زيادا في اصلاح فساد وقع باليمن فلما رجع من وجهه خطب عند عمر خطبة
لم يسمع مثلها وابو سفيان حاضر وعلي وعمرو بن العاص فقال عمرو بن العاص لله ابو هذا
الغلام لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه فقال ابو سفيان انه لقرشي واني لاعرف الذي
وضعه في رحم امه فقال علي ومن هو قال انا فقال مهلا يا ابا سفيان اما والله لولا خوف

لشاق العرب بعصاه فقال علي وانه لقريشي ولكني لاعرف الذي وضعه في رحم امه
فقال علي ومن هو قال انا فقال مهلاً يا ابا سفيان اما والله لولا خوف شخص يراني يا علي
من الاعادي لاظهر امره صخر بن حرب ولم يخف المقالة في زياد وقد طالت مجاملتي
ثقيفا وتركت فيهم ثمر الفؤاد عني بقوله لولا خوف شخص عمر بن الخطاب وروى احمد بن يحيى
البلاذري قال تكلم زياد وهو غلام حدث بحضرة عمر كلاما اعجب الحاضرين فقال عمرو بن العاص
لله ابوه لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه فقال ابو سفيان اما والله انه لقريشي ولو عرفته
لعرفت انه من خير اهلك فقال ومن ابوه قال انا والله وضعته في رحم امه فقال فهلا تستلحقه
قال اخاف هذا العير الجالس ان يخرق علي اهابي وروى محمد بن عمر الواقدي قال قال ابو
سفيان وهو جالس عند عمر وعلي هناك وقد تكلم زياد فاحسن انت المنافية الآن تنظر في
سائل زياد فقال علي من اي بني عبد مناف هو قال ابني قال كيف قال اتيت امه في
الجاهلية سفاحا فقال علي مه يا ابا سفيان فان عمر الى المساءة سريع قال فعرف زياد ما دار
بينهما فكانت في نفسه وروى علي بن محمد المدائني قال لما كان زمن علي ولي زياد
فارس او بعض اعمال فارس فضبطها ضبطا صالحا وجبا خراجها وحماها وعرف ذلك
معوية فكتب اليه اما بعد فانه غرتك قلاع تاوي اليها ليلا كما تاوي الطير الى وكرها
وايم الله لولا انتظاري بك ما الله اعلم به لكان لك مني ما قاله العبد الصالح فلنأتينهم
بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون وكتب في اسفل الكتاب شعرا
من جملته ۷ فلما ورد الكتاب على زياد قام فخطب الناس وقال العجب من ابن آكلة
الاكباد ورأس النفاق يتهددني وبيني وبينه ابن عم رسول الله وزوج سيدة
نساء العالمين وابو السبطين وصاحب اللواء والمنزلة والاخاء في مائة الف
من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان اما والله لو تخطى هؤلاء اجمعين الي

تنسى اباك وقد شالت نعامته
اذ يخطب الناس والوالي عم

لوجد في احمر مخشيا ضرابا للسيف ثم كتب الى علي وبعث بكتاب معوية في كتابه
فكتب اليه علي اما بعد فاني قد وليتك ما وليتك وانا اراك لذلك اهلا وانه
قد كانت من ابي سفيان فلتة في ايام عمر من اماني الباطل وكذب النفس لم تستوجب
بها ميراثا ولم تستحق بها نسبا وان معوية كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه
ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذره ثم احذره والسلام وروى ابو
جعفر محمد بن حبيب قال كان علي قد ولى زيادا قلعة من اعمال فارس واصطنعه
لنفسه فلما قتل علي بقي زياد على عمله وخاف معوية جانبه وعلم صعوبة ناحيته
واشفق من ممالاته الحسن بن علي فكتب من امير المؤمنين معوية بن ابي سفيان الى
زياد بن عبيد اما بعد فانك عبد قد كفرت النعمة واستدعيت النقمة ولقد كان
الشكر اولى بك من الكفر وان الشجرة لتضرب بعرقها وتتفرع من اصلها انك
لا ام لك بل لا اب لك قد هلكت واهلكت اظننت انك تخرج من قبضتي ولا ينالك
سلطاني هيهات ما كل ذي لب يصيب رايه ولا كل ذي راي ينصح في مشورته
امس عبد واليوم امير خطة ما ارتقاها مثلك يا ابن سمية فاذا اتاك كتابي
هذا فخذ الناس بالطاعة والبيعة واسرع الاجابة فانك تفعل فدمك حقنت
ونفسك تداركت والا اختطفتك باضعف ريش ونلتك باهون سعي
واقسم قسما مبرورا الا اوتى بك الا في زمارة تمشي حافيا من ارض فارس الى ارض
الشام حتى اقيمك في السوق وابيعك عبدا واردك الى حيث كنت فيه وخرجت
منه والسلام فلما ورد الكتاب على زياد غضب غضبا شديدا وجمع الناس وصعد المنبر
فحمد الله ثم قال ابن آكلة الاكباد وقاتلة اسد الله ومظهر الخلاف ومسر النفاق
ورئيس الاحزاب ومن انفق ماله في اطفاء نور الله الي يرعد ويبرق عن سحابة

جفل لاماء فيها وعما قليل تصيرها الرياح قزعا والذي يدلني على ضعفه تعلقه
قبيل القدرة اني اشفاق على بنيه و بعلته كلا ولكن ذهب الى غير مذهب فتقعقع
لمن رقى بين صولحق تهامة كيف ارهبه وبيني وبينه ابن بنت رسول الله
صلى الله عليه وآله وابن ابن عمه في مائة الف من المهاجرين والانصار والله
لو اذن لي فيه او ندبني اليه لاريته الكواكب نهارا ولاسعطته ماء الخردل
دونه الكلام اليوم والجمع غدا والمشورة بعد ذلك ان شاء الله ثم نزل وكتب
الى معوية اما بعد فقد وصل كتابك يا معوية وفهمت ما فيه فوجدتك
كالغريق يغطيه الموج فيتشبث بالطحلب ويتعلق بارجل الضفادع
طمعا في الحيوة انما يكفر النعم ويستدعي النقم من حاد الله ورسوله
وسعى في الارض فسادا فاما سبك لي فلولا حلم ينهاني عنك وخوفي ان
ادعى سفيها لاثرت لك مخازي لا يغسلها الماء واما تعييرك لي بسمية فان
كنت ابن سمية فانت ابن جماعة واما زعمك انك تخطفني باضعف ريش
وتتناولني باهون سعي فهل رايت بازيا يفزعه صغير القنابر ام هل سمعت
اكله خروف فامض الآن لطيتك واجهد جهدك فلست انزل الا بحيث
تكره ولا اجتهد الا فيما يسوؤك وستعلم اينا الخاضع لصاحبه الطالب اليه
والسلام فلما ورد كتاب زياد على معوية غمه واحزنه وبعث الى المغيرة
بن شعبة فخلا به وقال يا مغيرة اني اريد مشاورتك في امر اهمني فانصحني
فيه واشر علي براي المجتهد وكن لي اكن لك فقد خصصتك بسري
وآثرتك على ولدي قال المغيرة وما ذاك فوالله لتجدني في طاعتك امضى
من الماء في حدوره ومن ذي رونق في كف البطل الشجاع قال يا مغيرة ان زيادا

قد اقام

قد اقام بفارس يكش لنا كشيش الافاعي وهو رجل ثاقب الراي ماضي العزيمة جوال
الفكر مصيب اذا رمى وقد خفت منه الآن ما كنت آمنه اذ كان صاحبه حيا واخشى
ممالاته حسنا فكيف السبيل اليه وما الحيلة في اصلاح رايه قال المغيرة انا له ان
زيادا رجل يحب الشرف والذكر وصعود المنابر فلو لاطفته المسئلة والنت له الكتاب
فكان اليك اميل وبك اوثق فاكتب اليه وانا الرسول فكتب معوية اليه من امير المؤمنين
معوية بن ابي سفيان الى زياد بن ابي سفيان اما بعد فان المرء ربما طرحه الهوى
في مطارح العطب وانك للمرء المضروب به المثل قاطع الرحم وواصل العدو وحملك
سوء ظنك بي وبغضك لي على ان عققت قرابتي وقطعت رحمي وبتت نسبي وحرمتي
حتى كانك لست اخي وليس صخر بن حرب اباك وابي وشتان بيني وبينك اطلب بدم ابن
ابي العاص وانت تقاتلني ولكن ادركك عرق الرخاوة من قبل النساء فكنت كتاركة بيضها
بالعراء وملحفة بيض اخرى جناحها وقد رايت ان اعطف عليك ولا اخذك بسوء سعيك
وان اصل رحمك وابتغي الثواب في امرك فاعلم ابا المغيرة انك لو خضت البحر في طاعة القوم
لتضرب بالسيف حتى ينقطع متنه لما ازددت منهم الا بعدا فان بني عبد شمس ابغض الى بني هاشم
من الشفرة الى الثور الصريع وقد اوثق للذبح فارجع رحمك الله الى اصلك واتصل
بقومك ولا تكن كالموصول بريش غيره فقد اصبحت ضال النسب ولعمري ما فعل ذلك بك الا
اللجاج فدعه عنك فقد اصبحت على بينة من امرك ووضوح من حجتك فان احببت جانبي
ووثقت بي فامرة بامرة وان كرهت جانبي ولم تثق بقولي ففعل جميل لا علي ولا لي والسلام
فرحل المغيرة بالكتاب حتى قدم فارس فلما رآه زياد قربه وادناه ولطف به فدفع اليه
الكتاب فجعل يتأمله ويضحك فلما فرغ من قراءته وضعه تحت قدمه ثم قال حسبك
يا مغيرة فاني اطلع على ما في ضميرك وقد قدمت من سفرة بعيدة فقم وارح ركابك

قال اجل فدفع عنك اللجاج يرحمك الله وارجع الى قومك وصل اخاك وانظر لنفسك
ولا تقطع رحمك الله قال زياد انى رجل صاحب اناة ولى فى امرى روية ولا تعجل على ولا
تبدأنى حتى ابداك ثم جمع الناس بعد يومين او ثلاثة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال
ايها الناس ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم وارغبوا الى الله فى دوام العافية لكم فقد
نظرت فى امور الناس منذ قتل عثمن وفكرت فيهم فوجدتهم كالاضاحى فى كل عيد يذبحون
ولقد افنى هذان اليومان يوم الجمل وصفين ما ينيف على مائة الف كلهم يزعم انه طالب
حق وتابع امام وعلى بصيرة من امره فان كان الامر هكذا فالقاتل والمقتول فى الجنة
كلا ليس كذلك ولكن اشكل الامر والتبس على القوم وانى لخائف ان يرجع الامر كما بدا
فكيف لامرء بسلامة دينه وقد نظرت فى امر الناس فوجدت احمد العاقبتين العافية
وسأعمل فى اموركم ما تحمدون عاقبته ومغبته فقد حمدت طاعتكم ان شاء الله
ثم نزل وكتب جواب الكتاب اما بعد فقد وصل كتابك يا معوية مع المغيرة بن شعبة
وفهمت ما فيه فالحمد لله الذى عرفك الحق وردك الى الصلة ولست ممن يجهل معروفا
ولا يغفل حسبا ولو اردت ان اجيبك بما اوجبته الحجة واحتمله الجواب لطال الكتاب
وكثر الخطاب ولكنك ان كنت كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح ونية حسنة واردت بذلك
برا فستزرع فى قلبى مودة وقبولا وان كنت انما اردت مكيدة ومكرا وفساد نية
فان النفس تأبى ما فيه العطب [الخطب] ولقد قمت يوم قرأت كتابك مقاما يعبأ به
المدرة فتركت من حضر لا اهل ورد ولا صدر كالمتحيرين بمهمه ضل بهم الدليل وانا
على امثال ذلك قدير وكتب فى اسفل الكتاب اذا معشرى لم ينصفونى وجدتنى ادافع
عن الضيم ما دمت باقيا وكم معشر اعيت قناتى عليهم ° فلانوا والفوا لى الد [illegible]
وهم بمنافث صدوره رجت ° وكنت بطيئا للرجال مدافعا ° ادافع بالحلم الجهول مكيدة

واخفى

واخفى له تحت العضاه الدواهيا ° فان تدن منى ادن منك وان تبن تجدنى
اذا لم يدن منى نائيا ° فاعطاه معوية جميع ما سأله وكتب اليه بخطه ما وثق به فدخل
اليه الشام فقربه وادناه واقره على ولايته ثم استعمله على العراق وروى على بن محمد المدائنى
قال لما اراد معوية استلحاق زياد وقد قدم عليه الشام جمع الناس وصعد المنبر واصعد زيادا
معه فاجلسه بين يديه على المرقاة التى تحت مرقاته وحمد الله واثنى عليه ثم قال انى قد عرفت
شبهنا اهل البيت فى زياد فمن كان عنده شهادة فليقم بها فقام ناس فشهدوا انه ابن ابى سفيان
وانهم سمعوا اقراره قبل موته فقام ابو مريم السلولى وكان خمارا فى الجاهلية فقال اشهد يا
امير المؤمنين ان ابا سفيان من قد عرفت شرفه وجوده وقد امرنى ان اصيب له بغيا
فهل لك فقلت نعم يجئ الآن عبيد بغنمه وكان راعيا فاذا تعشى ووضع راسه
اتيته فرجعت الى ابى سفيان فاعلمته فلم نلبث ان جاءت تجر ذيلها فدخلت معه
فلم تزل معه حتى اصبحت فقلت له لما انصرفت كيف رايت صاحبتك قال خير
صاحبة لولا ذفر فى ابطيها فقال زياد من فوق المنبر يا ابا مريم لا تشتم امهات الرجال
فتشتم امك فلما انقضى كلام معوية ومناشدته قام زياد وانصت الناس فحمد الله
واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان معوية والشهود قد قالوا ما سمعتم ولست ادرى
حق هذا من باطله وهو والشهود اعلم بما قالوا وانما عبيد اب مبرور ووال مشكور ثم نزل
وروى شيخنا ابو عثمن ان زيادا مر وهو والى البصرة بابى العريان العدوى وكان
شيخا مكفوفا ذا لسن وعارضة شديدة فقال ابو العريان ما هذه الجلبة قالوا
زياد بن ابى سفيان قال والله ما ترك ابو سفيان الا يزيد ومعوية وعتبة وعنبسة وحنظلة
ومحمدا فمن اين جاء زياد فبلغ قوله زيادا وقال له قائل لو سددت عنك فم هذا الكلب فارسل اليه
بمائتى دينار فقال له رسول زياد ان ابن عمك زيادا الامير قد ارسل اليك مائتى دينار

لتنفقها فقال المصلت رحم الله والله ابن عمي حقا ثم مر بهم زياد في موكبه فوقف عليه فسلم فبكى
العريان فقيل له ما يبكيك قال عرفت صوت ابي سفيان في صوت زياد فبلغ ذلك
معوية فكتب الى ابي العريان * ما ألبثتك الدنانير التي بعثت ان لونتك ابا
العريان الوانا * امسى اليك زياد في ارومته * نكرا فاصبح ما انكرت عرفانا * لله در
زياد لولا تعجلها * كانت له دون ما يخشاه قربانا * فلما قرئ كتاب معوية
على ابي العريان قال اكتب جوابه يا غلام * احدث لنا صلة تحيي النفوس بها
قد كدت يا ابن ابي سفيان تنسانا * اما زياد فقد صحت مناسبه عندي
فلا ابتغي في الحق بهتانا * من يسد خيرا يصبه حين يفعله * او يسد شرا يصيبه
حيث ما كانا * وروى ابو عثمان ايضا قال كتب زياد الى معوية يستأذنه
في الحج فكتب اليه اني قد اذنت لك واستعملتك على الموسم واجزتك بالف الف
درهم فبينا هو يتجهز اذ بلغ ذلك ابا بكرة وكان مصارما له منذ لجلج في الشهادة
على المغيرة بن شعبة ايام عمر لا يكلمه قد لزمته ايمان عظيمة ان لا يكلمه ابدا
فاقبل ابو بكرة فدخل القصر يريد زيادا فبصر به الحاجب فاسرع الى زياد قائلا
ايها الامير هذا اخوك ابو بكرة قال ويحك انت رايته قال ها هو ذا قد طلع وفي حجر
زياد بني له يلاعبه فجاء ابو بكرة حتى وقف عليه فقال للغلام ان اباك ركب في الاسلام
عظيما زنى امه وانتفى من ابيه ولا والله ما علمت سمية رات ابا سفيان قط ثم ابوك
يريد ان يركب ما هو اعظم من ذلك يوافي الموسم غدا ويوافي ام حبيبة بنت ابي
سفيان وهي من امهات المؤمنين فان جاء يستأذن عليها فاذنت له فاعظم
بها على ابيك فضيحة ثم انصرف فقال زياد جزاك الله يا اخي عن النصيحة خيرا ساخطا
كنت او راضيا ثم كتب الى معوية اني قد اعتللت عن الموسم فليوجه اليه

امير المؤمنين

امير المؤمنين من احب فوجه عتبة بن ابي سفيان فاما ابو عمر بن عبد البر في
كتاب الاستيعاب فانه قال ادعى معوية زيادا في سنة اربع واربعين والحقه
به اخا وزوج ابنته من ابنه محمد بن زياد ليؤكد بذلك صحة الاستلحاق
وكان ابو بكرة اخا زياد لامه امهما جميعا سمية فحلف ان لا يكلم زيادا ابدا
وقال هذا زنى امه وانتفى من ابيه ولا والله ما علمت سمية رات ابا سفيان
قط ويله ما يصنع بام حبيبة ايريد ان يراها فان حجبته فضحته وان راها
فيا لها مصيبة يهتك من رسول الله صلى الله عليه حرمة عظيمة وحج زياد مع معوية
ودخل المدينة فاراد الدخول على ام حبيبة ثم ذكر قول ابي بكرة فانصرف عن ذلك
وقيل ان ام حبيبة حجبته ولم تاذن له في الدخول عليها وقيل انه حج ولم يرد المدينة
من اجل قول ابي بكرة وانه قال جزى الله ابا بكرة خيرا فما يدع النصيحة على حال وروى
ابو عمر بن عبد البر في هذا الكتاب قال دخل بنو امية وفيهم عبد الرحمن بن الحكم على معوية
ايام استلحق زيادا فقال له عبد الرحمن يا معوية لو لم تجد الا الزنج لاستكثرت
بهم علينا قلة وذلة يعني على بني ابي العاص فاقبل معوية على مروان وقال
اخرج عنا هذا الخليع ما يطاق فقال معوية والله لولا حلمي لعلمت انه يطاق الم يبلغني
شعره في وفي زياد فقال مروان اسمعنيه فانشد الا ابلغ بن حرب لقد ضاقت بما ناتي
اليدان * اتغضب ان يقال ابوك عف * وترضى ان يقال ابوك زان * فاشهد ان رحمك
من زياد * كرحم الفيل من ولد الاتان * واشهد انها حملت زيادا * وصخر من سمية
غير دان * والله لا ارضى عنه حتى ياتي زيادا * فيترضاه ويعتذر اليه فجاء عبد الرحمن
الى زياد معتذرا يستأذن عليه فلم ياذن له فاقبلت قريش الى زياد تكلمه في امر عبد
الرحمن فلما دخل سلم فتشاوس له زياد بعينه وكان يكسر عينه فقال له زياد انت القائل

ما قلت قال عبد الرحمن ما الذي قلت قال قلت ما لا يقال فقال اصلح الله الامير انه
لا ذنب لمن اعتب وانما الصفح عمن اذنب فاسمع مني ما اقول قال هات فانشد الا ابلغ
ابا المغيرة بثّ شكوى تجري بالشام من خطل اللسان واغضبت الخليفة فيك حتى دعاه
فرط غيظ ان هجاني وقلت لمن لحاني فاعتذاري اليك اذ هبت خشا انك عز شاني
عرفت الحق بعد ضلال رائي وبعد الغي من زيغ الجنان زياد من ابي سفيان غصن
تهادي ناضرا بين الجنان اراك اخا وعما وابن عم فما ادري بغيب ما تراني
وان زيادة في آل حرب احب الي من وسطى بناني الا ابلغ معوية بن حرب
فقد ظفرت بما يأتي اليدان فقال زياد اراك احمق شاعرا ضيع اللسان
يسوغ لك ريقك ساخطا ومسخوطا ولكنا قد سمعنا شعرك وقبلنا عذرك
فهات حاجتك قال تكتب الى امير المؤمنين بالرضى عني قال نعم ثم دعا كاتبه
فكتب له بالرضى عنه فاخذ كتابه ومضى حتى دخل على معوية فلما قرأه قال
لحا الله زيادا لم ينتبه لقوله وان زيادة في آل حرب ثم رضى عن عبد الرحمن
ورده الى حالته فاما اشعار يزيد بن مفرغ الحميري وهجاؤه عبيد
الله وعباد ابني زياد بالدعوة فكثيرة مشهورة نحو قوله اعباد ما للؤم
عنك محول ولا لك ام من قريش ولا اب وقل لعبيد الله ما لك والد
بحق ولا يدري امرؤ كيف تنسب شهدت بان امك لم تباشر ابا سفيان
واضعة القناع ولكن كان امر فيه لبس على وجل شديد وارتياع
اذا اودي معوية بن حرب فبشر شعب قعبك بانصداع ونحو قوله لعمرك
زياد او نافعا وابا بكرة عندي من اعجب العجب ان رجالا ثلثة خلقوا في رحم
انثى وكلهم لاب ذا قرشي كما يقول اذا سرى وهذا ابن عمه عربي وكان عبيد الله

بن زياد يقول ما شجيت بشيء اشد علي من قول ابن مفرغ فكر ففي ذاك ان
فكرت معتبر هل نلت مكرمة الا بتأمير عاشت سمية ما عاشت وما علمت
ان ابنها من قريش في الجماهب ويقال ان الابيات المؤيّرة المنسوبة الى عبد
الرحمن بن الحكم ليزيد بن مفرغ وان اولها الا ابلغ معوية بن حرب مغلغلة
من الرجل اليماني قوله وقد باع بردا اغلاهة لما حبسه عباد بن زياد بسجستان
ونحو قوله يا برد مسنا دهر اضر بنا من قبل هذا ما يعنا له ولدا لامتني النفس
في برد فقلت لها لا تهلكي اثر برد هكذا كنا الولد الذي ولولا ما تعرض لي
من الحوادث ما فارقته ابدا ونحو قوله ابلغ لديك بني قحطان مالكة عضت
باير ابيها سادة اليمن اضحى في زياد نفخ قرقرة باللعجائب يلهو بابن ذي يزن
وروى ابن الكلبي ان عبادا استلحقه كما استلحق معوية زيادا كلاهما لدعوة
قال لما اذن معوية لزياد في الحج تجهز فبينا هو يتجهز واصحاب الغرب يعرضون عليه
قربهم اذ تقدم عباد وكان خرازا فجعل يعرض عليه ويحاوره ويجيبه فقال زياد
ويحك من انت قال ابنك قال ويحك واي بني قال وقعت على امي فلانة وكانت
من بني كذا فمكثت في بني قيس بن ثعلبة وانا مملوك لهم قال صدقت والله اني
لاعرف ما تقول فبعث فاشتراه وادعاه والحقه وكان يتعهد بني قيس بن ثعلبة
بسببه ويصلهم وعظم امر عباد حتى ولاه معوية سجستان بعد موت زياد
وولى اخاه عبيد الله البصرة فتزوج عباد الستيرة ابنة انيف بن زياد وهو يعني
فقال الشاعر يخاطب انيفا وكان سيد كلب في زمانه ابلغ لديك ابا تركان مالكة
انا بما كنتم ما الحج من صمم انكحت عبدا لبني قيس مهديه ابا وقاص عليم معدن
الكرم اكنت تجهل عبادا ومحتده لا در درك ام انكحت من عدم ابعد آل ابي سفيان

عباد

ثلاث

حكاية

بجعله صهرا وبعد بنى مروان والحكم * اعظم عليك بذا عارا ومنقصة مادمت
حيا وبعد الموت فى الرحم وقال الحسن البصرى ثلاث كن فى معوية لو لم تكن فيه
الا واحدة منهن لكانت موبقة انتزاؤه على هذه الامة بالسفهاء حتى ابتز ها
امرها واستلحاقه زيادا مراغمة لقول رسول الله صلى الله عليه وآله الولد للفراش
وللعاهر الحجر وقتله حجر بن عدى فيا ويله من حجر واصحاب حجر وروى الشرقى بن
القطامى قال كان سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس شيعة لعلى بن ابى طالب
فلما قدم زياد الكوفة طلبه واخافه فاتى الحسن ابن على الى زياد اما بعد فانك
عمدت الى رجل من المسلمين وعليه ما عليهم فهدمت داره واخذت ماله وحبست
اهله وعياله فاذا اتاك كتابى هذا فابن له داره واردد عليه عياله وماله وشفعنى
فيه فقد اجرته والسلام فكتب اليه زياد من زياد بن ابى سفيان الى الحسن بن فاطمة
اما بعد فقد اتانى كتابك تبدا فيه بنفسك قبلى وانت طالب حاجة وانا سلطان
وانت سوقة وتامرنى فيه امر المطاع المسلط على رعيته كتبت الى فى فاسق
آويته اقامة منك على سوء الراى ورضا منك بذلك وايم الله لا يسبقنى به
ولو كان بين جلدك ولحمك وان نلت بعضك غير رفيق بك ولا مرع عليك فان احب
لحم الى ان آكله للحم الذى انت منه فسلمه بجريرته الى من هو اولى به منك فان عفوت
عنه لم اكن شفعتك فيه وان قتلته لم اقتله الا لحبه اباك الفاسق والسلام فلما
ورد الكتاب على الحسن قراه تبسم وكتب بذلك الى معوية وجعل كتاب زياد عطفه
وبعث به الى الشام وكتب جواب كتابه بكلمتين لا ثالث لهما من الحسن بن فاطمة الى زياد
سمية اما بعد فان رسول الله صلى الله عليه وآله قال الولد للفراش وللعاهر الحجر والسلام
فلما قرا معوية كتاب زياد الى الحسن ضاقت به الشام وكتب الى زياد اما بعد فان الحسن

بن على بعث الى بكتابك اليه جوابا عن كتاب اليك فى ابن ابى سرح فاكثرت
العجب وعلمت ان لك رايين احدهما من ابى سفيان والآخر من سمية فاما الذى
من ابى سفيان فحلم وحزم واما الذى من سمية فما يكون من راى مثلها من ذلك
الى الحسن تشتم اباه وتعرض بالفسق ولعمرى انك اولى بالفسق من ابيه فاما ان الحسن
بدا بنفسه ارتفاعا عليك فان ذلك لا يضعك لو عقلت واما تسلطه عليك
بالامر فحق لمثل الحسن ان يتسلط واما تركك تشفيعه فاشفعته اليك فحظ دفعت
عن نفسه الى من اولى به منك فاذا قدم عليك كتابى فخل ما فى يدك لسعيد بن ابى
سرح وابن له داره واردد عليه ماله ولا تعرض له فقد كتبت الى الحسن ان يخبره
ان شاء اقام عنده وان شاء رجع الى بلده ولا سلطان لك عليه ولا لسان و اما
الى الحسن باسمه واسم امه ولا ينسبه الا الى ابيه فان الحسن ويحك من لا يرمى به
الرجوان والى اى ام وكلت ايه زياد اما بعد يا امير المؤمنين فان سعدا قدم
على فاساء القول والعمل فانتهرته وزجرته وكان اهلا لاكثر من ذلك واما ما ذكرت
من الاسراف واتخاذ الوان الطعام والتنعم فان كان صادقا فاثابه الله ثواب
الصالحين وان كان كاذبا فوفاه الله اشد عقوبة الكاذبين واما قوله انى اصف
العدل واخالفه الى غيره فانى اذا من الاخسرين فخذ يا امير المؤمنين بمقال قلته فى
مقام جمع الدعوى بلا بينة كالسهم بلا نصل فان اتاك بشاهدى عدل والا
يتبين لك كذبه وظلمه ومن كلام زياد تاخير جزاء المحسن لوم وتعجيل عقوبة المسيى
طيش وكتب اليه معوية اما بعد عزل حريث بن جابر عن العامل فانى لا اذكر مقامه
بصفين الا كانت حرارة فى صدرى فكتب اليه زياد اما بعد فخفض عليك يا امير المؤمنين
فان حريثا قد سبق بسوق لا يرفعه معه عمل ولا يضعه معه عزل وقال لا يتعبدا لله

عليك بالحجاب فانما اجترأت الرعاة على السباع بكثرة نظرها اليها ومن كلامه احسنوا
الى اهل الخراج فانكم لا تزالون سمانا ما سمنوا قدم رجل خصما له الى زياد في حق له عليه
وقال ايها الامير ان هذا يدل بخاصة ذكر انها له منك قال زياد صدق وسأخبرك
بما ينفعه عندي من خاصيته ومودته ان يكن الحق له عليك آخذك به اخذا
عنيفا وان يكن الحق لك قضيت عليه ثم قضيت عنه وقال ليس العاقل من يحتال
للامر اذا وقع فيه انما العاقل من يحتال للامر ان لا يقع فيه وقال في خطبة له الا رب
مسرور بقدومنا لا نسره وخائفا ضرنا لا نضره وخائف ضرنا لا نضره وكان مكتوبا
في الحيطان الاربعة في قصر زياد كتابة بالجص اربعة اسطر اول الشدة في غير عنف
واللين في غير ضعف والثاني المحسن يجازى باحسانه والمسيء يكافى باساءته
والثالث العطيات والارزاق في اباناتها واوقاتها والرابع لا احتجاب عن صاحب
ثغر ولا عن طارق ليل وقال يوما على المنبر ان الرجل ليتكلم بالكلمة يشفي بها
غيظه لا يقطع بها ذنب عنز مصور لو بلغتنا عنه لسفكنا دمه وقال ما قرأت
كتاب رجل قط الا عرفت عقله منه وقال في بعض خطبه استوصوا بثلاثة
منكم خيرا الشريف والعالم والشيخ فوالله لا ياتيني وضيع بشريف ليستخف به الا
انتقمت منه ولا شاب بشيخ يستخف به الا اوجعته ضربا ولا جاهل بعالم يستخف
به الا نكلت به وقيل لزياد ما الحظ قال ان يطول عمرك وترى في عدوك ما يسرك
قيل كان زياد يقول هما طريقان للعامة الطاعة والسيف وكان المغيرة يقول
لا والله حتى يحملوا على سبعين طريقا غير السيف قال الحسن البصري لرجل الا
تحدثني بخطبتي زياد والحجاج حين دخلا العراق قال بلى اما زياد فلما قدم البصرة
حمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان معوية غير مخوف على قومه ولم يكن ليلحق بنسبه

من ليس

من ليس منه وقد شهدت الشهود بما قد بلغكم والحق احق ان يتبع والله حيث
وضع البينات كان اعلم وقد رحلت عنكم وانا اعرف صديقي من عدوي ثم قدمت
عليكم وقد صار العدو صديقا مناصحا والصديق عدوا مكاشحا فليشتمل كل امرئ
على ما في صدره ولا يكون لسانه شفرة تجري على اوداجه وليعلم احدكم اذا كلمته
اني قد حملت سيفي بيده فان شهره لم اغمده وان اغمده لم اشهره ثم نزل واما الحجاج فانه
قال من اعياه داؤه فعلي دواؤه ومن استبطأ اجله فعلي ان اعجله الا ان
الحزم والعزم استلبا مني سوطي وجعلا سوطي سيفي فنجاده في عنقي وقائمه بيدي
وذبابه قلادة لمن اغتر بي فقال الحسن رضه البؤس لهما ما اغرهما بربهما اللهم اجعلنا
ممن يعتبر بهما وقال بعضهم ما رايت زيادا كاسرا احدى عينيه واضعا احدى
رجليه على الاخرى يخاطب رجلا الا رحمت المخاطب ومن كلامه نعم الشيء الامارة لولا
قعقعة لجام البريد وتسنم ذروة المنبر وقال لحاجبه يا عجلان اني قد وليتك هذا
الباب وعزلتك عن اربعة المنادي اذا جاء يؤذن للصلاة فانها كانت كتابا موقوتا
ورسول صاحب الثغر فانه ان ابطأ ساعة فسد تدبير سنة وطارق الليل فشر
ما جاء بك وطباخ اذا فرغ من الطعام فانه متى اعيد عليه التسخين فسد وكان
حارثة ابن بدر الغداني قد غلب على زياد وكان حارثة مشتهرا بالشراب فقيل لزياد
في ذلك فقال كيف باطراح رجل هو يسايرني منذ قدمت العراق فلا يصك ركابه ركابي
ولا تقدمني قط فنظرت الى قفاه ولا تأخر عني فلويت عنقي اليه ولا اخذ علي الشمس
في شتاء قط ولا الروح في صيف قط ولا سالته عن علم الا ظننته لا يحسن غيره ومن كلامه
كفى بالبخل عارا ان اسمه لم يقع في حمد قط وكفى بالجود فخرا ان اسمه لم يقع في ذم قط
وقال ملاك السلطان الشدة على المذنب واللين للمحسن وصدق الحديث والوفا

بالعهد وقال ما اتيت مجلسا قط الا تركت منه ما لو اخذته لكان لي وترك مالي احب
مما ليس لي وقال ما قرأت مثل كتب الربيع بن زياد الحارثي ما كتب الي كتابا قط الا في
اجترار منفعة او دفع مضرة ولا ساورته يوما قط في امر الا سبق الى الرأي
وقال يعجبني من الرجل اذا اتى مجلسا ان يعلم اين مكانه منه فلا يتعداه الى غيره واذا سيم خطة
خسف ان يقول لا بملء فيه فاما خطبته زياد المعروفة بالبتراء انما سميت بذلك لانه
لم يحمد الله فيها ولا صلى على رسوله ذكرها علي بن محمد المدايني قال قدم زياد البصرة
اميرا عليها ايام معوية والفسق فيها فاش جدا واموال الناس منتهبة والسياسة
ضعيفة فصعد المنبر فقال اما بعد فان الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء والغي
الموقد لاهله على النار ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الامور ينبت فيها
الصغير ولا يتحاشى منها الكبير كانكم لم تقرؤوا كتاب الله ولم تسمعوا ما اعد من الثواب
الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته في الزمن السرمد الذي لا يزول اتكونون
كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية
لا تذكرون انكم احدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا به من ترككم الضعيف
يقهر ويؤخذ ماله والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر هذا والعدد غير قليل
لم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم
الدين تعتذرون بغير العذر وتغطون على المختلس كل امرء منكم يذب عن سفيهه صنيع
من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا ما انتم بالحلماء قد اتبعتم السفهاء فلم يزل بهم ما ترون
من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم اطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب حرم
علي الطعام والشراب حتى اسويها بالارض هدما واحراقا اني رأيت آخر هذا الامر لا يصلح
الا بما صلح به اوله لين في غير ضعف وشدة في غير عنف واني اقسم بالله لآخذن الولي بالولي

والمقيم بالظاعن بالمدبر والصحيح منكم في نفسه بالسقيم حتى يلقى الرجل
اخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد او تستقيم لي قناتكم ان كذبة المنبر تبقى
مشهورة فاذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي من نقب عليه منكم فانا ضامن
لما ذهب منه فاياكم ودلج الليل فاني لا اوتى بمدلج الا سفكت دمه وقد اجلتكم
بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع اليكم اياكم ودعوى الجاهلية فاني لا اجد احدا داعيا بها
الا قطعت لسانه وقد احدثتم احداثا وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق
بيوت قوم غرقناه ومن حرق على قوم حرقناه ومن نقب على احد بيتا نقبنا عن
قلبه ومن نبش قبرا دفنا فيه حيا كفوا عني ايديكم والسنتكم اكف عنكم يدي
ولساني ولا يظهرن من احدكم خلاف ما عليه عامتكم فاضرب عنقه وقد كانت
بيني وبين اقوام احن فقد جعلت دبر اذني وتحت قدمي فمن كان منكم محسنا
فليزدد احسانا ومن كان مسيئا فلينزع عن اسائته اني لو علمت احدكم قد قتله
السل من بغضي لم اكشف عنه قناعا ولم اهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته
فاذا فعل لم اناظره فاستأنفوا اموركم واعينوا على انفسكم فرب مبتئس بقدومنا
سيسر ومسرور بقدومنا سيبتئس ايها الناس انا اصبحنا لكم ساسة وعنكم
ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي اعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا
فلنا عليكم السمع والطاعة فيما احببنا ولكم علينا العدل والانصاف فيما ولينا
فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا واعلموا اني مهما قصرت عنه فلن اقصر عن
ثلاث لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولا حابسا عطاء ولا مجمرا بعثا فادعوا
الله بالصلاح لائمتكم فانهم ساستكم المؤدبون وكهفكم الذي اليه تأوون ومتى
يصلحوا تصلحوا فلا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول لذلك

حزنكم ولا تدركوا حاجتكم مع انه استجيب لكم فيهم لكان شراكم اسأل الله
ان يعين كلا على كل واذا ما يتولى انفذ فيكم الامر فانفذوه على اذلاله وايم
الله ان لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرء منكم ان يكون من صرعاي فقام عبد الله
بن الاهتم فقال اشهد ايها الامير لقد اوتيت الحكمة وفصل الخطاب
فقال كذبت ذاك نبي الله داود فقام الاحنف فقال انما الثناء بعد البلاء
والحمد بعد العطاء وانا لا نثني حتى نبتلي ولا نحمد حتى نعطى فقال زياد
صدقت فقام ابو بلال مرداس بن اذية يهمس ويقول انبأ الله بغير ما قلت
وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى فسمعها زياد فقال يا ابا بلال
انا لا نبلغ ما نريد باصحابك حتى نخوض اليهم الباطل خوضا وروى الشعبي
قال قدم زياد الكوفة فما جمعت له سمعي وبصري وقد دنوت من المنبر اجمع كلامه
فلم ار احدا يتكلم فيحسن الا تمنيت ان يسكت مخافة ان يسيء الا زيادا فانه
كان لا يزداد اكثارا الا ازداد احسانا فكنت اتمنى ان لا يسكت وروى
الشعبي ايضا قال اول خطبة زياد خطبته المنبر بالبصرة ونزل فجمع تلك الليلة
[illegible] الناس يتحارسون فقال ما هذا قالوا ان البلد مفتونة
وان المرأة من اهل المصر ليأخذها الفتيان الضياق فيقال لها نادي ثلاثة
اصوات فان اجابك احد والا فلا لوم علينا فيما نصنع فغضب وقال ففيم انا
وفيم قدمت فلما اصبح امر فنودي في الناس فاجتمعوا فقال ايها الناس انه
قد تبينت بما انتم فيه وسمعت ذروا منه فقد انذرتكم واجلتكم شهرا مسير الرجل
الى الشام ومسيره الى خراسان ومسيره الى الحجاز فمن وجدناه بعد شهر خارجا من
منزله بعد العشاء الآخرة فدمه هدر فانصرف الناس يقولون هذا القول

كقول

كقول من تقدم من الامراء فلما كمل الشهر دعا صاحب شرطته عبد الله بن حصين
اليربوعي وكانت رجال الشرطة معه اربعة آلاف فقال له هي خيلك ورجلك
فاذا صليت العشاء الآخرة وقرأ القارئ سبعا من القرآن ورفع الطن القصب
من القصر فسر ولا تلقين احدا عبيد الله بن زياد فمن دونه الا جئتني
برأسه وان راجعتني في احد ضربت عنقك قال فصبح على باب القصر تلك
الليلة بسبع مائة رأس ثم خرج الليلة الثانية فجاء بخمسين رأسا ثم خرج الليلة
الثالثة فجاء براس واحد ثم لم يجئ بعدها بشيء وكان الناس اذا صلوا العشاء
الآخرة احضروا الى منازلهم شدا حثيثا وقد يترك بعضهم نعاله كتبت
عائشة الى زياد كتابا فلم تدر ما تكتب عنوانه ان كتبت زياد بن عبيد
او ابن ابيه اغضبته وان كتبت زياد بن ابي سفيان اثمت فكتبت من ام المؤمنين
الى ابنها زياد فلما قرأه ضحك وقال لقد لقيت ام المؤمنين من هذا العنوان نصبا
الاصل ومن كتاب له الى عثمان بن حنيف الانصاري وكان عامله
على البصرة وقد بلغه انه دعي الى وليمة قوم من اهلها فمضى اليها اما بعد
يا ابن حنيف فقد بلغني ان رجلا من فتية اهل البصرة دعاك الى مأدبة فاسرعت
اليها تستطاب لك الالوان وتنقل اليك الجفان وما ظننت انك تجيب الى طعام
قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو فانظر الى ما تقضمه من هذا المقضم فما اشتبه
عليك علمه فالفظه وما ايقنت بطيب وجهه فنل منه الا وان لكل مأموم اماما
يقتدي به ويستضيء بنور علمه الا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه
بقرصيه الا وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينوني بورع واجتهاد فوالله ما كنزت
من دنياكم تبرا ولا ادخرت من غنائمها وفرا ولا اعددت لبالي ثوبي طمرا ولا حزت من ارضها

شبرا ولا اخذت منها الا كقوت اتان دبرة ولهي في عيني اهون من عفصة مقرة

الشرح هو عثمن بن حنيف بضم الحاء بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن الحرث
الانصاري ثم الاوسي اخو سهل بن حنيف يكنى ابا عمرو وقيل ابا عبد الله عمل لعمر
ثم لعلي وولاه عمر مساحة الارضين وجبايتها بالعراق وضرب الخراج والجزية على اهلها
وولاه علي عليه السلام البصرة فاخرجه طلحة والزبير منها حين قدماها وسكن عثمان
الكوفة بعد وفاة علي ومات بها في زمن معوية قوله من فتية البصرة اي
من شبانها او من اسخيائها يقال للسخي هذا فتى وفتي ويروى ان رجلا
من قطان البصرة اي سكانها والمادبة بضم الدال الطعام يدعى اليه القوم وقد جاءت
بفتح الدال ايضا ويقال ادب فلان القوم يادبهم بالكسر اي دعاهم الى طعامه
والادب الداعي اليه قال طرفة نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الادب فينا ينتقر ويقال
ايضا ادبهم الى طعامه يؤدبهم ايذابا ويروى وكثرت عليك الجفان فكرعت واكلت
اكل ذئب نهم او ضبع قرم وروي وما حسبتك تاكل قوم ثم ذم اهل البصرة فقال عائلهم
مجفو وغنيهم مدعو والعائل الفقير وهذا كقول الشاعر فان تملق فانت لنا
عدو وان تترب فانت لنا صديق ثم امره ان يترك ما فيه شبهة الى ما لا شبهة فيه
وسمى ذلك قضما ومقضما وان كان مما يخضم لاحتقاره له وازدرائه بامونه
عنده ليس مما يستحق ان يسمى باسماء المرغوب فيه المتنافس عليه وذلك لان القضم
يطلق على معنيين احدهما على اكل الشيء اليابس والثاني على الاكل ببعض الفم وكلاهما
يدل على ان ذلك المقضم مرغوب عنه لا فيه ثم ذكر حال نفسه فقال ان امامكم
قد قنع من الدنيا بطمريه والطمر الثوب الخلق البالي وانما جعلهما اثنين لانهما
ازار ورداء لا بيتهما اي الجسد والراس قال ومن طعمه بقرصيه اي قرصين فطير

عليهما

عليهما لا ثالث لهما ودوى قد اكتفى من الدنيا بطمريه وسد فورة جوعه
بقرصيه لا يطعم الفلذة في حوليه الا في يوم اضحيته ثم قال لن تقدروا
على ما اقدر عليه ولكن اسالكم ان تعينوني بالورع والاجتهاد ثم اقسم انه
ما كنز ذهبا ولا ادخر مالا ولا اعد مالا يوما بالبا سملا لبالي ثوبيه فضلا
عن ان يعد ثوبا نفيسا كما يفعله الناس في اعداد ثوب جديد بدل الملبوس
عوض الاسمال التي يبتذلونها ولا حاز من ارضها شبرا والضمير في ارضها يرجع
الى دنياكم ولا اخذ منها الا كقوت اتان دبرة وهي التي عقر ظهرها فقل اكلها
قال ولهي في عيني اهون من عفصة مقرة اي مرة مقر الشيء بالكسر اي صار مرا
وامقر ايضا بالهمزة قال لبيد ممقر مر على اعدائه وعلى الادنين حلو كالعسل

الاصل بلى كانت في ايدينا فدك من كل ما اظلته السماء فشحت عليها نفوس
قوم وسخت عنها نفوس آخرين ونعم الحكم الله وما اصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها
في غد جدث تنقطع في ظلمته آثارها وتغيب اخبارها وحفرة لو زيد في فسحتها
واوسعت يدا حافرها لاضغطها الحجر والمدر وسد فرجها التراب المتراكم وانما
هي نفسي اروضها بالتقوى لتاتي آمنة يوم الخوف الاكبر وتثبت على جوانب المزلق

الشرح الجدث القبر واضغطها وقوله مظانها في غد جدث المظان جمع
مظنة وهو موضع الشيء ومالفه الذي يكون فيه قال فان يك عامر قد قال
جهلا فان مظنة الجهل الشباب يقول لا ابالي ولا افتنت فيما مضى مما لا وانما
كانت في ايدينا فدك فشحت عليها نفوس قوم اي بخلت وسخت عنها نفوس
آخرين اي سامحت واغضت وليس يعني هاهنا بالسخا الا هذا السخا الحقيقي
لانه واهله سمحوا بفدك الا غصبا وقسرا وقد قال هذه الالفاظ في موضع آخر فيما تقدم

وهو يعني الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال ونعم الحكم
الله الحكم الحاكم فهذا كلام شاكي متظلم ثم ذكر مال الانسان وانه لا ينبغي
ان يكترث بالقنيات والاموال فانه يصير عن قريب الى دار البلاء ومنازل
الموتى ثم ذكر ان الحفرة ضيقة وانها لو وسعها الحافر لالجاها الحجر المتداعي
والمدر المتهافت الى ان تضغط الميت وتزحمه وهذا كلام محمول على ظاهره
لانه خطاب للعامة والا فاى فرق بين سعة الحفرة وضيقها على الميت
اللهم الا ان يقول قائل ان الميت يحس في قبره فاذا قيل ذلك فالجاعل
له حساسا بعد عدم الحس هو الذي يوسع الحفرة وان كان الحفار قد جعلها
ضيقة فاذن هذا الكلام جيد لخطاب العرب خاصة ومن يحمل الامور
على ظواهرها ثم قال وانما هي نفسي اروضها بالتقوى يقول تقللي واقتصاري
من المطعم والملبس على الجشب والخشن رياضة لنفسي لان ذلك انما اعمله خوفا
من الله ان انغمس في الدنيا فالرياضة بذلك هي رياضة في الحقيقة بالتقوى
لا بنفس التقلل والتقشف لتاتي نفسي امنة يوم الفزع الاكبر وتثبت في
مداحض المزالق واعلم انا نتكلم في شرح هذه الكلمة بثلاثة فصول

الفصل الاول فيما ورد في الحديث والسير من امر فدك

الفصل الثاني في هل النبي صلى الله عليه وآله يورث ام لا

الفصل الثالث في ان فدك هل صح كونها نحلة من رسول الله لفاطمة ام لا

الفصل الاول فيما ورد من الاخبار والسير المنقولة من افواه
اهل الحديث وكتبهم لا من كتب الشيعة ورجالهم لانا مشترطون على انفسنا
الا نحفل بذلك وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب ابي احمد بن عبد العزيز

الجوهري

الجوهري في السقيفة وفدك وما وقع من الاختلاف والاضطراب عقيب
وفاة النبي صلى الله عليه وآله وابو بكر الجوهري هذا عالم محدث كثير الادب
ثقة ورع اثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته وغير مصنفاته قال
ابو بكر حدثني ابو زيد عمر بن شبة قال حدثنا حيان بن بشر قال حدثنا
يحيى بن آدم قال اخبرنا ابن ابي زائدة عن محمد بن اسحاق عن الزهري قال
بقيت بقية من اهل خيبر تحصنوا فسالوا رسول الله صلى الله عليه وآله
ان يحقن دماءهم ويسيرهم ففعل فسمع ذلك اهل فدك فنزلوا على مثل
ذلك فكانت للنبي صلى الله عليه وآله خاصة لانه لم يوجف عليها بخيل
ولا ركاب قال ابو بكر وروى محمد بن اسحاق ايضا ان رسول الله صلى الله
عليه وآله لما فرغ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب اهل فدك فبعثوا الى
رسول الله صلى الله عليه وآله فصالحوه على النصف من فدك فقدمت
عليه رسلهم بخيبر او بالطريق او بعد ما قدم المدينة فقبل ذلك منهم
فكانت فدك لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصة لانه لم يوجف عليها
بخيل ولا ركاب وقد روي انه صالحهم عليها كلها الله اعلم اي الامرين
كان قال وقد كان مالك بن انس يحدث عن عبد الله بن ابي بكر عمرو بن
حزم انه صالحهم على النصف فلم يزل الامر كذلك حتى اخرجهم عمر بن الخطاب
واجلاهم بعد ان عوضهم عن النصف الذي كان لهم عوضا من ابل وغيرها
وقال غير مالك بن انس لما اجلاهم عمر بعث اليهم من يقوم الاموال بعث ابا الهيثم
بن التيهان وفروة بن عمرو وحباب بن صخر وزيد بن ثابت فقوموا ارض
فدك ونخلها فاخذها عمر ودفع اليهم قيمة النصف الذي لهم فكان مبلغ

مبلغ ذلك خمسين الف درهم اعطاهم اباها من مال اتاه من العراق والجلاهم
الى الشام قال ابو بكر فحدثني محمد بن زكريا قال حدثني جعفر بن محمد بن عمارة الكندي
قال حدثني ابي عن الحسين بن صالح بن حي قال حدثني رجالات من بني هاشم
عن زينب بنت علي بن ابي طالب عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه قال ابو
بكر وحدثني عثمان بن عمران العجيفي عن نائل بن نجيح عن عمرو بن شمر عن جابر بن الجعفي
عن ابي جعفر محمد بن علي رض قال ابو بكر وحدثني احمد بن محمد بن يزيد عن عبد الله
بن محمد ابن سليمان عن ابيه عن عبد الله بن حسن بن الحسن قالوا جميعا لما
بلغ فاطمة اجماع ابي بكر على منعها فدك لاثت خمارها واقبلت في لمة من
حفدتها ونساء قومها تطاء في ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله
صلى الله عليه وآله حتى دخلت على ابي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين
والانصار فضرب بينها وبينهم ريطة بيضاء وقال بعضهم قبطية بالكبر القيم
ثم انت انة اجهش لها القوم بالبكاء ثم امهلت طويلا حتى سكنوا من فورتهم
ثم قالت ابتدي بحمد من هو اولى بالحمد والطول والمجد الحمد لله على ما انعم وله
الشكر بما الهم وذكر خطبة طويلة جدا قالت في آخرها فاتقوا الله حق تقاته
واطيعوه فيما امركم به فانما يخشى الله من عباده العلماء واحمدوا الله الذي
بعظمته ونوره يبتغي من في السموات ومن في الارض اليه الوسيلة
ونحن وسيلة في خلقه ونحن خاصته ومحل قدسه ونحن حجته في
غيبه ونحن ورثة انبيائه ثم قالت انا فاطمة ابنة محمد اقول عودا على
بدء وما اقول ذلك سرفا ولا شططا فاسمعوا باسماع واعية وقلوب راعية
ثم قالت لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين

رؤوف رحيم فان تعزوه تجدوه ابي دون آبائكم واخا ابن عمي دون رجالكم
ثم ذكر كلاما طويلا سنذكره فيما بعد في الفصل الثاني تقول في آخره انتم
الآن تزعمون ان لا ارث لي افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما
لقوم يوقنون ايها معاشر المسلمين ابتز ارث ابيه ابى الله ان ترث يا ابن ابي
قحافة اباك ولا ارث ابي لقد جئت شيئا فريا فدونكها مخطومة مرحولة
تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة
وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم قال ثم التفتت الى قبر ابيها فتمثلت
بقول هند بنت اثاثة قد كان بعدك انباء وهنبثة لو كنت شاهدها
لم تكثر الخطب ابدت رجال لنا نجوى صدورهم لما قضيت وحالت دونك
الكتب تجهمنا رجال واستخف بنا اذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب
فلم ير الناس اكثر باكيا وباكية منهم ثم عدلت الى مسجد الحرام فقالت
يا معشر البقية واعضاد الملة وحضنة الاسلام ما هذه الفترة عن نصرتي
والونية عن معونتي والغميزة في حقي والسنة عن ظلامتي اما كان
رسول الله يحفظ في ولده سرعان ما احدثتم وعجلان ما اتيتم الآن
مات رسول الله صلى الله عليه وآله امتم دينه فهاء ان موته لعمري جليل
استوسع وهيه واستبهم فتقه وفقد راتقه واظلمت الارض له وخشعت
الجبال واكدت الآمال اضيع بعده الحريم وهتكت الحرمة واذيلت المصونة
وتلك نازلة اعلن بها كتاب الله قبل موته وانبأكم بها قبل وفاته فقال وما
محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم

ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ايها بني قيلة
اهتضم تراث ابيه وانتم بمرأى ومسمع يبلغكم الدعوة ويشملكم الصوت وفيكم العدة
والعدد ولكم الدار والجنن وانتم نخبة الله التي انتخب وخيرته التي اختار لنا باديتم
العرب وبادهتم الامور وكافحتم البهم حتى دارت بكم رحى الاسلام ودر حلبه وخبت
نيران الحرب وسكنت فورة الشرك وهدأت دعوة الهرج واستوسق نظام
الدين افتأخرتم بعد الاقدام ونكصتم وجبنتم بعد الشجاعة عن قوم نكثوا
ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم
لعلهم ينتهون الا وقد ارى ان قد اخلدتم الى الخفض وركنتم الى الدعة
فجحدتم الذي وعيتم وسغتم الذي سوغتم وان تكفروا انتم ومن في الارض
جميعاً فان الله غني حميد الا وقد قلت لكم ما قلت على معرفة مني بالخذلة
التي خامرتكم وخور القناة وضعف اليقين فدونكموها فاحتقبوها مدبرة
الظهر ناقبة الخف باقية العار موسومة الشنار موصولة بنار الله الموقدة
التي تطلع على الافئدة فبعين الله ما تعملون وسيعلم الذين ظلموا اي
منقلب ينقلبون قال وحدثني محمد بن زكريا قال محمد بن الضحاك
هشام بن محمد عن عوانة بن الحكم قال لما كلمت فاطمة ابا بكر بما كلمته
حمد ابو بكر الله واثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال يا خيرة النساء
وابنة خير الاباء والله ما عدوت رأي رسول الله ولا عملت الا بامره
وان الرائد لا يكذب اهله قد قلت فابلغت واغلظت فاهجرت فغفر الله
لنا ولك اما بعد فقد دفعت آلة رسول الله صلى الله عليه وآله ودابته
وحذاءه الى علي واما ما سوى ذلك فاني سمعت رسول الله صلى الله

دفعت

عليه

عليه وآله يقول انا معاشر الانبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا ارضاً ولا
عقاراً ولا داراً ولكنا نورث الايمان والحكمة والعلم والسنة فقد عملت بما
امرني ونصحت له وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب قال ابو بكر وروى
هشام بن محمد عن ابيه قال قالت فاطمة لابي بكر ان ام ايمن تشهد ان رسول الله
اعطاني فدك فقال لها يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله والله ما خلق الله
خلقاً احب الي من رسول الله صلى الله عليه وآله ابيك ولوددت ان السماء وقعت
على الارض يوم مات ابوك والله لان تفتقر عائشة احب الي من ان تفتقري
اتراني اعطي الاسود والاحمر حقه واظلمك حقك وانت بنت رسول الله
ان هذا المال لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله وانما كان مالاً من اموال
المسلمين يحمل النبي به الرجال وينفقه في سبيل الله فلما توفي رسول الله
صلى الله عليه وآله وليته كما كان يليه قالت والله لا كلمتك ابداً قال والله
لا هجرتك ابداً قالت والله لادعون الله عليك قال والله لادعون الله لك
فلما حضرتها الوفاة اوصت ان لا يصلي عليها فدفنت ليلاً وصلى عليها
العباس بن المطلب وكان بين وفاتها ووفاة ابيها اثنتان وسبعون
ليلة قال ابو بكر وحدثني محمد بن زكريا قال حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة
بالاسناد الاول قال فلما سمع ابو بكر خطبتها شق عليه مقالتها فصعد
المنبر فقال ايها الناس ما هذه الرعة الى كل قالة اين كانت هذه الاماني
في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله الا من سمع فليقل ومن شهد فليتكلم
انما هو ثعالة شهيده ذنبه مرب لكل فتنة هو الذي يقول كروها جذعة
بعد ما هرمت تستعينون بالضعفة وتستنصرون بالنساء كام طحال احب

عليك
لايصلى
اثنان وسبعون

اهلها ايها الناس الآية. لو اشاء ان اقول لقلت ولو قلت لبحت اني ساكتة
ما تركت ثم التفتت الى الانصار فقالت قد بلغني يا معشر الانصار مقالة قالت
سفهائكم واحق من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه وآله انتم فقد جاءكم
فآويتم ونصرتم الا اني لست باسطة يدا ولا لسانا على من لم يستحق ذلك منا ثم نزلت
فانصرفت فاطمة الى منزلها قلت قرأت هذا الكلام على النقيب ابي يحيى جعفر
بن ابي زيد البصري وقلت له بمن يعرض فقال بل يصرح قلت لو صرح لم اسألك
فضحك وقال بعلي بن ابي طالب قلت هذا الكلام كله لعلي يقوله قال
نعم انه الملك يا بني قلت فما مقالة الانصار قال هتفوا بذكر علي فخاف
من اضطراب الامر عليهم فنهاهم فسألته عن غريبه فقال اما الرعة
بالتخفيف اي الاستماع والاصغاء والقالة القول وثعالة اسم الثعلب
علم غير مصروف مثل ذؤالة للذئب وشهيده ذنبه اي لا شاهد له على ما
يدعي الا بعضه وجزء منه واصله مثل قالوا ان الثعلب اراد ان يغري
الاسد بالذئب فقال انه قد اكل الشاة التي كنت قد اعددتها لنفسك وكنت
حاضرا قال فمن يشهد لك بذلك فرفع ذنبه وعليه دم وكان الاسد قد افتقد
الشاة فقبل شهادته وقتل الذئب ومرب ملازم ارب بالمكان وكروها جذعة
اعيدوها الى الحال الاولى يعني الفتنة وام طحال امرأة بغي في الجاهلية يضرب
بها المثل فيقال ازنى من ام طحال قال ابو بكر وحدثني محمد بن زكريا قال حدثنا
ابن عائشة قال حدثني ابي عن عمه قال لما كلمت فاطمة ابا بكر بكى ثم قال يا ابنة
رسول الله والله ما ورث ابوك دينارا ولا درهما وانه قال ان الانبياء لا يورثون
فقالت ان فدك وهبها لي رسول الله قال فمن يشهد بذلك فجاء علي بن ابي طالب

فشهد

فشهد وجاءت ام ايمن فشهدت ايضا فجاء عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف
فشهدا ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقسمها قال ابو بكر صدقت يا ابنة
رسول الله صلى الله عليه وآله وصدق علي وصدقت ام ايمن وصدق عمر وصدق
عبد الرحمن وذلك ان مالك لابيك كان رسول الله صلى الله عليه وآله
يأخذ من فدك قوتكم ويقسم الباقي ويحمل منه في سبيل الله فما تصنعين
بها قالت اصنع بها كما يصنع بها ابي قال فلك على الله ان اصنع فيها ما كان
يصنع ابوك قالت الله لتفعلن قال الله لافعلن قالت اللهم اشهد فكان ابو
بكر يأخذ غلتها فيدفع اليهم منها ما يكفيهم ويقسم الباقي وكان عمر كذلك
ثم كان عثمان كذلك فلما ولي الامر معاوية بن ابي سفيان اقطع مروان بن الحكم
ثلثها واقطع يزيد بن معاوية ثلثها وذلك بعد موت الحسن بن علي رض فلم
يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلها لمروان بن الحكم ايام خلافته فوهبها لعبد العزيز
ابنه فوهبها عبد العزيز لابنه عمر بن عبد العزيز فلما ولي عمر بن الخلافة كانت اول
ظلامة ردها دعا حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب وقيل بل دعا علي بن
الحسين بن علي فدفعها اليه وكانت بيد اولاد فاطمة مدة ولاية عمر بن عبد العزيز
فلما ولي يزيد بن عاتكة قبضها منهم فصارت في ايدي بني مروان كما كانت يتداولونها
حتى انتقلت الخلافة عنهم فلما ولي ابو العباس السفاح ردها على عبد الله بن
الحسن بن الحسن ثم قبضها ابو جعفر لما حدث من بني حسن ما حدث ثم ردها
المهدي ابنه على ولد فاطمة ثم قبضها موسى بن المهدي وهرون اخوه
فلم تزل في ايديهم حتى ولي المأمون فردها على الفاطميين قال ابو بكر حدثني
محمد بن زكريا قال حدثني مهدي بن سابق قال جلس المأمون للمظالم فاول

اول ظلامة

ردها

ردها

فردها

رفعه ووقعت في يده نظر فيها وبكى وقال للذي على آناد وكيل فاطمة فقام شيخ
عليه دراعة وعمامة وخف تعزي فتقدم فجعل يناظره في فدك والمامون يحتج عليه
وهو يحتج على المامون ثم امر ان يسجل لهم بها فكتب السجل وقرئ عليه فانفذه فقام
دعبل الى المامون فانشد الابيات اولها اصبح وجه الزمان قد ضحكا برد مامون
هاشم فدكا ثم تزل في ايديهم حتى كان في ايام المتوكل فاقطعها عبد الله بن عمر
البازيار وكان فيها احدى عشرة نخلة غرسها رسول الله صلى الله عليه وآله بيده فكان
بنو فاطمة ياخذون ثمرها فاذا قدم الحجاج اهدوا لهم من ذلك التمر فيصلونهم
فيصير اليهم من ذلك مال جليل فصرم عبد الله بن عمر البازيار ذلك التمر ووجه رجلا
يقال له بشران بن ابي امية الثقفي الى المدينة فصرمه ثم عاد الى البصرة ففلج قال ابو بكر
اخبرنا ابو زيد عمر بن شبة قال حدثنا سويد بن سعيد والحسن بن عثمان قالا
حدثنا الوليد بن محمد عن الزهري عن عروة عن عايشة ان فاطمة ارسلت
الى ابي بكر تساله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة وفدك وما
بقي من خمس فقال ابو بكر ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لا نورث ما تركناه
صدقة انما ياكل آل محمد من هذا المال والله لا اغير شيئا من صدقات رسول الله
عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولاعملن فيها
بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله فابى ابو بكر ان يدفع الى فاطمة منها شيئا فوجدت
من ذلك على ابي بكر وهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد ابيها ستة اشهر فلما
توفيت دفنها علي رض ليلا ولم يؤذن بها ابا بكر قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال
حدثنا اسحاق بن ادريس قال حدثنا محمد بن احمد عن معمر عن الزهري عن عروة عن عايشة
ان فاطمة والعباس اتيا ابا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وهما

سته اشهر

يطلبان

يطلبان ارضه بفدك وسهمه بخيبر فقال لهما ابو بكر اني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وآله يقول لا نورث ما تركناه صدقة انما ياكل آل محمد من هذا المال والله لا
اغير امرا رايت رسول الله صلى الله عليه يصنعه الا صنعته قال فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى
ماتت قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال حدثنا عمر بن عاصم وموسى بن اسمعيل قالا حدثنا
حماد بن سلمة عن الكلبي عن ابي صالح عن ام هاني ان فاطمة قالت لابي بكر من يرثك اذا
مت قال ولدي واهلي قالت فما لك ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله دوننا قال
يا ابنة رسول الله ما ورثت اباك دارا ولا مالا ولا ذهبا ولا فضة قالت بل سهم الله الذي
جعله لنا وصافيتنا التي بيدك فقال لها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول
انما هي طعمة اطعمناها الله فاذا مت كانت بين المسلمين قال ابو بكر واخبرنا
ابو زيد قال حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة قال حدثنا محمد بن الفضيل عن الوليد
بن جميع عن ابي الطفيل قال ارسلت فاطمة الى ابي بكر انت ورثت رسول الله
ام اهله قال بل اهله قالت فما بال سهم رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان الله
اذا اطعم نبيا طعمة ثم قبضه جعله للذي يقوم بعده فرايت انا بعده ان ارده
على المسلمين قالت انت وما سمعت من رسول الله اعلم قلت فهذا الحديث عجب لانها
قالت انت ورثت رسول الله ام اهله قال بل اهله وهذا تصريح بانه صلى الله عليه
موروث يرثه اهله وهو خلاف قوله لا نورث وايضا فانه يدل على ان ابا بكر استنبط من
قول رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله اطعم نبيا طعمة ان يجري رسول الله صلى الله
عليه وآله عند وفاته مجرى ذلك النبي او يكون قد فهم انه عنى بذلك النبي المنكر لفظا
نفسه كما فهم من قوله في خطبته ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار
ما عنده ربه فقال ابو بكر بل نفديك بانفسنا قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال حدثنا

القعنبي قال حدثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة ان فاطمة
طلبت فدك من ابي بكر فقال اني سمعت رسول الله يقول ان النبي لا يورث من كان
النبي يعوله فانا اعوله ومن كان ينفق عليه فانا انفق عليه قال ابو بكر واخبرنا
ابو زيد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير قال حدثنا فضيل بن مرزوق قال
حدثني النجري بن حسان قال قلت لزيد بن علي رض وانا اريد ان اهجن امر ابي بكر
ان ابا بكر انتزع فدك من فاطمة فقال ان ابا بكر كان رجلا رحيما وكان يكره ان يغير شيئا
فعله رسول الله فاتت فاطمة فقالت ان رسول الله صلى الله عليه وآله اعطاني فدك
فقال لها هل لك على هذا بينة فجاءت بعلي فشهد لها ثم جاءت ام ايمن فقالت اليس
تشهدان اني من اهل الجنة قالا بلى قال ابو زيد يعني انها قالت لابي بكر وعمر قالت
فانا اشهد ان رسول الله صلى الله عليه وآله اعطاها فدك فقال ابو بكر فبرجل آخر
وامراة وامراة اخرى لتستحقي بها القضية ثم قال ابو زيد وايم الله لو رجع الامر الي
لقضيت فيها بقضاء ابي بكر قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال حدثنا محمد بن الصباح
قال حدثنا يحيى بن المتوكل ابو عقيل عن كثير النواء قال قلت لابي جعفر محمد بن
علي رض جعلني الله فداك ارايت ابا بكر وعمر هل ظلماكم من حقكم شيئا او قال ذهبا
من حقكم بشيء فقال لا والذي انزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرا ما ظلمنا
من حقنا مثقال حبة من خردل قلت جعلت فداك افاتولاهما قال نعم ويحك
تولهما في الدنيا والآخرة وما اصابك ففي عنقي ثم قال فعل الله بالمغيرة وبنان فانهما
كذبا علينا اهل البيت قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال حدثنا عبد الله بن نافع
والقعنبي عن مالك عن الزهري عن عروة عن عائشة ان ازواج النبي صلى الله عليه
وآله اردن لما توفي ان يبعثن عثمان بن عفان الى ابي بكر يسألنه ميراثهن او قال

ثمنهن

ثمنهن قالت فقلت لهن اليس قد قال النبي صلى الله عليه وآله لا نورث
ما تركناه صدقة قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال حدثنا عبد الله بن نافع
والقعنبي وبشر بن عمر عن مالك عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وآله قال لا تقتسم ورثتي دينارا ما تركت بعد نفقة
نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة قلت هذا حديث غريب لان المشهور انه
لم يرو حديث انتفاء الارث الا ابو بكر وحده وقال ابو بكر وحدثنا ابو زيد
عن الحزامي عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن عبد الرحمن الاعرج
انه سمع ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول والذي
نفسي بيده لا تقتسم ورثتي شيئا مما تركت ما تركت صدقة قال فكانت هذه
الصدقة بيد علي غلب عليها علي ثم كانت بيد حسن بن علي ثم كانت
بيد حسين بن علي ثم بيد علي بن الحسين والحسن بن الحسن كلاهما
يتداولانها ثم بيد زيد بن علي رض قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال
حدثنا عثمان بن عمر بن فارس قال حدثنا يونس عن الزهري عن مالك
بن اوس بن الحدثان ان عمر بن الخطاب دعاه يوما بعد ما ارتفع النهار
قال فدخلت وهو جالس على رمال سرير ليس بينه وبين الرمال فراش على
وسادة آدم فقال يا مالك انه قد قدم من قومك اهل ابيات حضروا المدينة
وقد امرت لهم برضخ فاقسمه بينهم فقلت يا امير المؤمنين مر بذلك غيري
قال اقسم ايها المرء قال فبينا انا على ذلك اذ دخل يرفا فقال هل لك في
عثمان وسعد وعبد الرحمن والزبير يستاذنون عليك قال نعم فاذن لهم
قال ثم لبث قليلا ثم جاء فقال هل لك في علي والعباس يستاذنان عليك

غريب

قال ايذن لهما فلما دخلا قال العباس يا امير المؤمنين اقض بيني وبين
هذا يعني عليا وهما يختصمان في الصوافي التي افاء الله على رسوله من اموال
بني النضير قال فاستبت علي والعباس عند عمر فقال عبد الرحمن يا امير المؤمنين
اقض بينهما وارح احدهما من الآخر فقال عمر انشدكم الله الذي باذنه تقوم
السموات والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال
لا نورث ما تركنا صدقة يعني نفسه قالوا قد قال ذلك فاقبل على العباس
وعلي فقال انشدكما الله هل تعلمان ذلك قالا نعم قال عمر فاني احدثكم عن هذا
الامر ان الله تبارك وتعالى خص رسوله في هذا الفيء بشيء لم يعطه غيره قال
تعالى ما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن
الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير فكانت هذه خاصة
لرسول الله صلى الله عليه وآله فما اختارها دونكم ولا استاثرها عليكم
لقد اعطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال فقال ينفق على اهله
في سنتهم ثم ياخذه فيجعله مجعل مال الله عز وجل فعمل ذلك حياته ثم توفي
فقال ابو بكر انا ولي رسول الله صلى الله عليه وآله فقبضه الله وقد عمل
فيها بما عمل رسول الله وانتما ح والتفت الى علي والعباس تزعمان ان
ابا بكر فيها ظالم فاجر والله يعلم انه فيها لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفي
الله ابا بكر فقلت انا اولى الناس بابي بكر وبرسول الله فقبضتها سنتين
او قال سنين من امارتي اعمل فيها مثل ما عمل رسول الله وابو بكر ثم قال
وانتما واقبل على العباس وعلي تزعمان اني فيها ظالم فاجر والله يعلم
اني فيها بار راشد تابع ثم جئتماني وكلمتكما واحدة وامركما جميع فجئتني

يعني

يعني العباس تسالني نصيبك من ابن اخيك وجاءني هذا يعني عليا
يسالني نصيب امرأته من ابيها فقلت لكما ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال
لا نورث ما تركناه صدقة فلما بدا لي ان ادفعها اليكما دفعتها
على ان عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل رسول الله وابو
بكر وبما عملت به فيها والا فلا تكلماني فقلتما ادفعها الينا بذلك فدفعتها
اليكما بذلك اتلتمسان مني قضاء غير ذلك والله الذي باذنه تقوم
السموات والارض لا اقضي بينكما بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة
فان عجزتما عنها فادفعاها الي فانا اكفيكماها قال ابو بكر وحدثنا
ابو زيد قال حدثنا اسحاق بن ادريس قال حدثنا عبد الله بن المبارك
قال حدثني يونس عن الزهري قال حدثني مالك بن اوس بن الحدثان بنحوه
قال فذكرت ذلك لعروة فقال صدق مالك بن اوس انا سمعت عائشة
تقول ارسل ازواج النبي صلى الله عليه وآله عثمان بن عفان الى ابي
بكر يسألن ميراثهن من رسول الله مما افاء الله عليه حتى كنت ارددهن عن
ذلك فقلت الا تتقين الله الم تعلمن ان رسول الله كان يقول لا نورث
ما تركناه صدقة يريد بذلك نفسه انما ياكل محمد من هذا المال
فانتهى ازواج النبي الى ما امرتهن به قلت هذا مشكل لان الحديث الاول
يتضمن ان عمر اقسم على جماعة فيهم عثمان فقال انشدكم الله الستم تعلمون
ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لا نورث ما تركناه صدقة
يعني نفسه فقالوا نعم ومن جملتهم عثمن فكيف يعلم ذلك ويكون مرسلا
لازواج النبي صلى الله عليه وآله يسالهن ان يعطيهن الميراث اللهم

مشكل

التقليد
الا ان يكون عثمن وسعد وعبد الرحمن والزبير صدقوا عمر على سبيل
لابي بكر فيما رواه وحسن الظن وسموا ذلك علما لانه قد يطلق على
الظن اسم العلم فان قال قائل فهلا حسن الظن عثمان بروايته لابي بكر
في مبتداء الامر فلم يكن رسولا لازوجات النبي صلى الله عليه وآله اليه في طلب
الميراث قيل له يجوز ان يكون في مبتداء الامر شاكا ثم تغلب على ظنه
صدقه لامور اقتضت تصديقه فكل الناس يقع لهم مثل ذلك وههنا
اشكال اخر وهو ان عمر ناشد عليا والعباس هل تعلمان ذلك فقالا نعم
فاذا كانا يعلمانه فكيف جاء العباس وفاطمة الى ابي بكر يطلبان الميراث
منه على ما ذكره في خبر سابق على هذا الخبر وقد اوردناه نحن وهل يجوز ان
يقال كان العباس يعلم ذلك ثم يطلب الارث الذي لا يستحقه وهل يجوز
ان يقال ان عليا كان يعلم ذلك ويمكن زوجته ان تطلب ما لا يستحقه وهل
خرجت من دارها الى المسجد ونازعت ابا بكر وكلمته بما كلمته به الا بقوله
واذنه ورايه وايضا فانه اذا كان صلى الله عليه لا يورث فقد اشكل
دفع آلته ودابته وحذائه الى علي رض لانه غير وارث في الاصل وان اعطا
ذلك زوجته بعرضيته ان يرث لولا الخبر فهو ايضا غير جائز لان الخبر
قد منع من ان يرث احد منه شيئا قليلا كان او كثيرا فان قال قائل انما كان
نحن معاشر الانبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا ارضا ولا عقارا ولا دارا
قيل هذا الكلام يفهم من مضمونه انهم لا يورثون شيئا اصلا لان عادة
العرب جارية بمثل ذلك وليس يقصدون نفي ميراث هذه الاجناس المعدودة
دون غيرها بل يجعلون ذلك كالتصريح بنفي ان يورثوا شيئا ما على الاطلاق

اشكال

وايضاً

وايضا فانه جاء في خبر الدابة والآلة والحذاء انه روي عن النبي صلى الله عليه وآله
لا نورث ما تركناه صدقة ولم يقل لا نورث كذا وكذا وذلك يقتضي
عموم هشام بن محمد الكلبي عن ابيه ففيه اشكال ايضا لانه قال انها
طلبت فدك وقالت ان ابي اعطانيها وان ام ايمن تشهد لي بذلك فقال
لها ابو بكر في الجواب ان هذا المال لم يكن لرسول الله وانما كان مالا
من الاموال المسلمين يحمل به الرجال وينفقه في سبيل الله فلقائل ان
يقول له ايجوز للنبي صلى الله عليه وآله ان يملك ابنته او غير ابنته
من افناء الناس ضيعة مخصوصة او عقارا مخصوصا من مال المسلمين
لوحي اوحاه الله تعالى اليه او لاجتهاد رآه على قول من اجاز له ان يحكم بالاجتهاد
او لا يجوز للنبي صلى الله عليه وآله ذلك فان قال لا يجوز قال ما لا يوافقه
العقل ولا المسلمون عليه وان قال يجوز ذلك قيل له فان المرأة ما اقتصرت
على الدعوى بل قالت ام ايمن تشهد لي فكان ينبغي ان يقول لها في الجواب
شهادة ام ايمن وحدها غير مقبول ولم يتضمن هذا الخبر ذلك بل قال لها لما ادعت
وذكرت من يشهد لها هذا مال من مال الله لم يكن لرسول الله وهذا ليس
بجواب صحيح واما الخبر الذي رواه محمد بن زكريا عن ابن عائشة ففيه
مثل ما في هذا الخبر لانه اذا شهد لها علي وام ايمن ان رسول الله وهب لها
فدك ولم يصح اجتماع صدقهما وصدق عبد الرحمن وعمر ولا ما تكلفه
ابو بكر من تاويل ذلك بمستقيم لان كونها هبة من رسول الله صلى الله
عليه وآله يمنع من قول كان ياخذ منها قوتكم ويقسم الباقي ويحمل منه في
سبيل الله لان هذا ينافي كونها هبة لها لان معنى كونها لها انتقالها

اشكال

الاشكال

الى ملكيتهما وان يتصرف فيها خاصة دون كل احد من الناس وما هذه
صفته يقسم ويجعل منه في سبيل الله فان قال قايل هو صلى الله عليه
ابوها وحكمه في ما لها الحكمة في ماله وفي بيت مال المسلمين فلعله
كان بحكم الابوة يفعل ذلك قيل فاذا قد كان يتصرف فيها تصرف الاب
في مال ولده ولا يخرجه ذلك عن كونه مال ولده فاذا مات الاب لم يجز لاحد ان
يتصرف في مال ذلك الولد لانه ليس باب له فيتصرف في ماله تصرف الاباء في
اموال اولادهم على ان الفقها او معظمهم لا يجيزون للاب ان يتصرف
في مال الابن وههنا اشكال آخر وهو قول عمر لعلي والعباس وانتما حينئذ تزعمان
ان ابا بكر فيها ظالم فاجر ثم قال لما ذكر نفسه وانا انتما تزعمان اني فيها
ظالم فاجر فاذا كانا يزعمان ذلك فكيف يجمع هذا الزعم مع كونهما يعلمان
ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لا اورث ان هذا لمن اعجب العجايب
ولعلمي ان هذا الحديث اعني حديث خصومة العباس وعلي عند عمر مذكور
في الصحاح المجمع عليها لما اطلت العجب من مضمونه اذ لو كان غير مذكور
في الصحاح لكان بعض ما ذكرناه يطعن في صحته وانما الحديث في
الصحاح لا ريب في ذلك قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال حدثنا ابن ابي
شيبة قال حدثنا ابن علية عن ايوب عن عكرمة عن مالك بن اوس
الحدثان قال جاء العباس وعلي الى عمر فقال العباس اقض بيني وبين
هذا الكذا وكذا اي يشتمه فقال الناس افصل بينهما فقال افصل بينهما
قد علما ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لا نورث ما تركناه صدقة
قلت وهذا ايضا مشكل لانهما حضرا يتنازعان لا في الميراث بل في ولاية

اشكال

اعجب العجايب

في الصحاح المجمع عليهما

مشكل

صدقة

81

صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله ايهما يتولاها عماله لا ارثا وعلى هذا
كانت الخصومة فهل يكون جواب ذلك قد علما ان رسول الله صلى الله
عليه وآله قال لا نورث قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال حدثني يحيى بن كثير
ابو غسان قال حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابي البختري قال جاء العباس
وعلي الى عمر وهما يختصمان فقال عمر لطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد انشدكم
الله اسمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يقول كل مال نبي فهو صدقة الا
ما اطعمه اهله انا لا نورث فقالوا نعم قال فكان رسول الله صلى الله عليه
وآله يتصدق به ويقسم فضله ثم توفي فوليه ابو بكر سنتين يصنع فيه
ما كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وآله وانتما تقولان انه كان
بذلك خاطيا وكان بذلك ظالما وما كان بذلك الا راشدا ثم وليته
بعد ابي بكر فقلت لكما ان شئتما قبلتماه على عمل رسول الله وعهده
الذي عهد فيه فقلتما نعم وجئتماني الان تختصمان يقول هذا اريد
نصيبي من ابن اخي ويقول هذا اريد نصيبي من امرأتي والله لا اقضي
بينكما الا بذلك قلت وهذا ايضا مشكل لان اكثر الروايات انه لم يرو
هذا الخبر الا ابو بكر وحده ذكر ذلك معظم المحدثين حتى ان الفقها
في اصول الفقه اطبقوا على ذلك في احتجاجهم في الخبر برواية الصحابي الواحد
وقال شيخنا ابو علي لا تقبل في الرواية الا رواية اثنين كالشهادة فخالفه
المتكلمون والفقها كلهم واحتجوا عليه بقبول الصحابة رواية ابي بكر
وحده نحن معاشر الانبياء لا نورث حتى ان بعض اصحاب ابي علي تكلف لذلك
جوابا فقال قد روي ان ابا بكر يوم حاج فاطمة قال انشد الله امرأ سمع من رسول الله

مشكل

صلى الله عليه وآله في هذا شيئا فروى مالك بن اوس بن الحدثان انه سمعه
من رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا الحديث ينطق بانه استشهد عمر
طلحة والزبير وعبد الرحمن وسعدا فقالوا سمعنا من رسول الله صلى الله عليه
وآله فاين كانت هذه الروايات ايام ابي بكر ما نقل ان احدا من هؤلاء
يوم خصومة فاطمة وابي بكر روى من هذا شيئا قال ابو بكر واخبرنا ابو
زيد عمرو بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى عن ابراهيم ابن ابي يحيى عن الزهري
عن عروة عن عايشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وآله ارسلن عثمان
الى ابي بكر فذكر الحديث قال عروة وكانت فاطمة قد سألت ميراثها
ابا بكر مما تركه النبي صلى الله عليه وآله فقال لها بابي انت وامي وبابي
ابوك وامي ونفسي ان كنت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله
شيئا او امرك بشيء لم ابتغ غيره ما تقولين واعطيتك ما تبتغين والا فاني
اتبع ما امرت به قال ابو بكر وحدثنا ابو زيد قال حدثنا عمرو بن مرزوق
عن شعبة عن عمرو بن مرة عن ابي البختري قال قال لها ابو بكر
لما طلبت فدك بابي انت وامي انت عندي الصادقة الامينة ان كان رسول الله
صلى الله عليه وآله عهد اليك فقالت لم يعهد الي في ذلك بشيء ولكن
الله تعالى يقول يوصيكم الله في اولادكم فقال اشهد لقد سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله يقول انا معاشر الانبياء لا نورث قلت وفي هذا من الاشكال
ما هو ظاهر لانها قد ادعت انه عهد اليها رسول الله صلى الله عليه وآله
في ذلك اعظم العهد وهو النحلة فكيف سكتت عن ذكر هذا لما سالها
ابو بكر وهذا اعجب العجب قال ابو بكر وحدثنا ابو زيد قال حدثنا محمد

فاين

الاشكال

اعجب العجب

بن يحيى

بن يحيى قال حدثنا عبد العزيز بن عمران ابن عبد العزيز بن عبد الله الانصاري
عن ابن شهاب عن مالك بن اوس ابن الحدثان قال سمعت عمر وهو يقول
للعباس وعلي بن عبد الرحمن ابن عوف والزبير وطلحة انشدكم الله
هل تعلمون ان رسول الله صلى الله كان يدخل نفقة اهل السنة من صدقاته
ثم يجعل ما بقي في بيت المال قالوا اللهم نعم قال عثمان توفي رسول الله
قبضها ابو بكر فجئت يا عباس تطلب ميراثك من ابن اخيك ان ابا بكر
وجئت يا علي تطلب ميراث زوجتك من ابيها وزعمتما ان ابا
بكر كان فيها خائنا فاجرا والله لقد كان امرا مطيعا تابعا للحق ثم توفي
ابو بكر فقبضتها فجئتماني تطلبان ميراثكما اما انت يا عباس فتطلب
ميراثك من ابن اخيك واما علي فيطلب ميراث زوجته من ابيها وزعمتما
اني فيها خائن فاجر والله يعلم اني فيها مطيع تابع للحق فاصلحا امركما والا
والله لم ترجع اليكما فقاما وتركا الخصومة وامضيت صدقة قال ابو
قال ابو عثمان ثم حدثنا عبد الرزاق الصنعاني عن معمر عن ابن شهاب
عن مالك بنحوه وقال في آخره فغلب علي عباسا عليها فكانت بيد علي
ثم كانت بيد الحسن ثم كانت بيد الحسين ثم علي بن الحسين ثم الحسن ابن
الحسن ثم زيد بن الحسن قلت وهذا الحديث يدل صريحا على انهما جاءا
يطلبان الميراث لا الولاية وهذا من المشكلات لان ابا بكر حسم المادة
اولا وقرر عند العباس وعلي وغيرهما ان النبي عليه السلام لا يورث وكان
عمر من المساعدين له على ذلك فكيف يعود العباس وعلي بعد وفاة ابي بكر يحاولان
ولانه امر قد كان فرغ منه ويئس من حصوله اللهم الا ان يكونا ظنا ان عمر ينقض

ولان

حقنا ابى بكر في هذه المسئلة وهذا بعيد لان عليا والعباس كانا في هذه المسئلة
يتهمان بهما الآن لابى بكر على ذلك الانزاه يقول يستمانى ويتهما ابا بكر الى الظلم
والجناية فكيف يظنان انه ينقض قضاء ابى بكر وبيعتهما واعلم ان الناس
يظنون ان نزاع فاطمة ابا بكر كان في امرين في الميراث والنحلة وقد وجدت
في الحديث انها نازعت في امر ثالث ومنعها ابو بكر اياه ايضا وهو سهم
ذوي القربى قال ابو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري اخبرني ابو زيد
عمر بن شبة قال حدثني هرون ابن عمر قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثني
صدقة ابن معوية عن محمد بن عبد الله عن محمد بن عبد الرحمن بن ابى
بكر عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك ان فاطمة اتت ابا بكر فقالت لقد
علمت الذي ظلمتنا عنه اهل البيت من الصدقات وما افاء الله علينا
من الغنائم في القرآن من سهم ذوي القربى ثم قرات عليه قوله تعالى واعلموا
انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى الآية فقال
لها ابو بكر بابى انت وامي ووالد ولدك السمع والطاعة لكتاب الله ولحق
رسول الله وقرابته وانا اقرأ من كتاب الله الذي تقرئين منه ولم يبلغ
علمي منه ان هذا السهم من الخمس يسلم اليكم كاملا قالت افلك هو ولاقربائك
قال لا بل انفق عليكم منه واصرف الباقي في مصالح المسلمين قالت ليس بهذا حكم
الله تعالى قال هذا حكم الله فان كان رسول الله عهد اليك واليه اهلك قالت
ان رسول الله لم يعهد الي في ذلك بشيء الا اني سمعته يقول ابشروا آل محمد فقد
جاءكم الغنى قال ابو بكر لم يبلغ علمي من هذه الآية ان اسلم عليكم هذا السهم كله كاملا
ولكن لكم الغنى الذي يغنيكم ويفضل عنكم وهذا عمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح

فسلهم

فسلهم عن ذلك وانظري هل يوافقك على ما طلبت احد منهم فانصرفت الى عمر
فقالت له مثل ما قالت لابى بكر فقال لها مثل ما قال لها ابو بكر فعجبت فاطمة
من ذلك فظنت انهما قد كانا تذاكرا ذلك واجتمعا عليه قال ابو بكر واخبرنا
ابو زيد قال حدثنا هرون ابن عمير قال حدثنا الوليد عن ابن لهيعة عن
ابى الاسود عن عروة قال ارادت فاطمة ابا بكر على فدك وسهم ذوي القربى فابى
عليها وجعلهما في مال الله تعالى قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال حدثنا احمد بن
معوية عن هشيم عن جويبر عن الضحاك عن الحسن بن محمد بن علي بن ابى طالب
ان ابا بكر منع فاطمة وبني هاشم سهم ذوي القربى وجعله في سبيل الله في السلاح
والكراع قال ابو بكر واخبرنا ابو زيد قال حدثنا حنان بن هلال عن محمد بن
يزيد بن زريع عن محمد بن اسحاق قال سالت ابا جعفر محمد بن علي رض ارايت
ارايت عليا حين ولي العراق وما ولي من امر الناس كيف
صنع في سهم ذوي القربى قال سلك بهم طريق ابى بكر وعمر قلت كيف ولم وانتم
تقولون ما تقولون قال اما والله ما كان اهله يصدرون الا عن رايه فقلت فما منعه
قال كان يكره ان يدعى عليه مخالفة ابى بكر وعمر قال ابو بكر وحدثني المؤمل
بن جعفر قال حدثني محمد بن ميمون عن داود بن المبارك قال اتينا عبد الله
بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن حسن ونحن راجعون من الحج في
جماعة فسالناه في مسائل وكنت احد من سأله فسألته عن ابى بكر وعمر فقال
سئل جدي عبد الله بن الحسن بن الحسين من هذه المسئلة فقال
كانت امي صديقة بنت نبي مرسل وماتت وهي غضبى على انسان فنحن
غضاب لغضبها فاذا رضيت رضينا قال ابو بكر وحدثني ابو جعفر محمد بن

القسم قال حدثني علي بن الصباح قال انشدنا ابو الحسن رواية المفضل للكميت

اهوى عليا امير المؤمنين ولا ارضى بشتم ابي بكر ولا عمرا ولا اقول وان لم

يعطيا فدكا بنت النبي ولا ميراثها كفرا الله يعلم ماذا يحضران به يوم القيمة

من عذر اذا اعتذرا قال ابن الصباح فقال لي ابو الحسين اتقول انه قد

اكفرهما في هذا الشعر قلت نعم قال كذلك هو قال ابو بكر حدثنا ابو زيد

عن هرون بن عمر عن الوليد ابن مسلم عن اسمعيل بن عباس عن محمد بن

السائب عن ابي صالح مولى ام هانی قال دخلت فاطمة على ابي بكر بعد ما

استخلف فسألته ميراثها من ابيها فمنعها فقالت له ان مت اليوم

من كان يرثك قال ولدي واهلي قالت فلم ورثت انت رسول الله صلى

الله عليه وآله قال ما فعلت يا بنت رسول الله قالت بلى انك عمدت

الى فدك وكانت صافية لرسول الله فاخذتها وعمدت الى ما انزله

الله من السماء فرفعته عنا فقال يا بنت رسول الله لم افعل حدثني رسول الله

صلى الله عليه وآله ان الله تعالى يطعم النبي الطعمة ما كان حيا فاذا قبضه الله

اليه رفعت فقالت انت ورسول الله اعلم ما انا بسائلتك بعد مجلسي ثم

انصرفت قال ابو بكر وحدثنا محمد بن زكريا قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن

المهلبي عن عبد الله بن حماد بن سليمان عن ابيه عن عبد الله بن حسن

بن حسن عن امه فاطمة بنت الحسن قالت لما اشتد بفاطمة بنت رسول الله

صلى الله عليه وآله الوجع وثقلت في علتها اجتمع عندها نساء من

نساء المهاجرين والانصار فقلن لها كيف اصبحت يا ابنة رسول الله

قالت اصبحت والله عائفة لدنياكم قالية لرجالكم لفظتهم بعد ان عجمتهم

قد اكفرهما

وشنئتهم

وشنئتهم بعد ان سبرتهم فقبحا لفلول الحد وخور القناة وخطل الرأي

وبئسما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون

لا جرم لقد قلدتهم ربقتها وشننت عليهم غارتها فجدعا وعقرا وسحقا

للقوم الظالمين ويحهم انى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد

النبوة ومهبط الروح الامين والطبين بامر الدنيا والدين الا

ذلك هو الخسران المبين وما الذي نقموا من ابي حسن نقموا والله نكير

سيفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله وتالله

لو تكافوا عن زمام نبذه اليه رسول الله لاعتلقه ولسار بهم سيرا

سجحا لا يكلم خشاشه ولا يتعتع راكبه ولاوردهم منهلا نميرا فضفاضا

تطفح ضفتاه ولاصدرهم بطانا قد تحير بهم الري غير متحل بطائل

لا بغمر الناهل وردعة سورة الساغب ولفتحت عليهم بركات

من السماء والارض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون الا هلم فاستمع

وما عشت اراك الدهر عجبا وان تعجب فقد اعجبك الحادث الى اي

لجأ استندوا وباي عروة تمسكوا لبئس المولى ولبئس العشير ولبئس

للظالمين بدلا استبدلوا والله الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل فرغما

لمعاطس قوم يحسبون انهم يحسنون صنعا الا انهم هم المفسدون ولكن

لا يشعرون ويحهم افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي

الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون اما لعمر الله لقد لقحت فنظرة ريثما

تنتج ثم احتلبوها طلاع القعب دما عبيطا وزعافا ممقرا هنالك

يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما اسس الاولون ثم طيبوا

عن انفسكم نفساً واطمئنوا للفتنة جاشاً وابشروا بسيف صارم
وهرج شامل واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً وجمعكم حصيداً
فيا حسرة عليكم وانى لكم وقد عميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون
والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين
قلت هذا الكلام وان لم يكن فيه ذكر فدك والميراث الا انه من تتمة
ذلك وفيه ايضاح لما كان عندها وبيان لشدة غيظها وغضبها
وغيظها فانه سياتي فيما بعد ذكر ما ناقض به قاضي القضاة والمرتضى
في انها هل كانت غضبى ام لا ونحن لا نتعصب مذهباً وانما نذكر ما
واذا جرى بحث نظري ما يقتضيه الانصاف منه واعلم انا انما ذكرنا في
هذا الفصل ما رواه رجال الحديث وثقاتهم وما اودعه احمد بن عبد العزيز
الجوهري في كتابه وهو من الثقات الامناء عند اصحاب الحديث
فاما ما يرويه رجال الشيعة والاخباريون منهم في كتبهم من قولهم
انهما اهاناها واسمعاها كلاماً غليظاً وان ابا بكر رق لها حيث لم
يكن عمر حاضراً فكتب لها بفدك كتاباً فلما خرجت به وجدها عمر فمد يده
اليه ليأخذه مغالبة فمنعته فدفع بيده في صدرها واخذ الصحيفة
فخرقها بعد ان تفل فيها فمحاها وانها دعت عليه فقالت
بقر الله بطنك كما بقرت صحيفتي فشيء لا يرويه اصحاب الحديث
ولا ينقلونه وقدر الصحابة يجل عنه وكان عمر اتقى لله واعرف لحقوق
الله من ذلك وقد نظمت الشيعة بعض هذه الواقعة التي ذكرناها
شعراً كقوله ابيات لمهيار بن مرزويه الشاعر من قصيدته التي

لا يرويه

اولها

اولها يا ابنة للقوم نزال • بابخ قبلي اباك • وقد ذيل عليها بعض الشيعة واتمها
والابيات • يا ابنة الطاهر كم • تقرع بالظلم عصاك • غضب الله لخطب • ليلة
الطف عراك • ورعى النار غداً قط • رعى ليس حماك • من لم يعطفه شكواك
ولا استعبرا بكاك • واقتدى الناس به • بعد فاردى ولداك • يا ابنة
الراقي الى السدرة في لوح السماك • لهف نفسي وعلى • مثلك فلتبك البواكي
كيف لم تقطع يد • مد اليك ابن صهاك • فرحوا يوم اهانوك • بما شانا اباك
ولقد اخبرهم ان رضاه في رضاك • دفعا النص على • ارثك لما دفعاك • وتعرضت
لقدر • نافه فانتهراك • وادعيت النحلة • المشهود فيها بالصكاك • فاستشاطا
ثم ما ان كذبا ان كذباك • فزوى الله عن الرحمة • زنديقاً نفاك • ونفى
عن بابنا الرابع • شيطان نفاك • فانظر الى هذه البلية التي صبت من كفرهم
على سادات المسلمين واعلام المهاجرين وليس ذلك بقادح في علو شانهم
وجلالة مكانهم كما ان مبغضي الانبياء وحسدتهم ومصطفى الكتب في الحاق
العيب بهم ما لتهجين لشرائعهم لم تزدد الانبياء بهم الا رفعة ولا ازدادت
شرائعهم الا انتشاراً في الارض وقبولاً في النفس وبهجة ونوراً عند ذوي
الالباب والعقول وقال لعلوي من الحلة يعرف بعلي بن مهنا ذكي وفضائل
ما بظن قصد ابو بكر وعمر بمنع فاطمة فدك قلت ما قصدا قال ارادا ان
لا يظهرا لعلي وقد اغتصباه الخلافة رقة ولينا وخذلاناً ولا يرى
عندهما خوراً فاتبعا القرح بالقرح وقلت لمتكلم من متكلمي الامامية
يعرف بعلي بن تقي من بلاد النيل وهل كانت فدك الا نخلاً يسيراً وعقاراً
ليس بذلك الخطير فقال لي ليس الامر كذلك بل كانت جليلة جداً وكان فيها

فانظر الى

من النخل نحوها بالكوفة الآن من النخل وما قصد ابو بكر وعمر من منع فاطمة
عنها الا ان لا يتقوى علي بحاصلها وغلتها على المنازعة في الخلافة ولهذا ابتغاء
ذلك بمنع فاطمة وعلي وسائر بني هاشم وبني المطلب حقهم في الخمس فان الفقير
الذي لا مال له تضعف همته وتتصاغر عند نفسه ويكون مشغولا بالاحتراف
والاكتساب عن طلب الملك والرياسة فانظر الى ما قد وقر في صدور هؤلاء
وهو داء لا دواء له وما اكثرها تنزل الاخلاق والشيم فاما العفا بدار الآخرة
ولا سبيل اليها

الفصل الثاني

في النظر في ان النبي صلى الله عليه وآله
هل يورث ام لا نذكر في هذا المعنى وما اعترض به وان استضعفنا شيئا
من ذلك قلنا ما عندنا فيه ولا تركناه على حاله قال الكرخي اول ما ابتدا به
قاضي القضاة حكاية عنا استدلالنا على انه صلى الله عليه وآله موروث بقوله
تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وهذا الخطاب عام يدخل
فيه النبي صلى الله عليه وآله وغيره ثم اجاب بعض قاضي القضاة عن ذلك
فقال ان الخبر الذي احتج به ابو بكر يعني قوله نحن معاشر الانبياء لا نورث وطلحة
والزبير وسعدا وعبد الرحمن فشهدوا به فكان لا يحل لابي بكر وقد صار الامر اليه
ان يقسم التركة ميراثا وقد خبر الرسول عليه السلام بانها صدقة وليست بميراث
واقل ما في هذا الباب ان يكون الخبر من اخبار الآحاد فلو ان شاهدين
شهدا في التركة ان فيها حقا اليس كان يجب ان يصرفه ذلك عن الارث
فعلمه بما قال الرسول عليه الصلاة والسلام مع شهادة غيره اقوى ولسنا
نجعله مدعيا لانه لم يدع ذلك لنفسه وانما بين انه ليس بميراث وانه
صدقة لا يمتنع تخصيص القرآن بذلك كما يخص في العبد والقاتل وغيرهما

فانظر

وليس

وليس ذلك بنقص في الانبياء بل هو اجلال لهم يرفع الله به قدرهم عن ان
يورثوا المال وكان ذلك من اوكد الدواعي ان لا يتشاغلوا بجمعه لان احد
الدواعي القوية الى ذلك تركه على الاولاد والاهلين ولما سمعت فاطمة
رض ذلك من ابي بكر كفت عن الطلب فيما يثبت من الاخبار الصحيحة فلا يمتنع
ان تكون غير عارفة بذلك فطلبت الارث فلما روي لها ما روى كفت
فاصابت اولا واصابت ثانيا وليس لاحد ان يقول كيف يجوز ان يبين
النبي صلى الله عليه وآله ذلك للقوم ولا حق لهم في الارث ويدع ان يبين
ذلك لمن له حق الارث مع ان التكليف يتصل به وذلك لان
التكليف في ذلك يتعلق بالامام فاذا بين له جاز ان لا يبين لغيره ويصير
البيان له بيانا لغيره وان لم يسمعه من الرسول عليه السلام لان هذا
الجنس من البيان يجب ان يكون بحسب المصلحة قال ثم حكى عن ابي علي
انه قال ايعلمون كذب ابي بكر في هذه الرواية ام يجوزون ان يكون
صادقا قال وقد علم انه لا شيء يقطع به على كذبه فلا بد من تجويز كونه
صادقا واذا صح قيل لهم فهل كان يحل له مخالفة الرسول صلى الله عليه
وآله فان قالوا لو كان صدقا لظهر واشتهر قيل لهم ان ذلك من باب العمل
فلا يمتنع ان ينفرد بروايته جماعة يسيرة بل الواحد والاثنين مثل سائر
الاحكام ومثل الشهادات فان قالوا نعلم انه لا يصح لقوله تعالى في كتابه
وورث سليمان داود قيل لهم ومن اين انه ورثه الاموال مع تجويز ان
يكون ورثه العلم والحكمة فان قالوا اطلاق الميراث لا يكون الا في الاموال
قيل لهم ان كتاب الله تعالى يبطل قولكم لانه قال ثم اورثنا الكتاب الذين

اصطفينا من عبادنا والكتاب ليس بمال ويقال في اللغة ما ورثت
الابناء عن الاباء شيئا افضل من ادب حسن وقالوا العلماء ورثة الانبياء
وانما ورثوا منهم العلم دون المال على ان في آخر الآية ما يدل على ما قلناه وهو قوله
تعالى حاكيا عنه وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل
شيء ان هذا لهو الفضل المبين فنبه على ان الذي ورث هو هذا
العلم وهذا الفضل والا لم يكن لهذا القول تعلق بالاول فان قالوا فقد
قال تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب وذلك يبطل
الخبر قيل لهم ليس في ذلك بيان المال ايضا وفي الآية ما يدل على ان المراد النبوة
والعلم لان زكريا خاف على العلم ان يندرس وقوله واني خفت الموالي من ورائي
يدل على ذلك لان الانبياء لا تحرص على الاموال حرصا يتعلق خوفهم بها
وانما اراد خوفه على العلم ان يضيع فسال الله تعالى وليا يقوم بالدين مقامه
وقوله ويرث من آل يعقوب يدل على ان المراد العلم والحكمة لانه لا يرث
اموال يعقوب في الحقيقة وانما يرث ذلك غيره قال فاما من يقول ان المراد
انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة اي جعلناه صدقة في حال حياتنا
لا نورث فركيك من القول لان اجماع الصحابة بخلافه لان احدا لم يتأوله
على هذا الوجه ولانه لا يكون في ذلك تخصيص للانبياء ولانه [illegible]
قوله ما تركناه صدقة جملة من الكلام مستقلة بنفسها كانه عليه
السلام مع بيانه انهم لا يورثون المال يبين انه صدقة لانه قد كان يجوز ان
لا يكون ميراثا ويصرف الى وجه آخر غير الصدقة قال فاما اخبار السيف والبغلة
والعمامة وغير ذلك فقد قال ابو علي انه لم تثبت ان ابا بكر دفع ذلك الى امير

المؤمنين

المؤمنين على جهة الارث كيف يجوز ذلك مع الخبر الذي رواه وكيف
يجوز لو كان وارثا ان يخصه بذلك ولا ارث له مع العم لانه عصبة
فان كان وصل الى فاطمة فقد كان ينبغي ان يكون العباس شريكا في ذلك
وازواج الرسول عليه السلام ولوجب ان يكون ذلك ظاهرا مشهورا ليعرف
انهم اخذوا نصيبهم من ذلك او بدله ولا يجب اذا لم يدفع ابو بكر اليه على جهة
الارث ان لا يحصل ذلك في يده لانه قد يجوز ان يكون النبي صلى الله
عليه وآله نحله ذلك ويجوز ايضا ان يكون ابو بكر راى الصلاح في ذلك
ان يكون بيده لما فيه من تقوية الدين وتصدق ببدله بعد التقويم
لان الامام ان يفعل ذلك وحكى عن ابي علي في البردة والقضيب
انه لم يمتنع ان يكون جعله هبة في سبيل الله وتقوية على المشركين فتداوله
الائمة لما فيه من التقوية وراى ان ذلك اولى من ان يتصدق به ان ثبت
انه عليه السلام لم يكن قد نحله غيره في حياته ثم عارض نفسه بطلب ازواج
النبي صلى الله عليه وآله الميراث وتنازع امير المؤمنين والعباس رحمه الله
بعد موت فاطمة واجاب عن ذلك بان قال يجوز ان يكونوا لم يعرفوا رواية
ابي بكر وغيره للخبر وقد روي ان عائشة لما عرفتهن الخبر امسكن وقد
بينا انه لا يمتنع في مثل ذلك ان يخفى على من يستحق الارث ويعرفه
من يتقلد الامر كما يعرف [illegible] العلما والحكام من احكام المواريث ما لا يعلمه
ارباب الارث وقد بينا ان رواية ابي بكر مع الجماعة اقوى من شاهدين
لو شهدا ان بعض تركته عليه السلام دين وهو اقوى من رواية سلمان وابن
مسعود لو رويا ذلك قال ومتى تعلقوا بعموم القرآن اريناهم جواز التخصيص

بهذا الخبر كما ان عموم القرآن يقتضي كون الصدقات للفقراء وقد ثبت ان آل
محمد لا يحل لهم الصدقة هذا آخر ما حكاه المرتضى من كلام قاضي القضاة
ثم قال ونحن نبين اولاً ما يدل على انه صلى الله عليه وآله يورث المال ونرتب
الكلام في ذلك الترتيب الصحيح ثم نعطف على ما اورده ونتكلم عليه قال
رضي الله عنه والذي يدل على ما ذكرنا قوله تعالى مخبراً عن زكريا عليه
السلام واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من
لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً فخبر انه خاف
من بني عمه لان الموالي ههنا هم بنو العم بلا شبهة وانما خافهم ان يرثوا
ماله فينفقوه في الفساد لانه كان يعرف ذلك من خلائقهم وطرائقهم
فسأل ربه ولداً يكون احق بميراثه منهم والذي يدل على ان المراد بالميراث
المذكور من الآية ميراث المال دون العلم والنبوة على ما يقولون ان لفظة
الميراث في اللغة والشريعة لا يفيد اطلاقها الا ما يجوز ان ينتقل على الحقيقة
من الموروث الى الوارث كالاموال وما في معناها ولا يستعمل في غير المال الا تجوزاً
واتساعاً ولهذا لا يفهم من قول القائل لا وارث لفلان الا فلان ويرث مع فلان
بالظاهر والاطلاق الا ميراث الاموال والاعراض دون العلم وغيرها وليس لنا
ان نعدل عن ظاهر الكلام وحقيقته الى مجازه بغير دلالة وايضاً فانه تعالى
خبر عن نبيه انه اشترط في وارثه ان يكون رضياً ومتى لم يحمل الميراث في الآية
على المال دون العلم والنبوة لم يكن للاشتراط معنى وكان لغواً وعبثاً لانه اذا كان
انما سأل ان يقوم مقامه ويرث مكانه فقد دخل الرضا وما هو اعظم من الرضا
في جملة كلامه وسؤاله فلا معنى للاشتراط الا ترى انه لا يحسن ان يقول اللهم

بعث الينا نبياً واجعله عاقلاً ومكلفاً فاذا ثبتت هذه الجملة صح ان زكريا موروث
ماله وصح ايضاً بصحتها ان نبينا عليه السلام ممن يورث المال لان الاجماع واقع
على ان حال نبينا عليه السلام لا يخالف حال الانبياء المتقدمين في ميراث المال
فمن مثبت للامرين ونافٍ للامرين قلنا ان شيخنا ابا الحسين قال في كتاب
الغرر صورة الخبر الوارد في هذا الباب لا نورث فلا يلزم من كون زكريا يورث
الطعن في الخبر تصحيحه انا كنا نحتاج في الحديث فوجدت في صيغة الخبر
كما قال ابو الحسين فان كان رسول الله صلى الله عليه وآله عنى نفسه خاصة
بذلك فقد سقط احتجاج الشيعة بقصة زكريا وغيره من الانبياء الا انه
يبعد عندي ان يكون اراد نفسه خاصة لانه لم تجر عادته ان يخبر عن نفسه
شيئاً بالنون فان قلت ايصح من المرتضى ان يوافق على ان صورة الخبر هكذا ثم يحتج
بقصة زكريا بان يقول اذا ثبت ان زكريا موروث ثبت ان رسول الله صلى
الله عليه وآله يكون موروثاً لاجماع الامة على انه لا فرق بين الانبياء كلهم في
هذا الحكم قلنا ان ثبت له هذا الاجماع صح احتجاجه ولكن ثبوته يبعد لان من
نفى كون زكريا عليه السلام موروثاً من الامة انما نفاه لاعتقاده ان رسول الله
صلى الله عليه وآله قال نحن معاشر الانبياء فاذا كان لم يقل هكذا لم يقل ان زكريا
غير موروث قال المرتضى ومما يقوي ما قدمناه ان زكريا خاف بني عمه فطلب
وارثاً لاجل خوفه ولا يليق خوفه منهم الا بالمال دون العلم والنبوة لانه عليه
السلام كان اعلم بالله تعالى من ان يخاف ان يبعث نبياً ليس باهل للنبوة وان
يورث علمه من ليس باهل لها ولانه انما بعث لاذاعة العلم ونشره في الناس فلا يجوز
ان يخاف من الامر الذي هو الغرض في البعثة فان قيل هذا يرجع عليكم

في الحق من ارث المال لان ذلك غاية الضن والبخل قلنا معاذ الله ان يستوي
الحال لان المال قد يصح ان يرزقه الله تعالى المؤمن والكافر والعدو والولي ولا
يصح ذلك في النبوة وعلومها وليس من الضن ان ياسى على بني عمه وهم من
اهل الفساد ان يظفروا بماله فينفقوه على المعاصي ويصرفوه في غير وجوهه
المحبوبة بل ذلك هو غاية الحكمة وحسن التدبير في الدين لان الدين يحظر
تقوية الفساق وامدادهم بما يعينهم على طرائقهم المذمومة وما يعد ذلك
شحا ولا بخلا الا من لا تامل له فان قيل فالا جاز ان يكون خاف من بني عمه ان يرثوا
علمه وهم من اهل الفساد على ما ادعيتم فيستفسدوا به الناس ويموهوا به عليهم قلت
لا يخلو هذا العلم الذي اشرتم اليه من ان يكون هو كتب علمه وصحف حكمته لان
ذلك قد تسمى علما على طريق المجاز او يكون هو العلم الذي يحل القلب فان كان
الاول فهو يرجع الى معنى المال ويصح ان الانبياء عم يورثون اموالهم وما في
معناها وان كان الثاني لم يخل هذا العلم اما ان يكون هو العلم الذي بعث النبي
عليه السلام لنشره واداية او يكون علما مخصوصا لا يتعلق بالشريعة ولا يجب
اطلاع جميع الامة عليه كعلم العواقب وما يجري في مستقبل الاوقات وما
جرى مجرى ذلك والقسم الاول لا يجوز على النبي ان يخاف من وصوله الى بني
عمه وهم من جملة امته الذين بعث لاطلاعهم على ذلك وتاديته اليهم وكانه
على هذا الوجه يخاف مما هو الغرض من بعثته والقسم الثاني فاسد ايضا لان هذا
العلم المخصوص انما يستفاد من جهته ويوقف عليه باطلاعه واعلامه وليس
هو مما يجب نشره في جميع الناس فقد كان يجب اذا خاف من القاية الى بعض الناس
فسادا ان لا يلقيه اليه فان ذلك في يده ولا يحتاج الى اكثر من ذلك [illegible]

يعكس

يعكس هذا على المرتضى رحمه الله ويقول له وقد كان يجب اذا خاف من ان يرث
بنو عمه امواله فينفقوها في الفساد ان يتصدق بها على الفقراء والمساكين
فان ذلك في يده فيحصل له ثواب الصدقة ويحصل غرضه من حرمان اولئك
المفسدين ميراثه قال المرتضى رضي الله عنه ومما يدل على ان الانبياء عليهم السلام
يورثون قوله تعالى وورث سليمان داود وظاهر من الاطلاق لفظة الميراث
يقتضي الاموال وما في معناها على ما دللنا به من قبل قال ويدل ايضا على
ذلك قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين الاية
وقد اجتمعت الامة على عموم هذه اللفظة الا من اخرجه الدليل فيجب ان يتمسك
بعمومها لمكان هذه الدلالة ولا يخرج عن حكمها الا من اخرجه دليل قاطع
قلنا اما قوله تعالى وورث سليمان داود فظاهرها يقتضي وراثة النبوة او الملك
والعلم الذي قال في اول الاية ولقد آتينا داود وسليمان علما لانه لا يعني لذكر
ميراث سليمان المال فان غيره من اولاد داود قد ورث ايضا اباه داود في
كتب اليهود والنصارى ان بني داود كانوا تسعة عشر وقد قال بعض المسلمين
ذلك فاي معنى في تخصيص سليمان بالذكر اذا كان ارث المال واما يوصيكم الله
في اولادكم فالبحث في تخصيص ذلك بالخبر فرع مسئلة خبر الواحد هل هو حجة
في الشرعيات ام لا فان ثبت مذهب المرتضى في كونه ليس بحجة فكلامه
ههنا جيد وان لم يثبت فلا مانع من تخصيص العموم بالخبر فان الصحابة
قد خصصت عمومات الكتاب بالاخبار في مواضع كثيرة قال المرتضى
فاما تعلق صاحب الكتاب بالخبر الذي رواه ابو بكر وادعاه انه استشهد
عمر وعثمان وفلانا وفلانا فاول ما فيه ان الذي ادعاه من الاستشهاد غير معروف

تسعة عشر

والذي روي ان عمر استشهد هؤلاء النفر لما تنازع امير المؤمنين والعباس رضي الله عنه في الميراث فشهدوا بالخبر المتضمن لنفي الميراث وانما يقول المخالفنا في صحة الخبر الذي رواه ابو بكر عند مطالبة فاطمة بالارث على امساك الامة عن النكير عليه والرد لقضيته قلت صدق المرتضى رحمه الله فيما قال اما عقيب وفاة النبي عليه وآله ومطالبة فاطمة بالارث فلم يرو الخبر الا ابو بكر وحده حتى قيل انه رواه معه مالك بن اوس بن الحدثان واما المهاجرون الذين ذكرهم قاضي القضاة فانما شهدوا بالخبر في خلافة عمر وقد تقدم ذكر ذلك قال المرتضى ثم لو سلمنا استشهاد من ذكر على الخبر لم يكن فيه حجة لان الخبر على كل حال لا يخرج من ان يكون غير موجب للعلم وهو في حكم اخبار الاحاد وليس يجوز ان يرجع عن ظاهر القرآن بما يجري هذا المجرى لان المعلوم لا يخص الا بمعلوم واذا كانت دلالة الظاهر معلومة لم يجز ان يرجع عنها بامر مظنون قال وهذا الكلام مبني على ان تخصيص الكتاب والسنة المقطوع بها لا يقع باخبار الاحاد وهو المذهب الصحيح وقد استوفينا الى ما يمكن ان يعتمد في الدلالة عليه من ان الظن لا يقابل العلم ولا يرجع عن المعلوم بالمظنون قال وليس لهم ان يقولوا ان التخصيص باخبار الاحاد يستند ايضا الى علم وان كان الطريق مظنونا قال وليس لهم ان يقولوا ان التخصيص باخبار الاحاد يستند ايضا الى علم وان كان الطريق مظنونا ويشيروا الى ما يدعونه من الدلالة على وجوب العمل بخبر الواحد في الشريعة وانه حجة لان ذلك مبني من قولهم على ما لا نسلمه وقد دل الدليل على فساده اعني قولهم خبر الواحد حجة في الشرع على انه لو سلم لهم ذلك لاحتاجوا الى دليل مستانف

على انه يقبل في تخصيص القرآن لان ما دل على العمل به في الجملة لا يتناول هذا الموضع كما لا يتناول جواز النسخ قلت اما قول المرتضى لو سلمنا ان هؤلاء المذكورين في السنة رووه لما خرج عن كونه خبر واحد ولما جاز ان يرجع عن عموم الكتاب به لانه معلوم والخبر مظنون فلقائل ان يقول لمثله في كل واحد من ايات القرآن رواية مثل هذا السنة حيث جمع القرآن على عهد عثمان ومن قبله من الخلفاء فانهم بدون هذا العدد كانوا يقبلون في اثبات الاية في المصحف بل كانوا يحتلفون من اتاهم بالاية ومن نظر في كتب التواريخ عرف ذلك فان كان العدد انما يفيد الظن فالقول في آيات الكتاب كذلك وان كانت ايات الكتاب انما ثبتت عن علم مستفاد من رواية هذا العدد ونحوه فالخبر مثل ذلك فاما مذهب المرتضى في خبر الواحد فانه قول تفرد به على سائر الشيعة لان من قبله من فقهائهم ما عولوا في الفقه الا على الاخبار الاحاد كزرارة ويونس وابي بصير وابن بابويه والحلبي وابي جعفر القمي وغيرهم ثم من كان في عصر المرتضى منهم كابي جعفر الطوسي وغيره وقد تكلمت في اعتبارنا الذريعة على ما اعتمد عليه في هذه المسئلة واما تخصيص الكتاب بخبر الواحد فالظاهر انه اذا صح كون خبر الواحد حجة في الشرع جاز تخصيص الكتاب به وهذا من اصول الفقه فلا معنى لذكره ههنا قال المرتضى رضي الله عنه وهذا يسقط قول صاحب الكتاب ان شاهدين لو شهدا ان في التركة حقا لكان يجب ان ينصرف عن الارث وذلك لان الشهادة وان كانت مظنونة فالعمل بها يستند الى علم لان الشريعة قد قررت العمل بالشهادة ولم تقرر العمل بخبر الواحد وليس له ان يقيس خبر الواحد على الشهادة من حيث

اجتمعا في غلبة الظن لانا لم نعمل على الشهادة من حيث غلبة الظن دون ما ذكرناه
من تعبد الشريعة لنعمل بها الا ترى انا قد نظن صدق خبر الفاسق والمرأة
والصبي وكثير ممن لا يجوز العمل بقوله فبان ان المعول في هذا على المصلحة التي
يستفيدها على الجملة من دليل الشرع قال وابو بكر في حكم المدعي
لنفسه والجار اليها بخلاف ما ظنه صاحب الكتاب وكذلك من شهد له
ان كانت هناك شهادة وذلك ان ابا بكر وسائر المسلمين سوى اهل بيت
الرسول يحل لهم الصدقة ويجوز ان يصيبوا منها وهذه تهمة في الحكم والشهادة
قال وليس له ان يقول فهذا يقتضي ان لا يقبل شهادة شاهدين في
تركة فيها صدقة لمثل ما ذكرتم وذلك لان الشاهدين اذا شهدا بالصدقة
فحظهما منها كحظ صاحب الميراث بل سائر المسلمين وليس كذلك حال تركة
الرسول صلى الله عليه وآله لان كونها صدقة يحرمها على ورثته ويبيحها
لسائر المسلمين قلت هذا فرق غير مؤثر في دفع التهمة الا انه يقتضي تهمة ابي بكر و
الشهود التهمة في جر النفع الى انفسهم يكون اكثر من تهمتهم لو شهدوا على
ابي هريرة مثلا ان ما تركه صدقة لان اهل ابي هريرة يشاركون الشهود في
القسمة واهل النبي صلى الله عليه وآله لا يشاركون الشهود فيما يصيبهم لانهم
لا تحل لهم الصدقة فتكون حصة ابي بكر والشهود مما تركه رسول الله صلى الله
عليه وآله اكثر من حصتهم مما يتركه ابو هريرة فيكون تطرق التهمة الى ابي بكر
والشهود اكثر بحسب زيادة حصتهم وما وقف المرتضى على شيء اطرف من هذا
لان رسول الله صلى الله عليه وآله مات والمسلمون من خمسين الف انسان لانه
قاد في غزاة تبوك عشرين الفا ثم وفدت اليه الوفود كلها بعد ذلك فليت شعري

كم مقدار

كم مقدار ما يتوزع على ابي بكر وستة نفر معه وهم من جملة خمسين الفا بين ما اذا
كان بنو هاشم وبنو المطلب وهم حينئذ عشرة نفر لا يأخذون حصتهم وبين ما اذا
كانوا يأخذون اترى يكون التوفر على ابي بكر وشهوده من التركة عشر
عشر درهم ما اظن انه يبلغ ذلك وكم مقدار ما يقل حصص الشهود على ابي هريرة
اذا اشركهم اهله في التركة ليكون هذه القلة موجبة رفع التهمة وتلك الزيادة
والكثرة موجبة حصول التهمة وهذا الكلام لا ارتضيه للمرتضى قال المرتضى رضي
الله عنه واما قوله نخص القرآن بالخبر كما خصصناه في العبد والقاتل فليس
بشيء لانا انما خصصنا من ذكر بدليل مقطوع عليه معلوم وليس هذا موجبا
في الخبر الذي ادعاه فاما قوله وليس ذلك ينقص للانبياء بل هو اجلال
لهم فمن الذي قال لك ان فيه نقصا وكما انه لا نقص فيه فلا اجلال ولا فضيلة
فيه لان الدواعي وان كانت قد تقوى على جمع المال لتخلفه على الورثة فقد
يقوى بها ايضا ارادة صرفه في وجوه الخير والبر وكلا الامرين يكون داعيا الى تحصيل
المال بل الداعي الذي ذكرناه اقوى فيما يتعلق بالدين قال فاما قوله ان فاطمة
لما سمعت ذلك كفت عن الطلب فاصابت اولا واصابت ثانيا فلعمري انها
كفت عن المنازعة والمشاحة لكنها انصرفت مغضبة متظلمة متألمة والامر
في غضبها وسخطها اظهر من ان يخفى على منصف فقد روى اكثر الرواة الذين
لا يتهمون بتشيع ولا عصبية فيه من كلامها في تلك الحال وبعد انصرافها
عن مقام المنازعة والمطالبة ما يدل على ما ذكرناه من سخطها وغضبها اخبرنا
ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا
احمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال حدثني الزيادي قال حدثنا الشرقي بن القطامي

عن محمد بن اسحاق قال حدثنا صالح بن كيسان عن عروة عن عايشة قال لما بلغ فاطمة
اجماع ابي بكر على منعها فدك لاثت خمارها على راسها واشتملت بجلبابها
واقبلت في لمة من حفدتها قال المرتضى واخبرنا المرزباني قال حدثنا
ابو بكر احمد بن محمد المكي قال حدثنا ابو العيناء محمد بن القاسم اليمامي قال
حدثنا ابن عايشة قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله اقبلت
فاطمة الى ابي بكر في لمة من حفدتها ثم اجتمعت الروايتان من هاهنا
ونساء قومها تطاء ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى
الله عليه وآله وهو في حشد من المهاجرين والانصار وغيرهم فنيطت
دونها ملاءة ثم انت انة اجهش لها القوم بالبكاء وارتج المجلس ثم امهلت
هنيهة حتى اذا سكن نشيج القوم افتتحت كلامها بالحمد لله عز وجل والثناء
عليه والصلوة على رسوله صلى الله عليه وآله ثم قالت لقد جاءكم رسول
من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم
فان تعزوه تجدوه ابي دون آبائكم واخا ابن عمي دون رجالكم فبلغ
الرسالة صادعا بالنذارة عن سنن المشركين ضاربا لثبجهم يدعو الى
سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة آخذا باكظام المشركين يهشم الاصنام
ويفلق الهام حتى انهزم الجمع وولوا الدبر حتى تفرى الليل عن صبحه واسفر
الحق عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين وتمت
كلمة الاخلاص وكنتم على شفا حفرة من النار نهزة الطامع ومذقة
الشارب وقبسة العجلان وموطئ الاقدام تشربون الطرق وتقتاتون
القد اذلة خاسئين يتخطفكم الناس من حولكم حتى انقذكم الله

برسوله

برسوله صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي وبعد ان مني ببهم الرجال وذؤبان
العرب ومردة اهل الكتاب كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله او نجم قرن
للشيطان او فغرت فاغرة قذف اخاه في لهواتها فلا ينكفي حتى يطاء
صماخها باخمصه ويطفي عادية لهبها بسيفه او قال ويخمد لهبها مكدودا
في ذات الله وانتم في رفاهية فكهون آمنون وادعون الى ههنا انتهى
خبر ابي العيناء عن ابن عايشة واما عروة عن عايشة فزاد بعد هذا حتى
اذا اختار الله لنبيه دار انبيائه ظهرت حسيكة النفاق وسمل جلباب
الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الآفكين وهدر فنيق المبطلين
ونبغ يخطر في عرصاتكم واطلع الشيطان راسه صارخا بكم فالفاكم لدعوته
مستجيبين وللغرة ملاحظين ثم استنهضكم فوجدكم خفافا واحمشكم
فالفاكم غضابا فوسمتم غير ابلكم واوردتكم هذا والعهد قريب والكلم
رحيب والجرح لما يندمل انما زعمتم خوف الفتنة الا في الفتنة سقطوا
وان جهنم لمحيطة بالكافرين فهيهات وانى بكم وانى تؤفكون وكتاب الله
بين اظهركم زواجره بينة وشواهده لايحة واوامره واضحة ارغبة تريدون
ام لغيره تحكمون بئس للظالمين بدلا ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه وهو في الآخرة من الخاسرين ثم لم تلبثوا الا ريث ان تسكن نفرتها
تشربون حسوا في ارتغاء ونحن نصبر منكم على مثل حز المدى وانتم الآن تزعمون
ان لا ارث لنا افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
يا ابن ابي قحافة اترث اباك ولا ارث ابي لقد جئت شيئا فريا فدونكها
مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد

القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ثم انكفأت الى قبر ابيها عليه السلام فقالت

قد كان بعدك انباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب انا فقدناك

فقد الارض وابلها واختل قومك فاشهدهم ولا تغب وروى حرمي بن ابي

العلاء هذين البيتين بيتًا ثالثًا قليت بعدك كان الموت صادفنا لما

قضيت وحالت دونك الكثب قال فحمد الله ابو بكر الله واثنى عليه وصلى على

رسول الله صلى الله عليه وآله وقال يا خيرة النساء وابنة خير الآباء والله ما عدوت

رأي رسول الله صلى الله عليه وآله ولا عملت الا باذنه وان الرائد لا يكذب

اهله واني اشهد الله وكفى بالله شهيدًا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه

وآله يقول انا معاشر الانبياء لا نورث ذهبًا ولا فضة ولا دارًا ولا عقارًا

وانما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة فلما وصل الامر الى علي بن ابي

طالب كلم في رد فدك فقال اني لاستحيي من الله ان اردّ شيئًا منع منه ابو بكر

وامضاه عمر قال المرتضى رضي الله عنه واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال

حدثني علي بن هارون قال اخبرني عبيد الله بن احمد بن ابي طاهر عن ابيه

قال ذكرت لابي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين

بن علي بن ابي طالب كلام فاطمة عند منع ابي بكر اياها فدك وقلت له ان هؤلاء

يزعمون انه مصنوع وانه من كلام ابي العيناء لان الكلام منسوق البلاغة

فقال لي رايت مشايخ آل ابي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه اولادهم وقد

حدثني به ابي عن جدي يبلغ به فاطمة على هذه الحكاية وقد رواه مشايخ الشيعة

وتدارسوه قبل ان يوجد جد ابي العيناء وقد حدث الحسين بن علوان عن عطية

العوفي انه سمع عبد الله بن الحسن بن الحسن يذكر عن ابيه هذا الكلام ثم قال

ابو الحسين

ابو الحسين زيد وكيف ينكرون هذا من كلام فاطمة وهم يروون من كلام عائشة

عند موت ابيها ما هو اعجب من كلام فاطمة ويحققونه لولا عداوتهم لنا اهل البيت

ثم ذكر الحديث بطوله على نسقه وزاد في الابيات بعد البيت من الاولين

ضاقت على بلادي بعدما رحبت وسيم سبطاك خسفًا فيه لي نصب فليت

قبلك كان الموت صادفنا قوم تمنوا فاعطوا كل ما طلبوا تجهمتنا رجال واستخف

بنا مذ غبت عنا وكل الارث قد غصبوا قال فما رأينا اكثر باكيًا من ذلك اليوم قال

المرتضى وقد روي هذا الكلام على هذا الوجه من طرق مختلفة ووجوه كثيرة

فمن ارادها من مواضعها فكيف يدعي انها رضي الله عنها كفت راضية

وامسكت قانعة لولا البهت وقلة الحياء قلت ليس في هذا الخبر ما يدل على

فساد ما ادعاه قاضي القضاة لانه ادعى انها نازعت وخاصمت ثم كفت لما

سمعت الرواية وانصرفت تاركة للنزاع راضية بموجب الخبر المروي وما ذكره

المرتضى من هذا الكلام لا يدل على انها بعد رواية الخبر وبعد ان اقسم لها ابو

بكر بالله تعالى انه ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله الا ما سمعه منه انصرفت

ساخطة ولا في الحديث المذكور والكلام المروي ما يدل على ذلك ولست

اعتقد انها انصرفت راضية كما قال قاضي القضاة بل اعلم انها انصرفت ساخطة

وماتت وهي على ابي بكر واجدة ولكن لا من هذا الخبر بل من اخبار اخرى كان الاولى

ان يحتج بها على ما يرومه فان انصرافها ساخطة وموتها على ذلك السخط فاما

هذا الخبر وهذا الكلام فلا يدل على هذا المطلوب قال المرتضى رحمه الله فاما قوله

انه يجوز ان يبين عليه السلام انه لا حق في ميراثه لورثته لغير الورثة ولا يمتنع

ان يرد من جهة الآحاد لانه من باب العمل فكل هذا بناء منه على اصوله الفاسدة

ولست

في ان خبر الواحد حجة في الشرع وان العمل به واجب ودون صحة ذلك خرط القتاد
وانما يجوزان ببيّن من جهة اخرى اذا تساويا في الحجة ووقع العلم فاما
مع تباينهما فلا يجوز التخيير فيهما واذا كان ورثة النبي صلى الله عليه وآله متعبدين
بان لا يرثوا فلا بد من ازاحة علتهم في هذه العبادة بان يوقفهم على الحكم بعينه
ولبنا فهمهم ويلقيه الى من يقيم الحجة عليهم بنقله وكل ذلك لم يكن فاما قوله
انهم يجوزون صدقه في الرواية فانهم لا يجوزون ذلك فالجواب انا لا نجوز لان
كتاب الله تعالى اصدق منه وهو يدفع روايته ويبطلها فاما اعتراضه
على قولنا ان اطلاق الميراث لا يكون الا في الاموال بقوله تعالى ثم اورثنا
الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا وقولهم ما ورثت الابناء من الآباء شيئا
افضل من ادب حسن وقولهم العلماء ورثة الانبياء فعجيب لان كل ما ذكر
مقيد غير مطلق وانما قلنا ان مطلق لفظ الميراث من غير قرينة ولا تقييد
يفيد بظاهره ميراث الاموال فبعد ما ذكره وعارض به لا يخفى على متأمل فاما
استدلاله على ان سليمن ورث داود علمه دون ماله بقوله يا ايها الناس
منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين وان المراد
انه ورث العلم والفضل والا لم يكن لهذا القول تعلق بالاول فليس
بشيء يعول عليه لانه لا يمتنع ان يريد انه ورث المال بالظاهر والعلم بهذا
المعنى من الاستدلال فليس يجب اذا دلت الدلالة في بعض الالفاظ
على معنى المجاز ان يقتصر بها عليه بل يجب ان يحملها على الحقيقة التي هي الاصل
اذا لم يمنع من ذلك علمنا منطق الطير وليس به مانع على انه لا يمتنع ان يريد ميراث
المال خاصة ثم يقول انا مع ذلك علمنا منطق الطير ويشير بالفضل المبين الى

العلم

٩٤

العلم والمال جميعا فله بالامرين جميعا فضل على من لم يكن عليهما وقوله واوتينا
من كل شيء يحتمل المال كما يحتمل العلم فليس بخالص لما ظنه فاما قوله في قصة
زكريا انه خاف على العلم فسأل الله تعالى وليا يقوم بالدين مقامه فقد بينا
ان الانبياء وان كانوا لا يحرصون على الاموال ولا يبخلون بها فانهم يجتهدون
في منع المفسدين من الاستعانة بها على الفساد ولا يعد ذلك حرصا ولا بخلا
بل فضلا ودينا وليس يجوز من زكريا ان يخاف على العلم الاندراس والضياع
لانه يعلم ان حكمة الله تعالى تقتضي حفظ العلم الذي هو الحجة على العباد وبه
تنزاح عللهم في مصالحهم فكيف يخاف ما يخاف من مثله فان قيل فهبوا ان الامر
كما ذكرتم من ان زكريا كان آيسا على العلم ان يندرس اليس لا بد ان يكون
مجوزا ان يحفظه الله تعالى بمن هو من اهله واقاربه كما يجوز حفظه بغريب
اجنبي فما انكرتم ان يكون خوفه انما كان من بني عمه ان لا يتعلموا العلم ولا
يقوموا فيه مقامه فسأل الله ولدا يجمع فيه هذه العلوم حتى لا يخرج العلم
عن بيته ويتعدى الى غير قومه فيلحقه بذلك وصمة قلنا انا اذا رتبنا
السؤال هذا الترتيب فالجواب عنه ما اجبنا به صاحب الكتاب وهو ان
الخوف الذي اشار اليه ليس من ضرر ديني وانما هو من ضرر دنياوي والانبياء
عليهم السلام انما بعثوا لتحمل المضار الدنياوية ومنازلهم في الثواب انما
زادت على كل المنازل لهذا الوجه ومن كانت حالته هذه الحالة فالظاهر من خوفه
اذا لم يعلم وجهه بعينه ان يكون محمولا على مضار الدين لانها هي
جهة خوفهم والغرض في بعثتهم ويحمل ما سواها من المضار فاذا قال النبي
انا خائف ولم يعلم جهة خوفه على التفصيل يجب ان يصرف خوفه بالظاهر الى

مضار الدين دون الدنيا لان احوالهم وبعثتهم تقتضي ذلك فاذا كنا لو اعتدنا
من بعضنا الزهد في الدنيا واسبابها والتعفف عن منافعها والرغبة
في الآخرة والتفرد بالعمل لها لكنا نحمل ما يظهر لنا من خوفه الذي لا يعلم وجهه
بعينه على ما هو اشبه واليق بحاله ونضيفه الى الآخرة دون الدنيا واذا كان
هذا واجبا فيمن ذكرناه وهو في الانبياء عليهم السلام اوجب قلت ينبغي ان
لا يقول المعترض فيلحقه بذلك وصمة فيجعل الخوف من هذه الوصمة
بل يقول انه خاف ان لا يفلح بنو عمه ولا ينالوا العلم لما يرى الامارات الدالة
على ذلك والخوف على هذا الترتيب متعلق بامر ديني ولا دنيوي فسال الله
تعالى ان يرزقه ولدا يرث عنه علمه اي يكون عالما بالدينيات كما اباه
عالم وهذا السؤال متعلق ايضا بامر ديني ولا دنيوي ولا على هذا انا
يندفع ما ذكره المرتضى على انه لا يجوز اطلاق القول على ان الانبياء
بعثوا لتحمل المضار الدنيوية ولا القول الغرض في بعثتهم تحمل ما سوى المضار
الدينية من المضار فانهم ما بعثوا لذلك والغرض في بعثتهم ذلك وانما
بعثوا لامر آخر وقد يحصل المضار في اداء الشرع ضمنا وتبعا لا على انها
الغرض ولا انها داخلة في الغرض ولان قول المرتضى لا يجوز ان يخاف
زكريا من تبديل الدين وتغييره لانه محفوظ من الله فكيف يخاف مما لا
يخاف من مثله غير مستمر على اصوله لان المكلفين على ان قد حرموا
بغيبة الامام عنه الطافا كثيرة الوصلة اليها الشرعيات كالحد
ودون صلوة الجمعة والاعياد وهو واصحابه يقولون في ذلك ان
اللوم على المكلفين لانهم حرموا انفسهم اللطف فهذا جاز ان يخاف

زكريا

زكريا من تبديل الدين وتغييره وافساد الاحكام الشرعية لانه انما يجب
على الله تعالى التبليغ بالرسل الى المكلفين فاذا افسدوهم الاديان
وبدلوها لم يجب عليه ان يحفظها عليهم لانهم هم الذين حرموا انفسهم
اللطف واعلم انه قد قرئ واني خفت الموالي من ورائي وقيل انها
قراءة زين العابدين وابي عبد الله محمد بن علي الباقر وعثمان بن عفان
وفسروه على وجهين احدهما ان يكون ورائي بمعنى خلفي وبعدي
اي قلت الموالي وعجزوا عن اقامة امر الدين تقول قد خف بنو فلان اي
قل عددهم فسال زكريا ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه وثانيهما
ان يكون ورائي بمعنى قدامي اي خف الموالي وانا حي ودرجوا وانقرضوا ولم
يبق منهم من به اعتضاد وعلى هذه القراءة لا يبقى متعلق بلفظه الخوف
وقد فسر قوم قوله اني خفت الموالي اي خفت الذين يلون الامر من بعدي
لان المولى يستعمل في الوالي وجمعه موال اي خفت ان يلي بعدي
امراء ورؤساء يفسدون شيئا من الدين فارزقني ولدا تنعم
عليه النبوة والعلم كما انعمت علي واجعل الدين محفوظا به وهذا
التاويل غير منكر وفيه ايضا دفع كلام المرتضى فاما [illegible]
الكتاب في ان الميراث محمول على العلم بقوله ويرث من آل يعقوب
لانه يرث اموال آل يعقوب في الحقيقة وانما يرث ذلك غيره فبعيد
من الصواب لانه ولد زكريا يرث بالقرابة من آل يعقوب لو اطلع على انه
لم يقل يرث آل يعقوب بل قال يرث من آل يعقوب منبها
بذلك على انه يرث من كان احق بميراثه في القرابة فاما طعنه على من تاول

الخبر بانه عليه السلام لا يورث ما تركه للصدقة بقوله ان احد من الصحابة لم يتاول على
هذا الوجه فهذا التاويل الذي ذكرناه احدما قاله اصحابنا في هذا الخبر فمن اين
اجماع الصحابة على خلافه وان احدا لم يتاوله على هذا الوجه فان قال لو كان ذلك
لظاهر وما شنهر ولو وقف ابو بكر عليه فقد مضى من الكلام فيما يمنع من الموافقة
على هذا المعنى ما فيه كفاية قلت لم يكن ذلك اليوم الا يوم حضور فاطمة وقولها
لابي بكر ما قالت يوم تقية وخوف فكيف يكون يوم تقية وهي تقول لرئيس
الخليفة يا ابن ابي قحافة اترثنا اباك ولا ارث ابي وتقول له ايضا لقد جئت
شيئا فريا فكان ينبغي اذا لم يوش امير المؤمنين ان يفسر لابي بكر معنى الخبر ان يعلم
فاطمة تفسيره فتقول لابي بكر انت غالطة فيما ظننت انما قال النبي ما تركناه
صدقة فانه لا يورث واعلم ان هذا التاويل يكاد يكون مدفوعا بالضرورة لان
من نظر في الاحاديث التي ذكرناها وما جرت عليه الحال يعلم بطلانه علما
قطعيا قال المرتضى وقوله انه لا يكون في ذلك تخصيص للانبياء ولا مزية
ليس بصحيح وقد قيل في الجواب عن هذا انه صلى الله عليه وآله يجوز ان يريد
ما ننوي فيه الصدقة ونفرده لها من غيرنا يخرج عن الدنيا لا تنالها ورثتنا
وهذا تخصيص للانبياء ومرتبة ظاهرة قلت هذه مخالفة لظاهر الكلام واخراج
للفظ عن وضعه وبين قوله ما ننوي فيه الصدقة وهو بعد في ملكنا ليس
بموروث وقوله ما نخلفه صدقة ليس بموروث فرق عظيم فلا يجوز ان يراد
احد المعنيين باللفظ المفيد للمعنى الآخر لانه الباس وتعمية وايضا فان ذكروا
خصائص الرسول عليه السلام في الشريعة عن امته وعدوها نحو حل الزيادة
في النكاح بلفظ الهبة على قول فرقة من المسلمين ونحو تحريم اكل البصل والثوم عليه

يعلم بطلانه

والاباحة

والاباحة شرب دمه وغير ذلك لم يذكروا في خصائصه انه اذا كان قد نوى ان يتصدق
بشيء فانه لا ينا له ورثته لو قدرنا انه يورث الاموال ولا الشيعة قبل المرتضى
ذكرت ذلك ولا رايناه في كتاب من كتبهم وهو مسبوق باجماع طائفته عليه واجماعهم
عندهم حجة قال المرتضى فاما قوله ان قوله عليه السلام ما تركناه صدقة جملة من الكلام
مستقلة بنفسها فصحيح اذا كانت ما مرفوعة على الابتداء ولم تكن منصوبة
بوقوع الفعل عليها وكانت لفظة صدقة ايضا مرفوعة غير منصوبة وفي هذا
وقع النزاع فكيف يدعى انها جملة مستقلة بنفسها واقوى ما يمكن ان نذكر
ان نقول الرواية جاءت في لفظ صدقة بالرفع وعلى ما ولنمو لا نكون
منصوبة والجواب عن ذلك انا لا نسلم الرواية بالرفع ولم تجر عادة الرواة
بضبط ما جرى من الاعراب والاشتباه يقع في مثله فمن حقق منهم وصرح
بالرواية بالرفع يجوز ان يكون اشتبه عليه فظنها مرفوعة وهي منصوبة قلت
وهذا ايضا خلاف الظاهر وفتح الباب فيه يؤدي الى افساد الاحتجاج بكثير من
الاخبار قال فاما حكايته عن الجاحظ ان ابا بكر لم يدفع الى امير المؤمنين السيف
والبغلة والعمامة على جهة الارث فقوله كيف يجوز ذلك مع الخبر الذي رواه
كيف خصصه بذلك دون العم الذي هو العصبة فما نراه زاد على التعجب وما عجب
عجبنا لم يثبت عصمة ابي بكر فنبقى عن افعاله التناقض وكلنا لا يشك احد في
ان ابا بكر كان عاقلا وان شك قوم في غير ذلك فالعاقل في يوم واحد لا يرفع فاطمة
عن الارث ويقول ان اباك قال لي لا اورث في ذلك اليوم شخصا آخر من تركته
المتروك الذي حكى عنه انه لا يورث وليس انتفاء هذا التناقض عن افعاله موقوفا على
العصمة بل على العقل قال المرتضى وقوله يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وآله

نحلة اباه او تركه ابو بكر في يده لما في ذلك من تقوية الدين وتصدق بيدله
فكل ما ذكر جائز الا انه قد كان يجب ان يظهر اثبات النحلة والشهادة بها
والحجة عليها ولم يظهر من ذلك شيء فنعم وهو من العجائب ان تدعي فاطمة
فدك نحلة وتستشهد على قولها امير المؤمنين وغيرها فلا يصغى الى
وتركنا السيف والنعل والعمامة في يد امير المؤمنين على سبيل بعينه
ظهرت ولا شهادة قامت قلنا لعل ابا بكر سمع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
نحل ذلك عليا فلذلك لم يحتج الى البينة والشهادة فقد روي انه اعطاه
خاتمه وسيفه في مرضه وابو بكر حاضر واما البغلة فقد كان نحلها اياه
في حجة الوداع على ما وردت الرواية واما العمامة فسلب الميت وكذلك
القميص والحجرة والحذاء فالعادة ان يأخذ ذلك ولد الميت ولا ينازع فيه
لانه خارج او كالخارج عن التركة فلما غسل عليه السلام اخذت ابنته بثيابه التي
مات فيها وهذه عادة الناس على انا قد ذكرنا في الفصل الاول كيف دفع
اليه آلة النبي صلى الله عليه وآله وحذاه ودابته والظاهر انه فعل ذلك لجهة
المصلحة رآها وللامام ان يفعل ولكن المرتضى وعلي انه كان يجب على ابي بكر ان
يبين ذلك ويذكر وجهه بعينه لما نازع العباس فيه فلا وقت لذكر الوجه
في ذلك اولى من هذا الوقت قلنا لم ينازع العباس في ايام ابي بكر لا في البغلة
والعمامة ونحوها ولا في غير ذلك وانما نازع عليا في ايام عمر وقد ذكر كيفية
المنازعة وفيما ذا كانت قال المرتضى والقول في البردة والقضيب ان كان
نحلة او على الوجه الآخر يجري مجرى ما ذكرنا في وجوب الظهور والاشهاد
ولسنا نرى اصحابنا يعني المعتزلة يطالبون انفسهم في هذه المواضع بما يطالبوننا

لم ينازع

عنه

عنه اذا ادعينا بل يرجون فيما تدعيه الظهور والاشهار واذا كان هو عليهم
نسوه وتناسوه قلنا اما القضيب فهو السيف الذي نحله عليا في مرضه
وليس بذي الفقار بل هو سيف آخر واما البردة فانه وهبها لكعب بن زهير ثم
صار هذا السيف وهذه البردة الى الخلفاء بعد تنقلات كثيرة مذكورة في كتب
التواريخ قال المرتضى فاما ان ازواج النبي صلى الله عليه وآله انما طلبن الميراث
لانهن لم يعرفن رواية ابي بكر للخبر وكذلك انما نازع علي بعد موت فاطمة
في الميراث لهذا الوجه فمن اقبح ما يقال في هذا الباب وابعد عن الصواب وكيف
لا يعرف امير المؤمنين رواية ابي بكر وبها دفعت زوجته عن الميراث وهل مثل
ذلك المقام الذي قامته وما رواه ابو بكر في دفعها يخفى على من هو في اقاصي البلاد
فضلا عمن هو في المدينة حاضر شاهد يراعي الاخبار ويعنى بها ان هذا الخبر
في الكثرة عن الحد وكيف يخفى عن الازواج ذلك حتى يطلبنه مرة بعد اخرى
ويكون عثمان المرسل لهن والمطالب عنهن وعثمان على زعمهم احد من شهد ان
النبي عليه السلام لا يورث سمعوا على كل حال ان بنت النبي عليه السلام
ورثت قالوا ولا بد ان يكون قد سال عن السبب في دفعها عنه فذكر لهن
الخبر فكيف يقال انهن لم يعرفنه قلنا الصحيح ان امير المؤمنين لم ينازع بعد موت
فاطمة في الميراث وانما نازع في الولاية لفدك وغيرها من صدقات رسول الله صلى الله
عليه وجرى بينه وبين العباس رحمه الله في ذلك ما هو مشهور واما الازواج
النبي صلى الله عليه فما ثبت انهن نازعن في ميراثه ولا ان عثمان كان المرسل لهن
والمطالب عنهن الا في رواية شاذة في الازواج لما عرفن ان فاطمة قد دفعت
عن الميراث امسكن ولم يكن قد نازعن ولما كف عثمان بعضهن وحديث

هو السيف

فدك وحضور فاطمة عند ابي بكر كان بعد عشرة ايام من وفاة رسول الله صلى الله
عليه وآله والصحيح انه لم ينطق احد بعد ذلك من الناس من ذكر وانثى بعد عود فاطمة
من بعد ذلك المجلس بكلمة واحدة في معنى الميراث قال المرتضى فان قيل فاذا كان
ابو بكر قد حكم بالخطا في دفع فاطمة عن الميراث واحتج بخبر لا حجة فيه فما بال
الامة اقرته على هذا الحكم ولم تنكر عليه وفي رضاها وامساكها دليل على صوابه
قلنا قد مضى ان ترك النكير لا يكون دليل الرضا الا في الموضع الذي لا يكون
له وجه سوى الرضا وذكرنا في ذلك قولا شافيا وقد اجاب ابو عثمن الجاحظ
في كتاب العباسية عن هذا السؤال جوابا جيد المعنى واللفظ نحن نذكره
على وجهه ليقابل بينه وبين كلامه في العثمانية وغيرها قال ما كتناه الرضي
رحمه الله في غير هذا الموضع اصلا لكان ساخطا عليه وكتاه في هذا الموضع
واستجاد قوله لا تزموا فوق عرضه فسبحان الله ما اشد حب الناس لعقائدهم
قال قال ابو عثمان وقد زعم ناس ان الدليل على صدق خبرهما يعني ابا بكر
وعمر في منع الميراث وبراءة ساحتهما ترك اصحاب رسول الله صلى الله عليه
النكير عليهما ثم قال ويقال لهم كيف كان ترك النكير دليلا على صدقهما ان ترك
النكير على المتظلمين منهما والمحتجين عليهما والمطالبين لهما دليلا على صدق
دعواهم واستحسان مقالتهم ولاسيما وقد طالت المناجاة وكثرت المراجعة
والملاحاة فظهرت الشكية واشتدت الموجدة وقد بلغ ذلك من فاطمة
حتى انها اوصت ان لا يصلي عليها ابو بكر ولقد كانت قالت له حين اتته
طالبة لحقها ومحتجة لرهطها من يرثك يا ابا بكر اذا مت قال اهلي وولدي
قالت فما بالنا لا نرث النبي صلى الله عليه وآله فلما منعها ميراثها وبخسها

حقها واعتل عليها وجلح في امرها وعاينت التهضم وايست من النزوع ووجدت
من الضعف وقلة الناصر قالت والله لادعون الله عليك قال والله لا
دعون الله لك قالت والله لا اكلمك ابدا قال والله لا اهجرك ابدا فان يكن
ترك النكير على ابي بكر دليلا على صواب منعه ان في ترك النكير على فاطمة
دليلا على صواب طلبها وادنى ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلت
وتذكيرها ما نسيت وصرفها عن الخطاء ورفع قدرها عن البذاء وان تقول
هجرا وتجور عادلا وتقطع واصلا فاذا لم تجدهم انكروا على الخصمين جميعا
فقد تكافات الامور واستوت الاسباب والرجوع الى اصل حكم الله من
المواريث اولى بنا وبكم واوجب علينا وعليكم ثم قال فان قالوا كيف يظن
بظلمها والتعدي عليها وكلما ازدادت عليه غلظة ازداد لها لينا
ورقة حيث يقول له والله لا اكلمك ابدا فيقول لها والله لا اهجرك ابدا
ثم تقول والله لادعون الله عليك فيقول والله لادعون الله لك ثم يحتمل
منها هذا الكلام الغليظ والقول الشديد في دار الخلافة بحضرة قريش
والصحابة مع حاجة الخلافة الى البهاء والتنزيه وما يجب لها من الرفعة
والهيبة ثم لم يمنعه ذلك ان قال معتذرا ومتقربا كلام المعظم لحقها المكبر
لمقامها والصاين لوجهها المتحنن عليها ما احد اعز علي منك فقرا
ولا احب الي منك غنى ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول
انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة قيل لهم ليس ذلك على البراءة
من الظلم والسلامة من الجور وقد تبلغ من مكر الظالم ودهاء الماكر
اذا كان اريبا وللخصومة معتادا ان يظهر كلام المظلوم وذلة المنتصف

وحدب الواصف وسقط المحق وكيف جعلتم ترك النكير حجة قاطعة واضحة
وقد زعمتم ان عمر قال على منبره متعتان كانتا على عهد رسول الله متعة النساء
ومتعة الحج انا انهى عنهما واعاقب عليهما فما وجدتم احدا انكر قوله ولا استشنع
مخرج نهيه ولا خطأه في معناه ولا تعجب منه ولا استفهمه وكيف تقضون
بترك النكير وقد شهد عمر يوم السقيفة وبعد ذلك ان النبي صلى الله عليه
وآله قال الائمة من قريش ثم قال في شكايته لو كان سالم حيا ما تخالجني
فيه شك حين اظهر الشك في استحقاق كل واحد من الستة الذين
جعلهم شورى وسالم عبد لامرأة من الانصار وهي اعتقته وحازت
ميراثه ثم لم ينكر ذلك من قوله منكر ولا قابل انسان بين قوليه ولا تعجب
منه وانما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا رهبة عنده دليلا على
صدق قوله وصواب عمله واما ترك النكير على من يملك الضعة والرفعة
والامر والنهي والقتل والاستحياء والحبس والاطلاق فليس بحجة تشفي ولا دلالة
تضيء قال وقال آخرون بل الدليل على صدق قولهما وصواب عملهما امساك
الصحابة عن خلعهما والخروج عليهما وهم الذين وثبوا على عثمان في ايسر
من جحد التنزيل ورد المنصوص ولو كان كما تقولون وما تصفون ما كان سبيل
الامة فيهما الا كسبيلهم فيه وعثمان كان اعز نفرا واشرف رهطا واكثر عددا
وثروة واقوى عدة قلت انهما لم يجحدا التنزيل ولم ينكرا المنصوص ولكنهما
بعد اقرارهما بحكم الميراث وما عليه الظاهر من الشريعة ادعيا رواية وتحدثا
بحديث لم يكن محالا كونه ولا ممتنعا في حجج العقول مجيئه وشهد لهما عليه من
علته مثل علتهما فيه ولعل بعضهم كان يرى تصديق الرجل اذا كان عدلا

في رهطه مامونا في ظاهره ولم يكن قبل ذلك عرف بتهمة ولا جرب عليه غدر
فيكون تصديقه له على جهة حسن الظن وتعديل الشاهد ولانه لم يكن كثير منهم
يعرف حقائق الحجج والذي يقطع شهادته على المغيب وكان ذلك شبهة على
اكثرهم فلذلك قل النكير وتواكل الناس فاشتبه الامر فصار لا يتخلص الى معرفة
حق ذلك من باطله الا العالم المتقدم المؤيد المرشد ولانه لم يكن لعثمان في
صدور العوام وقلوب السفلة والطغام ما كان لهما من المحبة والهيبة ولانهما
كانا اقل استيثارا بالفيء وتفكها بمال الله منه ومن شان الناس اهمال السلطان
ما وفر عليهم اموالهم ولم يستأثر بخراجهم ولم يعطل ثغورهم ولان الذي صنع ابو
بكر من منع العترة حظها والعمومة ميراثها قد كان موافقا لجلة قريش ولكبراء
العرب ولان عثمان ايضا كان مضعوفا في نفسه مستخفا بقدره لا يمنع
ضيما ولا يقمع عدوا ولقد وثب ناس على عثمان بالشتم والقذع والتشنيع
والنكير لامور لو اتى عمر اضعافها واقتصاها لما اجتروا على اغتيابه فضلا عن مبادأته
والاغراء به ومواجهته كما اغلظ عيينة بن حصين له فقال له اما انه لو كان
عمر لقمعك ومنعك فقال عيينة ان عمر كان خيرا لي منك رهبني فاتقاني
ثم قال والعجب انا وجدنا جميع من خالفنا في الميراث على اختلافهم في التشبيه
والقدر والوعيد يرد كل صنف من احاديث مخالفيه وخصومه ما هو اقرب اسنادا
واصح رجالا واحسن اتصالا حتى اذا صاروا الى القول في ميراث النبي عليه السلام
نسخوا الكتاب وخصوا الخبر العام بما لا يداني بعض ما ردوه واكذبوا
قائليه وذلك ان كل انسان منهم انما يجري الى هواه ويصدق ما وافق رضاه
هذا آخر كلام الجاحظ ثم قال المرتضى فان قيل ليس ما عارض به الجاحظ من الاستدلال

بترك التكبير وقوله كلام لم ينكروا على ابي بكر فلم ينكروا ايضاً على فاطمة ولا على غيرها
من الطالبين من الميراث كالازواج وغيرهن معارضة صحيحة وذلك ان نكير ابي
بكر لذلك ودفعها والاحتجاج عليها يكفيهم ويغنيهم عن تكلف آخر ولم ينكر
على ابي بكر ما رواه منكر فيستغنوا بانكاره قلنا اول ما يبطل هذا السؤال ان ابا
بكر لم ينكر عليها ما اقامت عليه بعد احتجاجها من التظلم والتألم والتعنيف
والتبكيت وقولها اما روي والله لادعون الله عليك ولا كلمتك ابداً وما جرى
هذا المجرى فقد كان يجب ان ينكره غيره لان المنكر الغضب على المنصف وبعد
فان كان ابو بكر مقنعاً ومغنياً عن انكار غيره من المسلمين فانكار فاطمة حكمه
ومقامها على التظلم منه مغن عن نكير غيرها وهذا واضح

الفصل الثالث

في ان فدك هل صح كونها نحلة من رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة ام لا
نذكر في هذا الفصل ما حكاه المرتضى عن قاضي القضاة في المغني وما اعترض به عليه
ثم نذكر ما عندنا في ذلك قال المرتضى حاكياً عن قاضي القضاة ومما عظمت
الشيعة القول في امر فدك قالوا وقد روى ابو سعيد الخدري انه لما انزلت
وآت ذا القربى حقه اعطى رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فدك ثم فعل
عمر بن عبد العزيز مثل ذلك فردها على ولدها قالوا ولا شك ان ابا بكر اغضبها
ان لم يصح كل الذي روي في هذا الباب وقد كان الاجمل ان يمنعهم التكرم مما ارتكبوا
منها فضلاً عن الدين ثم ذكروا انها استشهدت امير المؤمنين وام ايمن فلا
يقبل شهادتهما هذا مع تركه ازواج النبي صلى الله عليه وآله في حجرهن ولم يجعلها
صدقة وصدقهن في ان ذلك لهن ولم يصدقها قال والجواب عن ذلك ان
اكثر ما يروون في هذا الباب غير صحيح ولسنا ننكر صحة ما روي من ادعائها

فدک

فدك فاما انها كانت في يدها فغير مسلم بل لو كانت في يدها لكان الظاهر انها
ميراث واذا كان كذلك فغير جائز لابي بكر قبول دعواها لانه لا خلاف ان العمل
على الدعوى لا يجوز وانما يعمل على مثل ذلك اذا علمت صحته بمشاهدة او ما جرى
مجراها او حصلت بينة او اقرار ثم ان البينة لابد منها فان امير المؤمنين لما خاصم
اليهودي حاكمه وان ام سلمة التي يطبق على فضلها لو ادعت نحلاً ما قبلت دعواها
ثم قال فلو كان امير المؤمنين هو الوالي ولم يعلم صحة هذه الدعوى ما الذي كان يجب
ان يعمل فان قلتم فلم يقبل الدعوى فالشرع بخلاف ذلك وان قلتم يلتمس البينة
فهو الذي فعله ابو بكر ثم قال واما قول ابي بكر رجل مع الرجل او امرأة مع المرأة
فهو الذي يوجبه الدين ولم يثبت ان الشاهد في ذلك كان امير المؤمنين
بل الرواية المنقولة انه شهد لها مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله مع ام ايمن
قال وليس لاحد ان يقول فلم اذا ادعت ولا بينة معها لانه لا يمتنع ان يجوز ان
يحكم ابو بكر بالشاهد واليمين او يجوز عند شهادة من شهد لها ان يتذكر
غيرهم فيشهد وهذا هو الواجب على ملتمس الحق فلا عيب عليها في ذلك ولا على ابي بكر
في التماس البينة وان لم يحكم لها لما تم ولم يكن هناك خصم لان التركة صدقة على
ما ذكرنا فكان لا يمكن ان يقول في ذلك على يمين او نكول فلم يكن في الامر الا
ما فعله قال وقد انكر ابو علي ما قاله السائل من انها لما ردت في دعوى النحل
ادعته ارثاً وقال بل كان طلب الارث قبل ذلك فلما سمعت منه الخبر كفت وادعت
النحل قال فاما فعل عمر بن عبد العزيز فلم يثبت انه رده على سبيل النحل بل عمل في ذلك
ما عمله عمر بن الخطاب بان اقره في يد امير المؤمنين ليصرف غلاتها في الموضع الذي
كان يجعلها رسول الله صلى الله عليه وآله فيه فقام بذلك مدة ثم ردها الى عمر في

آخر سنة وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز ولو ثبت انه فعل بخلاف ما فعله السلف
لكان هو المحجوج بفعلهم وقولهم واحدهما يقوى ما ذكرناه ان الامر لما انتهى الى
امير المؤمنين ترك فدك على ما كان ولم يجعله ميراثا لولد فاطمة وهذا يبين
ان الشاهد كان غيره لانه لو كان هو الشاهد لكان الاقرب ان يحكم بعلمه على ان الناس
اختلفوا في الهبة اذا لم تقبض فعند بعضهم تستحق بالعقد وعند بعضهم انها
اذا لم تقبض يصير وجودها كعدمها فلا يمتنع امير المؤمنين عن ردها وان صح عنده
عقد الهبة وهذا هو الظاهر لان التسليم لو كان وقع لظهر انه كان في يدها ولكان
ذلك كافيا في الاستحقاق فاما حجر ازواج النبي صلى الله عليه وآله فانما تركت في
ايديهن لانها كانت لهن ونص الكتاب يشهد بذلك وهو قوله تعالى وقرن في
بيوتكن وروى في الاخبار ان النبي صلى الله عليه وآله قسم ما كان من الحجر على نسائه
وبناته ويبين صحة ذلك انه لو كان ميراثا او صدقة لكان امير المؤمنين لما افضى
الامر اليه يغيره قال وليس لاحد ان يقول انه لم يغير ذلك لان الملك قد صار له فتبرع
به وذلك ان الذي يحصل له الا ربع ميراث فاطمة وهو الثمن من ميراث رسول الله
صلى الله عليه وآله فقد كان يجب ان ينتصف لاولاد العباس ولاولاد فاطمة
منهن في باب الحجر ويأخذ هذا الحق منهن فتركه ذلك يدل على صحة ما قلناه وليس يمكنهم
بعد ذلك الا التعلق بالتقية وقد سبق الكلام فيها قال ومما يذكرونه ان فاطمة
لغضبها على ابي بكر وعمر اوصت ان لا يصليا عليها وان تدفن سرا منهما
فدفنت ليلا وهذا كما ادعوا برواية رووها عن جعفر بن محمد وغيره ان عمر ضرب
فاطمة بالسوط وضرب الزبير بالسيف وان عمر قصد منزلها وفيه علي والزبير
والمقداد وجماعة ممن تخلف عن ابي بكر وهم مجتمعون هناك فقال لها ما احد بعد ابيك

احب

احب الينا منك وايم الله لئن اجتمع هؤلاء النفر عندك لنحرقن عليهم فمنعت
القوم من الاجتماع قال ونحن لا نصدق هذه الروايات ولا نجوزها واما الصلوة
فقد روى ان ابا بكر هو الذي صلى على فاطمة وكبر عليها اربعا وهذا احد ما استدل
به كثير من الفقهاء في التكبير على الميت ولا يصح ايضا انها دفنت ليلا وان صح ذلك
فقد دفن رسول الله صلى الله عليه ليلا ودفن عمر ابنه ليلا وقد كان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه يدفنون بالنهار ويدفنون بالليل فما في هذا مما يطعن به بل
الاقرب في النساء ان دفنهن ليلا استر واولى بالسنة ثم حكى عن ابي علي تكذيب
ما روى من الضرب بالسوط قال والمروي عن جعفر بن محمد انه كان يتولاهما ويأتي
القبر فيسلم عليهما مع تسليمه على رسول الله صلى الله عليه وآله روى ذلك عباد
بن صهيب وشعبة بن الحجاج ومهدي بن هلال والدراوردي وغيرهم وقد
روى عن ابيه محمد بن علي وعن علي بن الحسين مثل ذلك فكيف يصح ما ادعوه
وهل هذه الرواية الا كرواية من ادعى ان علي بن ابي طالب هو اسرافيل والحسن ميكائيل
والحسين جبرئيل وفاطمة ملك الموت وآمنة ام النبي صلى الله عليه وآله ليلة
القدر فان صدقوا ذلك ايضا قيل لهم فعمر بن الخطاب كيف يقدر على ضرب ملك
الموت وان قالوا لا نصدق ذلك فقد جوزوا رد هذه الروايات وصح انه لا
يجوز التعويل على هذا الجنس وانما يتعلق بذلك من غرضه الالحاد كالوراق
وابن الراوندي لان غرضهم القدح في الاسلام وحكى عن ابي علي انه قال ولم صار
غضبها لو ثبت كانه غضب رسول الله صلى الله عليه وآله من حيث قال في فاطمة من اغضبها
فقد اغضبني باولى من ان يقال من اغضب ابا بكر فقد نافق وفارق الدين
لانه روى عنه عليه السلام انه قال حب ابي بكر وعمر ايمان وبغضهما نفاق ومن يورد

هو ابن اسرائيل

مثل هذا فقصد الطعن في الاسلام وان يتوهم الناس ان اصحاب النبي صلى
الله عليه وآله نافعوا مع مشاهدة الاعلام ليضعفوا دلالة العلم في النفوس
قال واما حديث الاحراق فلو صح لم يكن طعنا على عمر لان يهدد من امتنع
من المبايعة ارادة للخلاف على المسلمين لكنه غير ثابت انتهى كلام قاضي القضاة
قال المرتضى نحن نبتدي فنذل على ان فاطمة ما ادعت من نحل فدك الا ما كانت
مصيبة فيه وان مانعها ومطالبها بالبينة متعنت عادل عن الصواب
لانها لا تحتاج الى شهادة وبينة ثم نعطف على ما ذكره على التفصيل فنتكلم
عليه اما الذي يدل على ما ذكرناه وهو انها كانت معصومة من الغلط مأمونا
منها فعل القبيح ومن هذه صفته لا يحتاج فيما يدعيه الى شهادة وبينة فان
قيل دلوا على الامرين قلت بيان الاول قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا والاية تتناول جماعة منهم فاطمة بما تواترت الاخبار
في ذلك والارادة ههنا دلالة على وقوع الفعل المراد وايضا فيدل على ذلك
قوله عليه السلام فاطمة بضعة مني من اذاها فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله عز وجل
وهذا يدل على عصمتها لانها لو كانت ممن يقارف الذنوب لم يكن مؤذيها مؤذيا
له على كل حال بل كان متى فعل المستحق من ذمها او اقامة الحد عليها ان كان الفعل
يقتضيه سارا له ومطيعا على انا لا نحتاج الى ان ننبه في هذا الموضع على
الدلالة على عصمتها بل يكفي في هذا الموضع العلم بصدقها فيما ادعته وهذا
لا خلاف فيه بين المسلمين لان احدا لا يشك انها لم تدع ما ادعته كاذبة
وليس بعد ان لا تكون كاذبة الا ان تكون صادقة وانما اختلفوا في هل يجب مع
العلم بصدقها تسليم ما ادعته بغير بينة ام لا يجب ذلك والذي يدل على الفصل

الثاني ان البينة انما تراد ليغلب على الظن صدق المدعي الا ترى ان العدالة
معتبرة في الشهادات لما كانت موثرة في غلبة الظن لما ذكرناه ولهذا جاز ان يحكم الحاكم
بعلمه من غير شهادة لان علمه اقوى من الشهادة ولهذا كان الاقرار اقوى من البينة
من حيث كان ابلغ في تاثير غلبة الظن واذا الاقرار على الشهادة لقوة الظن
عنده فاولى ان يقدم العلم على الجميع واذا لم يحتج مع الاقرار الى شهادة لسقوط
حكم الضعيف مع القوي فلا يحتاج ايضا مع العلم الى ما يؤثر الظن من البينات
والشهادات والذي يدل على صحة ما ذكرناه ايضا انه لا خلاف بين اهل
النقل في ان اعرابيا نازع النبي صلى الله عليه وآله في ناقة فقال عليه السلام
هذه لي وقد خرجت اليك من ثمنها فقال الاعرابي من يشهد لك بذلك فقال
خزيمة بن ثابت انا اشهد بذلك فقال النبي عليه السلام من اين علمت احضرت
ذلك قال لا ولكن علمت ذلك من حيث علمت انك رسول الله فقال قد اجزت
شهادتك وجعلتها شهادتين فسمي ذا الشهادتين وهذه القصة مشبهة
لقصة فاطمة لان خزيمة اكتفى في العلم بان الناقة له صلى الله عليه وشهد بذلك
من حيث علم انه رسول الله ولا يقول الا حقا وامضى النبي صلى الله عليه وآله
ذلك من حيث لم يحضر الابتياع وتسليم الثمن فقد كان يجب على من علم ان فاطمة
لا تقول الا حقا ان لا يستظهر عليها بطلب شهادة او بينة هذا وقد روي
ان ابا بكر لما شهد لها امير المؤمنين كتب بتسليم فدك اليها فاعترض عمر قضيته
وخرق ما كتبه روى ابراهيم بن ميمون قال حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد
بن علي بن ابي طالب عن ابيه عن جده قال جاءت فاطمة الى ابي بكر وقالت ان ابي
بكر وقال ان ابي اعطاني فدك وعلي يشهد لي وام ايمن فقال ما كنت لتقولي

على ابيك الا الحق فلا اعطيتكها ودعا بصحيفة من ادم فكتب لها فيها فخرجت
فلقيت عمر فقال من اين جئت يا فاطمة قالت جئت من عند ابي بكر اخبرته ان رسول الله
صلى الله عليه وآله اعطاني فدك وان عليا وام ايمن يشهدان بذلك فاعطانيها
وكتب لي بها فاخذ عمر منها الكتاب ثم رجع الى ابي بكر فقال اعطيت فاطمة
فدك وكتبت لها بها قال نعم فقال ان عليا يجر الى نفسه وام ايمن امرأة
وبصق في الكتاب فمحاه وخرقه وقد روي هذا المعنى من طرق مختلفة على وجوه
مختلفة فمن اراد الوقوف عليها واستقصاءها اخذها من مواضعها وليس لهم
ان يقولوا انها اخبار آحاد لانها وان كانت كذلك فاقل احوالها ان توجب الظن
وتمنع من القطع على خلاف معناها وليس لهم ان يقولوا كيف يسلم اليها فدك وهو
يروي عن الرسول عليه السلام ما خلفناه صدقة وذلك انه لا تنافي بين الامرين
لانه انما سلمها على ما وردت به الرواية على سبيل النحل فلما وقعت المطالبة
بالميراث روى الخبر في معنى الميراث فلا اختلاف بين الامرين فاما انكار صاحب
الكتاب لكون فدك في يدها فما رايناه اعتمد في انكار ذلك على حجة بل قال
لو كان ذلك في يدها لكان الظاهر انها لها والامر على ما قال فمن اين انه لم يخرج
عن يدها على وجه يقتضي الظاهر خلافه وقد روي من طرق مختلفة غير طريق
ابي سعيد الذي ذكره صاحب الكتاب انه لما نزل قوله تعالى وآت ذا القربى حقه
دعا النبي صلى الله عليه وآله فاطمة فاعطاها فدك واذا كان ذلك مرويا فلا
معنى لدفعه بغير حجة وقوله لا خلاف ان العمل على الدعوى لا يجوز صحيح وقد بينا
ان قولها كان معلوما صحته واما قوله انما يعمل على ذلك متى علم صحته بشهادة
او ما يجري مجراها او حصلت بينة او اقرار فيقال له اما علم بمشاهدة فلم يكن هناك

ولانا

واما بينة فقد كانت على الحقيقة لان شهادة امير المؤمنين من اكبر البينات واعدلها
ولكن على مذهبك انه لم يكن هناك بينة فمن اين زعمت انه لم يكن هناك علم وان لم يكن
عن مشاهدة فقد ادخلت ذلك في جملة الاقسام فان قال ان قولها بمجرده لا يكون حجة
للعلم قيل له قلت ذلك او ليس قد دللنا على انها معصومة وان الخطأ مأمون عليها
ثم لو لم يكن كذلك لكان قولها في تلك القضية معلوما صحته على كل حال لانها
لو لم تكن مصيبة لكانت مبطلة عاصية فيما ادعت اذ الشبهة لا تدخل في مثله
وقد اجمعت الامة على انها لم يظهر منها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله معصية
بلا شك وارتياب بل اجمعوا على انها لم تدع الا الصحيح وان اختلفوا فمن قائل
يقول مانعها مخطئ وآخر يقول هو ايضا مصيب لفقد البينة وان علم صدقها
فاما قوله انه عليه السلام لو حاكم غيره لطولب بالبينة فقد تقدم في هذا المعنى
ما يكفي وقصة خزيمة بن ثابت وقبول شهادته تبطل هذا الكلام واما قوله ان امير
المؤمنين يحاكم يهوديا على الوجه الواجب في سائر الناس فقد روي ذلك الا انه
امير المؤمنين لم يفعل من ذلك ما كان يجب عليه ان يفعله وانما تبرع به واستظهر
باقامة الحجة منه وقد اخطأ من طالبه ببينة كائنا من كان فاما اعراضه بام سلمة
فلم يثبت من عصمتها ما ثبت من عصمة فاطمة فلذلك احتاجت في دعواها الى
بينة فاما انكاره وادعاؤه انه لم يثبت ان الشاهد في ذلك امير المؤمنين فلم يرد
في ذلك على مجرد الانكار والاخبار مستفيضة بان امير المؤمنين شهد لها
فدفع ذلك بالزيغ لا يغني شيئا وقوله ان الشاهد لها مولى لرسول الله صلى الله
عليه هو المنكر الذي ليس بمعروف واما قوله انها جوزت ان يحكم ابو بكر بالشاهد
واليمين فطريف مع قوله بعد ان التركة صدقة ولا خصم فيها فتدخل اليمين في مثلها

ان فاطمة لم تكن تعلم من الشريعة هذا المقدار الذي نبه صاحب الكتاب عليه ولو لم
تعلم ما كان امير المؤمنين وهو اعلم الناس بالشريعة يوقفها عليه وقوله انها جرت
عند شهادة من شهد لها ان يتذكر غيرهم فيشهد باطل لان مثلها لا يتعرض للظنة
والتهمة ويعرض قوله للرد وقد كان يجب ان تعلم من يشهد لها ممن لا يشهد حتى
تكون دعواها على الوجه الذي يجب معه القبول والامضاء لا يتعرض لمثل هذه
الخطة ويتبرأها التجويز الذي لا اصل له ولا امارة عليه فاما انكار ابي علي لان يكون
النحل قبل ادعاء الميراث وعكسه الامر فيه فاول ما فيه انا لا نتعصب له
غرضا صحيحا في انكار ذلك لان احد الامرين قبل الآخر لا يصح لمذهبنا ولا ينقد
على مخالفة مذهبنا ثم ان الامر في ان الكلام في النحل كان المتقدم ظاهر والروايات
كلها به واردة وكيف يجوز ان يبتدئ بطلب الميراث فيما تدعيه بعينه نحلا
وليس هذا يوجب ان يكون قد طالب بحقها من وجه لا تستحقه منه مع الاختيار
وكيف يجوز ذلك والميراث يشركها فيه غيرها والنحل تنفرد بها ولا ينقلب مثل
ذلك علينا من حيث طالبت بالميراث بعد النحل لانها في الابتداء طلبت بالنحل
وهو الوجه الذي تستحق فدك منه فلما دفعت عنه طالبت ضرورة
بالميراث لان للمدفوع عن حقه ان يتوصل الى تناوله بكل وجه وسبب وهذا
بخلاف قول ابي علي لانه اضاف اليها ادعاء الحق من وجه لا تستحقه منه
وهي مختارة فاما انكاره ان يكون عمر بن عبد العزيز رد فدك على وجه
النحل وادعاؤه انه فعل في ذلك ما فعله عمر بن الخطاب من اقرارها
في يد امير المؤمنين ليصرف غلاتها في وجوهها فاول ما فيه انا لا نحتج
عليه بفعل عمر بن عبد العزيز على اي وجه وقع لان فعله ليس بحجة ولو

اردنا الاحتجاج بهذا الجنس من الحجج لذكرنا فعل المأمون فانه رد فدك
بعد ان جلس مجلسا مشهورا حكم فيه بين خصمين نصبهما احدهما لفاطمة
والآخر لابي بكر وردها بعد قيام الحجة ووضوح الامر ومع ذلك فانه قد انكر من فعل
عمر بن عبد العزيز ما هو معروف مشهور بلا اختلاف بين اهل النقل فيه وقد روى
محمد بن زكريا الغلابي عن شيوخه عن ابي المقدام هشام بن زياد مولى
آل عثمان قال لما ولي عمر بن عبد العزيز رد فدك على ولد فاطمة وكتب
الى واليه على المدينة ابي بكر بن عمرو بن حزم يامره بذلك فكتب اليه ان فاطمة
قد ولدت في آل عثمان وآل فلان وفلان فعلى من ارد منهم فكتب اليه اما بعد
فاني لو كتبت اليك آمرك ان تذبح بقرة لسألتني ما لونها فاذا ورد عليك
كتابي هذا فاقسمها في ولد فاطمة من علي والسلام قال ابو المقدام فنقمت
بنو امية ذلك على عمر بن عبد العزيز وعاتبوه فيه وقالوا هجنت فعل
الشيخين وخرج اليه عمر بن قيس في جماعة من اهل الكوفة فلما عاتبوه على
فعله قال انكم جهلتم وعلمت ونسيتم وذكرت ان ابا بكر محمد بن عمرو بن حزم
حدثني عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال فاطمة
بضعة مني يسخطني ما يسخطها ويرضيني ما ارضاها وان فدك كانت صافية
على عهد ابي بكر وعمر ثم صار امرها الى مروان فوهبها لعبد العزيز ابي فورثتها
انا واخوتي عنه فسألتهم ان يبيعوني حصتهم منها فمن بائع وواهب حتى استجمعت
لي فرأيت ان اردها على ولد فاطمة قالوا فان ابيت الا هذا فامسك الاصل
واقسم الغلة ففعل فاما ما ذكره من ترك امير المؤمنين فدك لما افضى اليه الامر
واستدلاله بذلك على انه لم يكن الشاهد فيها فالوجه في تركه رد فدك

هذا الوجه في اقراره احكام القوم وكفه عن نقضها وتغييرها وقد بيّنا
ذلك فيما سبق وذكرنا انه كان في انتهاء الامر اليه في بقية من التقية قوية
فاما استدلاله على حجر ازواج النبي صلى الله عليه وآله كانت لهن بقوله تعالى
وقرن في بيوتكن فمن عجيب الاستدلال لان هذه الاضافة لا تقتضي الملك بل العادة
جارية فيها ان يستعمل من جهة السكنى ولهذا يقال هذا بيت فلان ومسكنه
ولا يراد بذلك الملك فقد قال تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين
بفاحشة مبينة ولا شبهة في انه تعالى اراد منازل الرجال التي يسكنون فيها زوجاتهم
ولم يرد هذه الاضافة الملك فاما ما رواه من ان رسول الله صلى الله عليه
وآله قسم حجره على نسائه وبناته فمن اين له اذا كان هذا الخبر صحيحا ان هذه
القسمة على وجه التمليك دون الاسكان والانزال ولو كان قد ملكهن في
ذلك لوجب ان يكون ظاهرا مشهورا فاما الوجه في ترك امير المؤمنين لما صار
الى الامر منازعة الازواج في هذه الحجر فهو ما تقدم واما قوله ان ابا بكر هو الذي
صلى على فاطمة وكبر اربعا وان كثيرا من الفقهاء يستدلون في التكبير على
الميت بهذا الخبر فهو شيء ما سمع الا منه وان كان تلقاه عن غيره فممن يجري مجراه في
العصبية والا فالروايات المشهورة وكتب الآثار والسير خالية من ذلك
ولم يختلف اهل النقل في ان عليا هو الذي صلى على فاطمة الا رواية شاذة
نادرة وردت بان العباس رحمه الله صلى عليها وروى الواقدي باسناده قال
سألت ابن عباس متى دفنتم فاطمة قال دفناها بليل بعد هدأة قال قلت فمن صلى
عليها قال علي وروى الطبري عن الحرث بن ابي اسامة عن المدائني عن ابي زكريا
العجلاني ان فاطمة عمل لها نعش قبل وفاتها فنظرت اليه فقالت سترتموني ستركم

الله

الله قال ابو جعفر محمد بن جرير والثبت في ذلك انها زينب لان فاطمة دفنت
ليلا ولم يحضرها الا علي والعباس والمقداد والزبير وروى القاضي ابو بكر
احمد بن كامل باسناده في تاريخه عن الزهري قال حدثني عروة بن الزبير
ان عائشة اخبرته ان فاطمة عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة
اشهر فلما توفيت دفنها علي ليلا وصلى عليها وذكر في كتابه هذا ان عليا
والحسن والحسين دفنوها ليلا وغيبوا قبرها وروى سفيان بن عيينة عن عمرو
بن عبيد عن الحسن بن محمد بن الحنفية ان فاطمة دفنت ليلا وروى عبد الله
ابن ابي شيبة عن يحيى بن سعيد القطان عن معمر عن الزهري مثل ذلك وقال
البلاذري في تاريخه ان فاطمة لم تر متبسمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه
وآله ولم يعلم ابو بكر وعمر بموتها والامر في هذا اوضح واشهر من ان نطنب
في الاستشهاد عليه ونذكر الروايات فيه فاما قوله ولا يصح انها دفنت
ليلا وان صح فقد دفن فلان وفلان ليلا فقد بينا ان دفنها ليلا في الصحة
اظهر من الشمس وان منكر ذلك كالدافع للمشاهدات ولم يجعل دفنها ليلا بمجرده
هو الحجة ليقال فقد دفن فلان وفلان ليلا بل يقع الاحتجاج بذلك على ما وردت
به الروايات المستفيضة الظاهرة التي هي كالتواتر انها اوصت بان تدفن ليلا
حتى لا يصلي الرجلان عليها وصرحت بذلك وعهدت فيه عهدا بعد ان كانا
استأذنا عليها في مرضها ليعوداها فابت ان تأذن لهما فلما طال عليهما
المدافعة رغبا الى امير المؤمنين في ان يستأذن لهما وجعلاها حاجة اليه فكلمها في ذلك
والح عليها فاذنت لهما في الدخول ثم اعرضت عنهما عند دخولهما ولم تكلمهما فلما خرجا
قالت لامير المؤمنين هل صنعت ما اردت قال نعم قالت فهل انت صانع ما آمرك

بن فقال نعم قالت فانى اشهدكما الله ان لا تصليا على جنازتي ولا تقوما على قبري
وروى انه عفا على قبرها وعلم عليه ورش اربعين قبرا في البقيع ولم يرش قبرها حتى
لا يهتدى اليه وانهما عاتباه على ترك اعلامهما بشأنها واحضارهما الصلاة عليها
فمن هاهنا احتججنا بالدفن ليلا ولو كان ليس غير الدفن بالليل وغيره مما تقدم عليه
وتلخص عنه لم يكن فيه حجة فاما حكايته عن ابى على انه كان يضرب الرجل لها وقوله
ان جعفر بن محمد واباه وجده كانوا يتولونهما فكيف لا ينكر ابو على ذلك واعتقاده
فيهما اعتقاده وقد كنا نظن ان مخالفينا يقتنعون ان ينسب الى ائمتنا
الكف عن القوم والامساك وما ظننا انهم يحملون انفسهم على ان ينسبوا اليهم
الثناء والولاء وقد علم كل احد ان اصحاب هؤلاء السادة المختصين بهم قد رووا عنهم
ضد ما روى شعبة بن الحجاج وفلان نحو قولهم هما اول من ظلمنا حقنا وحمل الناس
على رقابنا وقولهم انهما اصغيا باانائنا واضطجعا بسبيلنا وجلسا مجلسا نحن
احق به منهما الى غير ذلك من فنون التظلم والشكاية وهو طويل يطلع من اراد ذلك
فلينظر في كتاب المعرفة لابى اسحاق ابراهيم بن سعيد الثقفي فانه قد ذكر عن
رجل من اهل البيت بالاسانيد النيرة ما لا زيادة عليه فيه لو صح ما ذكر لجاز ان
يحمل على التقية فاما ذكر اسرافيل وميكائيل فما كنا نظن ان مثله يذكر ذلك
وهذا من اقوال الطغام الذين ضلوا في امير المؤمنين واهل البيت وليسوا من
الشيعة ولا من المسلمين فاى عيب علينا فيما يقوله غلاة جماعة من مخالفينا قد غلوا
في ابى بكر وعمر ورووا روايات مختلفة فيهما يجرى مجرى ما ذكر في الشيعة
ولا يلزم العقلاء وذوى الالباب من المخالفين عيب من ذلك واما معارضته
ما روى في فاطمة بما روى ان حبهما ايمان وبغضهما نفاق فالخبر الذى رويناه مجمع

عليه

عليه والخبر الآخر مطعون فيه فكيف يعارض ذلك بهذا واما قوله انما يورد
هذه الاخبار لتضعيف دلالة الاعلام فى النفوس من حيث اضاف النفاق الى من شاهد
وما نستشنع في عجز موضعه الى ما لا يجدى نفعا لان نفاق من شاهد الاعلام
لا يضعفها ولا يوهن دليلها ولا يقدح فى كونها حجة لان الاعلام ليست
ملجئة الى العلم ولا موجبة لحصوله على كل حال وانما تثمر العلم لمن امعن النظر فيها
من الوجه الذي تدل منه فمن عدل عن ذلك لسوء اختياره لم يكن عدوله مؤثرا
في دلالتها فكم قد عدل من العقلاء وذوى الاحلام الراجحة والالباب الصحيحة
عن تامل هذه الاعلام واصابة الحق منها ولم يكن ذلك عندنا وعند صاحب الكتاب
قادحا في دلالة الاعلام على ان هذا القول يوجب عليه ان ينفي الشك والنفاق
عن كل من صحب النبي صلى الله عليه وآله وعاصره وشاهد اعلامه كابى سفيان وابنه
وعمرو بن العاص وفلان وفلان ممن اشتهر نفاقهم وظهر شكهم في الدين وارتيابهم
بالنفاق بيننا وبينه وان كانت اضافة النفاق الى هؤلاء لا تقدح في دلالة الاعلام
فكذلك القول في غيرهم فاما قوله ان حديث الاحراق لم يصح ولو صح لساغ لعمر مثل
ذلك فقد بينا ان خبر الاحراق قد رواه غير الشيعة وقوله انه يسوغ مثل ذلك
فكيف يسوغ احراق بيت على وفاطمة وهل في ذلك عذر يصغى اليه او يسمع
وانما يكون على واصحابه خارقين للاجماع ومخالفين للمسلمين لو كان الاجماع
قد تقرر وثبت وليس بمتقرر ولا ثابت مع خلاف على وحده فضلا عن ان يوافقه
على ذلك غيره وبعد فلا فرق بين ان يهدد بالاحراق لهذه العلة وبين ان يضرب
فاطمة لمثلها فان احراق المنازل اعظم من ضرب سوط او سوطين فلا وجه لامتعاض
المخالفين من حديث الضرب اذا كان عندهم مثل هذا الاعتذار وقلنا انا الكلام في عصمة

فاطمة فهو بغير الكلام اشبه وللقول موضع غير هذا واما قول المرتضى اذا كانت
صادقة فلم يبق حاجة الى من يشهد لها فلقائل ان يقول لم قلت ذلك ولم زعمت
ان الحاجة الا للتنبيه انما كانت لزيادة علية الظن ولم لا يجوز ان الله تعالى
يعتد بالبينة لمصلحة يعلمها وان كان المدعى لا يكذب اليس قد تعبد الله
بالعدة في العجوز التي قد ايست من الحمل وان كان اصل وضعها الاستبراء
الرحم واما قصة خزيمة بن ثابت فيجوز ان يكون الله تعالى قد علم ان مصلحة
المكلفين في تلك الصورة ان تكتفى بدعوى النبي صلى الله عليه وآله وحدها
ويستغنى فيها عن الشهادة ولا يمتنع ان يكون غير تلك الصورة مخالفا
لها وان كان المدعى لا يكذب ويبين ذلك ان مذهب المرتضى جواز ظهور
خوارق العادات على ايدي الائمة والصالحين فلو قدرنا ان واحدا من اهل
الصلاح والخير ادعى دعوى وقال بحضرة جماعة من الناس من جملتهم القاضي
اللهم ان كنت صادقا فاظهر على معجزة خارقة للعادة فظهرت عليه لعلمنا
انه صادق ومع ذلك لا تقبل دعواه الا ببينة وسالت علي بن الفارقي مدرس
المدرسة الغربية ببغداد فقلت له اكانت صادقة قال نعم قلت فلم لم يدفع اليها
ابو بكر فدك وهي عنده صادقة فتبسم ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه
وحرمته وقلة دعابته قال لو اعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت اليه
غدا وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يمكنه الاعتذار والموافقة نفقة
بشيء لانه يكون قد سجل على نفسه بانها صادقة فيما تدعي كائنا ما كان
من غير حاجة الى بينة ولا شهود وهذا كلام صحيح وان كان اخرجه مخرج الدعابة
والهزل واما قول قاضي القضاة لو كانت في يدها لكان الظاهر انها لها

واعترض

الجاءت

صحيح

٢١٧

واعترض المرتضى عليه بقوله انه لم يعتمد في انكار ذلك على حجة بل قال
لو كانت في يدها لكان الظاهر انها لها والامر على ما قال فمن اين انها لم تخرج
عن يدها على وجه كان الظاهر يقتضي خلافه فان لم يجب عما ذكره قاضي
القضاة لان معنى قوله انها لو كانت في يدها اي متصرفة فيها لكانت اليد
حجة في الملكية لان اليد والتصرف حجة لا محالة فلو كانت في يدها متصرفة
فيها وفي ارتفاعها كما يتصرف الناس في ضياعهم واملاكهم ما احتاجت الى
الاحتجاج بآية الميراث ولا بدعوى النحل لان اليد حجة فهلا قالت لابي
بكر هذه الارض في يدي فلا يجوز انتزاعها مني الا بحجة وحينئذ كانت يسقط
احتجاج ابي بكر بقوله نحن معاشر الانبياء لا نورث لانها ما تكون قد
ادعتها ميراثا ليحتج عليها بالخبر وخبر ابي سعيد في قوله فاعطاها فدك
يدل على الهبة لا على القبض والتصرف لانه يقال اعطاني فلان كذا فلم اقبضه
فلو كان لا عطاء القبض والتصرف لكان هذا الكلام متناقضا فاما
تعجب المرتضى من قول ابي علي ان دعوى الارث كانت متقدمة على دعوى النحل
وقوله انا لا نعرف له غرضا في ذلك لانه لا يصح له بذلك مذهب ولا يبطل على
مخالفه مذهب فان المرتضى لم يقف على مراد الشيخ ابي علي في ذلك وهذا
شيء يرجع الى اصول الفقه فان اصحابنا استدلوا على جواز تخصيص الكتاب
بخبر الواحد باجماع الصحابة لانهم اجمعوا على تخصيص قوله تعالى يوصيكم الله في
اولادكم برواية ابي بكر عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا نورث ما تركناه
صدقة قالوا والصحيح في الخبر ان فاطمة طالبت بعد ذلك بالنحل لا بالميراث
فلهذا قال الشيخ ابو علي ان دعوى الميراث تقدمت على دعوى النحل وذلك

لم يقف

لانه قد ثبت ان فاطمة انصرفت عن ذلك المجلس غير راضية ولا موافقة لابي بكر
فلو كانت دعوى الارث متاخرة وانصرفت عن سخط لثبت الاجماع على تخصيص
الكتاب بخبر الواحد اما اذا كانت دعوى الارض مقدمة فلا يروى لها الخبر اسكت
وانتقلت الى النزاع من جهة اخرى فانه يصح حينئذ الاستدلال بالاجماع
على تخصيص الكتاب بخبر الواحد فاما انا فان الاخبار عندي متعارضة
يدل بعضها على ان دعوى الارث متاخرة ويدل بعضها على انها مقدمة وانا
في هذا الموضع متوقف وما ذكره المرتضى من ان الحال يقتضي ان تكون البداية
بدعوى النحل صحيح واما اخفاء القبر وكتمان الموت وعدم الصلاة عليها
فكل ما ذكره المرتضى فيه هو الذي يظهر ويقوى عندي لان الروايات
به اكثر واصح من غيرها وكذلك القول في موجدتها وغضبها فاما المنقول عن
رجال اهل البيت فانه يختلف فتارة وتارة وعلى كل حال فميل اهل البيت
الى ما فيه نصرة ابيهم وبنيهم وقد اخل قاضي القضاة بلفظة حكاها عن
الشيعة فلم يتكلم عليها وهي لفظة جيدة قال قد كان الاجمل بهم
التكرم مما ارتكبوا منها فضلا عن الدين وهذا الكلام لا جواب عنه ولقد
كان التكرم ورعاية حق رسول الله وحفظ عهده يقتضي ان تعوض ابنته
بشيء يرضيها ان استنزل المسلمين عن فدك وتسلم اليها تطييبا لقلبها
وقد يسوغ للامام ان يفعل ذلك من غير مشاورة المسلمين اذا راى المصلحة
فيه وقد بعد العهد الآن بيننا وبينهم ولا نعلم حقيقة ما كان والى الله ترجع
الامور **الاصل** ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل
ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات ان يغلبني هواي ويقودني

متوقف

لا جواب عنه

جشعي الى تخير الاطعمة ولعل بالحجاز او باليمامة من لا طمع له في القرص ولا
عهد له بالشبع او ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى واكباد حرى او اكون كما
قال القائل وحسبك عارا ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القد اقنع
من نفسي بان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر او اكون اسوة
لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات كالبهيمة المربوطة
همها علفها او المرسلة شغلها تقممها تكترش من اعلافها وتلهو عما يراد بها
او اترك سدى او اهمل عابثا او اجر حبل الضلالة او اعتسف طريق المتاهة
الشرح قد روي ولو شئت لاهتديت الى هذا العسل المصفى ولباب
هذا البر المنقى فضربت هذا بذاك حتى ينضج وقودا ويستحكم معقودا وروي
ولعل بالمدينة يتيما تربا يتضور سغبا ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى اذ
يحضر في يوم القيامة وهم من ذكر وانثى وروي بطون غرثى باضافة
بطون الى غرثى والقمح الحنطة والجشع اشد الحرص والبطان الذي لا يزال عظيم
البطن من كثرة الاكل فاما المبطان فالضامر البطن وبطون غرثى جائعة
والبطنة الكظة وذلك ان يمتلئ الانسان من الطعام امتلاء شديدا وكان
يقال ينبغي للانسان ان يجعل وعاء بطنه اثلاثا فثلث للطعام وثلث للشراب
وثلث للنفس والتقمم اكل الشاة ما بين يديها بمقمتها اي بشفتها وكل ذي
ظلف كالثور وغيره خرطومه مقمته وتكترش من اعلافها تملأ كرشها من العلف قوله
او اجر حبل الضلالة منصوب بالعطف على يشغلني وكذلك اترك ويقال اجررته
رسنه اذا اهملته والاعتساف السلوك في غير طريق واضح والمتاهة الارض
يتاه فيها اي يتحير وفي قوله لو شئت لاهتديت شبه من قول عمر لو نشاء لملأنا هذه

الرجاب من صلابق وصنايع قد ذكرناه فيما تقدم وهذا البيت من ابيات
منسوبة الى حاتم بن عبد الله الطائي الجواد وقولها يا ابنة عبد الله وابنة
مالك • ويا ابنة ذي البردين والفرس النهد • اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له
اكيلا فاني لست آكله وحدي • قصيا بعيدا او قريبا فانني • اخاف مذمات الاحاديث
من بعدي • كفى بك عارا ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القد واني
لعبد الضيف ما دام نازلا وما في الا هذه شيمة العبد **الاصل** وكأني بقائلكم
يقول اذا كان هذا قوت ابن ابي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران
ومنازلة الشجعان الا وان الشجرة البرية اصلب عودا والروائع الخضرة ارق جلودا
والنابتات العذية اقوى وقودا وابطا خمودا وانا من رسول الله صلى الله
عليه وآله كالضوء من الضوء والذراع من العضد والله لو تظاهرت العرب على
قتالي لما وليت عنها ولو امكنت الفرصة من رقابها لسارعت اليها وساجهد في
ان اطهر الارض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين
حب الحصيد **الشرح** الشجرة البرية التي تنبت في البراء الذي لا ماء فيه وهي اصلب
عودا من الشجرة تنبت في الارض الندية ولهذا رفعت الاشارة بقوله والروائع الخضرة
ارق جلودا ثم قال والنابتات العذية بتسكين الذال الزرع
لا يسقيه الا المطر وهو يكون اقل اخذا من الماء من النبت سقيا قال انها تكون
اقوى وقودا مما تشرب الماء النابع او ماء الناضح وابطا خمودا وذلك لصلابة
جرمها ثم قال وانا من رسول الله كالضوء من الضوء والذراع من العضد وذلك
لان الضوء الاول يكون علة في الضوء الثاني الا ترى ان الهواء المقابل للشمس يصير
مضيئا من الشمس فهذا الضوء الاول ثم انه يقابل وجه الارض فيضيء وجه الارض منه

فالضوء

فالضوء الذي على وجه الارض هو الضوء الثاني وما دام ضوء الاول ضعيفا فالضوء
الثاني ضعيف فاذا ازداد الجو اضاءة ازداد وجه الارض اضاءة
لان المعلول يتبع العلة فشبه نفسه بالضوء الثاني ورسول الله صلى الله عليه وآله
بالضوء الاول وشبه منبع الاضواء والانوار سبحانه وعلت اسماؤه بالشمس التي توجب
الضوء الاول ثم الضوء الاول يوجب الضوء الثاني وهاهنا نكتة وهي ان

نكتة

وهي ان الضوء الثاني يكون ايضا علة لضوء ثالث وذلك ان الضوء
الحاصل على وجه الارض وهو الضوء الثاني اذا اشرق على جدار وقابل ذلك
الجدار قريبا منه مكان مظلم فان ذلك المكان يصير مضيئا بعد ان كان
مظلما فان كان لذلك المكان المظلم باب وكان داخل البيت مقابل ذلك الباب
جدار كان ذلك الجدار اشد اضاءة من باقي البيت ثم ذلك الجدار ان كان فيه
ثقب الى موضع آخر كان ما يحاذي ذلك البيت اشد اضاءة مما حواليه وهكذا
لا تزال الاضواء توجب بعضها على وجه الانعكاس بطريق العلية وبشرط
المقابلة ولا تزال تضعف درجة فدرجة الى ان يضمحل ويعود الامر الى الظلمة
وهكذا حال العلوم والحكم المأخوذة من امير المؤمنين لا تزال تضعف كلما انتقلت
من قوم الى قوم الى ان يعود الاسلام غريبا كما بدا بموجب الخبر النبوي الوارد
في الصحاح فاما قوله وكالذراع من العضد فلان الذراع فرع العضد والعضد
اصل الا ترى انه لا يمكن ان يكون ذراع الا ان كان عضد ويمكن ان يكون عضد
لا ذراع له ولهذا قال الراجز لولا ابا بكر بكرين وبالخليل لكيلا اصبحت مثلي كذراع
من عضد فشبه نفسه بالنسبة الى رسول الله صلى الله عليه وآله بالذراع الذي
العضد اصله واسه والمراد من هذا التشبيه الابانة عن شدة الامتزاج

والاتحاد والقرب بينهما فان الصنو الثاني شبيه بالصنو الاول والذراع ينفصل
بالعضد اتصالا بينا وهذه المنزلة فقد اعطاه اياها رسول الله صلى الله عليه
وآله في مقامات كثيرة نحو قوله في قصة برائت فلا مرت الا يؤدي عني الا انا
او رجل مني وقوله لتنتهين يا بني وليعة او لابعثن اليكم رجلا مني او قال
عديل نفسي وقد سماه الكتاب العزيز نفسه فقال نساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم وقال له لحمك مختلط بلحمي ودمك مسوط بدمي وشبرك وشبري
واحد فان قلت اما قوله لو تظاهرت العرب على لما وليت عنها فمعلوم فالقائل
في قوله ولو امكنت الفرصة من رقابها لسارعت اليها وهل هذا مما يعجز ابناء الدنيا
ويعدونه منقبة وانما المنقبة ان لو امكنته الفرصة وعفا قلت غرضه ان يقرر
في نفوس اصحابه وغيرهم من العرب انه يحارب على حق وان حربه لاهل الشام
كالجهاد ايام رسول الله صلى الله عليه وآله وان من يجاهد الكفار يجب عليه
ان تغلظ عليهم ويستاصل شافتهم الا ترى ان رسول الله ص لما جاهد بني قريظة
وظهر لم يبق ولم يعف وحصدهم في يوم واحد في الف انسان صبرا في مقام واحد
لما علم في ذلك من اعزاز الدين واذلال المشركين فالعفو له مقام والانتقام له مقام
قوله وساجهد في ان اطهر الارض الاشارة في هذا الى معوية سماه شخصا معكوسا
وجسما مركوسا والمراد انعكاس عقيدته وانها ليست عقيدة هدى بل هي
معاكسة للحق والصواب وسماه مركوسا من قولهم اركس في الضلال والركس
رد الشيء مقلوبا قال تعالى والله اركسهم بما كسبوا اي قلبهم وردهم الى كفرهم فلما كان تاركا
للفطرة التي كل مولود يولد عليها كان مرتكسا في ضلالته واصحاب التناسخ
يفسرون هذا بتفسير آخر قالوا الحيوان على ضربين منتصب و

اصحاب التناسخ

منحن فالمنتصب الانسان والمنحني هو ما كان معكوسا اسه الى جهة الارض
كالبهائم والسباع قالوا والى ذلك وقعت الاشارة بقوله افمن يمشي مكبا
على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم قالوا فاصحاب
الشقاوة ينتقل انفسهم عند الموت الى الحيوان المكبوب واصحاب السعادة
ينتقل انفسهم الى الحيوان المنتصب ولما كان معوية عنده من اهل الشقاوة
سماه معكوسا ومركوسا رمزا الى هذا المعنى قوله حتى تخرج المدرة من بين حب
الحصيد اي حتى يتطهر الدين واهله منه وذلك لان الزراع يجتهدون
في اخراج المدر والحجر والشوك والعوسج ونحو ذلك من بين الزرع كي لا تفسد
منابته فتفسد الحب الذي يخرج منه فشبه معوية بالمدر ونحوه من
مفسدات الحب وشبه الدين بالحب الذي هو ثمرة الزرع **الاصل**
ومن هذا الكتاب وهو آخره اليك عني يا دنيا حبلك على غاربك قد انسللت
من مخالبك وافلت من حبائلك واجتنبت الذهاب في مداحضك اين
القوم الذين غررتهم بمداعبك اين الامم الذين فتنتهم بزخارفك هاهم رهائن
القبور ومضامين اللحود والله في عباد غررتهم بالاماني والقيتهم
في المهاوي وملوك اسلمتهم الى التلف واوردتهم موارد البلاء اذ لا ورد
ولا صدر هيهات من وطئ دحضك زلق ومن ركب لججك غرق ومن ازور
عن حبائلك وفق والسالم منك لا يبالي ان ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم
حان منه انسلاخه **الشرح** اليك عني اي ابعدي وحبلك على غاربك
كناية من كنايات الطلاق اي اذهبي حيث شئت لان الناقة اذا
القي حبلها على غاربها فقد اهملت والغارب ما بين السنام والعنق

والمداحض المزالق وقيل ان في النسخة التي بخط الرضي عزبتيم بالياء وكذلك
فتنبتهم والقيتهم واسلمتهم واوردتهم والاحسن حذف الياء واذا كانت
الرواية وردت بها فهي من اشباع الكسرة كقوله الم ياتيك والانباء تنمي بما
فعلت لبون بني زياد ومضامين الفحول اي الذين تضمنهم وفي الحديث
نهي عن بيع المضامين والملاقيح وهي ما في اصلاب الفحول وبطون الاناث
ثم قال لو كنت ايها الدنيا انسانا محسوسا كالواحد من البشر لاقمت عليك
الحد لما فعلت بالناس ثم شرح افعالها فقال منهم من غررت ومنهم من القيت
في مهاوي الضلال والكفر ومنهم من اتلفت واهلكت ثم قال من وطئ دحضك
زلق مكان دحض اي مزلة ثم قال الا بناي من سلم منك ان ضاق به مناخه
لا يبالي بالفقر ولا بالمرض ولا بالحبوس والسجون وغير ذلك من انواع المحن
لان هذا كله حقير لا اعتقاد به جنب السلامة من فتنة الدنيا والدنيا
عند من قد سلم كيوم قريب انقضاؤه وفناؤه **الاصل** اعزبي عني فوالله
لا اذلك فتستذليني ولا اسلس لك فتقوديني وايم الله يمينا استثني
فيها بمشية الله لاروضن نفسي رياضة تهش معها الى القرص اذا قدرت
عليه مطعوما وتقنع بالملح مأدوما ولادعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة
دموعها اتمتلي السائمة من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة من عشبها فتربض
وياكل علي من زاده فيهجع قرت اذا عينه اذا اقتدى بعد السنين المتطاولة
بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية طوبى لنفس ادت الى ربها فرضها وعركت
بجنبها بؤسها وهجرت في الليل غمضها حتى اذا غلب الكرى عليها افترشت
ارضها وتوسدت كفها في معشر اسهر عيونهم خوف معادهم وتجافت عن

مضاجعهم

مضاجعهم جنوبهم وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم
ذنوبهم فاتق الله يا ابن حنيف ولتكفف اقراصك ليكون من النار خلاصك
الشرح اعزبي ابعدي يقال عزب الرجل بالفتح اي بعد ولا اسلس لك
بفتح اللام اي لا انقاد لك سلس الرجل بالكسر سلسا فهو بين السلس اي سهل قياده
ثم حلف واستثنى بالمشية ادبا كما ادب الله تعالى رسوله لاروضن اي لادربنها
بالجوع والجوع هو اصل الرياضة عند الحكماء وارباب الطريقة قال حتى اهش
الى القرص اي الى الرغيف واقنع من الادام بالملح ونضب معينها فني ماؤها ثم انكر
على نفسه فقال اتشبع السائمة من رعيها بكسر الراء وهو الكلاء والربيضة
جماعة من الغنم او البقر تربض في اماكنها وانا ايضا مثلها اشبع وانام لقد قرت
عيني اذا جئت اشابه البهائم بعد الجهاد والسبق والعبادة والعلم والجد في
السنين المتطاولة قوله وعركت بجنبها بؤسها اي صبرت على بؤسها والمشقة التي
تنالها يقال قد عرك فلان بجنبه الاذى اي اغضى عنه وصبر عليه قوله افترشت
ارضها اي لم يكن لها فراش الا الارض وتوسدت كفها لم يكن لها وسادة الا الكف
وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم لفظ الكتاب العزيز تتجافى جنوبهم عن المضاجع
وهمهمت تكلمت كلاما خفيا وتقشعت ذنوبهم زالت وذهبت كما يتقشع السحاب
قوله ولتكففه اقراصك انما هو نهي لابن حنيف ان يكف عن الاقراص وان
كان اللفظ يقتضي ان يكف الاقراص عن ابن حنيف وقد رواها قوم بالنصب
قالوا فاتق الله يا ابن حنيف ولتكفف اقراصك لتكون من النار خلاصك واللام هاهنا
للامر عوض الباء وهي لغة لا باس بها وقد قيل ان رسول الله صلى الله عليه وآله قرا
فبذلك فلتفرحوا بالتاء **تمت** تم الجزء السادس عشر والحمد لله وحده وصلواته

على سيدنا محمد خير خلقه وآله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الاصل ومن كتاب له الى بعض عماله اما بعد فانك ممن استظهر به
على اقامة الدين واقمع به نخوة الاثيم واسد به لهاة الثغر المخوف فاستعن
بالله على ما اهمك واخلط الشدة بضغث من اللين وارفق ما كان الرفق ارفق
واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك الا الشدة واخفض للرعية جناحك وابسط
لهم وجهك والن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة والاشارة و
التحية حتى لا يطمع العظماء في حيفك ولا ييأس الضعفاء من عدلك **الشرح**
قد اخذ الشاعر معنى قوله وآس بينهم في اللحظة والنظرة فقال • اقسم اللحظ بيننا
ان في اللحظ لعنوان ما تجن الصدور • انما البر روضة فاذا ما كان بشر
فروضة وغدير • **قوله** وآس بينهم في اللحظة اي اجعلهم اسوة وروى و
وبينهم في اللحظة اي اجعلهم اسوة وروى وساو بينهم في اللحظة والمعنى واحد
واستظهر به اجعله كالظهر والنخوة الكبرياء والاثيم المخطئ المذنب قوله واسد به
لهاة الثغر استعارة حسنة والضغث في الاصل قبضة حشيش مختلط يابسها
بشيء من الرطب ومنه اضغاث احلام للرؤيا المختلطة التي لا تصح تاويلها فاستعار
اللفظة هاهنا والمراد مزج الشدة بشيء من اللين فيجعلهما كالضغث وقال تعالى وخذ
بيدك ضغثا قوله واعتزم بالشدة اي اذا جد بك الجد فدع اللين فان في
حال الشدة لا يغني الا الشدة قال الفند الزماني • فلما صرح الشر • فامسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا • قوله حتى لا يطمع العظماء في حيفك اي
حتى لا يطمع العظماء في ان تمالئهم على حيف الضعفاء وقد تقدم مثل هذا فيما سبق
الاصل ومن وصية له للحسن والحسين لما ضربه ابن ملجم لعنه الله اوصيكما

بتقوى

بتقوى الله وان لا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تاسفا على شيء منها زوي
عنكما وقولا بالحق واعملا للاجر وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا اوصيكما
وجميع ولدي واهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم امركم وصلاح ذات بينكم
فاني سمعت جدكما صلى الله عليه يقول صلاح ذات البين افضل من عامة الصلوة
والصيام الله الله في الايتام فلا تغبوا افواههم ولا يضيعوا بحضرتكم الله الله
في جيرانكم فانهم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا انه سيورثهم والله
الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم والله الله في الصلوة فانها عمود دينكم
والله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فانه ان ترك لم تناظروا الله الله في
الجهاد باموالكم وانفسكم والسنتكم في سبيل الله وعليكم بالتواصل والتباذل
واياكم والتدابر والتقاطع ولا تتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى
عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ثم قال يا بني عبد المطلب لا الفينكم تخوضون
دماء المسلمين خوضا تقولون قتل امير المؤمنين الا لا تقتلن بي الا قاتلي انظروا
اذا انا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا يمثل بالرجل فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه يقول اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور **الشرح** روي واعملا
للآخرة وروي ولا يغبوا افواههم يقول لا تطلبا الدنيا وان طلبتكما فاذا كان
من تطلبه الدنيا منهيا عن طلبها فمن لا تطلبه يكون منهيا عن طلبها بطريق الاولى
ثم قال ولا تاسفا على شيء منها زوي عنكما اي قبض قال رسول الله صلى الله زويت
لي الدنيا فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وروي
ولا تاسيا وكلاهما بمعنى واحد اي لا تحزنا وهذا من قوله لكيلا تاسوا على ما فاتكم
قوله صلاح ذات البين اخذ هذه اللفظة عبد الملك بن مروان فقال لبنيه

اليتيم

وقد جمعهم عندك يوم سوته • اتقوا الضغائن بينكم وعليكم عند المغيب وبغي
الحضور المشهد • بصلاح ذات البين طول حياتكم • ان مد في عمري وان لم يمدد
ان القداح اذا اجتمعن فرامها • بالكسر ذو بطش شديد ابتعزت فلم تكسر وان هي
بددت فالوهن والتكسير للمتبدد • وذات ها هنا كناية متحمة
قوله فلا تغبوا افواههم اي لا يجيعوهم ان تطعموهم غبا ومن روى فلا تغيروا
افواههم فذلك لان الجايع يتغير فيه فالعلة لخلوف فم الصايم اطيب عند الله
من ريح المسك قال ولا يضيعوا بحضرتكم ولا تضيعوهم فالنهي في الظاهر
للايتام وفي المعنى للاوصيا والاوليا والظاهر انه لا يعني الايتام الذين لهم
مال تحت يدي اوصيايهم لان اوصيا اولئك محرم عليهم ان يضيعوا من اموال
اليتامى الا القدر الذي رجحا عند الضرورة ثم يقضيه ومن هذه حالة لا يحسن
ان يقال له الا تغيروا افواه ايتامكم وانما الاظهر انه يعني الذي مات اباؤهم
وهم فقراء يتعين مواساتهم وتفقد العقود عنهم كما قال تعالى ويطعمون الطعام
على حبه مسكينا ويتيما واسيرا • واليتيم في الناس من قبل الاب لا الام ومن البهايم
لا عناية لهم بالاولاد بل العناية للام لانها المرضعة المشفقة واما الناس
فان الاب هو الكافل بنفقة الولد فاذا مات وصل الضرر اليه لفقده كافله والام
بمعزل عن ذلك وجمع يتيم على ايتام كما قالوا شريف واشراف وحكى ابو علي في التكملة
كمي وكمام ولا يسمى الصبي يتيما الا اذا كان دون البلوغ فاذا بلغ زال اسم اليتيم
عنه واليتامى احد الاصناف الذين عينوا في الخمس بنص الكتاب العزيز ثم اوصى
بالجيران واللفظ الذي ذكره قد ورد لجارنا اليهودي فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله يقول ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه

وفي الحديث

وفي الحديث انه صلى الله عليه وآله قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليكرم جاره وعنه عليه السلام جاء الشرع في دار المقامة فاصمة الظهر وعنه عليه السلام
من جهد البلاء جار سوء معك في دار مقامة ان راى حسنة دفنها وان راى
سيئة اذاعها وافشاها ومن ادعيتهم اللهم اني اعوذ بك من مال يكون
علي فتنة ومن ولد يكون علي كلا ومن حليلة تقرب المشيب
ومن جار تراني عيناه وترعاني اذناه وان راى خيرا دفنه وان سمع شرا
طار به ابن مسعود يرفعه والذي نفسي بيده لا يسلم العبد حتى يسلم قلبه
ولسانه ويامن جاره بوائقه قال غشمه وظلمه • لقمان يا بني حملت الحجارة والحديد

فائدة

فلم ار شيئا اثقل من جار السوء وانشد والاهن يشتري دارا برخص كراهة
بعض جيرانها تباع وقال الاصمعي جاور اهل الشام الروم فاخذوا عنهم خصلتين
اللوم وقلة الغيرة وجاور اهل البصرة الخزر فاخذوا عنهم خصلتين الزنا
وقلة الوفا وجاور اهل الكوفة السواد فاخذوا عنهم خصلتين السخا والغيرة
وكان يقال من تطاول على جاره حرم بركة داره • وقال من كان من اذى

حكاية

جاره ورثه الله داره باع ابو الجهم العدوي داره وكان في جوار سعيد بن
العاص بمائة الف درهم فلما احضرها المشتري قال له هذا ثمن الدار فاعطني
ثمن الجوار قال اي جوار قال سعيد بن العاص قال وهل اشترى احد
جوارا قط فقال ردوا علي داري وخذوا مالكم لا ادع جوار رجل ان قعدت
سال عني وان رآني رحب بي وان غبت عنه حفظني وان شهدت قربني
وان سالته قضى حاجتي وان لم اسأله بدأني وان نابتني نائبة فرج عني
فبلغ ذلك سعيدا فبعث اليه مائة الف درهم وقال هذا ثمن دارك ودارك لك

لكن الحسن ليس حسن الجوار كف الاذى ولكن حسن الجوار الصبر على الاذى جاءت
امراة الى الحسن فشكت اليه الحلة وقالت انا جارتك قال كم بيني وبينك قالت
سبع ادور فنظر الحسن فاذا تحت فراشه سبع دراهم فاعطاها اياها وقال
كذنا نهلك وكان كعب بن مامة اذا جاوره رجل قام بما نصلحه وحماه ممن
يقصده وان هلك له شي اخلفه عليه وان مات وداه لاهله فجاوره ابو
داود الايادي فزاده على العادة وبالغ له في اكرامه فكانت العرب اذا احمدت
جارا قالت جار كجار ابي داود وقيس بن زهير طرفيما الطوف ثم اوى الى جاركما
ابو داود ثم تعلمته ابو داود فكان لا يفعل بجاره فعل كعب به وقال مسكين
الدارمي ما ضر جارا الى اجاوره ان لا يكون لبابه ستر اعمى اذا ما جارتي خرجت
حتى يواري جارتي الحذر ناري ونار الجار واحدة واليه قبلي تنزل القدر
استقرض ابو مسلم صاحب الدولة فرسا محضرا فقال لاصحابه لما ذا يصلح
هذا فذكروا السباق للخيل وصيد الحمر والنعام واتباع الفارس الحرب فقال
لم تصنعوا شيئا يصلح للفرار من جار سوء سأل سليمن بن علي خالد بن صفوان
عن ابنيه محمد وسليمان وكانا جاريه فقال كيف احماد ك جوار هما فتمثل بقول
يزيد بن مفرغ الحميري سقى الله دارا لي وارضا تركتها الى جنب دار معقل بن
يسار ابو مالك جار لها وابن مرثد فيا لك جاري ذلة وصغار وفي الحديث
المرفوع ايضا من رواية جابر الجيران ثلاثة فجار له حق وجار له ثلاثة حقوق
فصاحب الحق الواحد جار مشرك لا رحم له فحقه حق الجوار وصاحب الحقين جار مسلم
لا رحم له وصاحب الثلاثة جار مسلم ذو رحم وادنى حق الجوار ان لا تؤذي جارك
بقتار قدرك الا ان تقدح له منها قلت تقتاح تغترف والمقدحة المغرفة

وكان

وكان يقال الجيران خمسة الجار الصنا م الذي الجوار والجار الدمث الحسن الجوار
والجار اليربوعي المنافق والجار البراقشي المتلون في افعاله والجار الحسدلي الذي
عينه تراك وقلبه يرعاك وروى ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وآله
يقول اللهم اني اعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان دار البادية تتحول قوله والله
الله في القرآن امرهما بالمسارعة الى العمل ببدونهما ان يسبقهما غيرهما اليه ذلك ثم امرهما بالقلوة
ولج وشدد الرضاة فلج فقال انه تركتما تناظرا اي تتعجل الانتقام منكم فاما المسبلة
فنهى عنها امر رسول الله صلى الله عليه وآله ان يمثل بهبار بن الاسود لانه روع زينب حتى
اجهضت ثم نهى عن ذلك وقال لا مثلة المسبلة حرام الاصل ومن كتاب له
الى معوية وان البغي والزور يوقعان بالمرء في دينه ودنياه ويبديان خلله عند
من يعيبه وقد علمت انك غير مدرك ما قضي فواته وقد رام اقوام امرا بغير الحق فتالوا
على الله فاكذبهم فاحذر يوما يغتبط فيه من احمد عاقبة عمله ويندم من امكن
الشيطان من قياده فلم يجاذبه وقد دعوتنا الى حكم القرآن ولست من اهله ولسنا
اياك اجبنا ولكن اجبنا القرآن الى حكمه الشرح يوبقان يهلكان والوقع
بالتحريك الهلاك وقد وبق يوبق وبقا اي اثم وهلك ومنه اوبقه الله اهلكه وابق
فلان دينه بالاثم قوله فتالوا على الله اي حلفوا من الالية وهي اليمين وفي الحديث
من تالى على الله اكذبه ومعناه من اقسم تجبرا واقتدارا لافعلن كذا اكذبه الله
ولم يبلغه امله وقد روي تاولوا على الله اي حرفوا الكلم عن مواضعه وتعلقوا
بشبهة في تاويل القرآن انتصارا لمذهبهم فاكذبهم الله بان اظهر للعقلاء
فسادتا ويلاتهم والاول اصح ويغتبط فيه يفرح ويسر وهي الغبطة بالتحريك
وروي يغبط فيه اي يتمنى مثل حاله قوله ويندم من امكن الشيطان من قياده

فلم يجاذبه البلاء الذي هو حرف المضارعة عائدة على المكلف الذي اعني الشيطان
من قياده يقول اذا لم يجاذب الشيطان قياده فانه سيذم فاما من جاذبه قياده
فقد قام بما عليه ومثل قوله ولسنا اياك اجبنا قوله والله ما حكمت مخلوقا وانما
حكمت القرآن ومعنى مخلوقا بشرا لا محدثا **الاصل** ومن كتاب له اليه اما بعد
فان الدنيا مشغلة عن غيرها ولم يصب صاحبها منها شيئا الا فتحت له حرصا عليه
ولهجا بها ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها ومن وراء ذلك فراق
ما جمع ونقض ما ابرم ولو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي والسلام **الشرح**
هذا كما قيل في المثل صاحب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد
عطشا والاصل في هذا قول الله تعالى لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى
لهما ثالثا ولا يملأ عين ابن ادم الا التراب وهذا من القرآن الذي رفع ونسخت
تلاوته وقد ذكر نصر بن مزاحم هذا الكتاب وقال ان امير المؤمنين كتبه الى عمرو بن
العاص وزاد فيه زيادة لم يذكرها الرضي اما بعد فان الدنيا مشغلة عن الآخرة
وصاحبها منهوم عليها لم يصب منها شيئا قط الا فتحت عليه حرصا وادخلت عليه
مؤنة تزيده رغبة فيها ولن يستغني صاحبها بما نال عما لم يدرك ومن وراء
ذلك فراق ما جمع والسعيد من وعظ بغيره فلا تحبط اجرك ابا عبد الله ولا
تشرك معوية في باطله فان معوية غمص الناس وسفه الحق والسلام قال وهذا
اول كتاب كتبه علي الى عمرو بن العاص فكتب عمرو جوابه اما بعد فان الذي
فيه صلاحنا والفة ذات بيننا ان تنيب الى الحق وان تجيب الى ما تدعوك
اليه من الشورى فصبر الرجل منا نفسه على الحق وعذره ما المحاجة والسلام
قال فكتب علي الى عمرو بعد ذلك كتابا غليظا وهو الذي ضرب مثله فيه

الى كتاب

بالكلب

بالكلب يتبع الاسد وهو مذكور في نهج البلاغة والمبهج للحرص ومعنى قوله
لو اعتبرت حفظت ما بقي اي لو اعتبرت بما مضى من عمرك لحفظت باقيه ان
تنفقه في الضلال وطلب الدنيا وتضيعه **الاصل** ومن كتاب له
الى امراء الجيش من عبد الله علي امير المؤمنين الى اصحاب المسالح اما بعد فان
حقا على الوالي ان لا يغيره عن رعيته فضل ناله ولا طول خص به وان يزيده
ما قسم الله له من نعمه دنوا من عباده وعطفا على اخوانه الا وان لكم عندي
ان لا احتجز دونكم سرا الا في حرب ولا اطوي دونكم امرا الا في حكم ولا اؤخر لكم
حقا عن محله ولا اقف به دون مقطعه وان تكونوا عندي في الحق سواء فاذا
فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة وان لا تنكصوا عن
دعوة ولا تفرطوا في صلاح وان تخوضوا الغمرات الى الحق فان انتم لم تستقيموا لي
على ذلك لم يكن احد اهون علي ممن اعوج منكم ثم اعظم له العقوبة ولا يجد
عندي فيها رخصة فخذوا هذا من امرائكم واعطوهم من انفسكم ما يصلح الله به
امركم والسلام **الشرح** اصحاب المسالح جماعات تكون بالثغر يحمون البيضة
والمسلحة هي الثغر كالمرقب وفي الحديث كان ادنى مسالح فارس الى العرب العذيب
قال يجب على الوالي ان لا يتطاول على الرعية بولايته وبما خص به عليهم من
الطول وهو الفضل وان تكون تلك الزيادة التي اعطيها سببا لزيادة دنوه
من الرعية وحنوه عليهم ثم قال لكم عندي ان لا احتجز دونكم بسر الا السر قال
الا في حرب وذلك لان الحرب يجب فيها طي الاسرار والحرب خدعة قال ولا اطوي
دونكم امرا الا في حكم اي اظهركم على كل ما في نفسي مما يحسن اظهاركم عليه فاما الاحكام
الشرعية والقضاء على احد الخصمين فاني اعلمكم به قبل وقوعه كيلا تفسد القضية

بان يختال ذلك الشخص ويصرف الحكم عنه ثم ذكر انه لا يؤخر لهم حقاً عن محله يعني
العطا فانه لا يقف دون مقطعه والحق ههنا غير العطا بل الحكم قال زهير فان الحق
مقطعه ثلاث يمين او نفار او جلاء اى متى تعين الحكم حكمت به وقطعت ولا اقف ولا
يحتبس فلا استر فى ما شرط لهم قال فاذا انا وفيت بما شرطت على نفسي وجبت
لله عليكم النعمة ولى عليكم الطاعة ثم اخذ في الاشتراط عليهم كما شرط لهم
فقال ولى عليكم ان لا تنكصوا عن دعوة ولا يتقاعسوا عن الجهاد اذا دعوتكم
اليه ولا تفرطوا فى اصلاح اى اذا امكنتكم فرصة او رايتم مصلحة في حرب العدو وحماية
الثغر فلا تفرطوا فيها فتفوت وان تخوضوا الغمرات الى الحق اى يكابدوا المشاق
فى العظيمة ولا تهولنكم خوضها الى الحق اى بكابد المشاق العظيمة ولا تهولنكم
خوضها الى الحق ثم ان علم ان لم يفعلوا ذلك ثم قال فخذوا هذا من امرائكم ليس يعني
به ان على هؤلاء اصحاب المسالح امرا من قبله كالواسطة بينهم وبينه بل من امرائكم
يعني بعدى ومن يقوم فى الخلافة مقامى بعدى لانه لو كان الغرض هو الاول لما كان
محله ان يقول لا احتجز دونكم بسر ولا اطوى دونكم امرا لان محل من كان بتلك الصفة
دون هذا **الاصل** ومن كلام له الى عماله على الخراج من عبد الله على امير المؤمنين
الى اصحاب الخراج اما بعد فان من لم يحذر ما هو صاير اليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها
واعلموا ان ما كلفتم يسير وان ثوابه كثير ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان
عقاب يخاف لكان فى ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه فانصفوا الناس من
انفسكم واصبروا لحوائجهم فانكم خزان الرعية ووكلاء الامة وسفراء الائمة ولا تحسموا
احدا عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا
صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا عبدا ولا تضربن احدا سوطاً لمكان درهم ولا تمس

مال احد من الناس مصل ولا معاهد الا ان تجدوا فرساً وسلاحاً يعدى به على اهل الاسلام
فانه لا ينبغي للمسلم ان يدع ذلك فى ايدى اعداء الاسلام فيكون شوكة ولا تدخروا انفسكم نصيحة
ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونة ولا دين الله قوة وابلوا فى سبيل الله ما استوجب
عليكم فان الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم ان نشكره بجهدنا وان ننصره بما بلغت
قوتنا ولا قوة الا بالله العلى العظيم **الشرح** يقول لو قدرنا ان القبايح العقلية كالظلم
والبغي لا عقاب على فعلها بل فى تركها ثواب فقط لم يكن الانسان معذوراً اذا فرط في
ذلك الترك لانه يكون قد حرم نفسه نفعاً هو قادر على ايصالها اليه قوله ولا
تحسموا احدا اى لا تقطعوا طالب الحاجة فتقطعوه عن طلبه لا حسمته نهيا وحاسمت
وهو ان يجلس اليك فتغضبه وتؤذيه وقال ابن الاعرابي حشمته اخجلته واحشمته
اغضبته والاسم الحشمة وهى الاستحيا والغضب ثم نهاهم ان يبيعوا لارباب الخراج ما هو
من ضرورياتهم ثم نهاهم عن ضرب الانسان لاستيفاء الخراج وكتب عدي بن ارطاة الى
عمر بن عبد العزيز يستاذنه في عذاب العمال فكتب اليه كانى لك جنة من عذاب الله وكان
رضاى ينجيك من سخط الله من قامت عليه بينة او اقر عالم يكن مضطهداً الى الاقرار
فخذه بسبيله بعد ان تحلفه انه لا يقدر على شئ فلان يلقوا الله الذى بجناياتهم
احب الى من القاه بدمائهم ثم نهاهم ان يعرضوا لمال احد من المسلمين او من المعاهدين
المعاهد هنا هو الذمى او من يدخل دار الاسلام من بلاد الشرك على عهد اما لاداء رسالة
او لتجارة ونحو ذلك ثم يعود الى بلاده ثم نهاهم عن الظلم واخذ اموال الناس على طريق
المصادرة والتاويل الباطل قال الا ان تخافوا غايلة المعاهدين بان تجدوا عندهم
ذلك
خيولاً وسلاحاً وتظنوا منهم وثبة على بلد من بلاد الاسلام فانه لا يجوز الاغضاء عن
عليكم
حينئذ قوله وابلوا في سبيله اى اصطنعوا من المعروف فى سبيل الله ما استوجب

قال

بما لهم يبلوه معروفًا اى يصنعه اليه قال زهير جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم وابلاهما
خير البلا الذي يبلو قوله قد استطيع عندنا وعندكم ان تشكره بلام التعليل واخذ فيها
اى احسن الثنا الشكر وحذفها كثيرا نحو قوله تعالى بئسما قدمت لهم انفسهم ان سخط
الله عليهم **الاصل** ومن كتاب له كتبه الى امراء البلاد في معنى الصلوة اما بعد
فصلوا بالناس الظهر حين تفئ الشمس مثل مربض العنز وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء
حية في عضو من النهار حين يسار فيها فرسخان وصلوا بهم المغرب حين يفطر
الصايم ويدفع الحاج وصلوا بهم العشا حين يتوارى الشفق الى ثلث الليل وصلوا بهم
صلاة اضعفهم ولا تكونوا فتانين **الشرح** قد اختلف الفقهاء في اوقات
الصلوات فقال ابو حنيفه اول وقت الفجر الثاني وهو المعترض في الافق وآخر وقتها
مالم تطلع الشمس واول وقت الظهر اذا زالت الشمس وآخر وقتها اذا صار ظل كل شى مثله
سوى في الزوال وقال ابو يوسف ومحمد آخر وقتها اذا صار الظل مثله قال ابو حنيفه
واول وقت العصر اذا خرج وقت الظهر وهذا على القولين وآخر وقتها مالم تغرب الشمس
واول وقت المغرب اذا غربت الشمس وآخر وقتها مالم يغب الشفق وهو البياض الذي
في الافق بعد الحمرة وقال ابو يوسف ومحمد هو الحمرة قال ابو حنيفه واول وقت
العشا اذا غاب الشفق وهذا على القولين وآخر وقتها مالم يطلع الفجر وقال الشافعي اول
وقت الفجر اذا طلع الفجر الثاني ولا يزال وقتها المختار باقيًا الى ان يسفر ثم يبقى وقت
الجواز الى طلوع الشمس وقال ابو سعيد الاصطخري من الشافعية لا يبقى وقت الجواز بل
يخرج وقتها بعد الاسفار ويصلي قضاء ولم يتابعه على هذا القول احد قال الشافعي واول
وقت الظهر اذا زالت الشمس وحكى ابو الطيب الطبري من الشافعية ان من الناس من قال لا
يجوز الصلوة حتى يصير الفي بعد الزوال مثل الشراك وقال مالك احب ان تؤخر الظهر بعد

الزوال

الزوال بقدر ما يصير الظل ذراعًا وهذا مطابق لما قال امير المؤمنين حين تفئ الشمس
كمربض العنز اى كموضع تربض العنز وذلك نحو ذراع او اكثر بزيادة يسيرة قال
الشافعي وآخر وقت الظهر اذا صار ظل كل شى مثله ويعتبر المثل من حد الزيادة
على الظل الذي كان عند الزوال وبهذا القول قال ابو يوسف ومحمد وقد حكيناه
من قبل وبه ايضًا قال الثوري واحمد وهو رواية الحسن بن زياد اللؤلؤي عن ابي
حنيفه فاما الرواية المشهورة عنه وهي التي رواها ابو يوسف فهو ان آخر وقت
الظهر صيرورة الظل مثليه وقد حكيناه عنه فيما تقدم وقال ابن المنذر وتفرد
ابو حنيفه بهذا وعن ابي حنيفه رواية ثالثة انه اذا صار ظل كل شى مثله خرج وقت
الظهر ولم يدخل وقت العصر الى ان يصير ظل كل شى مثليه وقال ابو ثور ومحمد بن جرير
الطبري قدر اربع ركعات بين المثل والمثلين يكون مشتركا بين الظهر والعصر وحكي
عن مالك انه قال اذا صار ظل كل شى مثله فهو آخر وقت الظهر واول وقت العصر فاذا
زاد على المثل زيادة بينة خرج وقت الظهر واختص الوقت بالعصر وحكى ابن الصباغ
من الشافعية عن مالك ان وقت الظهر الى ان يصير ظل كل شى مثليه وقتا مختارا فاما
وقت الجواز والادا فالى ان يبقى الى غروب الشمس قدر اربع ركعات وهذا
القول مطابق لمذهب الامامية وقال ابن جريج وعطا لا يكون مفرطا بتاخيرها حتى يصير
في الشمس صفرة وعن طاوس لا تفوت حتى الليل فاما العصر فان الشافعي يقول اذا زاد على
المثل ادنى زيادة فقد دخل وقت العصر والخلاف في ذلك بينه وبين ابي حنيفة عنه
فيما تقدم وكلام امير المؤمنين في العصر مطابق لمذهب ابي حنيفة لانه بعد صيرورة الظل
مثليه هو الوقت الذي يكون فيه الشمس حية بيضاء في عضو من النهار حين يسار فيه فرسخان
فاما ما قبل ذلك فانه وقت ذلك حين يسار من الفراسخ اكثر من ذلك والذي الوقت الاختيار عنه

الشافعي للعصر باقيا حتى تصير ظل كل شيء مثليه ثم يبقى وقت الجواز الى غروب الشمس وقال ابو سعيد
الاصطخري من اصحابه يصير قضاء بمجاوزة المثلين فاما وقت المغرب فاذا غربت الشمس وغروبها
سقوط القرص وقال ابو الحسن علي بن حبيب الماوردي من الشافعية لابد ان يسقط القرص
ويغيب حاجب الشمس وهو الضيا المستعلي عليها كالمتصل بها ولم يذكر ذلك من الشافعية
احد غيره وذكر الشاشي في كتاب حلية العلماء ان الشيعة قالت اول وقت المغرب اذا اشتبكت
النجوم قال وقد حكي هذا عنهم ولا يساوي الحكاية ولم تذهب الشيعة الى هذا وسنذكر
قولهم فيما نقيده وكلام امير المؤمنين في المغرب لا ينص على وقت معين لانه يعرف ذلك
بكونه وقت الافطار ووقت ما يدفع الحاج وكلا الامرين يحتاج الى تعريف كما يحتاج وقت
الصلوة اللهم الا ان يكون قد عرفنا من البلاد الذين يصلون الناس من قبل هذا الكتاب
مبني هو الوقت الذي يفطر فيه الصائم ويدفع الحاج فيه بعينه ثم يحيلهم في هذا الكتاب
على ذلك التعريف المخصوص قال الشافعي وللمغرب وقت واحد وهو قول مالك وحكى ابو ثور
عن الشافعي ان لها وقتين فاخر وقتها اذا غاب الشفق والجديد من قوله وعند والمشهور القول
الاول وقد ذكرنا قول ابي حنيفة فيما تقدم وهو امتداد وقتها الى ان يغيب الشفق وبه
قال احمد وداود واختلف اصحاب الشافعي في مقدار الوقت الواحد فمنهم من قال هو مقدار
بقدر الطهارة وستر العورة والاذان والاقامة وفعل ثلث ركعات ومنهم من قدر
بغير ذلك وقال ابو اسحاق الشيرازي منهم التضييق انما هو في الشروع فاما استدامتها
فيجوز الى مغيب الشفق وهو الحمرة وهو قول مالك واحمد وداود وابي يوسف ومحمد وقد
حكينا مذهب ابي حنيفة فيما تقدم وهو انه يغيب الشفق الذي هو البياض وبه قال
زفر والمزني قال الشافعي واخر وقتها المختار الى نصف الليل هذا هو قوله القديم وهو مذهب
ابي حنيفة وقال في الجديد الى ثلث الليل ويجب ان يحمل قول امير المؤمنين في العشاء انها

الى ثلث

الى ثلث الليل على وقت الاختيار ليكون مطابقا لهذا القول وبه قال مالك واحمد في
الروايتين عن احمد ثم تذهب وقت الاختيار ويبقى وقت الجواز الى طلوع الفجر الثاني
وقال ابو سعيد الاصطخري لا يبقى وقت الجواز بعد نصف الليل بل يصير قضاء فقد
ذكرنا مذهبي ابي حنيفة والشافعي في الاوقات وهما الامامان المعتبران في الفقه
ودخل في ضمن حكاية مذهب الشافعي ما يقوله مالك واحمد وغيرهما من الفقهاء
فاما مذهب الامامية من الشيعة فنحن نذكره نقلا من كتاب ابي عبد الله محمد بن محمد
بن النعمان رحمه الله المعروف بالرسالة المقنعة قال وقت الظهر من بعد زوال الشمس الى
ان يرجع الفيء سبعي الشخص وعلامة الزوال رجوع الفيء بعد انتهائه الى النقصان وطريق
معرفة ذلك بالاصطرلاب او ميزان الشمس وهو معروف عند كثير من الناس او بالعمود المنصوب
في الدائرة الهندسية ايضا فمن لم يعرف حقيقة العمل بذلك او لم يجد آلته فلينصب عودا
من خشب او غيره في ارض مستوية التسطيح ويكون اصل العود غليظا وراسه دقيقا
شبه المدري الذي ينتصب به التكك والمسلة التي يخاط بها الاحمال فان ظل هذا
العود بلا شك يكون في اول النهار اطول من العود وكلما ارتفعت الشمس نقص من طوله حتى
يقف القرص في وسط السماء فيقف الفيء حينئذ فاذا زال القرص عن الوسط الى جهة المغرب
رجع الفيء الى الزيادة فليعتبر من اراد الوقوف على وقت الزوال ذلك بخطط وعلامات
يجعلها على راس ظل العود عند وضعه في صدر النهار وكلما نقص في الظل شيء علم عليه فاذا
رجع الى الزيادة على موضع العلامة فان قرص الشمس يقف فيها وسط النهار ويعرف عن
يسارها وعين المتوجه اليها بعد وقوفها وزوالها عن القطب فاذا صارت مما يلي
حاجبه الايمن من بين عينيه علم انها قد زالت وعرفان القبلة تلقاء من جهته ومن سبقت
معرفته بجهة القبلة فهو يعرف زوال الشمس اذا توجه اليها فراى عين الشمس مما يلي حاجبه الايمن

الا ان ذلك لا يبين الا بعد زوالها بزمان و يبين الزوال بالاصول وفيما
ذكرناه من الاصطرلاب وميزان الشمس في الدائرة الهندية والعمود الذي وصفنا
ومن لم يحصل له معرفة ذلك او فقد الآلة توجه الى القبلة فاعتبر دورة الشمس على طرف حاجبه
الايمن ووقت العصر من بعد الفراغ من الظهر اذا صليت الظهر في اول وقتها الى بعد ذلك
الشمس بلا فصل ويمتد الى ان يتغير لون الشمس باصفرارها للغروب وللمضطر والناسي الى مغيبها
بسقوط القرص عما تبلغه ابصارنا من السماء واول وقت المغرب مغيب الشمس وعلامة
مغيبها عدم الحمرة في المشرق المقابل للمغرب في السماء وذلك ان المشرق مطل على المغرب
فما دامت الشمس ظاهرة فوق ارضنا فهي تلقي ضوءها على المشرق في السماء فترى حمرتها
فيه فاذا ذهبت الحمرة منه علم ان القرص قد سقط وغاب واخره اول وقت العشاء الآخرة
واول وقتها مغيب الشفق وهو الحمرة في المغرب وآخره مضي الثلث الاول من الليل
واول وقت الغداة اعتراض الفجر وهو البياض في المشرق الذي تعقبه الحمرة في مكانها
وتكون مقدمة لطلوع الشمس على الارض من السماء وذلك ان الفجر الاول هو البياض
الظاهر في المشرق يطلع طولا ثم ينعكس بعد مدة عرضا ثم يحمر الافق بعده للشمس ولا ينبغي
للانسان ان يصلي فريضة الغداة حتى يعترض البياض وينتشر صعدا في السماء كما ذكرنا
وآخر وقت الغداة طلوع الشمس فهذا ما تقوله الفقهاء في مواقيت الصلاة فاما قوله
والرجل يعرف وجه صاحبه فمعناه الاسفار وقد ذكرناه وقوله وصلوا بهم صلاة اضعفهم
اي لا تطيلوا بالقراءة الكثيرة والدعوات الطويلة ثم قال ولا تكونوا فتانين اي لا تفتنوا
الناس باتعابهم وادخال المشقة عليهم باطالة الصلاة وبافساد صلوة المأمومين بما
تفعلونه من افعال مخصوصة نحو ان يحدث الامام فيستخلف فيصلي الناس خلف خليفته
فان ذلك لا يجوز على احد قولي الشافعي ونحو ان يطيل الامام الركوع والسجود فيظن

المأمون انه قد رفع فيرفع او ليسبقه باركان كثيرة ونحو ذلك من مسائل تذكرها
الفقهاء في كتبهم واعلم ان امير المؤمنين انما بدأ بصلوة الظهر لانها اول فريضة
فرضت على المكلفين من الصلوات على ما كان يذهب اليه رض والى ذلك تذهب الامامية
ويستقر قولهم لتسميتها الاولى ولهذا بدأ ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بذكرها
قبل غيرها فاما من عدا هؤلاء فاول الصلوة المفروضة عندهم الصبح وهي اول النهار
ايضا ويتفرع على هذا البحث القول في الصلوة الوسطى ما هي فذهب جمهور الناس الى
العصر لانها بين صلاتي نهار وصلاتي ليل وقد رووا في ذلك روايات بعضها في
الصحاح وقياس مذهب الامامية انها المغرب لان الظهر اذا كانت الاولى كانت
المغرب الوسطى الا انهم يروون عن ائمتهم ويفسرون الوسطى في اللغة هو خيار كل شيء
ومنه قوله تعالى جعلناكم امة وسطا وقد ذهب الى انها المغرب قوم من الفقهاء ايضا
وقال كثير من الناس انها الصبح لانها ايضا بين صلاتي ليل وصلاتي نهار وروي
ايضا فيها روايات وهو مذهب الشافعي ومن الناس من قال انها فيها روايات
وهو مذهب الشافعي ومن الناس من قال انها الظهر كقول الامامية ولم يسمع عن
احد معتبر انها العشاء الا قولا شاذا ذكره بعضهم وقال لانها بين صلوتين لا تقصران

الأصل ومن عهد له كتبه للاشتر النخعي رحمه الله لما ولاه على مصر واعمالها حين اضطرب
امر اميرها محمد بن ابي بكر رحمه الله وهو اطول عهد كتبه واجمعه للمحاسن بسم الله
الرحمن الرحيم هذا ما امر به عبد الله علي امير المؤمنين مالك بن الحارث الاشتر في
عهده اليه حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح اهلها وعمارة
بلادها امره بتقوى الله وايثار طاعته واتباع ما امر به في كتابه من فرائضه وسننه التي
لا يسعد احد الا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه

ويتفرع في التفريع لتطويع القول بالمغرب متفرع عليه في وجه
معنى الوسطى عند الشيعة

ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من اعزه وامره ان
يكسر نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا
ما رحم الله ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول
قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه
من امور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وانما يستدل على الصالحين
بما يجري الله لهم على السن عباده فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة العمل
الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس الانصاف
منها فيما احببت وكرهت **الشرح** نصره الله باليد الجهاد بالسيف وبالقلب
الاعتقاد للحق وباللسان قول الحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد تكفل
الله بنصر من نصره لانه تعالى قال ولينصرن الله من ينصره والجماح منازعة النفس
الى شهواتها ومآربها وتزعها تكفها ثم قال له قد كنت تسمع اخبار الولاة
وتعيب قوما وسيقول الناس في امارتك الان نحو ما كنت تقول في الامراء
فاحذر ان تعاب وتذم بما كنت تعيب وتذم من يستحق الذم ثم قال انما
يستدل على الصالحين بما يكثر سماعه من السنة الناس بمدحهم والثناء عليهم وكذلك
يستدل على الفاسقين بمثل ذلك وكان يقال السنة الرعية اقلام الحق سبحانه
الى الملوك ثم امره ان يشح بنفسه عن الحرام وفسر له الشح ما هو فقال هو ان ينتصف
منها فيما احببت وكرهت اي لا يمكنها من الاسترسال في الشهوات وكن اميرا عليها
ومسيطرا فامنعها عن الشهوة ولا انهماك فان قلت هذا معنى قوله فيما
احببت فما معنى قوله وكرهت قلت لانها تكره الصلوة والصوم وغيرهما من العبادات
الشرعية ومن الواجبات العقلية فلم يجب ان يكون الانسان مهيمنا عليها

في طرف

في طرف الفعل يجب ان يكون مهيمنا عليها في طرف الترك **الاصل**
واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا
ضاريا تغتنم اكلهم فانهم صنفان اما اخ لك في الدين واما نظير لك في الخلق
يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على ايديهم في العمد والخطاء فاعطهم
من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك
فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك امرهم وابتلاك
بهم لا تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا يدي لك بنقمته ولا غناء بك عن عفوه
ورحمته ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت
عنها مندوحة ولا تقولن اني مؤمر آمر فاطاع فان ذلك ادغال في القلب ومنهكة
للدين وتقرب من الغير واذا احدث لك ما انت فيه من سلطانك ابهة او مخيلة
فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك
فان ذلك يطامن اليك من طماحك ويكف عنك من غربك ويفي اليك بما عزب عنك
من عقلك اياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته فان الله يذل
كل جبار ويهين كل مختال **الشرح** اشعر قلبك الرحمة اي اجعلها كالشعار
له وهو الثوب الملاصق للجسد فالان الرعية اما اخوك في الدين او انسان مثلك
يقتضي رقة الجنسية وطبع البشرية الرحمة قوله ويؤتى على ايديهم مثل قولك ويؤخذ
على ايديهم اي يهذبون ويثقفون يقال خذ على يد هذا السفيه وقد حجر الحاكم
على فلان واخذ على يده ثم قال فنسبتهم اليك كنسبتك الى الله تعالى فكما يحب ان يصفح الله
عنك ينبغي ان تصفح انت عنهم قوله لا تنصبن نفسك لحرب الله اي لا تبارزه بالمعاصي
فانه لا يدي لك بنقمة الله مقحمة والمراد الاضافة ونحوه قولهم لا ابا لك قوله ولا تقولن

انى مؤمر اى لا تقل انى امير وال امر بالشئ فاطاع ولا ادغال الافساد ومنهكه
للدين ضعف وسقم ثم امره عند حدوث الابهة والعظمة عنده لاجل الرياسة
والامرة ان يذكر عظمة الله تعالى وقدرته على اعدامه وايجاده واماتته واحيائه
فان تذكر ذلك يطامن من غلوائه اى بعض من تعظمه وتكبره ويطامن منه
والغرب حد السيف ويستعاد للنظرة والسرعة فى البطش والفتك قوله
ويفئ اى يرجع اليك بما يعد عنك من عقلك وحرف المضارعة مضموم لانه
من افاء ومساماة الله تعالى مباراته فى السمو والعلو **الاصل** انصف
الله وانصف من نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك
فانك الا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه
الله ادحض حجته وكان لله حربا حتى ينزع ويتوب وليس شئ ادعى الى تغيير
نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم ان الله دعوة المظلومين وهو للظالمين
بالمرصاد وليكن احب الامور اليك اوسطها فى الحق واعمها فى العدل واجمعها
لرضا الرعية فان سخط العامة يجحف برضا الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر
مع رضا العامة وليس احد من الرعية اثقل على الوالى مؤونة فى الرخاء واقل
معونة له فى البلاء واكره للانصاف واسال بالالحاف واقل شكرا عند الاعطاء وابطاء
عذرا عند المنع واضعف صبرا عند ملمات الدهر من اهل الخاصة وانما عمود الدين
وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة فليكن صغوك لهم وميلك معهم
الشرح قال انصف الله اى قم له بما فرض عليك من العبادة والواجبات العقلية
والسمعية ثم قال وانصف الناس من نفسك ومن ولدك وخاصة اهلك ومن تحبه
وتميل اليه من رعيتك فمتى لم تفعل ذلك كنت ظالما ثم نهاه عن الظلم واكد الوعيد

عليه

عليه فى ذلك ثم عرفه ان قانون الامارة الاجتهاد فى رضا العامة فانه لا
يبالى بسخط خاصته الا مع رضا العامة فانه اذا سخطت العامة ما ينفعه
رضا الخاصة وذلك مثل ان يكون فى البلد عشرة او عشرون من اغنيائه
وذوى الثروة من اهله يلازمون الوالى ويخدمونه ويسامرونه وقد صاروا
كالاصدقاء لهم فان هؤلاء ومن ضارعهم من حواشى الوالى وارباب الشفاعات
والقربات عنده لا يغنون عنه شيئا عند تنكر قلوب العامة له وكذلك
لا يضر سخط هؤلاء اذا رضيت العامة وذلك لان هؤلاء عنهم غنى ولهم
بدل والعامة لا غنى عنهم ولا بدل منهم ولانهم اذا شغبوا عليه كانوا كالبحر
اذا هاج واضطرب فلا يقاومه احد وليس الخاصة كذلك ثم قال ونعما قال ليس شئ
اقل نفعا ولا اكثر ضررا على الوالى من خواصه ايام الولاية لانهم يثقلون عليه بالحاجات
والمسائل والشفاعات فاذا عدلت هجروه ورفضوه حتى لو لقوه فى طريق لم يسلموا
عليه والصغو بالكسر والفتح والصغا مقصورا الميل **الاصل** وليكن ابعدهم
منك واشناهم عندك اطلبهم لمعائب فان فى الناس عيوبا الوالى احق من سترها
فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب
عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك اطلق
عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يضح لك
ولا تعجلن الى تصديق ساع فان الساعى غاش وان تشبه بالناصحين ولا تدخلن فى
مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جبانا يضعفك عن الامور
ولا حريصا يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها
سوء الظن بالله **الشرح** اشناهم عندك ابغضهم اليك قد تقدم قال يقال

تعالى فلان عن كذا او يبنع بظهر والمابغى وضح وغاب رجل رجلا عند بعض الا
فقال له لقد استدللت على كثرة عيوبك بما تكثر فيه من عيوب الناس لان طالب العيوب
انما يطلبها بقدر ما فيه منها وقال الشاعر • وآخر من رايت بظهر عيب على عيب الرجال
اولوا لعيوب ماهن بعنت وبعض منشعب كم فيك من عيب وانت تعيب وفي الخبر
المرفوع دعوا الناس بغفلاتهم يعيش بعضهم مع بعض وقال الوليد ابن عتبة
بن ابي سفيان كنت اسامر ابي ورجل يقع في رجل فنهاه [illegible] فقال لي ابي
نزه سمعك من استماع الخنا كما تنزه لسانك عن الكلام به فان المستمع شريك القائل
انما نظر الى اخبث ما في وعائه فافرغه في وعائك ولو ردت كلمة جاهل في فيه لسعد رادها
كما شقي قائلها وقال ابن عباس الحدث حدثان حدث من فيك وحدث من فرجك
وعاب رجل رجلا عند قتيبة ابن مسلم فقال له قتيبة امسك ويحك فلقد تلمظت
بمضغة طالما لفظها الكرام ومر رجل بجار بين له ومعه ربيبة فقال احدهما لصاحبه
افهمت ما معه من الربيبة قال وما معه قال كذا عيدي حتى لو جرالله شكر له تعالى
انه لم يعرفني من الشر ما عرفك وقال الفضيل بن عياض ان الفاحشة لتشيع في
كثير من المسلمين حتى اذا صارت الى الصالحين كانوا لها خزانا وقيل لبزرجمهر
هل من احد لا عيب فيه فقال الذي لا عيب فيه لا يموت وقال الشاعر ولست
بذي نيرب في الرجال مناع خير وسبابها ولا من اذا كان في جانب اضاع العشيرة
واغتابها ولكن اطاوع ساداتها ولا اتعلم الغابها وقال آخر لا تلتمس من مساوي
الناس ما ستروا فيكشف الله سترا من مساويكا واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا
ولا تعب احدا منهم بما فيكا وقال آخر ابدا وبعتبك فانهها عن عيبها فاذا انتهت
عنه فانت حكيم • فهناك تعذر ان وعظت وتقتدي • بالقول منك وتقبل

التعليم

التعليم فاما قوله اطلق عن الناس عقدة كل حقد فقد استوفي في هذا المعنى زياد في
خطبته البتراء فقال وقد كانت بيني وبين اقوام احن وقد جعلت ذلك دبر اذني
وتحت قدمي فمن كان منكم محسنا فليزدد في احسانه ومن كان منكم مسيئا فلينزع عن
ني لو علمت ان احدكم قد قتله السلال من بغضي لم اكشف عنه قناعا ولم
اهتك له سترا حتى يبدي صفحته فاذا فعل لم اناظره الا فليشتمل كل امرء منكم على ما في
صدره ولا يكونن لسانه شفرة تجري على ودجه فاما ترك ولا تعجلن الى تصديق ساع فقد
ورد في هذا المعنى كلام حسن قال ذو الرياستين قبول السعاية شر من السعاية لان
السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبله واجازه فامقت الساعي
على سعايته فانه لو كان صادقا لكان لئيما اذ هتك العورة واضاع الحرمة وعاتب مصعب
بن الزبير الاحنف على امر بلغه عنه فانكره فقال مصعب اخبرني به الثقة قال كلا
ايها الامير ان الثقة لا يبلغ وكان يقال لو لم يكن من عيب الساعي الا انه اصدق فلا ياذن
لاحد ان يطبخ السكباج وكان ذلك لكان كافيا كانت الاكاسرة لا تاذن لاحد ان
يطبخ السكباج وكان ذلك مما يخص الملك فرفع ساع الى انوشروان ان فلانا دعانا ونحن
جماعة الى طعام له وفيه سكباج فوقع انوشروان على رقعته قد حمدنا نصيحتك وذممنا
صديقك على سوء اختياره للاخوان جاء رجل الى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة عبد
الملك على دمشق فقال ايها الامير ان عندي نصيحة قال اذكرها فقال جار لي من بعثه
سرا فقال اما انت فقد اخبرتنا انك جار سوء فان شئت ارسلنا معك فان كنت كاذبا
عاقبناك وان كنت صادقا مقتناك وان تركتنا تركناك قال بل اتركني ايها الامير
قال فانصرف ومثل هذه يحكى عن عبد الملك ان انسانا ساله الخلوة فقال لجلسائه اذا شئتم
فانصرفوا فلما تهيا الرجل قال له اسمع ما اقول اياك ان تمدحني فانا اعرف بنفسي منك او

تكذبني فانه لا راى لمكذوب او تسعى باحد الي فاني لا احب السعاية قال افتاذن امير المؤمنين
في الانصراف قال اذا شئت وقال بعض الشعراء لعمرك ما سب الامير عدوه ولكنما سب
الامير المبلغ وقال آخر حرمت جناي ان كان ذا الذي اتاك به الواشون عني كما قالوا ولكنهم
لما راوك سميعة اليّ تواصوا بالنميمة ولغطوا فقد صرت اذنا للوشاة سميعة ينالون
من عرضي ولو شئت ما نالوا وقال عبد الملك بن صالح لجعفر بن يحيى وقد خرج يودعه
لما شخص الى خراسان ايها الامير احب ان تكون لي كما قال الشاعر فكوني على الواشين لداء
شغبة كما انا للواشي الد شغوب قال بل اكون كما قال القائل واذا الواشي يوما بها نقع
الواشي بها وجاء يمترى وقال العباس بن الاحنف ما حطك الواشون من رتبة عندي
ولا ضرك مغتاب كانهم اثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا **قوله** ولا تدخلن
في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ماخوذ من قول الله تعالى
الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا قال المفسرون
الفحشاء ههنا البخل ومعنى يعدكم الفقر يخيل اليكم انكم ان سمحتم باموالكم افتقرتم
فيخوفكم فتخافون فتبخلون فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن
بالله كلام شريف عال على كلام الحكماء يقولون ان بينها قدرا مشتركا وان كانت غرائز و
طبائع مختلفة وذلك القدر المشترك هو سوء الظن بالله لان الجبان يقول في نفسه
ان اقدمت قتلت والبخيل يقول ان سمحت وانفقت افتقرت والحريص يقول ان لم
اجد واجتهد فاتني ما اروم وكل هذه الامور ترجع الى سوء الظن بالله ولو حسن
ظن الانسان بالله وكان يقينه صادقا لعلم ان الاجل مقدر وان الرزق مقدر وان
الغنى والفقر مقدر وانه لا يكون من ذلك الا ما قضاه الله تعالى كونه **الاصل** شر وزرائك
من كان قبلك للاشرار وزيرا ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة فانهم

البخيل

كلام شريف

اعوان

اعوان الائمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه
مثل آصارهم واوزارهم ممن لم يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على اثمه اولئك اخف عليك مؤونة
واحسن لك معونة واحنى عليك عطفا واقل لغيرك الفا فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك
وحفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك اقولهم بمر الحق لك واقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره
الله لاوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع **الشرح** نهاه ان لا يتخذ بطانة ممن كان قبله
بطانة من قبل الظلمة وذلك لان الظلم والتحيف قد صار ملكة ثابتة في انفسهم فيبعد ان
يمكنهم الخلو منها اذ قد صارت كالخلق الغريزي لاجل اللازم لتكرارها وصيرورتها عادة
وقد جاءت النصوص في الكتاب والسنة بتحريم معاونة الظلمة ومساعدتهم وتحريم
الاستعانة بهم فان من استعان بهم كان معينا لهم قال تعالى وما كنت متخذ المضلين
عضدا وقال لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله
وجاء في الخبر المرفوع ينادي يوم القيمة اين من بري لهم قلما اتى الوليد بن عبد الملك
برجل من الخوارج فقال له ما تقول في الحجاج قال وما عسيت ان اقول فيه هل هو الا
خطيئة من خطاياك وشرر من نارك فلعنك الله ولعن الحجاج معك واقبل يشتمهما فالتفت
الوليد الى عمر بن عبد العزيز فقال ما تقول في هذا قال ما اقول فيه هذا رجل يشتمكم
فاما ان تشتموه كما شتمكم واما ان تعفو عنه فغضب الوليد وقال لعمر ما اظنك الا خارجيا
فقال عمر وما اظنك الا مجنونا وقام فخرج مغضبا ولحقه خالد بن الريان صاحب
شرطة الوليد فقال له ما دعاك الى ما كلمت به امير المؤمنين لقد ضربت بيدي الى
قائم سيفي انتظر متى يامرني بضرب عنقك قال او كنت فاعلا لو امرك قال نعم فلما
استخلف عمر خالد بن الريان فوقف على راسه متقلدا سيفه فنظر اليه فقال يا خالد
ضع سيفك فانك مطيعنا في كل امر نامرك به وكان بين يديه كاتب للوليد فقال

حكاية

وضع انت قلبك فانك كنت تعز به وشفع اللهم لي فقد وضعتهما فلا تزعهما
قال اعوذ بالله ما ذا لا وضعين مهنئين حتى ماتا وروى الغزالي في كتاب احياء
علوم الدين قال لما خالط الزهري السلطان كتب اخ له في الدين اليه عافانا
الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو الله
لك ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله عليك بما فهمك من كتابه
وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء فانه تعالى
قال لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت
لي من لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك ابا بكر قطبا تدور عليك
رحا باطلهم وجسرا يعبرون عليه الى بلائهم ومعاصيهم وسلما يصعدون
فيه الى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء
فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما افسدوا من حالك ودينك وما يؤمنك ان تكون
ممن قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات
فسوف يلقون غيا يا ابا بكر انك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل
فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على
الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام **الاصل** والصق باهل
الورع ثم رضهم على ان يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعل فان كثرة الاطراء يحدث
الزهو وتدني من العزة ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فان في ذلك تزهيدا
لاهل الاحسان في الاحسان وتدريبا لاهل الاساءة والزم كلا منهم ما الزم نفسه
الشرح قوله والصق باهل الورع كلمة فصيحة يقول اجعلهم خاصتك
وخلصائك قال ثم رضهم على ان لا يطروك اي عودهم ان لا يمدحوك في وجهك

حكاية

ولا يبجحوك بباطل لا يجعلوك ممن يتبجح اي يفتخر بباطل لم يفعله كما يتبجح اصحاب الامراء
بان يقولوا لهم ما راينا اعدل منكم ولا اسمح ولا احمى هذا الثغر منكم ولا اشد باسا منكم
ونحو ذلك وقد جاء في الخبر احثوا في وجوه المداحين التراب وقال عبد الملك بن مروان لمن
قام يساره ما تريد ان تريد ان تمدحني وتصفني انا اعلم بنفسي منك وقام خالد بن
عبد الله القسري الى عمر بن عبد العزيز يوم بيعته فقال يا امير المؤمنين من كانت
الخلافة زانته فقد زينتها ومن كانت شرفته فقد شرفتها وانك لكما قال القائل
واذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا فقال عمر بن عبد العزيز
لقد اعطي صاحبكم هذا مقولا وحرم معقولا وامره ان يجلس ولما عقد معوية البيعة
لابنه يزيد قام الناس يخطبون فقال معوية لعمرو بن سعيد الاشدق قم فاخطب
يا ابا امية فقام فقال اما بعد فان يزيد ابن امير المؤمنين امل تاملونه واجل تامنونه
ان افتقرتم الى حلمه وسعكم وان احتجتم الى رايه ارشدكم وان اجتديتم ذات يده اغناكم
وشملكم جذع قارح سوبق فسبق وموجد فمجد وقورع فقرع وهو خلف امير المؤمنين
ولا خلف منه فقال معوية اوسعت يا ابا امية فاجلس فانما اردنا بعض هذا واثنى رجل
على علي عليه السلام في وجهه ثناء اوسع فيه وكان عنده متهما فقال له انا دون ما تقول وفوق
ما في نفسك وقال ابن عباس لعتبة بن ابي سفيان وقد اثنى عليه فاكثر رويدا فقد
امهيت يا ابا الوليد يعني بالغت يقال امهى حافر البئر اذا استقصى حفرها فاما قوله
ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فقد اخذه الصابي فقال اذا لم يكن للمحسن
ما يرفعه وللمسيء ما يضعه زهد المحسن في الاحسان واستمر المسيء على الطغيان وقال
ابو الطيب شر البلاد مكان لا صديق بها • وشر ما يكسب الانسان ما يصم وشر ما قنصته راحتي قنص
شهب البزاة سواء فيه والرخم • وكان يقال قضاء حق المحسن ادب للمسيء وعقوبة المسيء جزاء للمحسن

للمحسن **الاصل** واعلم انه ليس شيء بادعى الى حسن ظن وال برعيته من احسانه
اليهم وتخفيفه المؤونات عنهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس له قبلهم فليكن منك
في ذلك امر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فان حسن الظن يقطع عنك نصبا
طويلا وان احق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وان احق من ساء ظنك
به لمن ساء بلاؤك عنده ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة واجتمعت بها
الالفة وصلحت عليها الرعية ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون
الاجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها واكثر مدارسة العلماء ومنافثة الحكماء
في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك وباقامة ما استقام به الناس قبلك **الشرح**
خلاصته هذا الفصل انه من احسن اليك حسن ظنك فيه ومن اساء اليك ساء ظنك
منك وذلك لانك اذا احسنت الى انسان وتكرر منك ذلك الاحسان يتبع ذلك اعتقاد
انه قد احبك ثم يتبع ذلك الاعتقاد امر آخر وهو انك تحبه لان الانسان مجبول على ان
يحب من احبه واذا احببته سكنت اليه وحسن ظنك فيه وبالعكس من ذلك اذا
اسأت الى زيد لانك اذا اسأت اليه وتكررت الاساءة يتبع ذلك اعتقادك انه قد ابغضك
ثم يتبع ذلك الاعتقاد امر آخر وهو انك تبغضه انت واذا ابغضته انقبضت منه
واستوحشت وساء ظنك به قال المنصور للربيع سلني لنفسك قال يا امير المؤمنين
ملأت يدي فلم يبق عندي موضع للمسألة قال سلني لولدك قال اسألك ان تحبه
قال اسألك ان تحبه فقال المنصور يا ربيع ان الحب لا يسأل وانما هو امر يقتضيه الاسباب
قال يا امير المؤمنين انما اسألك ان تزاد من احسانك اليه فاذا تكرر احبك احببته
فاستحسن المنصور ذلك ثم نهاه عن نقض السنن الصالحة التي قد عمل بها من قبله
من صالحي الامراء فيكون الوزر عليه بالنقض والاجر لاولئك بما استنوه ثم امره بمطارحة

العلماء والحكماء في مصالح عمله فان المشورة بركة ومن استشار فقد اضاف عقل غيره
الى عقله ومما جاء في معنى الاول قال رجل لاياس بن معوية من احب الناس اليك
قال الذين يعطوني قال ثم من قال الذين اعطيهم وقال رجل لهشام بن عبد الملك ان الله
جعل العطاء محبة والمنع مبغضة فاعني على حبك ولا تعني على بغضك **الاصل**
واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها
جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها عمال الانصاف
والرفق ومنها اهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار واهل
الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجات والمسكنة وقد سمى الله لكل سهمه
ووضع على حده فريضته في كتاب او سنة نبيه عهدا منه محفوظا فالجنود باذن الله
حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الامن وليس تقوم الرعية الا بهم
ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم
ويعتمدون عليه فيما اصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين الا
بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع
ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعوامها ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار وذوي الصناعات
فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بايديهم مما لا يبلغه
رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي
الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه **الشرح** قالت الحكماء الانسان
مدني بالطبع ومعناه انه خلق خلقة لا بد معها من ان يكون متعينا الى اشخاص من بني
جنسه ومتمدنا في مكان بعينه وليس المراد بالمتمدن ساكن المدينة ذات السور والسوق
بل لا بد ان يقيم في موضع ما مع قوم من البشر وذلك لان الانسان مضطر الى ما يأكله ويشربه

ليقيم صورته ومضطر الى الحيوانات وليكون منه لا له يتمكن من التصرف
والحركة عليه ومعلوم ان الانسان وحده لا يستقل بالامور التي عددناها بل لابد
من جماعة يحرث بعضهم لغيره الحرث وذلك الغير يحوك للحراث الثوب وذلك الحائك
يبني له غيره المسكن وذلك البناء يحمل له غيره الماء وذلك السقا يكفيه غيره تحصيل الآلات
التي يطحن بها الحب ويعجن بها الدقيق ويخبز بها العجين وذلك المحصل لهذه الآلات
يكفيه غيره الاهتمام بتحصيل الزوجة التي يدعوا اليها داعية الشبق فيحصل تساعد
بعض الناس لبعض لولا ذلك لما قامت فهذا معنى قوله رض انهم طبقات لا يصلح بعضها
الا ببعض ولا غنا ببعضها عن بعض ثم فصلهم وقسمهم فقال فمنهم الجند ومنهم الكتاب
ومنهم العمال ومنهم ارباب الجزية من اهل الذمة ومنهم ارباب الخراج من المسلمين
ومنهم التجار ومنهم ارباب الصناعات ومنهم ذوو الحاجة والمسكنة وهم ادون الطبقات
ثم ذكر اعمال هذه الطبقات فقال الجند للحماية والخراج يصرف الى الجند والقضاة والعمال
والكتاب لما يحكمونه من المعاقد ويجمعونه من المنافع ولا بد لهؤلاء جميعا من التجار
لاجل البيع والشرا الذي لا غناء عنه ولا بد للكل من ارباب الصناعات كالحداد والنجار
والبناء وامثالهم ثم يلي هؤلاء الطبقة السفلى وهم اهل الفقر والحاجة الذين يجب معونتهم
والاحسان اليهم وانما قسمهم في هذا الفصل هذا التقسيم ليكون تمهيدا لما يذكره فيما
بعد فانه قد شرع بعد هذا الفصل فذكر طبقة طبقة وصنفا صنفا واوصاه في كل طبقة
وكل صنف منهم بما يليق بحاله فكانه مهد هذا التمهيد كالفهرست لما ياتي بعده التفصيل
الاصل قوله من جنودك انصحهم في نفسك لله ولرسوله ولامامك وانقاهم
جيبا وافضلهم حلما ممن يبطئ عن الغضب ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء
وينبو على الاقوياء وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف ثم الصق بذوي المروءات

والاحسا

والاحساب واهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم اهل النجدة والشجاعة
والسخا والسماحة فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من امورهم
ما يتفقده الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به ولا تحقرن
لطفا تعاهدتهم به وان قل فانه داعية لهم الى بذل النصيحة لك وحسن الظن
بك ولا تدع تفقد لطيف امورهم اتكالا على جسيمها فان لليسير من لطفك
موضعا ينتفعون به وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه وليكن آثر رؤوس جندك
عندك من واساهم في معونته وافضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع
من وراءهم من خلوف اهليهم حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو فان
عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ولا يصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة
امورهم وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح
في آمالهم وواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذوو البلاء منهم فان
كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل ان شاء الله ثم اعرف لكل امرئ منهم
ما ابلى ولا تضمن بلاء امرئ الى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه ولا يدعونك
شرف امرئ الى ان يعظم من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة امرئ الى ان تستصغر من بلائه
ما كان عظيما واردد الى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك
من الامور فقد قال الله سبحانه لقوم احب ارشادهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والى الرسول
فالراد الى الله الاخذ بمحكم كتابه والراد الى الرسول فالراد الى الله الاخذ بمحكم
كتابه والراد الى الرسول الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة **الشرح** هذا
الفصل مختص بالوصاة فيما يتعلق بامر الجيش امره ان يولي امر الجيش من جنوده من كان

انصحهم لله في خلقه واظهرهم جيبًا اى عفيف امين ويكنى عن العفة
والامانة بطهارة الجيب لان الذى يسرق لا يجعل المسروق في جيبه فان
قلت واى تعلق لهذا بولاة الجيش انما ينبغي ان يكون هذه الوصية لولاة
الخراج قلت لابد منها في امراء الجيش لاجل الغنائم ثم وصف ذلك الامير فقال ممن
يبطئ عن الغضب ويستريح الى العذر اى يقبل ادنى عذر ويستريح اليه ويسكن
عنده ويرؤف على الضعفاء يرفق بهم ويرحمهم وايقوا فتال لحميه وينبو عن الاقويا
يتجافى عنهم ويبعد اى لا يمكنهم من الظلم والتعدى على الضعفاء ولا يثيره العنف
لا يهيجه عنف وقسوة ولا يقعد به الضعف اى ليس عاجزا ثم امره ان يلصق
بذوى الاحساب واهل البيوتات اى يكرمهم ويجعل معوله في ذلك عليهم ولا
يتعداهم الى غيرهم وكان يقال عليكم بذوى الاحساب فانهم ان لم يتكرموا استحيوا
ثم ذكر بعدهم اهل الشجاعة والسخاء قال فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف
من هاهنا زائدة وان كانت في الايجاب على مذهب ابي الحسن الاخفش اى جماع
الكرم اى يجمعه كقوله صلى الله عليه الخمر جماع الاثم والعرف المعروف وكذلك
من في قوله وشعب من العرف اى شعب العرف اى اقسامه واجزاؤه ويجوز ان
تكون من على حقيقتها للتبعيض اى هذه الخلال جملة من الكرم واقسام من المعروف
وذلك لان غيرها ايضا من الكرم والمعروف نحو العدل والعفة قوله ثم تفقد
من امورهم الضمير هاهنا يرجع الى الاجناد لا الى الامراء لما سنذكره فما يدل الكلام
عليه فان قلت انه لم يجر للاجناد ذكر فيما سبق وانما المذكور الامراء قلت كلا بل
سبق ذكر الاجناد وهو قوله الضعفاء والاقويا ثم امره ان يتفقد من امر الجيش ما
يتفقد الوالدان من حال الولد وامره ان لا يعظم عنده ما يقويهم وان عظم وان

لايستحقر

لا يستحقر شيئا تعهدهم به وان قل وان لا يمنعه تفقد جسيم امورهم عن تفقد
صغيرها وامره ان يكون آثر رؤوس جنده واحظاهم عنده واقربهم اليه من واساهم
في معونته هذا اظهر لضمير الدال على ان الضمير المذكور اولا للجند لا للامراء الجند لولا
ذلك لما انتظم الكلام قوله من خلوف اهليهم اى ممن يخلفونه من اولادهم واهليهم
ثم قال لا تصح نصيحة الجند لك الا بحيطتهم على ولاتهم اى بتعطفهم عليهم وتحننهم
وهي الحيطة على وزن الشيمة مصدر حاطه يحوطه حوطا وحياطة وحيطة
اى كلاءة ورعاية واكثر الناس يروونها الا بحيطتهم بتشديد اليا وكسرها والصحيح
ما ذكرناه قوله وقلة استثقال دولهم اى لا يصح نصيحة الجند الا اذا احبوا
امراهم ثم لم يستثقلوا دولهم ولم يتمنوا زوالها ثم امره ان يذكر في المجالس والمحافل
بلاء ذوي البلاء منهم فان ذلك مما يرهف عزم الشجاع ويحرك الجبان قوله
ولا تضمن بلاء امرئ الى غيره اى اذكر كل من ابلى منهم مفردا غير مضموم ذكر بلائه
الى غيره لئلا يكون مغمورا في جنب ذكر غيره ثم قال له لا تعظم بلاء ذوى الشرف
لاجل شرفهم ولا تحقر بلاء ذوى الضعة لنسبهم بل اذكر الامور على حقايقها
ثم امره ان يرد الى الله ورسوله ما يضلعه من الخطوب اى ما يؤوده ويميله
لثقله وهذه الرواية اصح من رواية من رواها بالظاء وان كان لتلك وجه
وينبغي ان يذكر في هذا الموضع رسالة ارسطو الى الاسكندر في معنى المحافظة
على اهل البيوتات وذوى الاحساب وان يخصهم بالرياسة والامرة ولا يعدل
عنهم الى العامة والسفلة فان في ذلك تشييدا لكلام امير المؤمنين
ووصيته لما ملك الاسكندر ايرانشهر وهو العراق مملكة الاكاسرة وقتل دارا
ابن دارا كتب الى ارسطو وهو ببلاد اليونان عليك ايها الحكيم منا السلام

رسالة اسكندر الى ارسطو

اما بعد فان الافلاك الدائرة والعلل التي تمت بها وان كانت اسعدتنا بالامور
التي اصبح الناس لنا بها دائنين فانا جدا واجدين لمن الاضطرار الى حكمتك غير
حاجدين لفضلك والاقرار بمنزلتك والاستناهر الى مشورتك فالاخذ
برايك والاعتماد لامرك لما بلونا من جدا ذلك علينا وذقنا من جنا منفعته
حتى صار ذلك بنجوعه فينا وترسخه في اذهاننا وعقولنا كالغذاء لنا فما
ينفك نعول عليه ونستمد منه استمداد الجداول من البحار وقد كان مما سبق الينا
من النصر والفلج واتيح لنا من الظفر والقهر وبلغنا في العدو من النكاية
والبطش ما يعجز القول عن وصفه ويقصر شكر المنعم عن موقع الانعام به وكان
من ذلك عن جاوزنا ارض سورية والجزيرة الى بابل وارض فارس فلما
حللنا بعقوة اهلها وساحة بلادهم لم يكن الا ريثما تلقانا نفر منهم براس ملكهم
هدية الينا وطلبا للحظوة عندنا فامرنا بصلب من جاء به وشهرته لسوء
بلائه وقلة ارعوائه ووفائه ثم امرنا بجمع من كان هناك من ابناء ملوكهم واحرارهم
وذوي الشرف منهم فرأينا رجالا عظيمة اجسامهم واحلامهم حاضرة البابهم
واذهانهم رائعة مناظرهم ومناطقهم دليلا على ان ما ظهر من روائهم ومنطقهم
ان وراءه من قوة ايديهم وشدة نجدتهم وباسهم ما لم يكن ليكون لنا سبيل الى
غلبتهم واعطائهم بايديهم لولا ان القضاء اذالنا منهم واظفرنا بهم
واظهرنا عليهم ولم نر بعيدا من الراي في امرهم ان نستاصل شافتهم ونجتث
اصلهم ونلحقهم بمن مضى من اسلافهم لتسكن القلوب بذلك الى الامن من جرائرهم
وبوائقهم فرأينا ان لا نعجل باسعاف بادي الراي في قتلهم دون الاستظهار
عليهم بمشورتك فيهم فارفع الينا رأيك فيما استشرناك فيه بعد صحته

عندك

جواب ارسطو الى اسكندر

عندك وتقليبك اياه بجلي نظرك وسلام اهل السلم فليكن علينا وعليك فكتب اليه
ارسطوطاليس لملك الملوك وعظيم العظماء الاسكندر المؤيد بالنصر على الاعداء
المهدي له الظفر بالملوك من اصغر عبيده واقل خوله ارسطوطاليس البخوع
بالسجود والتذلل في الاسلام والاذعان بالطاعة اما بعد فانه لا قوة
بالمنطق وان احتشد الناطق فيه واجتهد في تثقيف معانيه وتاليف حروفه
ومبانيه على الاحاطة باقل ما تناله القدرة من بسطة علو الملك وسمو ارتفاعه عن
عن قول وابرازه على كل وصف واعترافه لكل اطناب وقد كان تقرر عندي
من مقدمات فضل الملك في صهلة سبقه وبروز شأوه ويمن نقيبته
ما دلت له حاسة بصري صورة شخصه واضطرب في حس سمعي صوت لفظه
ووقع وهمي على تعقب نجاح رايه ايام كنت اودي اليه من تكلف تعليمي اياه ما
اصبحت قاضيا على نفسي بالحاجة الى تعلمه منه ومهما يكن مني اليه في ذلك
فانما هو عقل مردود الى عقله مستنبط اوائله وتواليه من علمه وحكمته وقد جلى
لي كتاب الملك ومخاطبته اياي ومسالته لي عما لا يتخالجني الشك في
لقاح ذلك وانتاجه من عنده فعنه صدر وعليه ورد وانا فيما اشير به
على الملك وان اجتهدت فيه واحتشدت له وتجاوزت حد الوسع والطاقة
مني في استطاعته واستقصائه كالعدم مع الوجود بل كما لا يعتد به فيجب
معظم الاشياء ولكني غير ممتنع من اجابة الملك الى ما سأل مع علمي ويقيني بعظم غناه
عني وشدة فاقتي اليه وانا راد الى الملك ما اكتسبته منه ومشير عليه بما اخذته عنه
فقائل له ان لكل تربة لا محالة قسما من الفضائل وان لفارس قسمها من النجدة
والقوة وانك ان تقتل اشرافهم تخلف الوضعاء على اعقابهم وتورث سفلتهم

منازل علية وتغليب دنياهم على مراتب ذوي اخطارهم ولم يبتل الملوك قط بلاء اعظم عليهم واشد توهينا لسلطانهم من غلبة السفلة وذل الوجوه فاحذر الحذر كله كله ان تمكن تلك الطبقة من الغلبة والحركة فانه ان نجم منهم بعد اليوم على جندك واهل بلادك ناجم دهمهم منه ما لا روية فيه ولا بقية معه فانصرف عن هذا الراي الى غيره واعمد الى من قبلك من اولئك العظماء والاحرار فوزع بينهم مملكتهم والزم اسم الملك كل من وليته ناحية واعقد التاج على راسه وان صغر ملكه فان المسمى بالملك لازم لاسمه والمعقود التاج لا يخضع لغيره فليس ينشب ذلك ان يوقع بين كل ملك منهم وبين صاحبه تدابرا وتقاطعا وتغالبا على الملك وتفاخرا بالمال والجند حتى ينسوا بذلك اضغانهم عليك واوتارهم فيك ويعود حربهم لك حربا بينهم وحنقهم عليك حنقا منهم على انفسهم ثم لا يزدادون في ذلك بصيرة الا احدثوا لك بها استقامة ان دنوت منهم دانوا لك وان نأيت عنهم تعززوا بك حتى يثب من ملك منهم على جاره باسمك ويسترهبه بجندك وفي ذلك شاغل لهم عنك وامان لاحداثهم بعدك وان كان لا امان للدهر ولا ثقة بالايام قد اديت الى الملك ما رايته لي حظا وعلي حقا من اجابتي اياه الى ما سالني عنه ومحضته النصيحة فيه والملك اعلى عينا وانفذ روية وافضل رايا وابعد همة فيما استعان بي عليه وكلفني تبيينه والمشورة عليه فيه لا زال الملك متعرفا من عوائد النعم وعواقب الصنع وتوطيد الملك وتنفيس الاجل ودرك الامل ما تاتي فيه قدرته على غاية قصوى ما تناله قدرة البشر والسلام الذي لا انقضاء له ولا انتهاء ولا غاية ولا فناء فليكن على الملك قالوا فعمل الاسكندر برايه واستخلف على ايران شهر ابناء الملوك والعظماء من اهل فارس فهم

ملوك

ملوك الطوائف الذين بقوا بعده والمملكة موزعة بينهم الى ان جاء اردشير بن بابك فانتزع الملك منهم

الاصل ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بادنى فهم دون اقصاه واوقفهم في الشبهات واخذهم بالحجج واقلهم تبرما بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور واصرمهم عند ايضاح الحكم ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء واولئك قليل ثم اكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيح علته وتقل معه حاجته الى الناس واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليامن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظرا بليغا فان هذا الدين قد كان اسيرا في ايدي الاشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا

الشرح تمحكه الخصوم تجعله ماحكا اي لجوجا محك الرجل اي لج وماحك زيد عمرا اي لاجه قوله ولا يتمادى في الزلة اي ان زل رجع واناب فالرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل قوله ولا يحصر من الفيء هو المعنى الاول بعينه والفيء الرجوع الا ان هاهنا زيادة وهو انه لا يحصر اي لا يعيا في المنطق لان من الناس من اذا زل حصر عن ان يرجع واصابه كالفهاهة والعي خجلا قوله ولا تشرف نفسه اي لا تشفق والاشراف الاشفاق والخوف وانشد الليث ومن مضر الحمراء اشراف انفس علينا وحياها علينا تمضرا وقال عروة بن اذينة لقد علمت وما الاشراف من خلقي ان الذي هو رزقي سوف ياتيني والمعنى ولا تشفق نفسه وتخاف من فوت المنافع والمرافق ثم قال ولا يكتفي بادنى فهم اي لا يكون قانعا بما يخطر له بادي الراي من امر الخصوم بل

يستفتي ويبحث اشد البحث قوله وا قلهم تبرما بمراجعة الخصم اي تضجرا وهذه
الخصلة من محاسن ما شرطه رض فان القلق والضجر والتبرم قبيح وانبح ما يكون
من القاضي قوله واصرمهم اي قطعهم وامضاهم واز دهاه كذا اي استخفه
والاطرا المدح والاغرا التحريض نزاهة بان يتطلع على احكامه واقضيته
وان يعرض لعطا واستغا بلا لاعينه ويتعفف بر عن المرافق والرشوات
وان يكون قريب المكان منه كثير الاختصاص به ليمنع قربه من سعاية الرجال
به وتقبيحهم ذكر عنده ثم قال ان هذه الدين قد كان استبراهه اشارة
الى قضاة عثمان وحكامه وانما لم يكونوا يقضون بالحق عنده بل بالهوى ولطلب
الدنيا وامّا اصحابنا فيقولون رحم الله عثمان فانه كان ضعيفا واستولى
عليه اهله وقطعوا الامور دونه فاثمهم عليهم وعثمان بريء منهم جا في الحديث
المرفوع ايضا من ابتلى بالقضا بين المسلمين فيعدل بينهم في لحظه واشارته
ومجلسه ومقعده دخل ابن شهاب على الوليد او سليمان فقال له يا ابن شهاب
ما حديث يرويه اهل الشام قال ما هو يا امير المؤمنين قال انهم يروون ان الله تعالى
اذا استرعى عبدا رعية كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات فقال كذبوا
يا امير المؤمنين اينما اقرب الى الله نبي ام خليفة قال بل نبي قال فانه تعالى يقول
لنبيه داود عليه السلام يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس
بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله
لهم عذاب شديد فقال سليمن ان الناس ليغروننا عن ديننا وقال بكر بن
عبد الله لعدي بن ارطاة واراد ان يستقضيه والله ما احسن القضا
فان كنت صادقا لم يحل لك ان تستقضي من لا يحسن وان كنت كاذبا فقد فسقت

عثمان

وامّا اصحابنا

حكاية

ولا يحل

ولا يحل لك ان تستقضي الفاسق وقال ثلاث اذا كن في القاضي فليس بقاض
ان يكره اللائمة ويحب المحمدة ويخاف العزل وقال محارب بن دثار لما
وليت القضاء فبكى اهلي فلما عزلت بكى اهلي فما ادري ما ذاك فقال لانك وليت
القضا وانت تكرهه وتجزع فبكى اهلك لجزعك وعزلت عنه فكرهت العزل
وجزعت فبكى اهلك لجزعك قال محمد فتى ابن شبرمة بقوم يشهدون
على قراح نخل فشهدوا وكانوا عدولا فامتحنهم فقال كم في القراح من نخلة قالوا
لا نعلم فرد شهادتهم فقال له احدهم انت ايها القاضي تقضي في هذا المسجد
منذ ثلاثين سنة فاعلمنا كم فيه اسطوانة فسكت واجازهم خرج شريك وهو على
قضا الكوفة يتلقى الخيزران وقد اقبلت تريد الحج وقد كان استقضي وهو كاره
فاتى شاهي فاقام بها ثلاثا فلم توافِ فخف زاده وما كان معه فجعل يبله
بالما وياكله بالملح فقال العلاء بن المنهال الغنوي فان كان الذي قد قلت
حقا بان قد اكرهوك على القضاء فما لك موضعا في كل يوم تلقى من يحج من النساء
مقيما في قرى شاهي ثلاثا بلا زاد سوى كسر وماء وتقدمت كلثوم بنت سريع
مولى عمرو بن حريث وكانت جميلة واخوها الوليد بن سريع الى عبد الملك بن عمير
وهو قاضي الكوفة فقضى لها على اخيها فقال هذيل الاشجعي وجاءت اليه كلثم
وكلامها شفاء من الداء المخامر والخبل فادلى وليد عند ذاك بحقه وكان لبيد
ذا امراء وذا جدل قد لحن القبطي حين قصتها بجرفها الله في محكم الطول فلو كان
من في القصر يعلم علمه لما استعمل القبطي فينا على عمل له حين يقضي بالنسا
تخاوص وكان ما فيه التخاوص والحول اذا ذات دل كلمته لحاجة فهم
بان يقضي تنحنح او سعل وبرقت عينيه ولاك لسانه يرى كل شي ما خلا وصلها

التحلة

خلل وكان عبد الملك بن عمير يقول لعن الله الاشجعي والله لربما جاءني

والنجيجة وانا في المتوضا فاردهما لما شاع من شوم كتب عمر بن الخطاب الى

معوية اما بعد فقد كتبت اليك في القضا بكتاب لم آلك ونفسي فيه خيرا الزم

خمس خصال يسلم لك دينك وتاخذ بافضل حظك اذا تقدم اليك الخصمان فعليك

بالبينة العادلة او اليمين القاطعة وادن الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط

لسانه وتعهد الغريب فانك ان لم تتعهده ترك حقه ورجع الى اهله وانما ضيع

حقه من لم يرفق به وآس بين الخصوم في لحظك ولفظك وعليك بالصلح

بين الناس ما لم يستبن لك فصل القضا وكتب عمر ايضا الى شريح لا تسار ولا تضار

ولا تبيع في مجلس القضا ولا تقض وانت غضبان ولا شديد الجوع ولا مشغول

القلب شهد رجل عند سوار القاضي فقال ما صناعتك قال مؤدب قال انا لا

نجيز شهادتك قال ولم قال لانك تاخذ على تعليم القرآن اجرا قال وانت تاخذ على

القضا بين المسلمين اجرا قال انهم اكرهوني قال نعم اكرهوك على اخذ الاجر قال

هلم شهادتك ودخل ابو دلامة ليشهد عند ابن ابي ليلى فقال حين جلس بين يديه

ان الناس عطوني تعطلت عنهم وان تجسوا عني فهم مباحث وان حفروا بيري حفرت

بيارهم ليعلم ما تخفيه تلك الثيابات فقال بل نعطيك يا ابا دلامة ونجيزك

ونرضيك واعطى المشهود عليه من عنده بقيمة ذلك الشي كان عامر بن الطرب

العدواني حاكم العرب وقاضيها فنزل به قوم يستفتونه في الخنثى وميراثه فلم يدر ما يقضي

فيه وكان له جارية اسمها خصيلة ربما لامها في الابطاء عن الرعي وفي الشي

يجد عليها فقال لها يا خصيلة لقد اسرع هولاء القوم في غنمي واطالوا المكث

قالت وما يكبر عليك من ذلك اتبعه مباله وخلاك ذم فقال لها مسي خصيلة بعدها

اودوحي

او روحي وقال اعرابي لقوم يتنازعون هل لكم في الحق وما هو خير من الحق

قيل وما الذي هو خير من الحق قال التحاط والهضم فان اخذ الحق كله مر وعزل

عمر بن عبد العزيز بعض قضاته فقال لم عزلتني قال بلغني ان كلامك اكثر من

كلام الخصمين اذا تحاكما اليك ودخل اياس بن معوية الشام وهو غلام فقدم

خصما الى باب القاضي في ايام عبد الملك فقال القاضي اما تستحي تخاصم وانت

غلام شيخا كبيرا فقال الحق اكبر منه قال اسكت ويحك قال ومن ينطق بحجتي اذا

اظنك تقول اليوم حقا حتى تقوم فقال لا اله الا الله فقال القاضي ودخل على عبد الملك

فاخبره فقال اقض حاجته واخرجه من الشام كي لا يفسد علينا الناس اختصم

اعرابي وحضري الى قاض فقال الاعرابي ايها القاضي انه وان هلج الى الباطل فانه عن الحق لا وورد رجل جارية على رجل اشتراها

منه بالحمق ليقطعوها الى اياس بن معوية فقال لها اياس اي رجليك اطول فقالت

هذه قال اتذكرين ليلة ولدتك امك قالت نعم قال اياس ردد ردد وجاء في الخبر

المرفوع من رواية عبد الله بن عمر لا قدست امة لا يقضي فيها بالحق ومن الحديث

المرفوع من رواية ابي هريرة ليس احد يحكم بين الناس الا جي به يوم القيامة

مغلولة يداه الى عنقه فكها العدل واسلمه الجور استعدى رجل على علي بن ابي طالب

عمر بن الخطاب وعلي جالس فالتفت اليه عمر فقال قم يا ابا الحسن فاجلس مع خصمك

فقام فجلس معه وتناظرا ثم انصرف الرجل ورجع علي الى مجلسه فتبين عمر التغير

في وجهه فقال يا ابا الحسن ما لي اراك متغيرا اكرهت ما كان قال نعم قال وما ذاك

قال كنيتني بحضرة خصمي هلا قلت قم يا علي فاجلس مع خصمك فاعتنق عمر عليا

وجعل يقبل وجهه وقال بابي انتم بكم هدانا الله وبكم اخرجنا من

الظلمات الى النور ابان بن عبد الحميد اللاحقي في سوار بن عبد الله القاضي

قصة حسنة

حكاية

حسنة

لا تفلح النطفة في حكمه سيمته عدل وانصاف يمضي اذا لم تلعب شبهة في
اعتراض الشك وقاف كان ببغداد رجل يذكر بالصلاح والزهد يقال له رويم
فولي القضاء فقال الجنيد من اراد ان يستودع سره من لا يفشيه فعليه برويم
فانه كتم حب الدنيا اربعين سنة الى ان قدر عليها الا شهيد الكوفي يا اهل
بغداد قد قامت قيامتكم مذ صار قاضيكم نوح بن دراج لو كان حيا له الحجاج
ما سلمت جمجمة بين من وشم بحجاج وكان الحجاج يشم ايدي النبط بالمشراط
والنبل لما وقعت فتنة ابن الزبير اعتزل شريح القضاء وقال لا اقضي في الفتنة
فبقي لا يقضي تسع سنين ثم عاد الى القضاء وقد كبرت سنه فاعترضه رجل
وقد انصرف من القضاء اما آن لك ان تخاف الله كبرت سنك وفسد ذهنك
وصارت الامور تجوز عليك فقال والله لا يقولها لي بعدك احد فلزم بيته
حتى مات قيل لابي قلابة وقد هرب من القضاء لو اجبت قال اخاف الهلاك
قيل لو اجتهدت لم يكن عليك باس قال ويحكم اذا السابح في البحر كم عسى ان
يسبح دعا رجل لسليمان التيمي ذكرني فقال ادانيك الله يا ابا ايوب على قضاء امنها

حكاية مليحة

قال ويحك ان كان ولا بد فعلي خراجها فان اخذ اموال الايتام ارتفعت
جميلة بن عيسى بن جراد وكانت جميلة كاسمها مع خصم لها الى الشعبي وهو قاضي
عبد الملك فقضى لها فقال هذيل بن الاشجعي فتن الشعبي لما. رفع الطرف اليها
فتنته بنيناباها. وقرني حاجبيها. ومشت مشيا رويدا. ثم هزت منكبيها
فقضى جورا على الخصم ولم يقض عليها فقبض الشعبي عليه وضربه ثلاثين سوطا
قال ابن ابي ليلى فرأيت الشعبي يوما في مجلس القضاء وقد شاعت الابيات
وتناشدها الناس ونحن معه فمررنا بخادم تغسل الثياب وتقول فتن الشعبي

لما نتن

لما فتن الشعبي لما ولا تحفظ تتمة البيت ثم وقف عليها ولقنها وقال رفع الطرف
اليها رفع الطرف اليها ثم ضحك وقال ابعدها الله والله ما قضيت لها الا بالحق
جاءت امرأة الى قاضي فقالت مات بعلي وترك ابوين وابنا وبني عم فقال القاضي
لابويه الثكل ولابنه اليتم ولك اللائمة ولبني عمه الذلة واحمل المال الينا الى
ان يرتفع الخصوم لقي سفيان الثوري شريكا بعدما استقضي فقال يا ابا عبد الله
بعد الاسلام والفقه والصلاح تلي القضاء قال يا ابا عبد الله فهل للناس بد من
قاض قال ولا بد للناس يا ابا عبد الله من شرطي وكان الحسن بن صالح بن حي يقول
لما ولي شريك القضاء اي شيخ افسدوا قال ابو ذر رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى
الله عليه وآله يا ابا ذر اعقل ما اقول لك جعل يرددها علي ستة ايام ثم قال لي
في اليوم السابع اوصيك بتقوى الله في سر امرك وعلانيتك واذا اساءت
فاحسن ولا تسالن احدا شيئا ولو سقط سوطك ولا تتقلدن امانة ولا تلين
ولاية ولا تكفلن يتيما ولا تقضين بين اثنين اراد عثمان بن عفان ان
يستقضي عبد الله بن عمر فقال له الست قد سمعت النبي صلى الله عليه وآله
يقول من استعاذ بالله فقد عاذ بمعاذ قال بلى فاني اعوذ بالله منك ان
تستقضيني وقد ذكر الفقهاء في آداب القضاء امورا قالوا لا يجوز ان يقبل هدية
في ايام القضاء الا ممن كانت له عادة يهدي اليه قبل ايام القضاء ولا يجوز
قبولها في ايام القضاء ممن له حكومة وخصومة وان كان ممن له عادة قديمة و
كذلك ان كانت الهدية انفس وارفع مما كانت قبل ايام القضاء لا يجوز قبولها
ويجوز ان يحضر القاضي الولائم ولا يحضر عند قوم دون قوم لان التخصيص يشعر
بالميل ويجوز ان يعود المرضى ويشهد الجنائز ويأتي مقدم الغائب ويكون له

مباشرة البيع والشرا ولا يجوز ان يقضي وهو غضبان ولا جايع ولا عطشان
ولا في حال الحزن الشديد والفرح الشديد ولا يقضي والنعاس يغلبه والمرض
يقلقه ولا هو يدافع الاخبثين ولا في حر مزعج ولا في برد مزعج وينبغي ان يجلس
للحكم في موضع بارز يصل اليه كل احد ولا يحتجب الا لعذر ويستحب ان يكون
مجلسه فسيحًا لا يتاذى الخصوم بضيقه ولا يتاذى هو بذلك ايضًا ويكره
الجلوس في المساجد للقضا وان احتاج الى وكلا جاز ان يتخذهم وترتيبهم
هو بذلك افضل ويستحب ان يكون له حبس وان يتخذ كاتبًا ان احتاج
اليه ومن شرط كاتبه ان يكون عارفًا بما يكتب من القضا واختلف في جواز
كونه ذميًا والاظهر انه لا يجوز ولا يجوز ان يكون كاتبه فاسقًا ولا يجوز ان
يكون الشهود عنده قومًا معينين بل الشهادة عامة فمن استكمل شروطها

الاصل ثم انظر في امور عمالك فاستعملهم اختيارًا ولا تولهم محاباة واثرة
فانهما جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم اهل التجربة والحيا من اهل
البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقًا واصح اعراضًا
واقل في المطامع اسرافًا وابلغ في عواقب الامور نظرًا ثم اسبغ عليهم الارزاق
فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم
وحجة عليهم ان خالفوا امرك او ثلموا امانتك ثم تفقد اعمالهم وابعث العيون
من اهل الصدق والوفا عليهم فان تعاهدك في السر لامورهم حدوة لهم على استعمال
الامانة والرفق بالرعية وتحفظ من الاعوان فان احد منهم بسط يده الى خيانة
اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدًا فبسطت عليه العقوبة
في بدنه واخذته بما اصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته

عار التهمة **الشرح** لما فرغ من امر القضاة شرع في امر العمال وهم عمال الصدقات
والوقوف والمصالح وغيرها فامره ان يستعملهم بعد اختبارهم وتجربتهم ولا يوليهم
محاباة لهم او لمن يشفع فيهم ولا اثرة وانعامًا عليهم كان ابو الحسن بن الفرات
يقول الاعمال للكفاة من اصحابنا وقضا الحقوق على خواص اعواننا وكان يحيى
بن خالد يقول من تسبب الينا بشفاعة في عمل فقد حل عندنا محل من ينهض بغيره
ومن لم ينهض بنفسه لم يكن للعمل اهلا ووقع جعفر بن يحيى في رقعة متحرم به هذا
فتى له حرمة الامل فامتحنه بالعمل فان كان كافيًا فالسلطان له دوننا وان لم
يكن كافيًا فنحن له دون السلطان ثم قال رض فانهما يعني استعمالهم للمحاباة والاثرة
جماع من شعب الجور والخيانة فقد تقدم شرح مثل هذه اللفظة والمعنى انه اذا فعل ذلك
يجمع ضروبًا من الجور ومن الخيانة اما الجور فلانه يكون قد عدل عن المستحق الى
غير المستحق ففي ذلك جور على المستحق واما الخيانة فلان الامانة تقتضي تقليد
الاعمال الاكفا فمن لم يعتمد ذلك فقد خان من ولاه ثم امره بتخير من قد جرب ومن
هو من اهل البيوتات والاشراف لشدة الحرص على الشي والخوف من فواته ثم امره
باسباغ الارزاق عليهم فان الجايع لا امانة له ولان الحجة تكون لازمة لهم ان خانوا
لانهم قد كفوا مؤنة انفسهم واهليهم بما فرض لهم من الارزاق ثم امره بالتطلع عليهم واذكا
العيون والارصاد على حركاتهم وحدوة باعث يقال حداني على هذا الامر حدوة على كذا
واصله سوق الابل ويقال للشمال حدوا لانها تسوق السحاب ثم امره بمواخذة من يثبت
خيانته واستعادة المال منه وقد صنع عمر كثيرًا من ذلك وذكرناه فيما تقدم قال بعض
الاكاسرة لعامل من عماله كيف نومك بالليل قال انام كله قال احسنت لو سرقت
ما نمت هذا النوم **الاصل** وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله فان في صلاحه

وصلاحهم صلاحًا لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم الا بهم لان الناس كلهم عيال على
الخراج واهله وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج
لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك
العباد ولم يستقم امره الا قليلا فان شكوا ثقلا او علة او انقطاع شرب او بالة
او احالة ارض اغتمرها غرق او اجحف بها عطش خففت بما ترجو ان يصلح به امرهم
ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤنة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة
بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل
فيهم معتمدا فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما
عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم فربما حدث من الامور ما اذا عولت فيه
عليهم من بعد احتملوه طيبة انفسهم به فان العمران محتمل ما حملته وانما يؤتى
خراب الارض من اعواز اهلها وانما يعوز اهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع
وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر **الشرح** انتقل من ذكر العمال الى
ذكر ارباب الخراج وذهاقين السواد فقال تفقد امرهم فان الناس عيال عليهم
وكان يقال استوصوا باهل الخراج فانكم لا تزالون سمانا ما سمنوا ورفع الى انوشروان
ان عامل الاهواز قد حمل من مال الخراج ما يزيد على العادة وربما يكون قد اجحف
بالرعية فوقع برد هذا المال على من استوفي منه فان تكثير الملك ماله باموال
رعيته بمنزلة من يحصن سطوحه بما يقتلعه من قواعد بنيانه وكان على خاتم
انوشروان لا يكون عمران حيث يجور السلطان وروى استجلاب الخراج بالجيم
قال فان شكوا ثقلا اي ثقل طسق الخراج المضروب عليهم او ثقل وطأة العامل قال
او علة يعنون بعيب الحلة الافة كالجراد او البرق قال او انقطاع شرب بان ينقص الماء

في النهر او يتعلق ارض الشرب عنه لنقص الحفر قال او بالة يعني المطر قال او احالة ارض اغتمرها
غرق يعني او كون الارض قد حالت ولم يحصل منها ارتفاع لان الغرق غمرها
وافسدها عيها قال او اجحف بها عطش او اتلفها فان قلت فهذا هو انقطاع
الشرب قلت لا قد يكون الشرب غير منقطع ومع ذلك يجحف بها العطش
بان لا يكفيها الماء الموجود في الشرب ثم امره ان يخفف عنهم شيء من ذلك فان
التخفيف يصلح امرهم وهو وان كان يدخل على المال نقصا في العاجل الا
انه يقتضي توفر زيادة في الاجل فهو بمنزلة التجارة التي لا بد فيها من اخراج رأس
المال وانتظار عوده وعود ربحه قال ومع ذلك فانه يقتضي تزيين بلادك
بعمارتها والى انك تبجح بين الولاة باضافة العدل في رعيتك ومعتمدا منصوب
على الحال من الضمير في خففت الاولى اي خففت عنهم معتمدا بالتخفيف
فضل قوتهم والاجمام الترفيه ثم قال وربما احتجت فيما بعد الى تكليفهم
بحادث يحدث عندك المساعدة بمال يقسطونه عليهم قرضا لك او معونة
محضة فاذا كانت لهم ثروة نهضوا بمثل ذلك طيبة قلوبهم به ثم قال
فان العمران يحتمل ما حملته سمعت ابا محمد بن خليد وكان صاحب ديوان الخراج
في ايام الناصر لدين الله يقول لمن قال له قد قيل عنك ان واسطا والبصرة
قد خربت لشدة العنف باهلها في تحصيل الاموال فقال ابو محمد ما دام هنا
الشط بحاله والنخل نابتا في منابته بحاله ما تخربوا واسط والبصرة
ابدا ثم قال انما تؤتى الارض اي انما تدهى من اعواز اهلها اي من فقرهم قال
والموجب لاعوازهم طمع ولاتهم الجنايات وجمع الاموال لانفسهم ولسلطانهم
سوء ظنهم بالبقاء يحتمل ان يريد انهم يظنون طول البقاء ويتناسون الموت

والزوال ويحتمل ان يريد به انهم يتخيلون العزل والصرف فينتهزون الفرص
ويقطعون الاموال ولا ينظرون فی عمارة البلاد وقد وجدت فی عهد سابور
بن اردشير الی ابنه كلاما يشابه كلام امير المؤمنين فی هذا العهد قوله واعلم
ان قوام امرك بدرور الخراج ودرور الخراج بعمارة البلاد وبلوغ الغاية
فی ذلك باستصلاح اهله بالعدل عليهم والمعونة لهم فان بعض الامور
لبعض سبب وعوام الناس لخواصهم عدة وبكل صنف منهم الی الآخر حاجة
فاختر لذلك افضل من تقدر عليه من كتابك وليكونوا من اهل البصر والعفاف
والكفاية واسند الی كل امرء منهم شقصا يضطلع به ويمكنه تعجيل الفراغ منه
ان اطلعت علی ان احدا منهم خان او تعدی فنكل به وبالغ فی عقوبته
واحذر ان تستعمل علی الارض الكثير خراجها الا البعيد الصوت العظيم الشرف
المنزلة ولا تولين احدا من قواد جندك الذين هم عدة للحرب وجنة من الاعداء
شيئا من امر الخراج فلعلك تهجم من بعضهم علی خيانة فی المال وتضييع
للعمل فان سوغته المال واغضيت له علی التضييع كان ذلك هلاكا واضرارا
برعيتك وداعية الی فساد غيره وان انت كافيته فقد استفسدته واضغنت
صدره وهذا امر توقيه حزم والاقدام عليه خرق والتقصير فيه عجز واعلم
ان من اهل الخراج من يلجئ بعض ارضه وضياعه الی خاصة الملك وبطانته
لاحد امرين انت حری بكراهتهما اما لامتناع من جور العمال وظلم الولاة وتلك
منزلة يظهر بها سوء اثر العمال وضعف الملك واخلاله بما تحت يده واما
للدفع عما يلزمهم من الحق والتكسر له وهذه خلة يفسد بها اداب الرعية وينتقص
بها اموال الملك فاحذر ذلك وعاقب الملجئين والملجأ اليهم [illegible]

بالسوس يطوف الضياع والزرع فرأی عمارة حسنة فجعل يتعجب منها فخاف
اهلها ان يزيد فی خراجهم فلما نزل دعا وجوه البلد وقال بارك الله عليكم
فقد احسنتم العمارة وقد وضعت عنكم مائة الف درهم ثم قال ما يتوفر علی
من تمالك غيرهم علی العمارة وامنهم جواری اضعاف ما وضعت عن هؤلاء والذی
وضعته الآن يده بما يحصل من ذلك وثواب عموم العمارة وامن الرعية افضل ربح

الاصل ثم انظر فی حال كتابك فول علی امورهم واخص رسائلك التی
تدخل فيها مكايدك واسرارك باجمعهم بوجود صالح الاخلاق ممن لا تبطره
الكرامة فيجتری بها عليك فی خلاف لك بحضرة ملاء ولا تقصر به الغفلة
عن ايراد مكاتبات عمالك عليك واصدار جوابها علی الصواب عنك
وفيما ياخذ لك ويعطی منك ولا تضعف عقدا اعتقده لك ولا يعجز عن
اطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه فی الامور فان الجاهل
بقدر نفسه يكون بقدر غيره اجهل ثم لا يكن اختيارك اياهم علی فراستك
واستنامتك وحسن الظن منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة
بتصنعهم وحسن حديثهم وليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شیء ولكن
اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لاحسنهم كان فی العامة اثرا واعرفهم
بالامانة وجها فان ذلك دليل علی نصيحتك لله ولمن وليت امره واجعل
لراس كل امر من امورك راسا منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها
ومهما كان فی كتابك من عيب فتغابيت عنه الزمته **الشرح** لما فرغ من
امر الخراج شرع فی ذكر الكتاب الذين يلون امر الحضرة ويترسلون عنه الی عماله
وامرائه ليهم معاقد التدبير وامر الديوان فامره ان يتخير الصالح منهم ومن يوثق

على الاطلاع على الاسرار والمكايد والحيل والتدبيرات ومن لا يبطره
الاكرام والتقريب فيطمع فيجترئ على مخالفته في ملاء من الناس والرد
عليه ففي ذلك من الوهن للامير وسوء الادب الذي انكشف للكاتب
منه ما لا خفاء به قال الرشيد للكسائي يا علي بن حمزة قد احللناك المحل
الذي لم تكن تبلغه همتك فروّنا من الاشعار اعفها ومن الاحاديث
اجمعها لمحاسن الاخلاق وذاكرنا بآداب الفرس والهند ولا تسرع الرد
علينا في ملاء ولا تترك تثقيفنا في خلاء وقال ابن المقفع لا يكونن
صحبتك للسلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في
المكروه عندك وموافقتهم فيما خالفك وتقديم الامر على اهوائهم
دون هواك فان كنت حافظا اذا ولوك حذرا اذا قربوك امينا
اذا ائتمنوك تعلمهم وكانك تتعلم منهم وتؤدبهم وكانك تتادب
بهم وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر ذليلا ان صرموك راضيا ان اسخطوك
والا فالبعد منهم كل البعد والحذر منهم كل الحذر وان وجدت من السلطان
حق خدمته يحال بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن لم يخدمه غير حق
الخدمة فقد احتمل وزر الآخرة وعرض نفسه للهلكة والفضيحة في
الدنيا فاذا صحبت السلطان فعليك بطول الملازمة من غير املال
واذا نزلت منه بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثر له من الدعاء ولا
تردن عليه كلاما في حفل فاذا خلوت به فبصره في رفق ولا يكونن طلبك
ما عنده بالمسألة ولا تستبطئه وان ابطأ ولا تخبرنه ان لك عليه
حقا وانك تعتد عليه ببلاء وان استطعت ان لا تنسى حقك وبلاءك

الكسائي اسمه علي بن حمزة

بتجديد

بتجديد النصح والاجتهاد فافعل ولا تعطينه المجهود كله من نفسك في
اول صحبتك له واعد موضعا للمزيد واذا سأل غيرك عن شيء فلا تكن المجيب
واعلم اذا استلابك الكلام خفة فيك واستخفاف منك بالسائل والمسؤول
فما انت قائل ان قال لك السائل ما اياك سألت او قال المسؤول اجب بها
المعجب بنفسه والمستخف بسلطانه وقال عبد الملك بن صالح لمؤدب ولده
بعد ان اختصه بمجالسته ومحادثته يا عبد الله كن على التماس الحظ منك
بالسكوت احرص منك على التماسه بالكلام فانهم قالوا اذا اعجبك الكلام فاصمت
واذا اعجبك الكلام فاصمت واذا اعجبك الصمت فتكلم واعلم ان اصعب الملوك
معاملة الجبار الفطن المتفقد فان ابتليت بصحبته فاحترس وان عوفيت
فاشكر الله على السلامة فان السلامة اصل كل نعمة لا تساعدني على ما يقبح بي
ولا تردن علي خطأ في مجلس ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ودع
عنك كيف اصبح الامير وكيف امسى وكلمني بقدر ما استنطقك واجعل بدل
التقريظ لي حسن الاستماع مني واعلم ان صواب الاستماع احسن من صواب القول فاذا
اسمعتك الحديث فلا يفوتنك منه شيء وارني فهمك اياه في طرفك ووجهك
فما ظنك بالملك وقد احلك محل المعجب بما يسمعك اياه واحللته محل من لا يسمع
منه وكل من هذا يحبط احسانك ويسقط حق حرمتك ولا تستدعي
الزيادة من كلامي بما يظهر من استحسان ما يكون مني فمن اسوأ حالا ممن
يستكد الملوك بالباطل وذلك يدل على تهاونه بقدرهم او الجهل تعالى
من حقهم واعلم اني جعلتك مؤدبا بعد ان كنت معلما وجعلتك جليسا بعد
ان كنت مع الصبيان مباعدا فمتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف

رجحان ما دخلت فيه وعد قالوا من لم يعرف حسن ما ابليته قال الرضى ولكن
كاتبك غير معرض عن عرض مكتوبات عمالك عليك والاجابة عنها حسن الوكالة
والنيابة فيك فيما يحتج به لك عليهم فان عقد لك عقدا قواه واحكمه
وان عقد عليك عقدا اجتهد في حله ونقضه قال ولا يكون عارفا
بنفسه فمن لم يعرف قدر نفسه لم يعرف قدر غيره فينبغي له ان يكون مستندا
اختيار عظماء فراستهم وغلبة فطنته باحوالهم فان التدليس يتم في ذلك
كثيرا وما زال الكتاب يتصفون للامراء بحسن الظاهر ويلبس وراء
ذلك كثير طائل في النصيحة والمعرفة ولكن ينبغي ان يرجع في ذلك الى
ما حكمت به التجربة لهم وما ولوه من قبل فان كانت ولايتهم وكفايتهم
حسنة مشكورة فهم هم والا فلا فيعرفون لفراسة الولاة يجعلون انفسهم
بحيث يعرف بضرورة من التصنع ووقع تبرهنون لزامهم ان تقسم
فنون الكتابة وصورتها بينهم بحوالة يكون احدهم للرسائل الى
الاطراف والاعداد والآخر لاجوبة عمال السواد والآخر لحضرة الامير في خاصته
وداده ومحاشاته ونفقاته ثم له انه ماخوذ مع الله تعالى بما يتنفذ في عنده تبعا
من عيوب كتابه فان الدين لا يبيح الاغضاء والغفلة عن الاعوان
والخول ويوجب التطلع عليهم واعلم ان الكاتب الذي يشير امير المؤمنين
اليه هو الذي يسمى الان والاصطلاح العرفي وزير الامير صاحب تدبير حضرة
الامير والنائب عنه في اموره واليه يتصل مكتوبات العمال وعنه تصدر
الاجوبة واليه العرض على الامير وهو المستدرك على العمال والمهيمن عليهم
وهو على الحقيقة كاتب الكتاب ولهذا يسمونه الكاتب المطلق وكان

يقال

يقال للكاتب على الملك ثلاث رفع الحجاب عنه واتهام الوشاة عليه
وافشا السر اليه وكان يقال حاجب السلطان نصفه وكاتبه كله وينبغي
لصاحب الشرطة ان يطيل الجلوس ويديم العبوس ويستخف بالشفاعات
وكان يقال اذا كان الملك ضعيفا والوزير شرها والقاضي جائرا فرقوا
الملك شقاقا وكان يقال لا تحتقر صولة الامير مع رضا الكاتب ولا تثقن
برضا الامير مع سخط الكاتب وقد اخذ هذا المعنى ابو الفضل ابن العميد فقال
وزعمت انك لست تفكر بعد ما علقت يداك بذمة الامراء هيهات قد
كذبتك فكرتك التي قد اوهمتك غنى من الوزراء لم تغن عن احد
سماء لم يجد ارضا ولا ارض بغير سماء وكان يقال اذا لم يشرف الملك على اموره
صار اغش الناس له وزيره وكان يقال ليس الحرب الغشوم باسرع في اجتياح
الملك من تضييع مراتب الكتاب حتى تصيبها اهل النذالة ويزهد فيها
اولوا الفضل وكان يقال لا شيء اذهب بالدولة من استكفاء الملك
بالاشرار وكان يقال من سعادة جد المرء ان لا يكون في زمان المختلط وزير
السلطان وكان يقال كما ان اشجع الرجال لا يحتاج الى السلاح وسبق
الخيل يحتاج الى السوط واحد الشفار يحتاج الى المسن كذلك احزم الملوك
واعقلهم يحتاج الى الوزير الصالح وكان يقال صلاح الدنيا بصلاح
الملوك وصلاح الملوك بصلاح الوزراء ولا يصلح الملك الا بمن يستحق الملك
كذلك لا تصلح الوزارة الا بمن يستحق الوزارة وكان يقال الوزير الصالح لا يرى
ان صلاحه في نفسه كائن صلاحا حتى يتصل بصلاح الملك وصلاح رعيته وان
يكون عنايته فيما عطف الملك على رعيته وفيما استعطف قلوب الرعية

والعامة على الطاعة فلك وبها قوام امر الملك من التدبير الحسن حتى يجمع الى
اخذ الحق بتقديم عمومر الايمن واذا طرق الحوادث كان للملك عدة وعيا ذا
وللرعية كا نبا محتا طا دون ورائها محاميا ذا نا بعينه من صلاحها ما لا يعنيه
من صلاح نفسه دونها وكان يقال مثل الملك الصالح اذا كان وزيره فا سدا
مثل الماء العذب الصافي وفيه التمساح لا يستطيع الانسان وان كان سابحا
والى الماء ظاميا دخوله حذرا على نفسه قال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب
القرظي حين استخلف لو كنت كاتبي ورد الى على ما دفعت اليه قال لا افعل ولكني
سارشدك اسرع الاستماع وابطاء في التصديق حتى يا تيك واضح البرهان
ولا تعملن بحنك فيما تكتفي فيه بلسانك ولا سوطك فيما تكتفي فيه بحنك
ولا بسيفك فيما تكتفي فيه بسوطك وكان يقال التفاظ الكاتب للرشا وضبط
الملك لا يجتمعان وقال ابرويز لكاتبه اكتم السر واصدق الحديث واجتهد
في النصيحة وعليك بالحذر فان لك على ان لا اعجل عليك حتى استاني لك
ولا اقبل فيك قولا حتى استيقن ولا اطمع فيك احدا فتغتاب واعلم انك
بمنجاة رفيعة فلا تحطها وفي ظل مملكة فلا تستزيلنه قارب الناس
مجاملة من نفسك وباعدهم مسامحة عن عدوك واقصد الى الجميل ازدراعا
لغدك وتنزه بالعفاف صونا لمروتك وتحسن عندي بما قدرت عليه
احذر لا تسرعن الالسنة عليك ولا تقبحن الاحدوثة عنك
وصن نفسك صون الدرة الصافية واخلصها خلاص الفضة البيضا
وعاتبها معاتبة الحذر المشفق وحصنها تحصين المدينة المنيعة لا تدعن
ان ترفع الى الصغير فانه يدل على الكبير ولا تكتمن عني الكبير فانه ليس بشاغل

عن الصغير هذب امورك ثم القني بها واحكم امرك ثم راجعني فيه ولا تجترئن
على فامتعض ولا تنقبضن مني فاتهم ولا تمرضن ما تلقاني به ولا تخدجنه
واذا افكرت فلا تعجل واذا كتبت فلا تعذر ولا تستعينن بالفضول
فانها علاوة على الكفاية ولا تقصرن عن التحقيق فانها هجنة بالمقال
ولا تلبس كلاما بكلام ولا تبعدن معنى عن معنى واكرم لي كتابك من
ثلاث خضوع يستخفه وانتشار يهجنه ومعان تعقد بها واجمع الكثير مما
تريد في القليل مما تقول وليكن بسطة كلامك على كلام السوقة
كبسطة الملك الذي تحدثه على الملوك لا يكن ما نلته عظيما وما

حكاية

تتكلم به صغيرا فانما كلام الكاتب على مقدار الملك فاجعله غالبا كعلوه
وفائقا كفوقه فانما الكلام كل خصال اربع سوالك الشيء عن الشيء وسوالك عن الشيء
وامرك بالشيء وخبرك عن الشيء فهذه دعائم المقالات ان التمس اليها خامس
لم يوجد وان نقص منها واحد لم تتم فاذا امرت فاحكم واذا سالت فاوضح
واذا طلبت فاسمح واذا اخبرت فحقق انك اذا فعلت ذلك اخذت بجرائيم
القول كله فلم يشتبه عليه وارده ولم يعجزك صادره اثبت في دواوينك ما
حصن فيها ما اخرجت وتحفظ لما تعطي وتجرد لما تاخذ ولا يغلبنك النسيان عن الاحصاء
ولا الاناة من التقدم ولا تخرجن وزن قيراط في غير حق ولا تعظمن اخراج
الالوف الكثيرة في الحق وليكن ذلك كله عن موامرتي **الاصل** ثم امر ص
بالتجاوز ذوي الصناعات واوص بهم خير المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق بيده
فانهم مواد المنافع واسباب المرافق وجلابها من المباعد والمصالح في بركته
بحرك وسهلك وجبلك وحيث لا تلم الناس لمواضعها ولا يجرئون عليها فانهم

سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقد امورهم بحضرتك وفي حواشي
بلادك واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع
وتحكما في البياعات وذلك مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار
فان رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع بيعا سمحا بموازين
عدل واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد
نهيك اياه فنكل به وعاقبه من غير اسراف **الشرح** خرج الآن الى ذكر
التجار وذوي الصناعات امره ان يعمل معهم الخير وان يوصي غيره من امرائه وعماله
ان يعملوا معهم الخير واستوص بمعنى اوص نحو قر في المكان واستقر وعلا قرنه
واستعلاه بقول استوص بالتجار خيرا اوص نفسك بذلك ومنه قول النبي
صلى الله عليه وآله استوصوا بالنساء خيرا او مفعولا استوص ماوص ههنا محذوف
للعلم بها ويجوز ان يكون استوص اي اقبل الوصية منى بهم واوص بهم انت
غيرك ثم قسم الموصى بهم ثلاثة اقسام اثنان منها التجار وهما المقيم والمضطرب
يعني المسافر والضرب السير في الارض قال تعالى اذا ضربتم في الارض وثالثا ارباب
الصناعات وهو قوله والمترفق ببدنه وروي ببدنه بتثنية يد والمطارح
الاماكن البعيدة وحيث لا يلتئم الناس لا يجتمعون وروي حيث لا يلتئم بحذف
الواو ثم قال فانهم اي لو سلم يعني التجار والصناع استعطفه عليهم واستمال اليهم
وقال ليس لهم كعمال الخراج ولا امراء الاجناد فجانبهم ينبغي ان يراعى وحالهم يجب ان
يحاط ويحمى اذ لا يتخوف منهم بائقة لا في مال يخونون فيه ولا في دولة يفسدونها
وحواشي البلاد اطرافها ثم قال له قد يكون في كثير منهم نوع من الشح والبخل فيدخل
ذلك الاحتكار في الاقوات والحيف في البياعات والاحتكار ابتياع الغلات في

ايام رخصها وادخارها في الحجاز الى ايام الغلاء والقحط والحيف تطفيف في
الوزن والكيل وزيادة في السعر وهو الذي عبر عنه رضي بالتحكم وقد نهى رسول
الله صلى الله عليه وآله عن الاحتكار واما التطفيف وزيادة التسعير فمنهي عنهما
في نص الكتاب وقارف حكرة واقعها والحاء مضمومة وامره ان يؤدب فاعل ذلك
من غير اسراف وذلك انه دون المعاصي التي توجب الحدود فغاية امره التعزير
والاهانة والمنع **الاصل** ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة
لهم من المساكين والمحتاجين واهل البؤسى والزمنى فان في هذه الطبقة
قانعا ومعترا واحفظ ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت المال
وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد فان للاقصى منهم مثل الذي للادنى وكل
قد استرعيت حقه ولا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييعك التافه لاحكامك
الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم وتفقد امور من لا يصل اليك منهم
ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لاولئك ثقتك من اهل الخشية
والتواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم تلقاه
فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله
في تادية حقه اليه وتعهد اهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا
ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه
الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم
الشرح انتقل من التجار وارباب الصناعات الى ذكر فقراء الرعية ومغموريها
فقال واهل البؤسى وهي البؤس كالنعمى للنعيم والزمنى اولوا الزمانة والقانع
السائل والمعتر الذي يعرض لك ولا يسألك وهما من الفاظ الكتاب العزيز امر

ان يعطيهم من بيت مال المسلمين لانهم من الاصناف المذكورين في قوله تعالى واعلموا
انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل وان تعطيهم من غلات صوافي الاسلام وهي الارضون التي لم يوجف
عليها بخيل ولا ركاب فكانت صافية لرسول الله صلى الله عليه وآله فلما قبض صارت
لفقراء المسلمين ولما يراه الامام من مصالح الاسلام ثم قال فان للاقصى منهم مثل الذي للادنى
اي كل فقراء المسلمين سواء في سهامهم ليس فيها اقصى وادنى اي لا يؤثر من هو قريب اليك
او الى احد من خاصتك على من هو بعيد لا نسيب له اليك ولا علاقة بينه وبينك
ويمكن ان يريد به لا تصرف غلات ما كان من الصوافي في بعض البلاد الى مساكين
ذلك البلد خاصة فان حق البعيد من ذلك البلد فيها مثل حق المقيم في ذلك
البلد والتافه الحقير واشخصت زيدا من موضع كذا اخرجته عنه وفلان يصعر
خده للناس اي يتكبر عليهم وتقتحمه العيون تزدريه وتحتقره والاعذار الى الله
الاجتهاد والمبالغة في تادية حقه والقيام بفرائضه كان بعض الاكاسرة يجلس
للمظالم بنفسه ولا يثق الى غيره ويقعد بحيث يسمع الصوت فاذا سمعه ادخل المتظلم
فاصيب بصمم في سمعه فنادى مناديه ان الملك يقول لكم ايها الرعية ان اصبت
في سمعي فلم اصب في بصري كل ذي ظلامة فليلبس ثوبا احمر ثم جلس لهم في مستشرف له
وكان لامير المؤمنين بيت سماه بيت القصص يلقي الناس فيه رقاعهم وكذلك
فعل المهدي محمد بن هرون الواثق من خلفاء بني العباس **الاصل** واجعل
لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما
فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك
وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله

يقول

يقول لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع
ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح عنك الضيق والانف يبسط الله عليك بذلك
اكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته واعط ما اعطيت هنيئا وامنع في اجمال
واعذار ثم امور من امورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعيى
عنه كتابك ومنها اصدار حاجات الناس عند ورودها عليك بما تحرج به
صدور اعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه **الشرح** هذا الفصل
من تتمة ما قبله وقد روي يعني بكلمات متكلمهم فاعل من كلم والرواية الاولى
احسن وغير متتعتع غير مزعج ولا مقلق والمتتعتع في الخبر النبوي المتردد
المضطرب في كلامه عيا من خوف لحقه وهو راجع الى المعنى الاول والخرق
الجهل وروي ثم احتمل الخرق منهم والعي وهو الجهل ايضا والرواية الاولى احسن
ثم بين انه لا بد له من هذا المجلس لامر آخر غير ما قدمه وذلك لانه لا بد من ان يكون
في حاجات الناس ما تضيق به صدور اعوانه والنواب عنه فيتعين عليه ان يباشرها
بنفسه ولا بد من ان يكون في كتب عماله الواردة عليه ما يعيى كتابه عن جوابه
فيجيب عنه بعلمه ويدخل في ذلك ان يكون فيها ما لا يجوز في حكم السياسة
ومصلحة الولاية ان يطلع الكتاب عليه فيجيب ايضا عن ذلك بعلمه ثم قال لا تدخل
عمل يوم في عمل يوم آخر فيتعبك ويكدك فان لكل يوم ما فيه من العمل **الاصل**
واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى افضل تلك المواقيت واجزل تلك الاقسام
وان كانت كلها لله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية وليكن في خاصة ما تخلص
لله به دينك اقامة فرائضه التي هي له خاصة فاعط الله من بدنك في ليلك ونهارك
ووف ما تقربت به الى الله سبحانه من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص بالغا من بدنك

ما يبلغ واذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا ولا مضيعا فان في الناس
من به العلة وله الحاجة وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجهني
الى اليمن كيف اصلي بهم فقال صل بهم كصلوة اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما
الشرح لما فرغ وصيته بامور رعيته شرع في وصيته باداء الفرايض التي
افترضها الله عليه من عبادته ولقد احسن في قوله وان كانت كلها اي لله عليه
ان التنطن في امور الرعية مع صحة النية وسلامة الناس من الظلم من جملة العبادات
والفرايض ايضا ثم قال له كاملا غير مثلوم اي لا يحملنك شغل السلطان على ان تختصر
الصلوة اختصارا بل صلها بفرايضها وسننها وشعايرها في نهارك وليلك
وان اتعبك ذلك وقال من بدنك وقوتك ثم امره اذا صلى بالناس جماعة ان
لا يطيل فيفرقهم عنها وان لا يخرج الصلوة وينقصها فيضيعها ثم روى خبرا
عن النبي صلى الله عليه وآله وهو قوله صل بهم كصلوة اضعفهم وقوله وكن
بالمؤمنين رحيما يحتمل ان يكون من تتمة الخبر النبوي ويحتمل ان يكون من كلام
امير المؤمنين والظاهر انه من كلام امير المؤمنين من تتمة الوصية للاشتر ان
اللفظة الاولى عند ارباب الحديث هي المشهورة في الخبر **الاصل** اما بعد
هذا فلا تطولن احتجابك من رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة
من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فتصغر
عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل
وانما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الامور وليست على الحق سمات
يعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما انت احد رجلين اما امرؤ سخت نفسه
بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه او فعل كريم تسديه

اومبتلى

اومبتلى بالمنع فما اسرع كف الناس عن مسألتك اذا ايسوا من بذلك
مع ان اكثر حاجات الناس اليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة
او طلب انصاف في معاملة **الشرح** نهاه عن الاحتجاب فانه مظنة انطواء
الامور عنه واذا رفع الحجاب دخل اليه كل احد فعرف الاخبار ولم يخف عنه شيء
من احوال عمله ثم قال له لم تحتجب فان اكثر الناس يحتجبون كيلا يطلب منهم الرفد
وانت فان كنت جوادا سمحا لم يكن لك الى الحجاب داع وان كنت ممسكا فسيعلم
الناس ذلك منك فلا يسألك احد شيئا ثم قال على ان اكثر ما يسأل الملك ما لا
مؤونة عليه في ماله كرد ظلامة او انصاف من خصم والقول في الحجاب كثير حضر باب
عمر جماعة من الاشراف منهم سهيل بن عمرو وعيينة بن حصين والاقرع بن حابس
فحجبوا ثم خرج الاذن فنادى اين عمار اين سلمان اين صهيب فادخلهم فتمعرت
وجوه القوم فقال سهيل بن عمرو لم تتمعر وجوهكم دعوا ودعينا فاسرعوا
وابطأنا ولئن حسدتموهم على باب عمر اليوم لانتم غدا لهم احسد واستأذن ابو سفيان
على عثمان فحجبه فقيل له حجبك فقال لا عدمت من اهلي من اذا شاء حجبني وقف
معوية تاما الدرداء فقيل لابي الدرداء ومن صادف بابا مغلقا عليه وجد الى جانبه
بابا مفتوحا ان سأل اعطى وان دعا اجيب وان يك معوية قد احتجب فرب
معوية لم يحتجب وقال ابرويز لحاجبه لا تضعن شريفا بصعوبة حجاب ولا
ترفعن وضيعا بسهولته ضع الرجال مواضع اخطارهم فمن كان قديما شرفه
الاول وحسن رأيه الاخير ومن كان له شرف متقدم ولم يصن ذلك حياطة
له ولم يزد فيه تثمير المغارس فالحق بابائه من رفعه حالة ما تقتضيه سابق
شرفهم والحق بخاصته ما الحق بنفسه فلا تأذن له الا دبريا والا سرارا

حجبك معوية فقال من لا يقفل الباب
الملوك يهن ويكرم

ولا تلحقه بطبقة الاولين واذا ورد كتاب عامل من عمالي فلا تحبسه
على طرفة عين الا ان اكون على حال لا يستطيع الوصول الي فيها واذا اتاك
من يدعي النصيحة لنا فلتكتبها سرا ثم ادخله بعد ان تستاذن له حتى اذا كان
مني بحيث اراه فادفع الي كتابه فان احمدت قبلت وان كرهت رفضت وان اتاك
عالم مشتهر بالفضل والعلم يستاذن فاذن له فان العلم نزيه وشريف
صاحبه ولا تحجبن عني احدا من افناء الناس اذا اخذت مجلسي مجلس العامة
فان الملك لا يحجب الا من ثلاث عي يكره ان يطلع عليه منه وبخل يكره ان يدخل
عليه من يساله او ريبة هو مصر عليها من يشفق من ابدائها ووقوف
الناس عليها ولا بد ان يحيطوا بها علما وان اجتهد في سترها وقد اخذ هذا
المعنى الاخير محمود الوراق فقال اذا اعتصم الوالي باغلاق بابه ورد ذوي الحاجات
دون حجابه • ظننت به احدى ثلاث وربما رجمت بظن واقع بصوابه فقول به
مس من العي ظاهر • ففي اذنه للناس اظهار ما به فان لم يكن عي اللسان
فغالب من البخل يحمي ماله عن طلابه وان لم يكن لا ذا ولا ذا فريبة يكتمها مستور
بثيابه وقام عبد العزيز بن زرارة الكلابي على باب معوية حينا في شملة من صوف
لا ياذن له ثم اذن له وقد بره وادناه ولطف محله عنده حتى ولاه مصر فكان يقال
استاذن اقوام لعبد العزيز بن زرارة ثم صار يستاذن لهم وقال في ذلك دخلت على
معوية بن حرب • ولكن بعد ياس من دخولي وما نلت الدخول عليه حتى • حللت
محلة الرجل الذليل واغضيت الجفون على قذاها • ولم انظر الى قالوا وقيل فادركت
الذي املت منه وحرمان المنى زاد العجول ويقال انه لما دخل عليه قال له يا امير المؤمنين
دخلت اليك بالامل واحتملت جفوتك بالصبر ورايت ببابك اقواما قدمهم الحظ

وآخرين

وآخرين اخرهم الحرمان فليس ينبغي للمقدم ان يامن عواقب الايام ولا للمؤخر
ان ييأس من عطف الزمان واول المعرفة الاختبار فابل واختبر ان رايت وكان
يقال لم يلزم باب السلطان فاصبر على ذل الحجاب وكلام البواب والقى الانف
وحمل الضيم وادام الملازمة الا وصل الى حاجته او الى معظمها وقال عبد الملك
لحاجبه انك عين انظر بها وجنة استلئم بها وقد وليتك ما وراء بابي فماذا تراك
صانعا برعيتي قال انظر بعينك واحملهم على قدر منازلهم عندك واضعهم في
ابطائهم عن بابك ولزوم خدمتك مواضع استحقاقهم وارتبهم حيث وضعهم
ترتيبك واحسن ابلاغهم عندك وابلاغك عنهم قال لقد وفيت بما عليك
ولكن ان صدقت ذلك بفعلك وقال دعبل وقد حجب عن باب مالك بن طوق
لعمري لئن حجبتني العبيد • بل حجبت دونك البادية سامي بها من وراء
الحجاب شنعاء تاتيك بالداهية تصم السميع وتعمي البصير • ويسال من مثلها
العافية وقال آخر ساترك هذا الباب ما دام اذنه على ما ارى حتى يلين
قليلا • فما خاب من لم ياته مترفها • ولا فاز من قد رام فيه دخولا • اذا لم نجد للاذن
عندك موضعا وجدنا الى ترك المجي سبيلا وكتب ابو العتاهية الى احمد بن يوسف
الكاتب وقد حجبه • لئن عدت بعد اليوم اني لظالم • ساصرف وجهي حيث
تبغى المكارم • متى يفلح الغادي اليك لحاجة ونصفك محجوب ونصفك نائم
يعني ليله ونهاره استاذن رجلان على معوية فاذن لاحدهما وكان اشرف
منزلة من الاخر ثم اذن للاخر فدخل فجلس فوق الاول فقال معوية ان الله
قد الزمنا تاديبكم كما الزمنا رعايتكم وانا تاذن له قبلك ونحن نريد ان يكون
مجلسه دونك فقم لا اقام الله لك وزنا وقال بشار تابى خلائق خالد وفعاله

الا يحجبك كل امر غايب واذا اتينا الباب وقت غدايه اذن العداء لنابرغم الحاجب

وقال آخر يهجو اميرا على حرتة من الارض لم تسعه من الحجاب قاعدا

في الخراب يحجب فيه ما سمعنا بحاجب في خراب وكتبت بعضهم الى جعفر بن

محمد بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب يا جعفر ان الولاية ان تكن

مبتلة قوتا فانت لها بتل فلا ترتفع عنا لامر وليته كما لم يصغر عندنا شانك

العزل ومن جيد ما مدح به بشر بن قول القايل بعيد مراد الطرف ما رد طرفه

حذار الغواشي باب دار ولا ستر ولو شا بشر كان من دون بابه طماطم سود او صقالبة

حمر ولكن بشر يسر الباب للتي تكون له في غبها الحمد والاجر وقال بشار خليلي

من كعب اعينا اخاكما على دهره ان الكريم يعين ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه مخافة

ان يرجى نداه حزين اذا جيته للعرف اغلق بابه فلم تلقه الا وانت كمين فقل

لابي يحيى من تدرك العلا وفي كل معروف عليك يمين وقال ابراهيم بن هرمة

هش اذا نزل الوفود ببابه سهل الحجاب مؤدب الخدام واذا رايت صديقه

وشقيقه لم تدر ايهما دو والارحام وقال آخر واني لاستحي الكريم

اذا على طمع عند اللئيم يطالبه واني لاستحي مجلس عند بابه كم يتقي للطرد

والعلج راكبه وقال عبد الله بن محمد بن ابي عيينه اتيتك زاير القصد حتى

نحال الستر دونك والحجاب ورائي مذهب عن كل ناء بجانبه اذا عز الذهاب

ولست بساقط في قدر قوم وان كرهوا كما يقع الذباب وقال آخر ما ضاقت

الارض على راغب تطلب الرزق ولا راهب بل ضاقت الارض على شاعر

اصبح يشكو جفوة الحاجب قد شتم الحاجب في شعره وانما يقصد للصاحب

الاصل ان للوالي خاصة وبطانة فيهم استيثار وتطاول وقلة انصاف

فاجسم

فاجسم مادة اوليك يقطع اسباب تلك الاحوال ولا تقطعن لاحد من حاشيتك

وخاصتك قطيعة ولا تطمعن منك في اعتقاد عقيدة تضر بمن يليها من

الناس في شرب وعمل مشترك يحملون مؤنته على غيرهم فيكون مهنا ذلك لهم دونك

وعيبه عليك في الدنيا والآخرة والزم الحق من لزم من القريب والبعيد وكن

في ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع وابتغ عاقبته

بما يثقل عليك منه فان مغبة ذلك محمودة وان ظنت الرعية بك حيفا فاصحر لهم

بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك فان في ذلك اعذارا تبلغ فيه حاجتك

من تقويمهم على الحق الشرح نهاه من ان يحمل اقاربه وحاشيته وخوله

على رقاب الناس وان يمكنهم من الاستيثار منهم قطيعة او يملكه ضيعة

تضر بمن يجاورها من الساة الى ما سلكهم اياه او اعفاهم عن مؤنة تجعلوا على غيرهم

فيعفيهم الولاة منه مراقبة لهم فتكون مؤنة ذلك الواجبة عليهم قد اسقطت عنهم

وحمل ثقلها على غيرهم ثم قال لان منفعة ذلك في الدنيا تكون لهم دونك والوزر

في الآخرة عليك والعيب والذم في الدنيا ايضا لاحقان للامير قال ان اتهمتك

الرعية بحيف عليهم او ظنت بك جورا فاذكر لهم عذرك في ذلك وما عندك

ظاهرا غير مستور فانه الاولى والاقرب الى استقامتهم لك على الحق واصحرت بكذا

اي كشفته ماخوذ من الاصحار وهو الخروج الى الصحراء وحاء الرجل قاربه وتبطا

واعتقدت عقدة اي ادخرت ذخيرة والمهنا مصدر هناه كذا وعيبة الشيء عاقبته

واعدل عنك ظنونهم نحها واعذارا اقامة لعذرك رد عمر بن عبد العزيز المظالم التي

احتجبها بنو مروان فابغضوه وذموه وقيل انهم سموه فمات وروى الزبير بكار في الموفقيات

ان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل على ابيه يوما وهو في قايلته فايقظه وقال

نكتة

ما يومنك ان توفي في منامك وقد رفعت اليك مظالم لم تقض حق الله فيها فقال يا بنيه
ان نفسي مطيتي ان لم ارفق بها لم تبلغني الى لو اتعبت نفسي واعواني لم يكن ذلك
الا قليلا حتى اسقط ويسقطوا واني لا حتسب في نومتي من الاجر مثل الذي احتسبه
في يقظتي ان الله لو اراد ان ينزل القرآن لفعل ولكنه انزل الآية والآيتين حتى استكثر
الايمان في قلوبهم ثم قال يا بني مما انا فيه امر هو اهم الي من اهل بيتك هم اهل العدة
والعدد وقبلهم ما قبلهم فلو جمعت ذلك في يوم واحد خشيت انتشاره علي ولكني
انصف من الرجل والاثنين فيبلغ ذلك من وراءهما فيكون انجع فان يرد الله تمام
هذا الامر اتممه وان تكن الاخرى فحسب عبد ان يعلم الله منه انه يحب ان ينصف جميع
رعيته وروى جويرية بن اسماء عن اسمعيل بن ابي حكيم قال كنا عند عمر بن عبد العزيز
فلما تفرقنا نادى منادية الصلوة جامعة فجئت المسجد فاذا عمر على المنبر فحمد الله
واثنى عليه ثم قال اما بعد فان هؤلاء يعني خلفاء بني امية قبله قد كانوا اعطونا
عطايا ما كان ينبغي لنا ان نأخذها منهم وما كان ينبغي لهم ان يعطوناها واني
قد رأيت الآن انه ليس علي في ذلك دون الله حسيب وقد بدأت بنفسي والاقربين
من اهل بيتي اقرأ يا مزاحم فجعل يقرأ كتابا كتابا فيه الاقطاعات بالضياع والنواحي ثم
ياخذه عمر بيده فيقصه بالجلم ما يزل كذلك حتى نودي الظهر وروى الفرات
بن السائب قال كان عند فاطمة بنت عبد الملك بن مروان جوهر جليل وهبها
ابوها لم يكن لاحد مثله وكانت تحت عمر بن عبد العزيز فلما ولي الخلافة قال لها
اختاري اما ان تردي جوهرك وحليك الى بيت مال المسلمين واما
ان تأذني لي في فراقك فاني اكره ان اجتمع انا وانت وهو في بيت واحد فقالت
بل اختارك عليه وعلى اضعافه لو كان لي فامرت به فحمل الى بيت المال فلما هلك عمر واستخلف

يزيد

يزيد بن عبد الملك قال لفاطمة اختاري ان شئت رددته عليك قالت فاني لا
طبت عنه نفسا في حيوة عمر وارجع فيه بعد موته لا والله ابدا فلما راى يزيد
ذلك قسمه بين ولده واهله وروى سهل بن يحيى المروزي عن ابيه عن عبد العزيز
بن عمر بن عبد العزيز قال لما دفن سليمان صعد عمر على المنبر فقال اني قد خلعت
ما في عنقي من بيعتكم فصاح الناس صيحة واحدة قد اخترناك فنزل ودخل وامر
بالستور فهتكت والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت الى بيت المال ثم
خرج ونادى مناديه من كانت له مظلمة على بعيد او قريب من امير المؤمنين
فليحضر فقام رجل ذمي من اهل حمص ابيض الرأس واللحية فقال اسالك كتاب الله
قال وما شانك قال العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني ضيعتي والعباس
جالس فقال عمر ما تقول يا عباس قال اقطعنيها امير المؤمنين الوليد وكتب لي
بها سجلا فقال عمر ما تقول انت ايها الذمي قال يا امير المؤمنين اسالك كتاب
الله فقال عمر ايها العمري ان كتاب الله لاحق ان يتبع من كتاب الوليد اردد
عليه يا عباس ضيعته فجعل لا يدع شيئا مما كان في ايدي اهل بيته من المظالم
الا ردها مظلمة مظلمة وروى ميمون بن مهران قال بعث الي عمر بن عبد العزيز والى
مكحول وابي قلابة فقال ما ترون في هذه الاموال التي اخذها اهلي من الناس
ظلما فقال مكحول قولا ضعيفا كرهه عمر فقال ارى ان تستانف وتدع ما مضى فنظر
عمر الي كالمستغيث بي فقلت يا امير المؤمنين احضر ولدك عبد الملك لينظر ما
يقول فحضر فقال ما تقول يا عبد الملك فقال ماذا اقول الست تعرف مواضعها
قال بلى والله قال فارددها فان لم تفعل كنت شريكا لمن اخذها وروى ابن كثير
عن يعقوب بن سفيان عن جويرية بن اسماء قال كان بيد عمر بن عبد العزيز قبل

الخلافة صيغته المعروفة بالسهلة وكانت باليمامة وكانت امرا عظيما لها غلة
كثيرة انما عيشه وعيش اهله منها فلما ولي الخلافة قال لمزاحم مولاه وكان له
اني قد عزمت ان ارد السهلة الى بيت مال المسلمين فقال مزاحم اتدري كم ولدك
انهم كذا وكذا قال فذرفت عيناه فجعل يستدمع ويمسح الدمعة باصبعه الوسطى
ويقول اكلهم الى الله فمضى مزاحم فدخل على عبد الملك بن عمر فقال له الا تعلم ما عزم
عليه ابوك انه يريد ان يرد السهلة قال فما قلت له قال ذكرت له ولده فجعل يستدمع
ويقول اكلهم الى الله فقال عبد الملك بئس وزير الدين انت ثم وثب فانطلق
الى ابيه فقال للآذن استأذن لي عليه فقال انه قد وضع راسه الساعة للقائلة
فقال استأذن لي عليه قال اما ترحمونه ليس له من الليل والنهار الا هذه الساعة
قال استأذن عليه لا ام لك فسمع عمر صوتهما فقال ائذن لعبد الملك فدخل
فقال علام عزمت قال ارد السهلة قال فلا تؤخر ذلك قم الآن قال فجعل عمر
يرفع يديه ويقول الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على امر ديني ثم قال
نعم يا بني اصلي الظهر ثم اصعد المنبر فاردها علانية على رؤس الناس قال ومن لك
ان تعيش الى الظهر ان عشت اليها فقام عمر فصعد المنبر فخطب الناس ورد السهلة
قال وكتب عمر بن الوليد بن عبد الملك الى عمر بن عبد العزيز لما اخذ بني مروان
برد المظالم كتابا اغلظ له فيه من جملته انك ازريت على من كان قبلك من الخلفاء
او عبتهم وسرت بغير سيرتهم بغضا لهم وشنآنا لمن بعدهم من اولادهم وقطعت
ما امر الله به ان يوصل وعمدت الى اموال قريش ومواريثهم فادخلتها بيت المال جورا
وعدوانا فاتق الله يا ابن عبد العزيز وراقبه فانك خصصت اهل بيتك بالظلم
والجور وعالذي خص محمدا صلى الله عليه وآله بما خصه به لقد ازددت من الله

بعدا بولايتك هذه التي زعمت انها عليك بلاء فاقصر عن بعض ما صنعت واعلم
انك بعين جبار عزيز وفي قبضته ولن يتركك على ما انت عليه قالوا فكتب
عمر جوابه اما بعد فقد قرأت كتابك وسوف اجيبك بنحو منه اما اول امرك
يا ابن الوليد فان امك بنانة امة السكون كانت تطوف في اسواق حمص وتدخل
حوانيتها ثم الله اعلم بها اشتراها ذبيان بن ذبيان من فيء المسلمين فاهداها لابيك
فحملت بك فبئس الحامل وبئس المحمول ثم نشأت فكنت جبارا عنيدا وتزعم اني من
الظالمين لاني حرمتك واهل بيتك فيء الله الذي فيه حق القرابة والمساكين
والارامل فان اظلم مني واترك لعهد الله من استعملك صبيا سفيها على جند المسلمين تحكم
فيهم برأيك ولم يكن له في ذلك نية الا حب الوالد ولده فويل لك وويل لابيك ما اكثر خصماءكما يوم
القيامة وان اظلم مني واترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف على خمس العرب يسفك
الدم الحرام ويأخذ المال الحرام وان اظلم مني واترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك
اعرابيا جافيا على مصر واذن له في المعازف والخمر والشرب واللهو وان اظلم مني واترك لعهد الله
من استعمل عثمان بن حيان على الحجاز فينشد الاشعار على منبر رسول الله ومن جعل للغالية
البربرية سهما في الخمس فرويدا يا ابن بنانة فلو التقت حلقتا البطان ورد الفيء الى
اهله لتفرغت لك ولاهل بيتك فوضعتكم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق واخذتم
في بنيات الطريق ومن وراء هذا من الفضل ما ارجو ان اعمله بيع رقبتك وقسم ثمنك
بين الارامل واليتامى والمساكين فان لكل فيك حقا والسلام علينا ولا ينال سلام الله
الظالمين وروى الاوزاعي قال لما قطع عمر بن عبد العزيز ما كان من قبله يجري عليهم
من ارزاق الخاصة تكلم في ذلك عنبسة بن سعيد فقال يا امير المؤمنين ان لنا
قرابة فقال لن يتسع مالي لكم واما هذا المال فانما حقكم فيه كحق رجل باقصى برك الغماد لا يمنعه

من اخذ الا بعد مكانه والله لئن لا اري ان الامور لو استحالت حتى يصبح اهل الارض
يرون مثل رأيكم لنزلت بهم بائقة من عذاب وروى الاوزاعي ايضا قال عمر بن عبد
العزيز يوما وقد بلغه عن بني امية لين اغضبه ان لله في بني امية يوما او قال
ذبحا وايم الله لئن كان الذبح او قال ذلك اليوم على يدي لاعذرن الله فيهم
قال فلما بلغهم ذلك كفوا وكانوا يعلمون صرامته وانه اذا وقع في امر مضى فيه وروى
اسمعيل بن ابي حكيم قال قال عمر بن عبد العزيز لحاجبه يوما لا تدخلن علي اليوم
الا مروانيا فلما اجتمعوا قال يا بني مروان انكم قد اعطيتم حظا وشرفا واموالا
اني لاحسب شطر اموال هذه الامة او ثلثيها في ايديكم فسكتوا فقال الا تجيبوني
قال رجل منهم فما بالك قال اني اريد ان انتزعها منكم فاردها الى بيت مال
المسلمين فقال رجل منهم والله لا يكون ذلك حتى يحال بين رؤسنا واجسادنا
والله لا نكفر اسلافنا ولا نفقر اولادنا فقال عمر والله لولا ان تستعينوا علي بمن اطلب
هذا الحق له لاضرعت خدودكم قوموا عني وروى مالك بن انس قال ذكر عمر بن عبد العزيز
من كان قبله من المروانية فعابهم وعنده هشام بن عبد الملك فقال يا امير المؤمنين
انا والله نكره ان تعيب آباءنا وتضع شرفنا فقال عمر واي عيب اعيب مما عابه القرآن
وروى نوفل بن الفرات قال شكى بنو مروان الى عاتكة بنت مروان بن الحكم عمر وقالوا
انه يعيب اسلافنا ويأخذ اموالنا فذكرت ذلك له وكانت عظيمة عند بني مروان
فقال لها يا عمة ان رسول الله صلى الله عليه قبض وترك الناس على نهر مورود
فولي ذلك النهر بعده رجلان لم يستخصا انفسهما واهلهما منه بشيء ثم وليه ثالث
فكرى منه ساقية ثم لم يزل الناس يكرون منه السواقي حتى اعيد النهر الى مجراه الاول
قالت فلا يسبوا اذا عندك قال ومن يسبهم انما يرفع الرجل مظلمته فاردها

حكاية

عليه وروى عبيد الله بن محمد التيمي قال كان بنو امية ينزلون عاتكة بنت مروان
بن الحكم على ابواب قصورهم وكانت جليلة المرضع فلما ولي عمر قال لا يلي انزالها غيري فادخلوها
على دابتها الى باب قبته فانزلها ثم طبق لها وسادتين احداهما على الاخرى ثم انشأ
يمازحها ولم يكن من شأنه ولا من شأنها المزح فقال اما رأيت الحرس الذين على الباب
قالت بلى وربما رأيتهم عند من هو خير منك فلما رأى الغضب لا يتحلل عنها ترك المزاح
وسألها ان تذكر حاجتها فقالت ان قرابتك يشكونك ويزعمون انك اخذت منهم
خير غيرك قال ما منعتهم شيئا هو لهم ولا اخذت منهم حقا يستحقونه فقالت اني اخاف
ان يهيجوا عليك يوما عصيبا قال كل يوم اخافه دون يوم القيامة فلا وقاني
الله شره ثم دعا بدينار ومجمرة وجلد فالقى الدينار في النار وجعل ينفخ حتى
احمر ثم تناوله بشيء فاخرجه فوضعه على الجلد فنش وقتر فقال يا عمة اما تأوين
لابن اخيك من مثل هذا فقامت فخرجت الى بني مروان فقالت تزوجون في آل عمر بن الخطاب
فاذا نزعوا الى الشبه جزعتم اصبروا له وروى وهيب بن الورد قال اجتمع بنو مروان
على باب عمر بن عبد العزيز فقالوا لولد له قل لابيك يأذن لنا فان لم يأذن
فابلغ اليه عنا رسالة فلم يأذن لهم وقال ليقولوا فقالوا قل له ان من كان قبلك
من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا مواضعنا وان اباك قد حرمنا ما في يديه فدخل
الى ابيه فابلغه عنهم فقال اخرج فقل لهم اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم
وروى سعيد بن عمار عن اسماء بنت عبيد قال دخل عنبسة بن سعيد بن
العاص على عمر بن عبد العزيز فقال يا امير المؤمنين ان من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطوننا
عطايا منعتناها ولي عيال وضيعة فاذن لي اخرج الى ضيعتي وما يصلح عيالي فقال
عمر احبكم الينا من كفانا مؤنته فخرج عنبسة فلما صار الى الباب ناداه يا ابا خالد

فرجع فقال اكثر ذكر الموت فان كنت في ضيق من العيش وسعه عليك وان كنت
في سعة من العيش ضيقه عليك وروى عمر بن علي بن مقدم قال قال ابن صغير
لسليمان بن عبد الملك لي اليك حاجة الى امير المؤمنين عمر قال فاستأذنت له
فادخله فقال يا امير المؤمنين اخذت قطيعتي فقال معاذ الله ان اخذ قطيعة
ثبتت في الاسلام قال فهذا كتابي بها واخرج كتابا من كمه فقرأه عمر وقال لمن كانت
هذه الارض قال كانت للمسلمين قال فالمسلمون اولى بها قال فاردد علي كتابي
قال انك لو لم تأتني به لم اسألكه فاما اذا جئتني به فلست ادعك تطلب بما ليس
لك بحق فبكى ابن سليمان فقال مزاحم يا امير المؤمنين ابن سليمان تصنع به هذا
قال وذلك لان سليمان عهد الى عمر وقدمه من اخوته فقال عمر ويحك يا مزاحم اني
لاجد له من اللوط ما اجد لولدي ولكنها نفسي اجادل عنها لدى الله تعالى قال
قال هشام بن عبد الملك وسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان لعمر بن عبد
العزيز يا امير المؤمنين استأنف العمل برأيك فيما تحت يدك وخل بين من سبقك
وبين ما ولوه عليهم كان او لهم فانك مكتف ان تدخل في خير ذلك وشره قال
انشدكما الله الذي اليه تعودان لو ان رجلا هلك وترك بنين اصاغر واكابر
فغر الاكابر الاصاغر بقوتهم فاكلوا اموالهم ثم بلغ الاصاغر الحلم فجاؤكما بهم
وبما صنعوا في اموالهم ما كنتما صانعين قال كنا نرد عليهم حقوقهم حتى يستوفوها
قال فاني وجدت كثيرا ممن كان قبلي من الولاة غر الناس بسلطانه وقوته واتى
باموالهم اتباعه واهله ورهطه وخاصته فلما وليت اتوني بذلك فلم يسعني
الا الرد على الضعيف من القوي وعلى الدني من الشريف فقالا يوفق الله
امير المؤمنين **الاصل** ولا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك لله فيه رضا فان

الصلح

الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وامنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر
من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن
الظن وان عقدت بينك وبين عدوك عقدا او البسته منك ذمة فحط
عهدك بالوفا وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون ما اعطيت فانه
ليس من فرائض الله شيء الناس اشد عليه اجتماعا مع تفرق اهوائهم وتشتت
ارائهم من تعظيم الوفا بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين
لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن
عدوك فانه لا يجترئ على الله الا جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمته امنا
افضاه بين العباد برحمته وحريما يسكنون الى منعته ويستفيضون الى جواره
فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ولا تعولن
على لحن القول بعد التاكيد والتوثقة ولا يدعونك ضيق امر لزمك فيه عهد الله الى
طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق امر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير
من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك فيه من الله طلبة لا تستقبل فيها دنياك ولا
اخرتك **الشرح** امره ان يقبل السلم والصلح اذا دعي اليه لما فيه من دعة الجنود
والراحة من الحرب والامن للبلاد ولكن ينبغي ان يحذر بعد الصلح من غائلة العدو
وكيده فانه ربما قارب بالصلح ليتغفل اي يطلب غفلتك فخذ بالحزم واتهم حسن ظنك
ولا تثق ولا تسكن الى حسن ظنك بالعدو وكن كالطائر الحذر ثم امره بالوفا بالعهود
قال واجعل نفسك جنة دون ما اعطيت اي ولو ذهبت نفسك فلا تغدر وقال
الراء وندي الناس مبتدا واشد مبتدا ثان ومن تعظيم الوفا خبره وهذا المبتدا الثاني
مع خبره خبر المبتدا الثاني مع خبره خبر المبتدا الاول ومحل الجملة نصب لانها خبر ليس

ومحله مع اسمه وخبره رفع لانه خبر فانه وشئ اسم ليس ومن فرايض الله حال
ولو تاخر لكان صفة لشئ والصواب ان شئ اسم ليس وجائز ذلك وان كان نكرة
لاعتماده على النفي وكان الجار والمجرور قبله في موضع الحال كالصفة فتخصص بذلك
وقرب من المعرفة والناس مبتداء والله خبره وهذه الجملة المركبة من مبتداء وخبر
في موضع رفع لانها صفة شئ واما خبر المبتداء الذي هو شئ محذوف تقديره
في الوجود كما حذف الخبر في قولنا لا اله الا الله اي في الوجود وليس يصح ما قال الراوندي
من ان اشد مبتدا ثان ومن تعظيم الوفا خبره لان حرف الجر اذا كان خبر المبتداء تعلق
بمحذوف وها هنا هو متعلق باشد نفسه فكيف يكون خبرا عنه وايضا فانه لا يجوز
ان يكون اشد من تعظيم الوفا خبرا عن الناس كما زعم الراوندي لان ذلك كلام غير مفيد الا ترى
انك اذا اردت ان تخبر بهذا الكلام عن المبتداء الذي هو الناس لم يفهم من ذلك
صورة محصلة تفيدك شيئا بل يكون كلاما مضطربا ويمكن ايضا ان يكون من
فرايض الله في موضع رفع لانه خبر المبتداء وقد تقدم عليه ويكون موضع الناس وما بعده
رفع لانه خبر المبتداء الذي هو شئ كما قلناه اولا وليس يمتنع ايضا ان يكون من
فرايض الله منصوب الموضع لانه حال ويكون موضع الناس اشد رفعا لانه خبر المبتدا
الذي هو شئ ثم قال الرضي وقد لزم المشركون مع شركهم الوفا بالعهود وصار ذلك لهم شريعة
وبينهم سنة فالاسلام اولى باللزوم والوفا واستوبلوا وجدوه وبالا اي ثقلا
استوبلت البلاد استوخمته واستثقلته ولم يوافق مزاجك ولا تخيسن بعهدك
لا تغدرن خاس فلان بذمته اي غدر ونكث قوله ولا تختلن عدوك اي لا تمكرن
به ختلته اي خدعته وقوله افضاه بين عباده اي جعله مشتركا بينهم لا يختص
به فريق دون فريق قال يستفيضون الى جواره اي ينتشرون في طلب حاجاتهم وما

ايهم

ايهم ساكنين الى جواره فالى ههنا متعلقة بمحذوف مقدر كقوله تعالى في تسع آيات الى
فرعون اي مرسلا قال فلا ادغال اي لا افساد والدغل الفساد ولا مدالسة اي
خديعة يقال فلان لا يدالس ولا يوالس اي لا يخادع ولا يخون واصل الدلس الظلمة
والتدليس في البيع كتمان عيب السلعة عن المشتري ثم نهاه عن ان يعقد
عقدا يمكن فيه التاويلات والعلل وطلب المخارج ونهاه اذا عقد العقد بينه
وبين العدو ان ينقضه معقولا على تاويل خفي ومحوي قول او يقول انما عنيت
كذا ولم اعن ظاهر اللفظ فان العقود انما تعقد على ما هو ظاهر في الاستعمال
متداول في الاصطلاح والعرف لا على ما في الباطن وروى انفساحه بالحاء المهملة
اي سعته قد جاء في الحذر من كيد العدو والنهي عن التفريط في الراي والسكون
الى ظاهر السلم اشياء كثيرة وكذلك في النهي عن الغدر والنهي عن طلب تاويلات
العهود وفسخها بغير الحق فرط عبد الله بن طاهر في ايام ابيه في امر اراد فيه
على العطف ونجا بعد لأي فكتب اليه ابوه اتاني يا بني من خبر تفريطك ما كان اكبر
عندي من نعيك لو ورد لاني لم ابرح قط ان لا تموت وقد كنت ارجو ان لا تنخدع
بترك الحزم والتيقظ وروى ابن الكلبي ان قيس بن زهير لما قتل حذيفة بن
بدر ومن معه بجفر الهباءة خرج حتى لحق بالنمر بن قاسط وقال لا انظر في وجه
غطفانية بعد اليوم فقال يا معاشر النمر انا قيس بن زهير غريب حريب طريد
شريد موتور فانظروا الى امراة قد ادبها الغنى واذلها الفقر فزوجوني امراة
منهم فقال لهم اني لا اقيم فيكم حتى اخبركم باخلاقي اني فخور غيور انف ولست
افخر حتى ابتلى ولا اغار حتى ارى ولا انف حتى اظلم فرضوا اخلاقه فاقام فيهم
حتى ولد له ثم اراد ان يتحول عنهم فقال يا معشر النمر ان لكم علي حقا مصاهرتي فيكم ومقامي

بين اظهركم واني موصيكم بخصال آمركم بها وانهاكم عن خصال عليكم بالاناة
فان بها تدرك الحاجة وتنال الفرصة وتسود من لا تعابون بتسويده والوفا بالعهد
فان به تعيش الناس واعطاء ما تريدون اعطاءه قبل المسئلة ومنع ما تريدون
منعه قبل الانعام واجارة الجار على الدهر وتنفيس البيوت عن منازل الايامى وخلط
الضيف بالعيال وانهاكم عن الغدر فانه عار الدهر وعن الرهان فانه به ثكلت
مالكا اخي وعن البغي فانه صرع زهيرا ابي وعن السرف في الدما فان قتلى اهل الهباءة
اورثني العار ولا تعطوا في الفضول فتعجزوا عن الحقوق وانكحوا الايامى الاكفاء فان لم
تصيبوا لهن الاكفاء فخير بيوتهن القبور واعلموا اني اصبحت ظالما ومظلوما
ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكا وظلمتهم بقتلي من لا ذنب له ثم رحل عنهم الى عمان
فتنصر بها وعف عن المال كل حتى اكل الحنظل الى ان مات **الاصل** الاصل اياك
والدما وسفكها بغير حلها فانه ليس شيء ادعى لنقمة ولا اعظم لتبعة ولا احرى
بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدما بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم
بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيمة فلا تقوين سلطانك بسفك
دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله
ولا عندي في قتل العمد لان فيه قود البدن وان ابتليت بخطأ وافرط عليك سوطك
او يدك بعقوبة فان في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك
عن ان تؤدي الى اولياء المقتول حقهم **الشرح** قد ذكرنا في وصية
قيس بن زهير انها النهي عن الاسراف في الدما وتلك وصية مبنية على شريعة
الجاهلية مع حميتها وتهالكها على القتل والقتال ووصية امير المؤمنين
مبنية على الشريعة الاسلامية والنهي عن القتل العدوان الذي لا يسوغه

الدين وقد ورد في الخبر المرفوع ان اول ما يقضي الله به يوم القيمة بين العباد
امر الدما قال انه ليس شيء ادعى الى حلول النقم وزوال النعم وانتقال الدول من
سفك الدم الحرام وانك ان ظننت انك تقوي سلطانك بذلك فليس الامر كذلك
بل يضعف بل يعدمه بالكلية ثم عرفه ان القتل العمد يوجب القود وقال له قود البدن
اي يجب عليك هدم صورتك كما هدمت صورة المقتول والمراد ارهابه بهذه اللفظة
فانها ابلغ من ان يقول له فان فيه القود ثم قال له ان قتلت خطأ او شبه عمد كالضرب
بالسوط فعليك الدية وقد اختلف الفقهاء في هذه المسئلة فقال ابو حنيفة
واصحابه القتل على خمسة اوجه عمد وشبه عمد وخطأ وما اجري مجرى الخطأ وقتل
بسبب فالعمد ما تعمد به ضرب الانسان بسلاح وما يجري مجرى السلاح كالمحدد
من الخشب وليطة القصب والمروة المحددة والنار وموجب ذلك الاثم والقود الا
ان يعفو الاولياء ولا كفارة فيه وشبه العمد ان يتعمد الضرب بما ليس بسلاح ولا اجري
مجرى السلاح كالحجر العظيم والخشبة العظيمة وموجب ذلك المأثم والكفارة ولا قود
فيه وفيه الدية مغلظة على العاقلة والخطأ على وجهين خطأ في القصد وهو ان
يرمي شخصا يظنه صيدا فاذا هو آدمي وخطأ في الفعل وهو ان يرمي غرضا
فيصيب آدميا وموجب ذلك جميعا الكفارة والدية على العاقلة ولا مأثم فيه
وما اجري مجرى الخطأ مثل النائم ينقلب على رجل فيقتله فحكمه حكم الخطأ واما
القتل بسبب فحافر البئر وواضع الحجر في غير ملكه وموجبه اذا تلف فيه انسان الدية
على العاقلة ولا كفارة فيه فهذا هو قول ابي حنيفة ومن تابعه وقد خالفه صاحباه
ابو يوسف ومحمد في شبه العمد وقالا اذا ضربه بحجر عظيم او خشبة غليظة فهو عمد
قال وشبه العمد ان يتعمد ضربه بما لا يقتل غالبا كالعصا الصغيرة والسوط وبهذا

على خمسة

القول قال الشافعي وكلام امير المؤمنين يدل على ان المؤدي من الولاة اذا تلف تحت يده انسان في التاديب فعليه الدية وقال قوم من فقهاء الامامية ان مذهبنا ان لا دية عليه وهو خلاف ما يقتضيه كلام امير المؤمنين

الاصل واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فان ذلك من اوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من احسان المحسن واياك والمن على رعيتك باحسانك او التزيد فيما كان من فعلك او ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فان المن يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس قال الله سبحانه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون واياك والعجلة بالامور قبل اوانها او التساقط فيها عند امكانها او اللجاجة فيها اذا تنكرت او الوهن عنها اذا استوضحت فضع كل امر موضعه واوقع كل عمل موقعه واياك والاستيثار بما الناس فيه اسوة والتغابي عما يعنى به مما قد وضح للعيون فانه ماخوذ منك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك اغطية الامور وينتصف منك للمظلوم املك حمية انفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتاخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك والواجب عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنة فاضلة او اثر عن نبينا صلى الله عليه او فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها

الشرح قد اشتمل هذا الفصل على وصايا نحن شارحوها منها قوله اياك وما يعجبك من نفسك والثقة بما يعجبك منها وقد ورد في الخبر ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب

المرء بنفسه وفي الخبر ايضا لا وحشة اشد من العجب وفي الخبر ان الناس لآدم وآدم من تراب فما لابن آدم والفخر والعجب وفي الخبر الجار ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه يوم القيمة وفي الخبر وقد راى ابا دجانة يتبختر انها لمشية يبغضها الله الا بين الصفين ومنها قوله وحب الاطراء ناظر المامون محمد بن القاسم النوشجاني المتكلم فجعل يصدقه ويطريه فقال له يا محمد اراك تنقاد الى ما تظن انه يسرني قبل وجوب الحجة عليك وتطريني بما لست احب ان اطرى به وتستخذي لي في المقام الذي ينبغي ان تكون فيه مقاوما لي ومحتجا علي ولو شئت ان اقبل الامور بفضل بيان وطول لسان واغتصب الحجة بقوة الخلافة وابهة الرياسة لصدقت وان كنت كاذبا وعدلت وان كنت جائرا وصوبت وان كنت مخطئا لكني لا ارضى بغلبة الحجة ودفع الشبهة وان انقص الملوك عقلا واسخفهم رايا من رضي بقولهم صدق الامير واثنى رجل على رجل فقال الحمد لله الذي سترني عنك وكان بعض الصالحين يقول اذا اطراه انسان لا يسالك الله عن حسن ظنك ومنها قوله واياك والمن قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وكان يقال المن محبة للنفس مفسدة للصنع ومنها نهيه اياه عن التزيد في فعله قال انه يذهب بنور الحق وذلك لانه محض الكذب مثل ان يسدي ثلاثة اجزاء من الجميل فيدعي في المجالس والمحافل انه اسدى عشرة واذا خالط الحق الكذب اذهب نوره ومنها نهيه اياه عن خلف الوعد قد مدح الله نبيا من الانبياء وهو اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام بصدق الوعد

> الذي في رواياتنا اهل البيت انه اسمعيل بن حزقيل

وكان يقال وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل وكتب بعض الكتاب وحق لمن ازهر بقول ان يثمر بفعل وقال ابو مقاتل الضرير قلت لاعرابي قد اكثر الناس في المواعيد فما قولك فيها فقال بئس الشيء الوعد

مشغلة للقلب الفارغ متعبة للبدن الفاقه من خير غايب وشر حاضر وفي (الحديث)
المرفوع على المؤمن كالاخذ باليد فاما امير المؤمنين فقال انه يوجب المقت
واستشهد بالآية والمقت البغض ومنها نهيه عن العجلة وكان يقال من تثبت
اوكاد واخطا من عجل وكاد وا في المثل رب عجلة تهب ريثا وذمها الله تعالى فقال
خلق الانسان من عجل ومنها نهيه عن التساقط في الشيء الممكن عند حضوره
وهذا عبارة عن النهي عن الحرص والجشع قال الشنفري وان مدت الايدي
الى الزاد لم اكن باعجلهم اذا اجشع القوم اعجل وقد جعله خصما ومن كان الله
خصمه فهو مخصوم وقال العزي دعها سماوية تجري على قدر لا تفسدنها
براي منك منكوس ومنها نهيه له عن الوهن فيها اذا استوضحت اي وضحت
وانكشفت ويروى استوضحت فعل ما لم يسم فاعله والوهن ومنها نهيه
عن الاستبداد وهذا هو الخلق النبوي غنم رسول الله صلى الله عليه
وآله غنائم حنين وكانت ملاء الارض نعما فلما ركب راحلته وسار تبعه
الناس يطلبون الغنائم وقسمها وهو ساكت لا يكلمهم وقد اكثروا عليه
الحاحا وسوالا فمر بشجرة فخطفت رداءه فالتفت فقال ردوا علي ردائي
فلو ملكت بعدد رمل تهامة مغنما لقسمته بينكم لا تجدوني بخيلا ولا
جبانا ونزل فقسم ذلك المال عن آخره ما اخذ منه آخر منه لنفسه
وبرة ومنها نهيه له عن التغافل وصورة ذلك ان الامير يرقى اليه
ان فلانا من خاصته يفعل كذا امورا منكرة ويرتكب محارم فيتغافل عنه
ويتغافل نهاه عن ذلك وقال انك ماخوذ منك لغيرك اي متعاقب
تقول اللهم خلصني من فلان بحقي اي اللهم انتقم لي منه ومنها نهيه

اياه

اياه من الغضب وعن الحكم بما يقتضيه قوة الغضبية حتى يسكن غضبه
فقد جاء في الخبر المرفوع لا يقضي القاضي وهو غضبان على غير صاحب الخصومة
فالاولى ان ينهى الامير عن يسطو على انسان وهو غضبان عليه وكان
نكتة
الكسرى انوشيروان صاحب قد رتبه ونصبه لهذا المعنى يقف على راس
الملك يوم جلوس فاذا غضب على انسان ولم يرفع سلسلة تاجه بقضيب
في يده وقال له انما انت بشر فارحم من في الارض يرحمك من في السماء الاصل
ومن هذا العهد وهو آخره وانا اسال الله بسعة رحمته وعظيم قدرته
على اعطاء كل رغبته ان يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر
الواضح اليه والى خلقه من حسن الثناء في العباد وجميل الاثر في البلاد وتمام
النعمة وتضعيف الكرامة وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة انا اليه
راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين
الشرح روي كل رغيبة والرغيبة ما يرغب فاما الرغبة فمصدر رغب
في كذا كانه قال القادر على اعطاء كل سؤال اي اعطاء كل سائل ما سأله ومعنى
قوله من الاقامة على العذر اي اسال الله ان يوفقني للاقامة على الاجتهاد
وبذل الوسع في الطاعة وذلك لانه اذا بذل جهده فقد اعذر ثم فسر اجتهاده
في ذلك في رضا الخلق ولم يقتصر اجتهاده في رضا الخالق لانه معلوم فقال
هو حسن الثناء في العباد وجميل الاثر في البلاد فان قلت وقوله وتمام
النعمة على ماذا يعطفه قلت معطوف على ما من قوله لما فيه كانه قال
اسال الله توفيقي لكذا ولتمام النعمة اي واتمام نعمته علي وتضاعف كرامته
لدي وتبقيه ظاهر من توفيقه للاعمال الصالحة التي يستحق بها ويستوجبها

تذكر في هذا الموضع وصايا من كلام قوم من رؤساء العرب وصوابها اولادهم
ورهطهم فيها اداب حسان وكلام فصيح وهي مناسبة لعهد امير المؤمنين
هذا ووصاياه المودعة فيه وان كان كلام امير المؤمنين اجل واعلى ان بنا
كلام لا يقتبس من نور الكلام الالهي وفرع من دوحة المنطق النبوي روى ابن
الكلبي قال لما حضرت الوفاة اوس بن حارثة اخا الخزرج لم يكن له ولد غير مالك
بن الاوس وكان لاخيه الخزرج خمسة قيل له كنا نامرك بالتزويج في شبابك
فلم تفعل حتى حضرك الموت ولا ولد لك الا مالك فقال لم يهلك هالك ترك
مثل مالك وان كان الخزرج ذا عدد لمالك ولد فيها فلعل الذي استخرج العذق
من الجريمة والنار من الوثيمة ان يجعل لمالك نسلا ورجالا وكلنا الى الموت
يا مالك المنية ولا الدنية والعتاب قبل العقاب والتجلد لا التبلد واعلم
ان القبر خير من الفقر ومن لم يعط قاعدا حرم قائما وشر الشرب الاشتفاف
وشر الطعم الاقتفاف وذهاب البصر خير من كثير من النظر ومن كرم
الكريم الدفع عن الحريم ومن قل ذل وخير الغنى القناعة وشر الفقر الخضوع
الدهر ضربان ضرب رخا وضرب بلا واليوم يومان يوم لك ويوم عليك
فاذا كان لك فلا تبطر واذا كان عليك فاصطبر وكلاهما سيحسر وكيف
بالسلامة لمن ليست له اقامة وحياك ربك واوصى الحارث بن كعب بنيه
فقال يا بني قد اتت علي مائة وستون ما صافحت بيميني يمين غادر ولا قنعت
لنفسي بخلة فاجر ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ولا بحت لصديق
بسر ولا طرحت عندي مومسة قناعا ولا بقي على دين عيسى بن
مريم وقد روي على دين شعيب من العرب غيري وغير تميم بن مر واسعد

بن جريم

بن حريم فتوفوا على شريعتي واحفظوا وصيتي والاهكم فاتقوا يكفيكم
ما اهمكم ويصلح لكم حالكم واياكم ومعصيته فيحل بكم الدمار ويوحش منكم
الديار كونوا جميعا ولا تفرقوا فتكونوا شيعا وبزوا قبل ان تبزوا فموت في عز
خير من حياة في ذل وعجز وكل ما هو كاين وكل جمع الى تباين والدهر ضربان ضرب
بلا وضرب رخا واليوم يومان يوم حبرة ويوم عبرة والناس رجلان رجل معك ورجل
عليك زوجوا النساء الاكفاء والا فانتظروا بهن القضاء وليكن اطيب طيبهن
الما واياكم والورهاء فانها ادوا الدواء ان ولدها الى افن يكون لا راحة لقاطع
القرابة واذا اختلف القوم امكنوا عدوهم وآفة العدد اختلاف الكلمة
والتفضل بالحسنة يقي السيئة دخول فيها وعمل السوء يزيل النعماء وقطيعة
الرحم تورث الهم وانتهاك الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب النكد
ويمحق العدد ويخرب البلد والاسراف في النصيحة هو الفضيحة والحقد يمنع
الرفد ولزوم الخطيئة يعقب البلية وسوء الدعة يقطع اسباب المنفعة و
الضغاين تدعو الى التباين . اكلت شبابي فافنيته . وابليت بعد دهور
ثلاثة اهلين صاحبتهم . فبادوا واصبحت شيخا كبيرا . قليل الطعام عسير القيام
قد ترك الدهر خطوي قصيرا . ابيت اراعي نجوم السما . اقلب امري بطونا ظهورا
اوصى اكثم بن صيفي بنيه ورهطه فقال يا بني تميم لا يفوتنكم وعظي ان فاتكم
الدهر بنفسي ان بين حيزومي وصدري لكلاما لا اجد له مواقع غير اسماعكم ولا مقار الا
قلوبكم فتلقوه باسماع مصغية وقلوب واعية تحمدوا مغبته الهوى يقظان
والعقل راقد والشهوات مطلقة والحزم معقول والنفس مهملة والروية مقيدة
ومن جهة التواني وترك الروية يتلف الحزم ولن يعدم المشاور مرشدا والمستبد برايه موقوف على

على امر احص الزلل ومن سمع سمع به ومصارع الرجال بروق الطمع ولو اعتبرت
مواقع المحن ما وجدت الا في مقاتل الكرام وعلى الاعتبار طريق الرشاد ومن سلك
الجدد امن العثار ولن يعدم للحسود ان يتعب قلبه ويشغل فكره ويورث غيظه
ولا يجاوز ضرره نفسه يا بني تهم الصبر على جزع الحلم اعذب من جنا ثمر الندامة
ومن جعل عرضه دون ماله استهدف للذم وكلم اللسان انكا من كلم السنان
والكلمة مرهونة ما لم تنجم من الفم فاذا انجمت فهي اسد محرب ونار تلهب ورأي
الناصح اللبيب دليل لا يجور ونفاذ الرأي في الحرب اجدى من الطعن والضرب
واوصى يزيد بن المهلب ابنه مخلدا حين استخلفه على جرجان فقال له يا بني
قد استخلفتكم على هذه البلاد فانظر هذا الحي من اليمن فكن لهم كما قال الشاعر
اذا كنت مرتادا الرجال لنفعهم ۰ فرش واصطنع عند الذين بهم ترمي
وانظر هذا الحي من تميم فامطرهم ولا تزه لهم ولا تدنهم فيطمعوا ولا تقصهم فيقطعوا
وانظر هذا الحي من قيس فانهم اكفاء قومك في الجاهلية ومناصفوهم في المآثر
في الاسلام ورضاهم منك البشر يا بني ان لابيك صنايع لا تفسدها فانه كفى بالمرء
نقصا ان يهدم ما بنى ابوه واياك والدماء فانه لا تقية معها واياك و
شتم الاعراض فان الحر لا يرضيه من عرضه عوض واياك وضرب الابشار
فانه عار باق ووتر مطلوب واستعمل على النجدة والفضل دون الهوى ولا
تعزل الا عن عجز او خيانة ولا يمنعك من اصطناع الرجل ان يكون غيرك قد سبقك
اليه فانك انما تصطنع الرجال لفضلها وليكن صنيعك عند من يكافيك عنه
العشاير اجل الناس عليك احسن ادبك بكفوك انفسهم واذا كتبت كتابا فاكثر النظر فيه
وليكن رسولك فيما بيني وبينك من يفقه عني وعنك فان كتاب الرجل موضع عقله

ورسوله

ورسوله موضع سره واستودعك الله فلا بد للمودع ان يسكت وللمشيع ان يرجع
وما عف من المنطق وقل من الخطيئة احب الى ابيك واوصى قيس بن عاصم
المنقري بنيه فقال يا بني خذوا عني فلا احد انصح لكم مني اذا دفنتموني فانصرفوا
الى رحالكم فسودوا اكبركم فان القوم اذا سودوا اكبرهم خلفوا اباءهم واذا سودوا
اصغرهم ازرى ذلك بهم في اكفائهم واياكم ومعصية الله وقطيعة الرحم وتمسكوا
بطاعة امرائكم فانهم من رفعوا ارتفع ومن وضعوا اتضع وعليكم بهذا المال
فاصلحوه فانه منبهة للكريم وجنة لعرض اللئيم واياكم والمسألة فانها آخر
كسب الرجل وان احدا لم يسأل الا ترك الكسب واياكم والنياحة فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله ينهى وادفنوني في ثيابي التي كنت اصلي فيها واصوم
ولا يعلم بكر بن وائل بمدفني فقد كانت بيني وبينهم مشاحات في الجاهلية
والاسلام واخاف ان يدخلوا عليكم بي عارا وخذوا عني ثلاث خصال اياكم وكل
عرق لئيم ان تلابسوه فانه ان يسرركم اليوم يسوؤكم غدا واكظموا الغيظ واحذروا
بني اعداء ابائكم ثم قال احيا الضغاين اباء لنا سلفوا فلن تبيد وللاباء ابناء
قال ابن الكلبي فنحل هذا البيت سابقا البربري وما هو الا لقيس بن عاصم
واوصى عمرو بن كلثوم بنيه فقال يا بني اني قد بلغت من العمر ما لم يبلغ احد من ابائي
واجدادي ولا بد من امر مقتبل وان ينزل بي ما نزل بالاباء والاجداد والامهات
والاولاد فاحفظوا عني ما اوصيكم به اني والله ما عيرت رجلا قط الا عيرني مثله
ان حقا فحقا وان باطلا فباطلا ومن سب سب فكفوا عن الشتم فانه اسلم لاعراضكم
وصلوا ارحامكم تعمر داركم واكرموا جاركم بحسن ثنائكم وزوجوا بنات العم بني العم
فان تعديتم بهن الى الغرباء فلا تالوا بهن الاكفاء وابعدوا بيوت النساء من بيوت

الرجال فانه اغض للبصر واعف للذكر ومتى كانت المعاينة واللقا ففي ذلك
داء من الادواء ولا خير فيمن لا يغار لغيره كما يغار لنفسه وقل من انتهك حرمة لغيره
الا انتهكت حرمته وامنعوا القريب من ظلم القريب فانك تدل على قريبك ولا
يحمل بك ذل غريبك واذا تنازعتم في الدماء فلا تكن حكم اللقا قريب رجل خير
من الف وود خير من خلف واذا احدثتم فعوا واذا احدثتم فاوجزوا فان مع الاكثار
يكون الاهذار وموت عاجل خير من ضني اجل وما بكيت من زمان الا دهاني بعده زمان
وربما تحالني من لم يكن امره عنائي وما عجيب من احدوثة الارات بعدها اعجوبة
واعلموا ان انجع القوم العطوف وخير الموت تحت ظلال السيوف ولا خير فيمن لا روية
له عند الغضب ولا يمن اذا عوتب لم يعتب ومن الناس من لا يرجى خيره ولا يخاف شره فبكوه عقوقه
خير من بره ولا تزجوا في حجكم فان من ابرح في حب آل ذلك الى قبيح بعض وكم قد زاد في
النساء وزرته فانقلب الدهر بنا فرقة واعلموا ان الحكيم سليم وان السفيه كليم الى
لم امت ولكن هرمت ودخلني ذلك فكنت وضعف قلبي فاهرت سلكم ربكم وحياكم من
كتاب اردشير بن بابك الى بنيه والملوك من بعده رشاد الولي خير للرعية من خصب الزمان
الملك والدين توأمان لا قوام لاحدهما الا بصاحبه فالدين اس الملك وعماده ثم صار
الملك حارس الدين فلا بد للملك من اسه ولا بد للدين من حارسه وان ما لا حارس له
ضائع وما لا اس له مهدوم ان راس ما اخاف عليكم مبادرة السفلة اياكم الى دراسة الدين
وتاويله والتفقه فيه فتحملكم الثقة بقوة الملك على التهاون بهم فتحدث في الدين
رياسات مستسرات فيمن قد وترتم وجفوتم وحرمتم واخفتم وصغرتم من سفلة
الناس والرعية والحشو العامة ثم لا تنشب تلك الرياسات ان تحدث خرقا في الملك
ووهنا في الدولة واعلموا ان سلطانكم انما هو على اجساد الرعية لا على قلوبها

وان غلبتم الناس على ما في ايديهم فلن تغلبوهم على عقولهم وارائهم ومكايدهم
واعلموا ان العاقل المحروم سال عليكم لسانه وهو اقطع سيفيه وان اشد ما يضركم
به من لسانه ما صرف الحيلة فيه الى الدين فكان للدين يحتج وللدين فيما يظهر
يتعصب فيكون للدين بكاؤه واليه دعاؤه ثم هو اوجد للتابعين والمصدقين
والناصحين والموازرين لان تعصب الناس موكل بالملوك ورحمتهم ومحبتهم موكلة
بالضعفاء المغلوبين فاحذروا هذا المعنى كل الحذر واعلموا انه ليس ينبغي للملك ان
يعترف للعباد والنساك بان يكونوا اولى بالدين منه ولا احدب عليه ولا اغضب
له ولا ينبغي له ان يخلي النساك وغيرهم من الامر والنهي في نسكهم ودينهم فان خروج
النساك وغيرهم من الامر والنهي عيب على الملوك وعلى المملكة وثلمة بينة الضرر على
الملك وعلى من بعده واعلموا انه قد مضى قبلنا من اسلافنا ملوك كان الملك منهم
يتعهد الجملة بالتفتيش والجماعة بالتفضيل والفراغ بالاشتغال كتعهده جسده بقص
فضول الشعر والظفر وغسل الدرن والغمر والمداواة ما ظهر من الادواء وما بطن
وقد كان من اولئك الملوك من صحة ملكه احب اليه من صحة جسده فتتابعت تلك
الاملاك بذلك كانهم ملك واحد وكان ارواحهم روح واحدة يمكن اولهم لاخرهم
ويصدق اخرهم اولهم تجتمع ابنا اسلافهم ومواريث ارائهم وثمرات عقولهم عند الباقي
منهم بعدهم فكانهم جلوس معه يحدثونه ويشاورونه حتى كان على راس دارا بن دارا
ما كان من غلبة الاسكندر الرومي على ما غلب عليه من ملكه فكان افساده امرنا وتفريقه
جماعتنا وتخريبه عمران مملكتنا ابلغ له فيما اراد من سفك دمائنا فلما اذن الله عز وجل
في جمع مملكتنا واعادة امرنا كان من بعثه ايانا ما كان وبالاعتبار يتقى العثار والتجارب
الماضية دستور يرجع اليه في الحوادث الاتية واعلموا ان طباع الملوك على غير طباع

الرعية والسوقة فان الملك يطيف به العز والانس والسرور والقدرة على ما يريد
والانفة والجرأة والعبث والبطر وكلما ازداد في العمر سنا ازداد في الملك سلامة
ازداد من هذه الطبائع والاخلاق حتى يسلمه ذلك الى سكر السلطان الذي
هو اشد من سكر الشراب فينسى النكبات والعثرات والغير والدوائر وفحش
تسلط الايام ولؤم غلبة الدهر ويرسل يده بالفعل ولسانه بالقول وعند حسن
الظن بالايام تحدث الغير وتزول النعم وقد كان من اسلافنا وقدماء ملوكنا
من يذكره عزه الذل وامنه الخوف وسروره الكآبة وقدرته العجز وذلك هو الرجل
الكامل قد جمع بهجة الملوك وفكرة السوقة ولا كمال الا في جمعهما واعلموا انكم
ستبلون مع الملك بالازواج والاولاد والقرباء والوزراء والاخدان والانصار والاصحاب
والاعوان والمتقربين والندماء والمضحكين وكل هؤلاء الا قليلا ان ياخذ لنفسه
احب اليه من ان يعطي منها وانما عمله سوق ليومه وذخيرة لغده فنصيحته للملوك
فضل نصيحته لنفسه وغاية الصلاح عنده صلاح نفسه وغاية الفساد عنده
فسادها يقيم للسلطان سوق المودة ما اقام له سوق الارباح والمنافع اذا استوحش
الملك من نقامة اطبقت عليه ظلم الجهالة اخوف ما يكون العامة امن ما يكون
الوزراء وامن ما يكون العامة اخوف ما تكون الوزراء واعلموا ان كثيرا من وزراء
الملوك من يحاول استبقاء دولته وايامه بايقاع الاضطراب والخبط في اطراف
مملكة الملك ليحتاج الملك الى رايه وتدبيره فاذا عرفتم من وزير من وزرائكم فاعزلوه
فانه يدخل الوهن والنقص على الملك والرعية لصلاح حال نفسه ولا يقوم
نفسه بهذه النفوس كلها واعلموا ان بدء ذهاب الدولة ينشأ من قبل اهمال الرعية
بغير اشغال معروفة ولا اعمال معلومة فاذا نشأ الفراغ تولد منه النظر في الامور والفكر

في الاصول

في الاصول والفروع فاذا نظروا فيه بطبائع مختلفة فيختلف بهم المذاهب ويتولد
من اختلاف مذاهبهم تعاديهم وتضاغنهم وهم مع اختلافهم هذا يتفقون
ويجتمعون على بغض الملوك فكل صنف منهم انما يجري الى فجيعة الملك بملكه ولكنهم
لا يجدون سلما الى ذلك اوثق من الدين والناموس ثم يتولد من تعاديهم ان الملك
لا يستطيع جمعهم على امر واحد فان انفرد باختصاص بعضهم صار عدو بقيتهم
وفي طباع العامة استثقال الولاة وملالهم والنفاسة عليهم والحسد لهم وفي الرعية
المحروم والمضروب والمقام عليه الحدود ويتولد من كثرتهم مع عداوتهم ان يجبن
الملك عن الاقدام عليهم فان في اقدام الملك على الرعية كلها كافة تغريرا بملكه
ويتولد من جبن الملوك عن الرعية استعمالها عليهم وهم اقوى عدوه واخلقه
بالظفر لانه حاضر مع الملك في دار ملكه فمن افضى اليه الملك بعدي فلا يكونن باصلاح
جسده اشد اهتماما منه بهذه الحال ولا يكونن لشيء من الاشياء اكره وانكر منه لراس
صار ذنبا وذنب صار راسا ويد مشغولة صارت فارغة وغني صار فقيرا وعامل معزول
وامير معزول واعلموا ان سياسة الملك وحراسته ان لا يكون ابن الكاتب الا كاتبا
وابن الجندي الا جنديا وابن التاجر الا تاجرا وهكذا في جميع الطبقات فانه
يتولد من تنقل الناس عن حالاتهم ان يلتمس كل امرئ منهم فوق مرتبته فاذا انتقل
اوشك ان يرى شيئا ارفع مما انتقل اليه فيحسده او ينافسه وفي ذلك من الضرر المتولد
ما لا خفاء به فان عجز ملك منكم عن اصلاح رعيته كما اوصينا فلا يكن للقميص الغسيل
خلعا منه لما لبس من قميص ذلك الملك واعلموا انه ليس ملك الا وهو كثير الذكر
لمن يلي الامر بعده ومن فساد امر الملك نشر ذكر ولاة العهود فان في ذلك ضروبا من الضرر
اولها ان ذلك دخول عداوة بين الملك وولي عهده لانه يطمع عنده الا الملك ويصير له احبا

واخدان يمنيه ذلك ويستنبطون موت الملك ثم ان الملك يستوحش منه وتشاق
الامور الى هلاك احدهما ولكن لينظر الوالي منكم لله تعالى ثم لنفسه ثم للرعية و لينتخب
وليا للعهد من بعده ولا يعلمه بذلك ولا احد من الخلق قريبا كان او بعيدا ثم يكتب
اسمه في اربع صحايف ويختمها بخاتمه ويضعها عند اربع نفر من اعيان المملكة ثم لا يكون
منه في سر ولا علانية امر يستدل به على ولي عهده من هؤلاء في ادناء وتقريب يعرف
به ولا في اقصاء واعراض يستراب له وليتق الله في اللحظة والكلمة فاذا هلك الملك
جمعت تلك الصحايف الى النسخة التي تكون في خزانة الملك فتفض جميعا ثم ينو
ح باسم ذلك الرجل فيلقى الملك اذا لقيه بحداثة عهده بحال السوقة ويلبسه اذا لبسه
ببصر السوقة وسمعها فان في معرفته بحاله قبل افضاء الملك اليه شكرا بحدثه عنده ولاية
العهد ثم يلقاه الملك فيزيل شكره فيعمى ويصم هنا مع ما لابد ان يلقاه الوالي
الملك من حيل الغاة وبغي الكذابين وترقية النمامين وايغار صدره واغراء قلبه
على كثير من رعيته وخواص دولته وليس في ذلك مجهود ولا صلاح واعلموا انه ليس للملك ان
يحلف لانه لا يقدر احد على استكراهه وليس له ان يغضب لانه قادر والغضب
لقاح الشر والندامة وليس له ان يعبث ويلعب لان اللعب والعبث من عمل الفراغ
وليس له ان يفزع لان الفزاع من امر السوقة وليس له ان يحسد احدا الا على حسن التدبير
وليس له ان يخاف لانه لا يد فوق يده واعلموا انكم لن تقدروا على ان تختموا افواه
الناس من الطعن والازراء عليكم ولا قدرة لكم على ان يجعلوا القبيح من افعالكم
حسنا فاجتهدوا في ان تحسن افعالكم كلها وان لا تجعلوا للعامة الى الطعن عليكم
سبيلا واعلموا ان لباس الملك ومطعمه ومشربه مقارب للباس السوقة ومطعمهم
وليس فضل الملك على السوقة الا اقتناء المحامد واستفادة المكارم فان الملك اذا

شاء

شاء احسن وليس كذلك السوقة واعلموا ان لكل ملك بطانة ولكل رجل من بطانته
ثم لكل امرئ من بطانة البطانة بطانة حتى يجتمع من ذلك اهل المملكة بطانته
على حال الصواب اقام كل امرئ منهم بطانته على مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح عامة
الرعية احذروا بابا واحدا طالما امنته فضرني وحذرته فنفعني احذروا افشاء السر
بحضرة الصغار من اهليكم وخدمكم فانه ليس يصغر واحد منهم عن حمل ذلك السر
كاملا لا يترك منه شيئا حتى يضعه حيث تكرهون اما سقطا او غشا واعلموا ان
في الرعية صنفا اتوا الملك من قبل النصايح لهم والتمسوا صلاح منازلهم بافساد منازل
الناس فاولئك اعداء الناس واعداء الملوك ومن عادى الملوك والناس كلهم
فمنها حال السماحة يدنو احدكم من السرف ومنها حال التدبير حتى يدنو من البخل ومنها
حال الاناة حتى يدنو من البلادة ومنها حال انتهاز الفرصة حتى يدنو من الخفة
ومنها حال الطلاقة في اللسان حتى يدنو من الهذر ومنها حال الاخذ بحكمة الصمت حتى
يدنو من العي فالملك منكم جدير ان يبلغ من كل طبقة في محاسنها حدها فاذا وقف
عليه الجم نفسه عما وراءه واعلموا ان ابن الملك واخاه وابن عمه يقول كدت اكون ملكا او
بالحري ان لا اموت حتى اكون ملكا فاذا قال ذلك قال ما لا يسر الملك وان كتمه فالداء في كل
مكتوم واذا تمنى ذلك جعل الفساد سلما الى الصلاح ولم يكن الفساد سلما الى الصلاح
قد وقد رسمت لكم في ذلك مثلا اجعلوا الملك لا ينبغي الا لابناء الملوك من بنات عمومتهم
ولا يصلح من اولاد بنات العم الا كامل غير سخيف العقل ولا عازب الرأي ولا ناقص الجوارح
ولا مطعون عليه في الدين فانكم اذا فعلتم ذلك قل طلاب الملك واذا قل طلاب الملك
واذا قل طلابه استراح كل امرئ الى ما يليه ونزع الى حد يليه وعرف حاله ورضي معيشته
واستطاب زمانه فقد ذكرنا وصايا قوم من العرب ووصايا اكثر ملوك الفرس اعظمهم

حكمه لتضمن الى وصايا امير المؤمنين الدين عليها اغلب فاذا اخذ من اخذ
التوفيق بيده بمجموع ذلك فقد سعد ولا سعيد الا من اسعد الله

الاصل ومن كتاب كتبه الى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي
وذكر هذا الكتاب ابو جعفر الاسكافي في كتاب المقامات اما بعد
فقد علمتما وان كتمتما اني لم ارد الناس حتى ارادوني ولم ابايعهم حتى بايعوني
وانكما ممن ارادني وبايعني وان العامة لم تبايعني لسلطان غاصب ولا
لعرض حاضر فان كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا الى الله من قريب
وان كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي السبيل باظهاركما الطاعة
واسراركما المعصية ولعمري ما كنتما باحق المهاجرين بالتقية والكتمان وان
دفعكما هذا الامر قبل ان تدخلا فيه كان اوسع عليكما من خروجكما منه
بعد اقراركما وقد زعمتما اني قتلت عثمان فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما
من اهل المدينة ثم يلزم كل امرء بقدر ما احتمل فارجعا ايها الشيخان عن رايكما
فان الان اعظم امركما العار قبل ان يجتمع العار والنار والسلام

الشرح هو عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن سالم
بن غاضرة بن سلول بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي يكنى ابا نجيد
بن عمران اسلم هو وابو هريرة عام خيبر وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم يقول
اهل البصرة عنه انه كان يرى الحفظة وكانت تكلمه حتى اكتوى وقال محمد
بن سيرين افضل من نزل البصرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه عمران بن
الحصين البصرة فعمل له اياما ثم استعفاه فاعفاه ومات بالبصرة سنة اثنين
وخمسين في ايام معاوية واما ابو جعفر الاسكافي فهو شيخنا ابو جعفر محمد بن عبد الله

الاسكافي

الاسكافي عداده في الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة مع عباد
بن سليمان الصيمري ومع زرقان ومع عيسى بن الهيثم الصوفي وجعل اول الطبقة
ثمامة بن اشرس ابا معن ثم ابا عثمان الجاحظ ثم ابا موسى عيسى بن صبيح المردار ثم ابا عمران
موسى بن عمران ثم محمد بن شبيب ثم محمد بن اسمعيل العسكري ثم ابا يعقوب يوسف
بن عبد الله الشحام ثم ابا الحسن الصالحي ثم صالح قبة ثم الجعفران جعفر بن حرب وجعفر
بن مبشر ثم ابا عمران النقاش ثم ابا سعيد احمد بن سعيد الاسدي ثم عباد بن سليمان
ثم ابا جعفر الاسكافي هذا وقال كان ابو جعفر فاضلا عالما وصنف سبعين كتابا
في علم الكلام وهو الذي نقض كتاب العثمانية على ابي عثمان الجاحظ في
حياته ودخل الجاحظ الوراقين ببغداد فقال من هذا الغلام السوادي
الذي بلغني انه تعرض لنقض كتابي وابو جعفر جالس فاختفى منه حتى لم يره وكان ابو جعفر
يقول بالتفضيل على قاعدة معتزلة بغداد ويبالغ في ذلك وكان علوي الراي
مصنفا محققا قليل العصبية ثم نعود الى شرح الفاظ الفصل ومعانيه
قوله لم ارد الناس اي لم ارد الولاية عليهم حتى ارادوا هم مني ذلك قال ولم ابايعهم
حتى بايعوني اي لم امدد يدي اليهم مد الطالب والحريص على الامر ولم امددها الا بعد
ان خاطبوني بالامرة والخلافة وقالوا بالسنتهم قد بايعناك فحينئذ مددت يدي اليهم قال
ولم يبايعني العامة والمسلمون لسلطان غصبهم وقهرهم على ذلك ولا لعرض حاضر اي مال
موجود فرقته عليهم ثم قسم عليهما الكلام فقال ان كنتما بايعتماني طوعا عن رضا فقد وجب
عليكما الرجوع لانه لا وجه لانتقاض البيعة وان كنتما بايعتماني مكرهين عليها فالاكراه
له صورة وهي ان يجرد السيف ويمد العنق ولم يكن قد وقع ذلك ولا يمكنكما ان تدعياه
وان كنتما بايعتماني لا عن رضا ولا مكرهين بل كارهين وبين المكره والكاره فرق

بين فالامور الشرعية انما تبنى على الظاهر وقد جعلتماني على انفسكما السبيل
باظهاركما الطاعة والدخول بما دخل فيه الناس ولا اعتبار بما اسررتما من كراهية
ذلك على انه لو كان عذري ما يكرهه المسلمون المهاجرون في كراهية ذلك سواء فما [الذي]
جعلكما احق المهاجرين كلهم بالكتمان والتقية ثم قال وقد كان امتناعكما من [البيعة]
في مبداء الامر اجمل من دخولكما فيها ثم نكثتما قال وقد زعمتما ان الشبهة التي دخلت
عليكما في امري بلى في قتل عثمان وقد جعلت الحكم بيني وبينكما من تخلف عني وعنكما
من اهل المدينة الجماعة التي لم تنصر عليا ولا طلحة كمحمد بن مسلمة واسامة بن زيد
وعبد الله بن عمر وغيرهم يعني انهم غير متهمين عليه ولا على طلحة والزبير فاذا حكموا الزم
كل امرئ منا بقدر ما تقتضيه الشهادات ولا شبهة انهم لو حكموا وشهدوا بصورة
الحال لحكموا ببراءة علي من دم عثمان وبان طلحة كان هو الجملة والتفصيل في امر حصره
وقتله وكان الزبير مساعدا له على ذلك وان لم يكن مكاشفا مكاشفة طلحة ثم
نهاهما عن الاصرار على الخطيئة وقال لهما انكما انما تخافان العار في رجوعكما وانصرافكما
عن الحرب فان لم ترجعا اجتمع عليكما العار والنار اما العار فلانكما تحاربان وتفران
عند اللقاء فتعيران واما النار فلانهما مصير العصاة اذا ماتوا عن غير توبة واحتمال
العار وحده اهون من احتماله واحتمال النار معه **الاصل** ومن كتاب
له الى معوية اما بعد فان الله سبحانه وتعالى جعل الدنيا لما بعدها وابتلى فيها
اهلها ليعلم ايهم احسن عملا ولسنا للدنيا خلقنا ولا بالسعي فيها امرنا وانما وضعنا
فيها لنبتلى بها وقد ابتلاني الله بك وابتلاك بي فجعل احدنا حجة على الآخر فعدوت
على طلب الدنيا بتأويل القرآن وطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني وعصبته انت واهل
الشام بي والب عالمكم جاهلكم وقائمكم قاعدكم فاتق الله في نفسك ونازع الشيطان

ولا شبهة

بذلك ... سيكشف لكما
انكما على باطل

قيادك

قيادك واصرف الى الآخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك واحذر ان يصيبك [جرة]
الله منه بعاجل قارعة تمس الاصل وتقطع الدابر واني اولي لك بالله الية غير فاجرة
لئن جمعتني واياك جوامع الاقدار لا ازال بباحتك حتى يحكم الله بيننا وهو
خير الحاكمين **الشرح** قال ان الله قد جعل الدنيا لما بعدها اي جعلها طريقا
الى الآخرة ومن الكلمات الحكمية الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وابتلى [فيها]
اهلها اي اختبرهم ليعلم ايهم احسن عملا وهذا من الفاظ القرآن العزيز
والمراد ليعلم خلقه او ليعلم ملائكته ورسله فحذف المضاف وقد سبق ذكر [شيء]
يناسب ذلك فيما تقدم قال ولسنا للدنيا اي لم نخلق للدنيا فقط فقال ولا با
[لسعي] فيها بل امرنا بالسعي فيها لغيرها ثم ذكر ان كل واحد منه ومن معوية مبتلى بصاحبه
وذلك كابتلاء ادم بابليس وابليس بآدم قال فعدوت على طلب الدنيا بتأويل
القرآن اي تعديت وظلمت وعلى هاهنا متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام تقديره مثابرا
على طلب الدنيا بتأويل القرآن ما كان معوية يموه به على اهل الشام فيقول لهم انا ولي عثمان
وقد قال الله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ثم يعدهم الظفر
والدولة على اهل العراق بقوله تعالى فلا يسرف في القتل انه كان منصورا قوله و[عصبته]
انت واهل الشام بي اي الزمتنيه كما تلزم العصابة الرأس والب عالمكم جاهلكم
اي حرض والفساد حبل يقاد به الدابة قوله واحذر ان يصيبك الله منه بعاجل
قارعة الضمير في منه يرجع الى الله تعالى ومن لابتداء الغاية وقال الراوندي
منه اي من البهتان الذي اتيته اي من اجله ومن للتعليل وهذا بعيد وخلاف
الظاهر قوله تمس الاصل اي تقطعه ومنه ما سوس اي يقطع العلة وقوله وتقطع
الدابر اي العقب والنسل والالية اليمين وباحتك الدار وسطها وكذلك ساحتها

تاويل

تاويل القرآن

وروى سامحتك قول بعاجل فارعة وجوامع الاقدار من باب اضافة الصفة
الى الموصوف للتاكيد كقوله تعالى وانه لحق اليقين **الاصل** ومن كلام له ع
به شريح بن هانى لما جعله على مقدمته الى الشام اتق الله فى كل مساء وصباح
وخف على نفسك الدنيا الغرور ولا تامنها على حال واعلم انك ان لم تردع نفسك
عن كثير مما تحب مخافة مكروه سمت بك الاهواء الى كثير من الضرر فكن لنفسك
مانعا رادعا ولنزواتك عند الحفيظة واقما قامعا **الشرح** هو شريح
بن هانى بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن الضباب وهو سلمة
بن الحارث بن ربيعة بن الحارث بن كعب المذحجى كان هانى يكنى فى الجاهلية
ابا الحكم لانه كان يحكم بينهم فكناه رسول الله صلى الله عليه بابى شريح اذ وفد عليه
وابنه شريح هذا من جلة اصحاب على رض شهد معه المشاهد كلها وعاش حتى
قتل بسجستان فى زمن الحجاج وشريح جاهلى اسلامى يكنى ابا المقدام ذكر ذلك كله ابو
عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب قوله وخف على نفسك الغرور يعنى الشيطان
فاما الغرور بالضم فمصدر والرادع الكاف المانع والنزوات الوثبات والحفيظة
الغضب والواقم فاعل من وقمته اى رددته اقبح الرد وقهرته يقول ان لم تردع
نفسك عن كثير من شهواتك افضت بك الى كثير من الضرر ومثل هذا قول الشاعر فانك ان
اعطيت نفسك سؤلها وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا **الاصل** ومن كتاب
له الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة اما بعد فانى خرجت عن حيى
هذا اما ظالما واما مظلوما واما باغيا واما مبغيا على وانا اذكر الله من بلغه
كتابى هذا لما نفر الى فان كنت محسنا اعاننى وان كنت مسيئا استعتبنى ه
الشرح ما احسن هذا التقسيم وما ابلغه فى عطف القلوب عليه واستمالة

النفوس

النفوس اليه قال لا يخلو حالى فى خروجى من احد امرين اما ان اكون ظالما او مظلوما
وبدا بالظالم هضما لنفسه ولئلا يقول عدوه بدا بدعوى كونه مظلوما
فاعطى عدوه من نفسه ما اراد قال فلينفر المسلمون الى فان وجدونى مظلوما
اعانونى وان وجدونى ظالما نهونى عن ظلمى لاعتب وانيب الى الحق وهذا
كلام حسن ومراده يحصل على كلا الوجهين لانه انما اراد ان يستنفرهم الى
الوجهين يقتضيان نفرهم اليه على كل حال ولما هاهنا بمعنى الا كقوله
تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ فى قراءة من قراها بالتشديد **الاصل** ومن كتاب
له الى اهل الامصار يقتص فيه ما جرى بينه وبين اهل صفين وكان بدء امرنا ان
التقينا والقوم من اهل الشام والظاهر ان ربنا واحد ونبينا واحد ودعوتنا
فى الاسلام واحدة لا نستزيدهم فى الايمان بالله والتصديق برسوله عليه السلام
ولا يستزيدوننا والامر واحد الا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء
فقلنا تعالوا نداو ما لا يدرك اليوم باطفاء النائرة وتسكين العامة حتى يشتد
الامر ويستجمع فنقوى على وضع الحق مواضعه فقالوا بل نداويه بالمكابرة فابوا حتى
جنحت الحرب وركدت ووقدت نيرانها وحمشت فلما ضرستنا واياهم ووضعت مخالبها
فينا وفيهم اجابوا عند ذلك الى الذى دعوناهم اليه فاجبناهم الى ما دعوا
وسارعناهم الى ما طلبوا حتى استبانت عليهم الحجة وانقطعت عنهم المعذرة
فمن تم على ذلك منهم فهو الذى انقذه الله من الهلكة ومن لج وتمادى
فهو الراكس الذى ران الله على قلبه وصارت دائرة السوء على راسه **الشرح**
روى التقينا والقوم بالواو وكما قال قلت اذا اقبلت وزهرا ومن لم يروها
بالواو فقد استراح من التكلف **قوله** والظاهر ان ربنا واحد كلام من محكم

اهل صفين من جانب معوية حكما قاطعا بالاسلام بل في الظاهر هلم الاسلام و
خلف بيننا وبينهم فيه بل الخلف في دم عثمان قال قلنا لهم هاتوا فلينطفى
هذه النائرة الان بوضع الحرب الى ان نتمهد قاعدته في الخلافة وتزول
هذه الشوائب التي يكدره على الامر ويكون للناس جماعة يرجع اليها وبعد ذلك
انمكن من قبله عثمان باعيانهم فاقتص منهم فابوا الا المكابرة والمغالبة
والحرب قوله جنحت الحرب وركدت جنحت اقبلت وقد جنح الليل اي اقبل
وركدت دامت وثبتت قوله ووقدت بنيرانها اي التهبت قوله وحمست
اي استعرت وشبت وروى استحمشت وهو اصح ومن رواها حمشت بالشين
المهملة اراد اشتدت وصلبت قوله فلما ضرستنا واياهم اي عضتنا باضراسها
ويقال ضرسهم الدهر اي اشتد عليهم قال لما اشتدت الحرب علينا
وعليهم وكلت منا ومنهم عادوا الى ما كنا سالناهم ابتدا فنزعوا الينا
في رفع الحرب ورفعوا المصاحف يسالون النزول على حكمها واغماد
السيف فاجبناهم الى ذلك قوله وسارعناهم الى ما طلبوا كلمة فصيحة
وهي تعدية الفعل اللازم كانها لما كانت في معنى المسابقة والمسابقة
متعدية عديت المسارعة قوله حتى استبانت يقول استمر بنا على كف الحرب
ووضعها الجانبة ليستبين لهم الى استبانت عليهم حجتنا وبطلت معاذيرهم
وشبههم في الحرب وشق العصا فمن تم منهم على ذلك اي على انقياده الى
الحق بعد ظهوره لهم فذاك الذي خلصه الله من الهلاك وعذاب الاخرة ومن
لج منهم وتمادى في ضلالته فهو الراكس قال قوم الراكس ههنا بمعنى المركوس فهو مقلوب
فاعل بمعنى مفعول كقوله تعالى في عيشة راضية اي مرضية وعندي ان اللفظ

على بابها

على بابها يعني ان من لج فقد ركس نفسه فهو الراكس وهو المركوس يقال ركسه
واركسه بمعنى والكتاب العزيز جاء بالهمزة فقال والله اركسهم بما كسبوا اي ردهم
الى كفرهم ويقال ارتكس فلان في امر كان بخاصته وران على قلبه اي ران هو على
قلبه كما قلنا في الراكس ولا يجوز ان يكون الفاعل وهو الله سبحانه ولان الفاعل
لا يحذف كالمحذوف وليس بمحذوف ويكون المصدر هو الرين ودل الفعل عليه
فكانه موجود اي ران الرين على قلبه كقوله ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات
اي بدا لهم البدا وران يعني غلب وغطى وروي الراكن الذي رين على قلبه
قال وصارت دائرة السوء على راسه من الفاظ القران العزيز قال تعالى عليهم دائرة
دائرة السوء والدائرة وقد قال وان على الباغي تدور الدوائر والدائرة
ايضا الهزيمة يقال على من الدائرة منهما والدوائر ايضا الدواهي **الاصل**
ومن كتاب له الى الاسود بن قطبة صاحب جند حلوان اما بعد فان الوالي
اذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرا من العدل فليكن امر الناس عندك في الحق
سواء فانه ليس في الجور عوض من العدل فاجتنب ما تنكر امثاله وابتذل نفسك
فيما افترض الله عليك راجيا ثوابه ومتخوفا عقابه واعلم ان الدنيا دار بلية لم يفرغ
صاحبها قط فيها ساعة الا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيمة وانه لن يغنيك
عن الحق شيء ابدا ومن الحق عليك حفظ نفسك والاحتساب على الرعية بنفسك فان الذي
يصل اليك من ذلك افضل من الذي يصل بك والسلام **الشرح** لم اقف
الى الان على نسب الاسود بن قطبة وقرات في كثير من النسخ ابن حارث في بني الحارث
بن كعب ولم اتحقق ذلك والذي يغلب على ظني انه الاسود بن زيد بن قطبة
ايضا من بني عبيد بن عدي ذكره ابو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب وقال

ن موسى بن عقبة عده فيمن شهد بدرا اقول اذا اختلف هوى الوالي منعه كثيرا من الحق
قول صدق لانه متى لم يكن الخصمان عند الوالي سواء في الحق جار وظلم ثم قال له فان في العدل
في الجور عوض من العدل وهذا ايضا حق وفي العدل كل العوض من الجور ثم قال فاجتنب
ما تنكر مثله من غيرك وقد تقدم نحو هذا وقوله الا كانت فرغته كلمة فصيحة وهي المرة
الواحدة من الفراغ وقد روي عن النبي صلى الله عليه ان الله يبغض الصحيح الفارغ
لا في شغل الدنيا ولا في شغل الآخرة ومراد امير المؤمنين ههنا الفراغ من عمل
الآخرة خاصة قوله فان الذي يصل اليك من ثواب الاحتساب على الرعية
وحفظ نفسك من مظالمهم والحيف عليهم افضل من الذي يصل اليهم بك
حراسة دمائهم واعراضهم واموالهم ولا شبهة في ذلك لان احدى المنفعتين
دائمة والاخرى منقطعة والنفع الدائم افضل من المنقطع **الاصل**
ومن كتاب له عليه السلام الى العمال الذين يطأ عملهم الجيش من عبد الله علي امير المؤمنين
الى من مر به الجيش من جباة الخراج وعمال البلاد اما بعد فاني قد سيرت جنودا هي مارة
بكم ان شاء الله وقد اوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الاذى وصرف الشذا وانا
ابرأ اليكم والى ذمتكم من معرة الجيش الا من جوعة المضطر لا يجد عنها مذهبا
الى شبعه فنكلوا من تناول منهم ظلما عن ظلمهم وكفوا ايدي سفهائكم عن
مضادتهم والتعرض لهم فيما استثنيناه منهم وانا بين اظهر الجيش فارفعوا الى
مظالمكم وما عراكم مما يغلبكم من امرهم ولا تطيقون دفعه الا بالله وبي
اغيره بمعونة الله ان شاء الله **الشرح** روي عن مضادتهم بالراء المشددة
وجباة الخراج الذين يجمعونه جبيت الماء في الحوض اي جمعته والشذا الضرب
والشر يقول لقد اذيت واشذيت والى ذمتكم اي الى اليهود والنصارى الذي

بينكم

بينكم قال صلى الله عليه وآله من آذى ذميا فكانما آذاني وقال انما بذلوا الجزية
لتكون دماؤهم كدمائنا واموالهم كاموالنا ويسمى هؤلاء ذمة اي اهل ذمة بحذف
المضاف والمعرة المضرة قال الجيش ممنوع من اذى من يمر به من المسلمين واهل
الذمة الا من سد جوعة المضطر منهم يتناول لها الميسور فضلا عن غيرها ثم قال فنكلوا
من تناول وروي عن تنال بالباء اي غايره وعن في قوله عن ظلمهم يتعلق بنكلوا
لانها في معنى اردعوا لان النكال يوجب الردع ثم امرهم ان يكفوا ايدي احداثهم
وسفهائهم عن منازعة الجيش ومضادته والتعرض لمنعه عما استثناه وهو سد
الجوعة عند الاضطرار قال ذلك لا يجوز في الشرع وايضا فانه يفضي الى فتنة
وهرج ثم قال وانا بين اظهر الجيش اي انا قريب منكم وسائر على اثر الجيش فارفعوا
الي مظالمكم وما عراكم منهم على وجه الغلبة والقهر فاني مغير ذلك ومنتصف لكم منهم
الاصل ومن كتاب له عليه السلام الى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت ينكر عليه
دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا للغارة اما بعد فان تضييع المرء ما ولي
وتكلفه ما كفي لعجز حاضر ورأي متبر وان تعاطيك الغارة على اهل قرقيسيا
وتعطيلك مسالحك التي وليناك ليس بها من يمنعها ولا يرد الجيش عنها لرأي
شعاع فقد صرت جسرا لمن اراد الغارة من اعدائك على اوليائك غير شديد المنكب
ولا مهيب الجانب ولا ساد ثغرة ولا كاسر لعدو شوكة ولا مغن عن اهل مصره ولا مجز عن اميره
الشرح وهو كميل بن زياد بن نهيك بن هيثم بن سعد بن مالك
بن الحرث بن صهبان بن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن علة ابن خالد بن مالك بن ادد
كان من اصحاب علي رضه وشيعته وخاصته وقتله الحجاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة
وكان كميل بن زياد عامل علي على هيت وكان ضعيفا تمر عليه سرايا معاوية تنهب اطراف

العراق فلا يرد هاربا ولا يجير ما عنده من الضعف بان يغير على اطراف اعمال معوية
مثل قرقيسيا وما يجري مجراها من القرى التي على الفرات فانكر امير المؤمنين ذلك من فعله
وقال ان من العجز الحاضر ان يهمل الوالي ما وليه ويتكلف ما ليس من تكليفه والمتبر الهالك
لكنه قال تعالى ان هؤلاء متبر ما هم فيه والمتبر الهالك قال تعالى ان هؤلاء متبر ما هم فيه
والمسالح جمع مسلحة وهي المواضع التي يقام فيها طائفة من الجند لحمايتها وراي شعاع بالفتح
اي متفرق ثم قال له قد صرت جسرا اي يعبر لعدوك كما يعبر الناس على الجسور وكان الجسر
يمتنع من يعبر به ويمر عليه فكذلك انت والثغرة الثلمة ومحركات ومغض والمحل المجرى بالهمز
مخففا **الاصل** ومن كتاب له عليه السلام كتبه الى اهل مصر مع مالك الاشتر لما ولاه امارتها
اما بعد فان الله سبحانه بعث محمدا نذيرا للعالمين ومهيمنا على المرسلين فلما مضى
صلى الله عليه تنازع المسلمون الامر بعده فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي
ان العرب تزعج هذا الامر من بعده صلى الله عليه وآله عن اهل بيته ولا انهم
منحوه عني من بعده فما راعني الا انثيال الناس على فلان يبايعونه فامسكت
يدي حتى رايت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين محمد
عليه السلام فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان ارى فيه ثلما او هدما تكون
المصيبة به علي اعظم من فوت ولايتكم التي انما هي متاع ايام قلائل يزول منها
ما كان كما يزول السراب او كما ينقشع السحاب فنهضت في تلك الاحداث حتى زاح
الباطل وزهق واطمان الدين وتنهنه **الشرح** المهيمن الشاهد قال الله تعالى
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا اي تشهد بايمان من آمن وكفر من كفر وقيل تشهد بصحة نبوة
الانبياء قبلك وقوله على المرسلين يؤكد صحة هذا التفسير الثاني واصل اللفظة
من آمن غيره من الخوف لان الشاهد يؤمن غيره من الخوف بشهادته ثم تصرفوا فيها

فابدلوا

١٦٣

فابدلوا احدى ميمي مؤامن ياء فصار مؤيمن ثم قلبوا الهمزة هاء كما قالوا ارقت وهرقت فصار
مهيمن والروع الخلد وفي الحديث ان روح القدس نفث في روعي قال ما خطر لي
ببال ان العرب تعدل بالامر بعد وفاة محمد صلى الله عليه وآله عن بني هاشم ثم من بني
هاشم عني لانه كان المتعين بحكم الحال الحاضرة وهذا الكلام يدل على بطلان
دعوى الامامية النص وخصوصا الجلي قال فما راعني الا انثيال الناس تقول
للشيء يفجاك بغتة ما راعني الا كذا والروع بالفتح الفزع كانه يقول ما افزعني
شيء بعد ذلك السكون الذي كان عندي وتلك الثقة التي اطمانت
اليها الا وقوع ما وقع من انثيال الناس اي انصبابهم من كل وجه كما ينثال التراب
على ابي بكر وهكذا لفظ الكتاب الذي كتبه للاشتر وانما الناس يكتبونه الى فلان
تذمما من ذكر الاسم كما يكتبون في اول الشقشقية اما والله لقد تقمصها ابن ابي
قحافة **قوله** فامسكت يدي اي امتنعت عن بيعته حتى رايت راجعة الناس يعني
اهل الردة كمسيلمة وسجاح وطليحة بن خويلد ومانعي الزكاة وان كان مانعوا الزكاة
قد اختلف في انهم اهل ردة ام لا ومحق الدين ابطاله وزهق خرج وزال وتنهنه
سكن واصله الكف تنهنهت عنه اي كففت عن حركته واقدامه فكان الدين
كان متحركا مضطربا فسكن وكف عن ذلك الاضطراب روى ابو جعفر محمد بن جرير
الطبري في التاريخ الكبير ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما مات اجتمعت اسد
وغطفان وطي على طليحة بن خويلد الا ما كان من خواص اقوام في القبائل الثلاث
فاجتمعت اسد بسميراء وغطفان بجنوب طيبة وطي في حدود ارضهم واجتمعت
ثعلبة بن اسد ومن يليهم من قيس بالابرق من الربذة وتأشب اليهم ناس من بني كنانة
ولم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين اقامت احديهما بالابرق وسارت الاخرى الى ذي

يدل على بطلان دعوى النص

العصبة وبعثوا وفود الى ابي بكر بان يقارهم على اقامة الصلوة ومنع الزكوة
فعزم الله لابي بكر على الحق وقال لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه ورجع الوفود الى قومهم
فاخبروهم بقلة من اهل المدينة فاطمعوهم فيها وعلم ابو بكر والمسلمون بذلك وقال لهم
ايها المسلمون ان الارض كافرة وقد راى وفدهم منكم قلة وانكم لا تدرون اليلا
تؤتون ام نهارا وادناهم منكم على بريد وقد كان القوم يأملون ان يقبل منهم
ويوادعهم وقد ابينا عليهم ونبذنا اليهم فاستعدوا واعدوا فخرج علي بنفسه وكان علي
نقب من انقاب المدينة وخرج الزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود وغيرهم وكانوا
على الانقاب الثلاثة فلم يلبثوا الا ثلاثا حتى طرق القوم المدينة غارة مع الليل
وخلفوا بعضهم بذي حسى ليكونوا ردءا لهم فوافق الانقاب وعليها المسلمون
فارسلوا الى ابي بكر في جمع من اهل المدينة على النواضح فانفش العدو بين ايديهم
واتبعهم المسلمون على النواضح حتى بلغوا ذا حسى فخرج عليهم الكمين بانحاء قد
نفخوها وجعلوا فيها الحبال ثم دهدهوها بارجلهم في وجوه الابل فتدهده كل
نحي منها في طوله فنفرت ابل المسلمين وهم عليها ولا تنفر الابل من شيء نفارها
من الانحاء فعاجت بهم لا يملكونها حتى دخلت بهم المدينة ولم يصرع منهم احد ولم
يصب فبات المسلمون تلك الليلة يتهيأون ثم خرجوا على تعبية فما طلع الفجر الا
والقوم على صعيد واحد ولم يسمعوا للمسلمين حسا ولا همسا حتى وضعوا فيهم السيف
فاقتتلوا اعجاز ليلتهم فما ذر قرن الشمس الا وقد ولوا الادبار وغلبوهم على عامة
ظهرهم ورجعوا الى المدينة ظاهرين قلت هذا هو الحرب الذي اشار اليه انه
نقص في ايام ابي بكر وكانه جواب عن قول قائل انه عمل لابي بكر وجاهد بين يدي
ابي بكر فبين عذره في ذلك وقال انه لم يكن كما ظنه القائل ولكنه من باب دفع الضرر

قلت

عن النفس وعن الدين فانه واجب سواء كان للناس امام او لم يكن ينبغي حيث
جرى ذكر ابي بكر في كلام امير المؤمنين ان نذكر ما اورده قاضي القضاة في المغني
من المطاعن التي طعن بها فيه وجواب قاضي القضاة عنها واعتراض المرتضى في
الشافي على قاضي القضاة ونذكر ما عندنا في ذلك ثم نذكر مطاعن اخرى لم يذكرها قاضي
القضاة قال قاضي القضاة بعد ان ذكر ما طعن به في امر فدك وقد سبق القول
فيه ومما طعن به عليه قولهم كيف يصلح للامامة من يخبر عن نفسه ان له شيطانا
يعتريه ومن يحذر الناس نفسه ومن يقول اقيلوني بعد دخوله في الامامة مع
انه لا يحل للامام ان يقول اقيلوني البيعة اجاب قاضي القضاة فقال ان شيخنا
ابا علي قال لو كان نقصا فيه لكان قول الله في آدم وحوى فوسوس لهما الشيطان
وقوله فازلهما الشيطان وقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته يوجب النقص في الانبياء واذا لم يجب ذلك فكذلك ما
وصف به ابو بكر نفسه وانما اراد انه عند الغضب يشفق من المعصية ويحذر منها
ويخاف ان يكون الشيطان يعتريه في تلك الحال فيوسوس اليه وذلك منه على
طريق الزجر لنفسه عن المعاصي وقد روي عن امير المؤمنين انه ترك مخاصمة الناس
في حقوقه اشفاقا من المعصية وكان يولي ذلك عقيلا فلما اسن عقيل كان
يوليها عبد الله بن جعفر فاما ما روي في اقالة البيعة فهو خبر ضعيف وان صح
فالمراد به التنبيه على انه لا يبالي لامر يرجع اليه ان يقيله الناس البيعة وانما يضرون به
بذلك انفسهم فكأنه نبه بذلك على انه غير مكره لهم وانه لم يخلهم وما يريدون
الا ان يعرض ما يوجب خلافه وقد روي ان امير المؤمنين اقال عبد الله بن عمر البيعة
حين استقاله والمراد بذلك انه تركه وما يختار اعترض المرتضى فقال اما قوله



الى بكر وليتكم ولست بخيركم فان استقمت فاتبعوني وان اعوججت فقوموني
فان لي شيطانا يعتريني عند غضبي فاذا رأيتموني مغضبا فاجتنبوني لا اؤثر
في اشعاركم وابشاركم فانه يدل على انه لا يصلح للامامة من وجهين احدهما ان هذه
صفة من ليس بمعصوم ولا يأمن الغلط على نفسه ومن يحتاج تقويم رعيته اذا
واقع وقد بينا ان الامام لا بد ان يكون معصوما موفقا مسددا والوجه الآخر ان هذه
صفة من لا يملك نفسه ولا يضبط غضبه ومن هو في نهاية الطيش والحدة والخرق
والعجلة ولا خلاف ان الامام يجب ان يكون منزها عن هذه الاوصاف غير حاصل
عليها وليس يشبه قول ابي بكر ما تلاه من الآيات كلها لان ابا بكر خبر عن نفسه بطاعة
الشيطان عند الغضب وان عادته بذلك جارية وليس هذا بمنزلة من يوسوس
اليه الشيطان فلا يطيعه ويزين له القبيح فلا يأتيه وليس وسوسة الشيطان بعيب
على الموسوس له اذا لم يستنزله ذلك عن الصواب بل هو زيادة في التكليف ووجه
يتضاعف معه الثواب وقوله تعالى القى الشيطان في امنيته قيل معناه في تلاوته
وقيل في فكرته على سبيل الخاطر واي الامرين كان فلا عار في ذلك على النبي صلى الله
عليه ولا نقص وانما العار والنقص على من يطيع الشيطان ويتبع ما يدعو اليه
وليس لاحد ان يقول ان هذا ان سلم لكم في جميع الآيات لم يسلم في قوله فازلهما الشيطان
لانه قد خبر عن تأثير غوايته ووسوسته بما كان منهما من الفعل وذلك ان المعنى
الصحيح في هذه الآية ان آدم وحوا كانا مندوبين الى اجتناب الشجرة وترك
التناول منها ولم يكن ذلك عليهما واجبا لازما لان الانبياء لا يخلون بالواجب
فوسوس لهما الشيطان حتى تناولا من الشجرة فتركا مندوبا اليه وحرما بذلك انفسهما
الثواب بفعل الافضل وقوله تعالى فعصى آدم ربه فغوى لا ينافي هذا المعنى

لان المعصية

لان المعصية قد يسمى بها من اخل بالواجب والندب معا وقوله فغوى اي خاب من
حيث لم يستحق بها عقابا ولا ذما فمثل مذهبنا ايضا تكون المفارقة منه وبين
ابي بكر ظاهرة لان ابا بكر خبر عن نفسه ان الشيطان يعتريه حتى يؤثر في الاشعار
والابشار ويأتي ما يستحق به التقويم فاين هذا من ذنب صغير لا ذم ولا عقاب عليه
وهو يجري من وجه من الوجوه مجرى المباح لانه لا يؤثر في احوال فاعله وحط رتبته
وليس يجوز ان يكون ذلك منه على سبيل الخشية والاشفاق على ما ظن لان مفهوم
خطابه يقتضي خلاف ذلك الا ترى انه قال ان لي شيطانا يعتريني وهذا قول من قد
عرف عادته ولو كان على سبيل الاشفاق والخوف لخرج غير هذا المخرج ولكان يقول
فلعلي لا آمن من كذا واني لمشفق منه فاما ترك امير المؤمنين مخاصمة الناس في
حقوقه فانما كان تنزها وتكرما واي نسبة بين ذلك وبين من صرح وشهد على
نفسه بما لا يليق بالائمة واما خبر استقالة البيعة وتضعيف صاحب الكتاب له فهو
ابدا يضعف ما لا يوافقه من غير حجة يعتمدها في تضعيفه وقوله انما استقال على
التحقيق فانما بعد علمه بانه يأبى الخروج الامر عنه وانه غير مكره لهم عليه فبعيد من الصواب لان
ظاهر قوله اقيلوني امر بالاقالة واقل احواله ان يكون عرضا لها وبذلا وكل الامرين
قبيح ولو اراد ما ظنه لكان له في غير هذا القول مندوحة ولكان يقول اني ما اكرهتكم
ولا حملتكم على مبايعتي وما كنت ابالي ان لا يكون هذا الامر في ولا الي وان مفارقته
لتسرني لولا ما الزمتموه الدخول فيه من التمسك به ومتى عدلنا عن ظاهر الكلام
بلا دليل جوز ذلك علينا ما لا يحتمل لنا امر واما امير المؤمنين فانه لم يقل ابن عمر البيعة
بعد دخوله فيها وانما استعفاه من ان يلزمه البيعة ابتداء فاعفاه قلة تكرمه
وعلما بان امامته لا تثبت بمبايعته عليها فاين هذا من استقالة بيعة قد تقدمت

اصحابنا

واستقرت قلت اما قول ابي بكر وليتكم ولست بخيركم فقد صدق عند كثير من
الحسن البصري
لان خيرهم علي بن ابي طالب ومن لا يقول ذلك يقول بما قاله الحسن البصري
والله انه ليعلم انه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه ولم يطعن المرتضى فيه
بهذه اللفظة لتطيل القول فيها فاما قول المرتضى عنه انه قال ان لي
شيطانا يعتريني فالمشهور في الرواية فان لي شيطانا يعتريني قال المفسرون
اراد بالشيطان الغضب وسماه شيطانا على طريق الاستعارة وكذا ذكره شيخنا
ابو الحسين في الغرر وقال معوية لانسان غضب في حضرته فتكلم بما لا يتكلم بمثله
في حضرة الخلفاء اربع على ظلعك ايها الانسان فانما الغضب شيطان وانا لم
خطبتي ابي بكر
نقل الاجرا وقد ذكر ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ الكبير خطبتي
ابي بكر عقيب بيعته بالسقيفة ونحن نذكرها نقلا من كتابه اما الخطبة الاولى
فهي اما بعد ايها الناس فاني وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينوني
وان اسات فقوموني ان الصدق امانة والكذب خيانة الضعيف منكم قوي عندي
حتى اريح عليه حقه والقوي منكم ضعيف عندي حتى اخذ الحق منه لا يدع قوم
الجهاد في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم الا عمهم
الله بالبلاء اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله
فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم رحمكم الله واما الخطبة الثانية
فهي ايها الناس انما انا مثلكم واني لا ادري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول
الله صلى الله عليه وآله يطيقه ان الله اصطفى محمدا على العالمين وعصمه
من الآفات وانما انا متبع ولست بمبتدع فان استقمت فاتبعوني فان زغت
فقوموني وان رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وليس احد من هذه

الامة

الامة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها الا وان لي شيطانا يعتريني فاذا غضبت
فاجتنبوني لا اوثر في اشعاركم وابشاركم الا وانكم تغدون وتروحون في اجل قد غيب عنكم
علمه فان استطعتم ان لا يمضي هذا الاجل الا وانتم في عمل صالح فافعلوا ولن
تستطيعوا ذلك الا بالله فسابقوا في مهل آجالكم من قبل ان تسلمكم آجالكم الى
انقطاع الاعمال فان قوما نسوا آجالهم وجعلوا اعمالهم لغيرهم فاياكم ان تكونوا
امثالهم الجد الجد الوحا الوحا فان وراءكم طالبا حثيثا اجلا مره سريع احذروا الموت
واعتبروا بالآباء والابناء والاخوان ولا تغبطوا الاحياء الا بما تغبطون به الاموات
ان الله لا يقبل من الاعمال الا ما اريد به وجهه فاريدوا وجه الله باعمالكم واعلموا
ان ما اخلصتم لله من اعمالكم فلطاعة اتيتموها وحظ ظفرتم به وضرائب اديتموها
وسلف قدمتموه من ايام فانية لاخرى باقية لحين فقركم وحاجتكم فاعتبروا
عباد الله بمن مات منكم وتفكروا فيمن كان قبلكم اين كانوا امس واين هم اليوم
اين الجبارون اين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحرب قد
تضعضع بهم الدهر وصاروا رميما قد تركت عليهم القالات الخبيثات
وانما الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات واين الملوك الذين اثاروا
الارض وعمروها قد بعدوا ونسي ذكرهم وصاروا كلا شيء الا ان الله قد ابقى عليهم
التبعات وقطع عنهم الشهوات ومضوا والاعمال اعمالهم والدنيا دنيا غيرهم وبقينا
خلفا من بعدهم فان نحن اعتبرنا بهم نجونا وان اغتررنا كنا مثلهم اين الوضاء
الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم صاروا ترابا وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم
اين الذين بنوا المداين وحصنوها بالحوائط وجعلوا فيها الاعاجيب قد تركوها
لمن خلفهم فتلك مساكنهم خاوية منهم في ظلمة القبور هل تحس منهم من احد

او تسمع لهم ركزا اى من تعرفون من ابائكم واخوانكم فدانهم سلطم اجالهم فردوا على ما
قدموا عليه وقاموا للشقوة او للسعادة الا ان الله لا شريك له ليس بينه وبين احد
من خلقه سبب يعطيه به خيرا ولا يصرف عنه به شرا الا بطاعته واتباع
امره واعلموا انكم عباد مدينون وان ما عنده لا يدرك الا بتقواه وعبادته الا وانه
لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة فهذه خطبة ابي بكر يوم السقيفة او اليوم
الذي يليه انما قال ان لي شيطانا يعتريني واراد بالشيطان الغضب ولم يرد ان له
شيطانا من مردة الجن يعتريه اذا غضب فالزيادة فيما ذكره المرتضى في قوله ان لي شيطانا
يعتريني عند غضبي تحريف لا محالة ولو كان له شيطان من الجن يعتاده وينزل
به لكان في عداد المصروعين من المجانين وما ادعى احد على ابي بكر هذا لا من اوليائه
ولا من اعدائه وانما ذكرنا خطبته على طولها والمراد منها كلمة واحدة لما فيه
من الفصاحة والموعظة على عادتنا ايداع هذا الكتاب ما كان ذاهبا هذا المذهب
ويسلك هذا السبيل فاما قول المرتضى فهذه صفة من ليس بمعصوم فالامر كذلك
والعصمة عندنا ليست شرطا في الامامة ولو لم يدل على عدم اشتراطها الا انه
قال على المنبر بحضور الصحابة هذا القول واقروه على الامامة لكفى عدم كون العصمة
شرطا لانه قد حصل الاجماع على عدم اشتراطها ذلك اذ لو كان شرطا لانكر فقد حصل الاجماع
على عدم قال اني لا اصبر عن شرب الخمر وعن الزنا فاما قوله هذه صفة طائش لا يملك
نفسه فلعمري ان ابا بكر كان حديدا وقد ذكره عمر بذلك وذكره غيره من الصحابة
بالحدة والسرعة ولكن بحيث تبطل به اهليته للامامة لان الذي يبطل
الامامة من ذلك ما يخرج به الانسان عن العقل فاما ما هو دون ذلك فلا فاما
قوله فاجتنبوني لا اوثر في اشعاركم وابشاركم محمول على ظاهره انما اراد به

الدليل على عدم اشتراط العصمة

المبالغة في وصف القوة الغضبية عنده والا فما سمعنا ولا نقل ناقل
من الشيعة ولا من غير الشيعة ان ابا بكر في ايام رسول الله صلى الله عليه
ولا في الجاهلية ولا في ايام خلافته احتد على انسان فقام اليه فضربه
بيده ومزق شعره فاما حكاه قاضي القضاة عن الشيخ ابي علي من تشبيه
هذه اللفظة بما ورد في القرآن فهو على تقدير ان يكون ابو بكر عنى
الشيطان حقيقة وما اعترض به المرتضى عليه غير لازم لان الله تعالى
قال فوسوس لهما الشيطان وعقيب ذلك قبولهما وسوسته واكلهما من
الشجرة فكيف يقول المرتضى ليس قول ابي بكر بمنزلة من وسوس له الشيطان
فلم يطعه وكذلك قوله تعالى في قصة موسى لما قتل القبطي هذا من عمل
الشيطان انه عدو مضل مبين وكذلك قوله فازلهما الشيطان عنها
وقوله القى الشيطان في امنيته وما ذهب اليه المرتضى من التاويلات
مبني على مذهبه في العصمة الكلية وهو مذهب يحتاج في نصرته الى
تكلف شديد وتعسف عظيم في تاويل الآيات على انه اذا سلم ان الشيطان
القى في تلاوة الرسول صلى الله عليه ما ليس من القرآن حتى ظنه السامعون
كلاما من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله فقد نقض دلالة التنفير
المقتضية عنده العصمة لانه لا تنفير ابلغ من تمكين الله تعالى الشيطان
ان يخلط بكلامه ورسوله يؤديه الى المكلفين حتى يعتقد السامعون
كلهم ان الكلامين كلام واحد واما قوله ان آدم انه كان مندوبا
الى ان لا ياكل من الشجرة لا محرما عليه اكلها ولفظة عصى انما المراد بها
خالف المندوب ولفظة غوى انما المراد بها خاب من حيث لم يستحق الثواب

على اعتماد ما ندب اليه فنقول يدفعه ظاهر الآية لان الصيغة صيغة
النهي وهي قوله ولا تقربا هذه الشجرة والنهي عند المرتضى يقتضي التحريم لا
محالة وليس كالامر الذي يراد به الندب وقد يراد به الوجوب واما قول
شيخنا ابي علي كلام ابي بكر خرج مخرج الاشفاق والحذر من الفتنة
عند التعصب فجيد واعتراض المرتضى عليه بانه ليس ظاهرا للفظ ذلك غير لازم
لان هذه عادة العرب يعبرون عن الامر بما هو سبب وسبيل كقولهم
لا تدن من الاسد فيأكلك ليس ثم تطفل على الاكل عند الدنو وانما
المراد الحذر والخوف والتوقع الاكل عند الدنو فاما الكلام في قوله اقيلوني
فلو صح الخبر لم يكن فيه مطعن عليه لانه انما اراد في اليوم الثاني اختبار حالهم
في البيعة التي وقعت في اليوم الاول ليعلم وليه من عدوه منهم وقد روى
جميع اصحاب السيرة ان امير المؤمنين خطب في اليوم الثاني من بيعته فقال
ايها الناس انكم بايعتموني على السمع والطاعة وانا اعرض اليوم عليكم
ما دعوتموني اليه امس فان اجبتم قعدت والا فلا اخذ على احد وليس
قول المرتضى انه لو كان يريد العرض والبذل لكان قد قال كذا وكذا فان هذه
مضايقة منه للالفاظ ولو شرعت في مثل هذا لفسد اكثر ما يتكلم به الناس
على انا لو سلمنا انه استقالهم البيعة حقيقة فلم قال المرتضى ان ذلك لا يجوز
اليس يجوز للقاضي ان يستقيل من القضاء بعد توليته اياه ودخوله
فيه فكذلك يجوز للامام ان يستقيل من الامامة اذا انس من نفسه
ضعفا عنها او انس من رعيته نبوة عنه او احس بفساد ينشا في الارض
من جهة ولايته على الناس ومن يذهب الى ان الامامة تكون بالاختيار كيف

وقد روى

يمنع من جواز استقالة الامام وطلبه الى الامة ان يختاروا غيره لعذر يعلمه
من حال نفسه وانما يمنع من ذلك المرتضى واصحابه القائلون بان الامامة
بالنص وان الامام محرم عليه ان لا يقوم بالامامة لانه مامور بالقيام بها
لتعينه خاصة دون كل احد من المكلفين واصحاب الاختيار يقولون اذا لم
يكن زيد اماما كان عمرو اماما عوضه لانهم لا يعتبرون الشروط التي يعتبرها
الامامية من العصمة وانه افضل اهل عصره واكثرهم ثوابا واعلمهم واشجعهم
وغير ذلك من الشروط التي تقتضي توحده وتفرده بالامر على انه اذا جاز عندهم
ان يترك الامام في الظاهر كما فعله الحسن رض وكما فعله غيره من الائمة بعد
الحسين جاز للامام على مذهب اصحاب الاختيار ان يترك الامامة ظاهرا وباطنا
لعذر يعلمه من حال نفسه او من حال رعيته الطعن الثاني قال قاضي القضاة
بعد ان ذكر قول عمر كانت بيعة ابي بكر فلتة وقد تقدم القول في ذلك في اول هذا
الكتاب ومما طعنوا به في ابي بكر انه قال عند موته ليتني كنت سالت
رسول الله صلى الله عليه وآله عن ثلاثة فذكر احدها ليتني كنت سالته
هل للانصار في هذا الامر حق قالوا وذلك يدل على شكه في صحة بيعته وربما
قالوا قد روي انه قال في مرضه ليتني تركت بيت فاطمة لم اكشفه وليتني في ظلة
بني ساعدة كنت ضربت على يد احد الرجلين فكان الامير وكنت الوزير قالوا وذلك
يدل على ما يروى من اقدامه على بيت فاطمة عند اجتماع علي والزبير وغيرهما
فيه ويدل على انه كان يرى الفضل لغيره لا لنفسه قال قاضي القضاة والجواب
ان قوله ليتني لا يدل على الشك فيما تمناه وقول ابرهيم عليه السلام رب ارني
كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اقوى من ذلك في

الشبهة ثم حمل يمينه على انه اراد سماع شيء مفصل وما زاد ليتني سالته عند الموت
لقرب العهد لان ما قرب عهده لا ينسى ويكون اروع للانصار عما
حاولوه ثم قال علي انه ليس في ظاهره انه تمنى ان يسال هل لهم حق في الامامة
قد يتعلق بها حقوق سواها ثم دفع الرواية المتعلقة ببيت فاطمة
وقال فاما تمنيه ان يبايع غيره فلو ثبت لم يكن ذما لان من اشتد التكليف
عليه فهو يتمنى خلافه اعترض المرتضى هذا الكلام فقال ليس يجوز ان يقول
ابو بكر ليتني كنت سالته عن كذا الا مع الشك والشبهة لان مع العلم واليقين
لا يجوز مثل هذا القول هكذا يقتضي الظاهر فاما قول ابراهيم عليه السلام
لا يجوز على الانبياء ويجوز على غيرهم على انه عليه السلام قد نفى عن نفسه
الشك بقوله بلى ولكن ليطمئن قلبي وقد قيل ان نمرود قال له اذا كنت
تزعم ان لك ربا يحيي الموتى فسله ان يحيي لنا ميتا ان كان على ذلك
قتلتك فاراد بقوله ولكن ليطمئن قلبي لآمن توعد عدوك بالقتل
وقد يجوز ان يكون طلب ذلك لقومه وقد سالوه ان يرغب الى الله
تعالى فقال ليطمئن قلبي الى انك تقدر على ان يحيي الموتى لان قلبه
قد كان بذلك مطمئنا واي شيء يريد ابو بكر من التفصيل اكثر من قوله
ان هذا الامر لا يصلح الا لهذا الحي من قريش واي فرق بين ما يقال عند
الموت وبين ما يقال قبله اذا كان محفوظا معلوما لم يرفع حكمه ولم
ينسخ وبعيد فظاهر الكلام لا يقتضي هذا التخصيص ونحن مع الاطلاق
والظاهر واي حق يجوز ان يكون للانصار في الامامة غير ان يتولاها رجل
منهم حتى يجوز ان يكون الحق الذي تمنى ان يسال عنه غير الامامة وهل هذا

وقد قيل

وقد يجوز

الا تعسف وتكلف واي شبهة تبقى بعد قول ابي بكر ليتني كنت سالته
هل للانصار في هذا الامر حق فكنا لا ننازع اهله ومعلوم ان التنازع
بل يقع بينهم الا في الامامة نفسها لا في حق آخر من حقوقها فاما قوله
انا قد بينا انه لم يكن منه في بيت فاطمة ما يوجب ان يتمنى انه لم يفعله فقد
بينا فساد ما ظنه فيما تقدم فاما قوله ان من اشتد التكليف عليه قد
يتمنى خلافه فليس بصحيح لان ولاية ابي بكر اذا كانت هي التي اقتضاها الدين والنظر
للمسلمين في تلك الحال وما عداها كان مفسدة ومؤديا الى الفتنة فالتمني
لخلافها لا يكون الا قبيحا قلت اما قول قاضي القضاة ان هذا التمني لا
يقتضي الشك في ان الامامة لا تكون الا في قريش كان قول ابراهيم ولكن ليطمئن
قلبي لا يقتضي الشك في انه تعالى قادر على ذلك فجيد فاما قول المرتضى انما ساغ
ان يعدل عن الظاهر في حق ابراهيم لانه نبي معصوم لا يجوز عليه الشك
فيقال له وكذلك ينبغي ان يعدل عن ظاهر كلام ابي بكر لانه رجل مسلم
عاقل فحسن الظن به يقتضي صيانة افعاله واقواله عن التناقض وقوله ان ابراهيم
قد نفى عن نفسه الشك بقوله بلى قلنا وابو بكر قد نفى عن نفسه الشك
بدفع الانصار عن الامامة واثباتها في قريش خاصة فان كانت لفظة لشك
ابراهيم الذي يقتضيه قوله ولكن ليطمئن قلبي بفعل ابي بكر وقوله يوم
السقيفة يدفع الشك الذي يقتضيه ليتني سالته ولا فرق في دفع
بين ان يتقدم الرافع او يتاخر او يتقارب ثم يقال للمرتضى الست في هذا
الكتاب وهو الشافي تثبت ان قصة السقيفة لم يجر فيها ذكر نص من
رسول الله صلى الله عليه وآله بان الائمة من قريش وانه لم يكن هناك

لابا حتجاج ابي بكر وعمر بان قريشا اهل النبي صلى الله عليه وآله وعشيرته
وان العرب لا تطيع غير قريش وذكرت عن الزهري وغيره القول الصادر
عن ابي بكر ان هذا الامر لا يصلح الا لهذا الحي من قريش ليس نصا مرويا
عن رسول الله وانما هو قول قاله ابو بكر من تلقاء نفسه ورويت
في ذلك الروايات ونقلت من الكتب من تاريخ الطبري وغيره صورة
الكلام والجدال الدائر بينه وبين الانصار فاذا كان هذا قولك فلا
تنكر على ابي بكر قوله ليتني كنت سالت رسول الله صلى الله عليه وآله
هل للانصار حق في هذا الامر لانه لا يسمع النص ولا رواه ولا روي له
وانما دفع الانصار بنوع من الجدل فلا جرم بقي في نفسه شيء من ذلك
وقال عند موته ليتني كنت سالت رسول الله صلى الله عليه وآله
وليس ذلك مما يقتضي شكا في بيعته كما زعم الطاعن لانه انما يشك
في بيعته لو كان قال قائل او ذهب ذاهب الى الامامة ليست الا في الانصار
ولم يقل احد ذلك بل النزاع كان في ان الامامة هل مقصورة على قريش خاصة ام
هي فوضى بين الناس كلهم واذا كانت الحال هذه فلم يكن شاكا في
امامته وبيعته بقوله ليتني سالت رسول الله صلى الله عليه وآله
هل للانصار في هذا حق لان بيعته على كل التقديرين تكون صحيحة
فاما قول قاضي القضاة لعله اراد حقا للانصار غير الامامة نفسها
فليس بجيد والذي اعترضه به المرتضى جيد فان الكلام لا يدل الا على
الامامة نفسها ولفظة المنازعة تؤكد ذلك واما حديث الهجوم على بيت
فاطمة فقد تقدم القول فيه والظاهر عندي صحة ما يرويه المرتضى والشيعة

ولاكن

ولاكن لا كل ما يزعمونه بل كان بعض ذلك وحق لابي بكر ان يندم ويتاسف على ذلك
وهذا يدل على قوة دينه وخوفه من الله تعالى فهو بان يكون منقبة له اولى
من كونه طعنا عليه فاما قول قاضي القضاة ان من اشتد التكليف عليه فقد
يتمنى خلافه واعتراض المرتضى عليه فكلام قاضي القضاة اصح واصوب لان ابا
بكر وان كانت ولايته مصلحة وولاية غيره مفسدة فانه ما يتمنى ان يكون الامام
غيره مع استلزام ذلك للمفسدة بل تمنى ان تلي الامر غيره وتكون المصلحة بحالها
الا ترى ان خصال الكفارة في اليمين كل واحد منها مصلحة وما عداها لا يقوم
مقام الآخر في المصلحة فابو بكر تمنى ان يلي الامر عمر وابو عبيدة بشرط ان يكون
الدينية التي تحصل من بيعته حاصلة من بيعة كل واحد من الآخرين
الطعن الثالث قالوا انه ولي عمر الخلافة ولم يوله رسول الله صلى الله عليه
شيئا من اعماله البتة الا ولاه يوم خيبر فرجع منهزما وولاه الصدقة فلما شكاه
العباس عزله اجاب قاضي القضاة بان تركه عليه السلام ان يوليه لا يدل على
انه لا يصلح لذلك وتوليته اياه لا تدل على صلاحيته للامامة فانه صلى الله عليه
قد ولى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ولم يدل ذلك على صلاحهما للامامة وكذلك
تركه ان يوليه لا يدل على انه صالح بل المعتبر بالصفات تصلح بشانها النبي صلى الله
عليه وآله تركه ان يولي امير المؤمنين امورا كثيرة ولم يجب ان لا يصلح لها وثبت
ان امير المؤمنين لم يول الحسين ابنه ولم يمنع ذلك من ان يصلح للامامة
وحكي عن ابي علي ان ذلك انما كان يصح ان يتعلق به لو ظهر وا تقصير من غيرهما
تولاه فاما ولعله معروف في قيامه بالامر حين يعجز غيره فكيف يصح ما قالوه

وبعد فهلا دل ما روي من قوله وان تولوا عمر تجدوه قويا في امر الله قويا في بدنه
على جواز ذلك وان ترك النبي صلى الله عليه توليته لان هذا القول اقوى
من الفعل اعترض المرتضى فقال قد علمنا بالعادة ان من ترشح لكبار الامور
لا بد من ان يدرج اليها بصغارها الا ان من يريد بعض الملوك تاهيله
للامر بعده لا بد ان ينبه عليه بكل قول وفعل يدل على ترشحه لهذه المنزلة و
يستكفيه من اموره وولاياته ما يعلم عنده او يغلب على ظنه صلاحه
لما يريده له وان من يرى الملك مع حضوره وامتداد الزمان وتطاوله
لا يستكفيه شيئا من الولايات ومتى ولاه عزله وانما يولي غيره ويستكفي
سواه لا بد ان يغلب في الظن انه ليس باهل للولاية وان جوزنا ان لم يوله
لاسباب كثيرة سوى انه لا يصلح للولاية الا ان مع هذا التجويز لا بد ان
يغلب على الظن ما ذكرناه فاما خالد وعمرو فانما لم يصلحا للامامة لفقد
شروط الامامة فيهما وان كانا يصلحان لما وليا من الامارة فترك
الولاية مع امتداد الزمان وتطاول الايام وجميع الشروط التي ذكرناها
تقتضي غلبة الظن بفقدها وفقد الصلاح والولاية لشيء لا يدل على
الصلاح لغيره اذا كانت الشرائط في القيام بذلك الغير معلوما فقدها
وقد يجد الملك يولي بعض اموره من لا يصلح للملك بعده لظهور فقد
الشرائط فيه ولا يجوز ان يكون بحضرته من يترشح للملك بعده ثم لا يوليه
على تطاول الزمان شيئا من الولايات فبان الفرق بين الولاية وتركها
فيما ذكرناه فاما امير المؤمنين وان لم يتول جميع امور النبي صلى الله عليه

وآله

وآله في حياته فقد تولى اكثرها واعظمها وخلفه في المدينة وكان الامير
على الجيش المبعوث الى خيبر وجرى الفتح على يديه بعد انهزام من انهزم عنها
وكان المؤدي عنه سورة براءة بعد عزل من عزل عنها وارتجاعها منه الى غير ذلك
من عظيم الولايات والمقامات مما يطول شرحه ولو لم يكن الا انه لم يول
عليه واليا قط لكفى فاما اعتراضه بان امير المؤمنين لم يول الحسين فبعيد
من الصواب لان ايام امير المؤمنين لم يطل فيتمكن فيها من مراده وكانت
على قصرها منقسمة بين قتال الاعداء لانه لا يوقع لم يلبث ان خرج عليه
اهل البصرة فاحتاج الى قتالهم الى قتال اهل الشام وتعقب ذلك
قتال اهل النهروان ولم يستقر به الدار ولا امتد به الزمان وهذا بخلاف
ايام النبي صلى الله عليه وآله التي تطاولت وامتدت على انه قد نص عليه
بالامامة بعد اخيه الحسن وانما تطلب الولايات لغلبة الظن بالصلاح
للامامة فاذا كان هناك وجه يقتضي العلم بالصلاح لها كان اولى من
طريق الظن على انه لا خلاف بين المسلمين ان الحسين كان يصلح للامامة
وان لم يوله ابوه الولايات وفي مثل ذلك خلاف من حال عمر فافترق الامران
فاما قوله انه لم يعتب على عمر بتقصير في الولاية فمن سلم ذلك وليس يعلم ان
مخالفيه يعدون تقصيرا كثيرا ولو لم يكن الا ما اتفق عليه من خطائه
في الاحكام ورجوعه من قول الى غيره واستفتائه الناس في الصغير والكبير
وقوله كل الناس افقه من عمر لكان فيه كفاية وليس كل النهوض بالامامة
يرجع الى حسن التدبير والسياسة الدنيوية ورم الاعمال والاستظهار
في جباية الاموال وتمصير الامصار ووضع الاعشار والامامة من العلم

الاحكام والتفقه في الحلال والحرام والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه
اقوى ممن قصر في هذا لم ينفعه ان يكون كاملاً في ذلك فاما قوله
فلا دلالة فيما روى من قوله صلى الله عليه وآله وان وليتم عمر وجدتموه قوياً
في امر الله قوياً في بدنه فهذا لو ثبت لدل على تقدم القول عليه واقوى
ما يبطله عدول ابي بكر عن ذكره والاحتجاج به لما اراد النص على عمر فعنف
على ذلك وقيل لربك اذا وليت علينا فظاً غليظاً فلو كان صحيحاً
لكان يحتج به ويقول وليت عليكم من شهد النبي صلى الله عليه وآله بانه
قوي في امر الله قوي في بدنه وقد قيل في الطعن على صحة هذا الخبر
ان ظاهره يقتضي تفضيل عمر على ابي بكر والاجماع بخلاف ذلك لان
القوة في الجسم فضل قال الله تعالى ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة
في العلم والجسم وبعد فكيف يعارض ما اعتمدناه من عدوله عليه السلام
عن ولايته وهو امر معلوم بهذا الخبر المردود المدفوع قلت اما ما ادعاه
من عادة الملوك فالامر بخلافه فانا قد وقفنا على سير الاكاسرة وملوك
الروم وغيرهم فما سمعنا ان احداً منهم رشح ولده للملك بعده باستعماله على طرف
من الاطراف ولا جيش من الجيوش وانما كانوا يثقفونهم بالاداب والفروسية
في مقار ملكهم لا غير والحال في ملوك الاسلام كذلك فقد سمعنا بالدولة الاموية
ورأينا الدولة العباسية فلم نعرف العادة التي ادعاها المرتضى وانما
قد يقع في الاقل النادر شيء مما اشار اليه والاغلب الاكثر خلاف ذلك على
ان اصحابنا لا يقولون ان عمر كان مرشحاً للخلافة بعد رسول الله صلى
الله عليه وآله ليقال لهم فلو كان قد رشحه للخلافة بعده لاستكفاه

كثيراً من اموره وانما عمر عندهم مرشح في ايام ابي بكر للخلافة بعد ابي بكر وقد كان
ابو بكر استعمله على القضاء مدة خلافته بل كان هو الخليفة في المعنى لانه
فوض اليه اكثر التدبير فبحسب هذا يكون قد سلمنا ان ترك استعمال النبي صلى الله
عليه وآله لعمر يدل على انه غير مرشح في نظره للخلافة بعده وكذلك نقول ولا
يلزم من ذلك ان لا يكون خليفة بعد ابي بكر على انا لا نسلم انه ما استعمله
فقد ذكر الواقدي وابن اسحاق انه بعثه في سرية في سنة سبع من الهجرة الى
الوادي المعروف بتربة بضم التاء وفتح الراء بها جمع من هوازن فخرج ومعه
دليل من بني هلال فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار واتى الخبر هوازن
فهربوا وجاء عمر محالهم فلم يلق منهم احداً فانصرف الى المدينة ثم يعارض المرتضى
بما ذكر قاضي القضاة من ترك تولية علي ابنه الحسين وقوله في العذر عن
ذلك ان علياً كان ممنواً بحرب البغاة والخوارج لا يدفع المعارضة لان
تلك الايام التي هي ايام حرب ونزاع هي الايام التي كان ينبغي ان يولي الحسين
بعض الامور فيها كاستعماله على جيش يعقد سرية الى بعض الجهات
او استعماله على الكوفة بعد خروجه الى حرب صفين او استعماله على القضاء
ولعل اشتغاله بالحرب وهو يولي بني عمه العباس الولايات والبلاد الجليلة
فاما قوله على انه قد نص عليه بالامامة بعد اخيه الحسن فهذا يغني عن توليته
شيئاً من الاعمال فلقائل ان يمنع ما ذكره من حديث النص فانه امر تنفرد به
الشيعة واكثر ارباب السير والتواريخ لا يذكرون ان امير المؤمنين نص على احد
ان ساغ له ذلك ساغ لقاضي القضاة ان يقول ان قول النبي صلى الله عليه
وآله اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر يغني عن تولية عمر شيئاً من الولايات

لأنّ هذا القول كدر من الولاية في ترشحه للخلافة فأمّا قوله على أنه لا خلاف
وبين المسلمين في صلاحية الحسين للخلافة وان لم يوله ابوه الولايات
ونفي عمر خلاف ظاهر بين المسلمين على صلاحية الحسين للخلافة لا يدفع
المعارضة بل يؤكدها لأنه اذا كان المسلمون قد اجمعوا على صلاحية الخلافة
ولم يكن ترك تولية ابيه اياه الولايات قادحا في صلاحيته لها بعد جاز ايضا
ان يكون ترك تولية رسول الله صلى الله عليه وآله عمر الولايات وحياته غير
قادح في صلاحيته للخلافة بعده فأمّا ما ذكره من تعصب عمر زعم في الخلافة
بطريق اختلافنا احكامه ورجوعه الى فتاوى العلماء فقد ذكرنا ذلك
فيما تقدم لما تكلمنا في مطاعن الشيعة على عمر وما اجبنا عنه وأمّا قوله
لا يغني حسن التدبير والسياسة ودم الامور مع القصور في الفقه فأصحابنا
يذهبون الى انه اذا تساوى الاثنان في خصال الامامة الا انه كان
احدهما اعلم والآخر اسوس فان الاسوس اولى بالامامة لأن حاجة الامامة
الى السياسة وحسن التدبير اكد من حاجتها الى العلم والفقه ولما الخبر الثاني
في عمر وهو قوله وان قولوا عمر فيجوز ان لا يكون لابي بكر سمعه من رسول الله
صلى الله عليه وآله يكون الراوي له غيره ويجوز ان يكون سمعه وشذ عنه
ان يحتج به على طلحة لما انكر عليه استخلاف عمر ويجوز ان لا يكون شذ عنه
وترك الاحتجاج به استغناء عنه لعلمه ان طلحة لا يعتد بقوله عندنا لنا
اذا عارض قوله ولعله كنى عن هذا النص بقوله اذا سألني قلت استخلفت
عليهم خير اهلك على انا متى فتحنا باب هذا احتج فلان بكذا احتج علينا
ما لا قبل لنا به وقيل هذا احتج على طلحة وعائشة والزبير بقوله رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وآله من كنت مولاه فهذا علي مولاه وهلّا احتج عليهم
بقوله له انت مني بمنزلة هرون من موسى ولا يمكن الشيعة ان يعتذروا
ههنا بالتقية لأن السيوف كانت قد سلت من الفريقين فلم يكن
مقام تقية واما قوله هذا الخبر لو صح لاقتضى ان يكون عمر افضل
من ابي بكر وهو خلاف اجماع المسلمين فلقائل ان يقول لم قلت ان المسلمين
اجمعوا على ان ابا بكر افضل من عمر مع ان كتب الكلام والتصانيف المصنفة في
المقالات مشحونة بذكر الفرقة العمرية وهم القائلون عمر افضل من ابي
بكر وهي طائفة عظيمة من المسلمين يقال ان عبد الله بن مسعود
منهم وقد رأينا جماعة من الفقهاء يذهبون الى هذا ويناظرون عليه
على انه لا يدل الخبر الا على قوة البدن فلا يدل على انه افضل منه مطلقا فمن
ان يكون بازاء هذه الخصلة خصال كثيرة من فضائل خصال الخير يفضل بها
علي عمر الا ترى انا نقول ابو دجانة افضل من ابي بكر بجهاده بالسيف في
مقام الحرب ولا يلزم من ذلك ان يكون افضل منه مطلقا لأن في ابي بكر
من خصال الفضل ما اذا قيس بهذه الخصلة اربى عليها اضعافا مضاعفة
الطعن الرابع قالوا ان ابا بكر كان في جيش اسامة وان رسول الله صلى الله
عليه وآله كرر حين موته الامر بتنفيذ جيش اسامة فتأخره يقتضي مخالفة
الرسول صلى الله عليه وآله فان قلتم انه لم يكن في الجيش قيل لكم لا شك ان
عمر بن الخطاب كان في الجيش وانه حبسه ومنعه من النفوذ مع القوم
وهذا كالأول في انه معصية وربما قالوا انه صلى الله عليه وآله جعل هؤلاء
القوم في جيش اسامة ليبعدوا بعد وفاته عن المدينة فلا يقع منهم

على ما ذكره المغني لعمر وان كان
عمر افضل منه باعتباره

على الامامة ولذلك لم يجعل امير المؤمنين ع في ذلك الجيش وجعل فيه ابا بكر
وعمر وعثمان وغيرهم وذلك من اوكد الدلالة على انه لم يرد ان يختاروا للامامة
اجاب قاضي القضاة بان انكر ان يكون ابا بكر في جيش واحال على كتب المغازي
ثم سلم ذلك وقال ان الامر لا يقتضي الفور فلا يلزم من تاخر ابي بكر عن النفوذ ان
يكون عاصيا ثم قال ان خطابه صلى الله عليه وآله بتنفيذ الجيش يجب ان يكون
متوجها الى القائم بعده لانه من خطاب الائمة وهذا يقتضي ان لا يدخل المخاطب
بالتنفيذ في الجملة ثم قال وهذا يدل على انه لم يكن هناك امام منصوص عليه
لانه لو كان لاقبل بالخطاب عليه وخصه بالامر بالتنفيذ دون الجميع ثم ذكر ان
امره صلى الله عليه وآله لا بد ان يكون مشروطا بالمصلحة وبان لا يعرض ما هو اهم
منه لا يجوز ان يامرهم بالنفوذ وان اعقبه ضرر في الدين ثم قوى ذلك بانه
لم ينكر على اسامة تاخره وقوله لم اكن لاسال عنك الركب ثم قال لو كان الامام
منصوصا عليه لجاز ان يسترد جيش اسامة او بعضه لنصرته وكذلك اذا كان
بالاختيار ثم حكى عن الشيخ ابي علي استدلاله على ان ابا بكر لم يكن في جيش
اسامة بانه ولاه الصلوة في مرضه مع تكريره امر الجيش بالنفوذ والخروج ثم
ذكر ان الرسول صلى الله عليه وآله انما امرهم بما يتعلق بمصالح الدنيا من الحروب
ونحوها عن اجتهاده وليس بواجب ان يكون عن وحي كما يجب في الاحكام
الشرعية وان اجتهاده يجوز ان يخالف بعد وفاته وان لم يجز في حيوته
لان اجتهاده في الحيوة اولى من اجتهاد غيره ثم ذكر ان العلة في احتباس
عمر عن الجيش حاجة ابي بكر اليه وقيامه بما لا يقوم به غيره وان ذلك احوط
للدين من نفوذه ثم ذكر ان امير المؤمنين حارب معوية بامر الله تعالى

وامر رسوله

وامر رسوله ومع هذا فقد ترك محاربته في بعض الاوقات ولم يجب بذلك
ان يكون ممتثلا للامر وذكر توليته ع ابا موسى وتولية الرسول صلى الله
عليه وآله خالد بن الوليد مع ما ظهر منهما وان ذلك يقتضي الشرط ثم
ذكر ان من يصلح للامامة ممن ضمه جيش اسامة يجب في الحين ليختار للامامة
احدهم فان ذلك اهم من نفوذهم فاذا جاز لهذه العلة التاخر قبل العقد جاز
التاخر بعده للمعاضدة وغيرها وطعن في قول من جعل اخراجهم في الجيش على جهة
الابعاد لهم من المدينة بان قال ان بعدهم لا يمنع من ان يختاروا للامامة
ولانه عليه السلام لم يكن قاطعا على موته لا محالة لانه لم يرد نفوذ جيش
اسامة في حياته ثم ذكر ان المسيب في كون عمر من جملة جيش اسامة
ان عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي قال عند ولاية اسامة يولي علينا شاب
حدث ونحن مشيخة قريش فقال عمر يا رسول الله مرني حتى اجذب عنقه
فقد طعن في تامير ابيه ثم قال عمر انا اخرج في جيش اسامة تواضعا
وتعظيما لامره عليه السلام اعترض المرتضى هذه الاجوبة قال اما كون ابي
بكر في جملة جيش اسامة فظاهر قد ذكره اصحاب السير والتواريخ
وقد روى البلاذري في تاريخه وهو معروف بالثقة والضبط و
بري من ممايلة الشيعة ومقاربتها ان ابا بكر وعمر معا كانا في جيش
اسامة والانكار لما يجري هذا المجرى لا يغني شيئا وقد كان يجب
على من احال بذلك على كتب المغازي في الجملة ان يومي الى الكتاب
المتضمن لذلك بعينه لنرجع اليه فاما خطابه عليه السلام بالتنفيذ
بالجيش فالمقصود به الفور دون التراخي اما من حيث مقتضى الامر

على مذهب من راى ذلك لغة واثنا عشر ما من جنث وجدنا جميع الامة من لدن
الصحابة الى هذا الوقت يحملون اوامره عليه السلام على الفور ويطلبون
تراخيها للادلة ثم لو لم تثبت كل ذلك لكان قول اسامة لم اكن لاسال
عنك الركبان اوضح دليل على انه عقل من الامر الفور لان سؤال الركب عنه عليه
السلام بعد وفاته لا معنى له واما قول صاحب الكتاب انه لم ينكر على اسامة منهم
با خيره فليس بشيء واى انكار ابلغ من تكراره والامر وترداده القول في
حال يشغل عن المهم ويقطع من الفكر الا فيما وقد يكون الامر على المامور تارة
بتكرار الامر واخرى بغيره واذا سلمنا ان امره عليه السلام كان متوجها
الى القايم بعده بالامر بتنفيذ الجيش بعد الوفاة لم يلزم ما ذكره من خروج
المخاطب بالتنفيذ عن الجملة وكيف يصح ذلك وهو من جملة الجيش والامر
متضمن تنفيذ الجيش والامر متضمن تنفيذ الجيش فلا بد من ان ينفذ
كل من كان في جملته لان تاخر بعضهم يسلب النافذ من اسم الجيش على الاطلاق
وليس مذهب صاحب الكتاب ان الامر بالشيء امر بما لا يتم الا معه وقد
اعتمد على هذا في مواضع كثيرة فان كان خروج الجيش ونفوذه لا يتم الا بخروج
ابي بكر فالامر بخروج الجيش امر لابي بكر بالنفوذ والخروج وكذلك لا يقبل
عليه على سبيل التخصيص وقال نفذوا جيش اسامة وكان هو من
جملة الجيش فلا بد ان يكون ذلك امرا له بالخروج واستدلاله على ان لم
يكن هناك امام منصوص عليه بعموم الامر بالتنفيذ ليس بصحيح لانا قد بينا
ان الخطاب انما توجه الى الحاضرين ولم يتوجه الى الامام بعده على ان هذا لازم
له لان الامام بعده لا يكون الا واحدا فلم عمم الخطاب ولم يفرد به الواحد

فيقول لينفذ القايم بعدي بالامر جيش اسامة فان الحال لا يختلف
في كون الامام بعده عليه السلام هذا او واحدا بين ان يكون منصوصا
عليه او مختارا واما ادعاؤه الشرط في امره عليه السلام لهم بالنفوذ فباطل
لان اطلاق الامر يمنع من اثبات الشرط وانما يثبت من الشروط ما يقتضي
الدليل اثباتها من التمكن والقدرة لان ذلك شرط ثابت في كل امر ورد من حكيم
والمصلحة بخلاف ذلك لان الحكيم لا يامر بشرط المصلحة بل اطلاق الامر منه يقتضي
ثبوت المصلحة وانتفاء المفسدة وليس كذلك التمكن وما يجري مجراه ولهذا
لا يشترط احد في اوامر الله تعالى ورسوله بالشرايع المصلحة وانتفاء المفسدة
وشرطوا في ذلك التمكن ورفع التعذر ولو كان الامام منصوصا عليه بعينه واسمه
لما جاز ان يستر جيش اسامة بخلاف ما ظنه ولا ان يعزل ما ولاه بعزله
السلام ولا يولي من عزله للعلة التي ذكرناها فاما استدلاله على ان ابا
بكر لم يكن في الجيش بحديث الصلوة فاول ما فيه انه اعتراف بان الامر بتنفيذ
الجيش كان في الحال دون بعد الوفاة وهذا ناقض لما بني صاحب الكتاب
عليه امره عليه السلام ثم انا قد بينا انه عليه السلام لم يول الصلوة وذكرنا ما في
ذلك ثم ما المانع من ان يوليه تلك الصلوة ان كان ولاه اياها ثم يامره بالنفوذ
من بعد مع الجيش فان الامر بالصلوة في تلك الحال يقتضي امره بها على التابيد
واما دعاؤه ان النبي صلى الله عليه وآله يامر بالحروب وما يتصل بها عن اجتهاد
دون الوحي فمعاذ الله ان يكون صحيحا لان حروبه عليه السلام لم تكن مما يخص
بمصالح امور الدنيا بل الدين فيها اقوى تعلق لما يعود على الاسلام واهله
بفتوحه من العز والقوة وعلو الكلمة وليس يجري ذلك مجرى اكله وشربه

ونحو منه لان ذلك لا تعلق له بالدين فيجوز ان يكون عن رايه ولو علمنا ان يكون
مقاديره ويعود مع التعلق القوى لها بالدين عن اجتهاد لجاز ذلك في
الاحكام ثم لو كان ذلك عن اجتهاد لما ساغت مخالفته فيه بعد وفاته
كما كان يسوغ في حياته وكل عقد تم من احد الامرين هي مانعة من الاخر فاما
الاعتذار عن جيش فباطل لانا قد قلنا ان ما يامر به عليه السلام لا يسوغ
مخالفته مع الامكان ولا مراعاة فلما عساه يعرض فيه من راى عمره واى حاجة
الى عمر بعد تمام العقد واستقراره ورضا الامة به على مذهب المخالف واجماعها
عليه ولم يكن هناك فتنة ولا تنازع ولا اختلاف يحتاج فيه الى مشاورته
وتدبيره وكل هذا تعلل باطل فاما محاربة امير المؤمنين معاوية فانما كان مامورا
بها مع التمكن ووجود الانصار وقد فعل من ذلك ما وجب عليه لما تمكن منه
فاما مع التعذر وفقد الانصار فيما كان مامورا وليس كذلك القول في جيش
اسامة لان تاخر من عنه كان مع القدرة والتمكن واما تولية ابي موسى فلا ادرى
كيف تشبيهها بما نحن فيه لانه انما ولاه بان يرجع الى كتاب الله تعالى فيحكم
فيه وفي خصمه بما يقتضيه وابو موسى فعل خلاف ما جعل اليه فلم يكن ممتثلا
لامر من ولاه وكذلك خالد بن الوليد انما خالف ما امر به الرسول فتبرا في
فعله وكل هذا لا يشبه امره عليه السلام بتنفيذ جيش اسامة امرا مطلقا وتاكيده
ذلك وتكراره له فاما جيش اسامة فانه لم يضم من يصلح للامامة فيجوز
تاخيرهم ليختار في احدهم ما ظنه صاحب الكتاب على ان ذلك لو صح ايضا
لم يكن عذرا في التاخر لان من خرج في الجيش يمكن ان يختار وان كان بعيد
ولا يمنع بعده من صحة الاختيار وقد صرح صاحب الكتاب بذلك لو صح هذا العذر

لكان عذرا في التاخر قبل العقد فاما بعده فلا من لا عذر فيه والمعاهدة التي ادعاها
قد بينا ما فيها فاما ما ادعاه صاحب الكتاب من ادخاله من جعل اخراج القوم
في الجيش ليتم امر النص بعده لا يمنع ان تختاروا للامامة فيدل على انه لم
يتبين معنى هذا الطعن على حقيقته لان الطاعن به لا يقول انه ابعدهم
لا يجيء بنصب بعده في الارض من نص عليه ولا يكون هناك من يخالفه وينازع زعم
فاما قوله لم يكن عليه السلام قاطعا على موته فلذلك لا اقتصر تسليم النبي كان خائفا
ومشفقا وعلى الخائف ان يتحرز مما يخاف منه فاما قوله انه لم يرد نفوذ الجيش
في حياته فقد بينا ما فيه فاما ولاية اسامة على من ولي عليه فلا شبهة
من اقتضائها الفضله على الجماعة فيما كان واليا فيه وقد دللنا فيما تقدم
من الكتاب على ان ولاية المفضول على الفاضل فيما كان افضل منه فيه قبيحة
وكذلك القول في ولاية عمرو بن العاص عليهما والقول في الامرين واحد وقوله
ان احدا لم يدع فضل اسامة على ابي بكر وعمر فليس الامر على ما ظنه لان من ذهب الى
فساد امامة المفضول لا بد من ان يفضل اسامة عليهما فيما كان واليا فيه فاما ما ادعاه
مما ذكره من التسبب في دخول عمر في الجيش مما نعرفه ولا وقفنا عليه الا من كتابه
لو صح لم يغن شيئا لان عمر لو افضل من اسامة لمنعه الرسول عليه السلام من الدخول
في امارته والمرتب لولايته والتراضي لا يقتضي فعل القبيح قلت ان الكلام في هذا
الفصل قد تشعب شعبا كثيرة والمرتضى رحمه الله لا يورد كلام قاضي القضاة
بنصه وانما يختصره ويورده مسبورا ويومي الى المعاني ايماء لطيفا او عرضه
الايجاز ولو اورد كلام قاضي القضاة بنصه لكان اليق وكان ابعد عن الظنة
وادفع لقول قائل من خصومه انه يحرف كلام قاضي القضاة ويذكره على غير

وجهه الا ان يكون من نصب نفسه لاختصار كلام فقد ظن على
نفسه ان قد فهم معاني ذلك الكلام حتى يصح منه اختصاره ومن الجائز
ان يظن ان قد فهم بعض المواضع ولم يكن قد فهمه على الحقيقة فيختصر ما في
تصنيف ذلك الشخص وان اناس يورد كلام الناس بقيمته فقد استراح من
هذه التبعة وعرض عقل غيره نفسه على الناظرين والسامعين ثم يقول ان
هذا الفصل ينقسم اقساما منها قول قاضي القضاة لا نسلم ان ابا بكر كان في جيش
اسامة فاما قول المرتضى انه قد ذكره ارباب السير والتواريخ وقوله ان البلاذري
ذكر في تاريخه وقوله هلا عين قاضي القضاة الكتاب الذي ذكر انه
يتضمن عدم كون ابي بكر في ذلك الجيش فان الامر عندي في هذا الموضع
مشتبه والتواريخ مختلفة في هذه القصة فمنهم من يقول لم يكن وما اشار
قاضي القضاة بقوله في كتب المغازي ان الالى امر صحيح ولم يكن من يستحل
الباطل في دينه ولا في رياسته ذكر الواقدي في كتاب المغازي ان ابا بكر لم يكن
في جيش اسامة وانما كان عمر وابو عبيدة وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد
ابن عمرو بن نفيل وقتادة بن النعمان وسلمة بن [illegible] ورجال كثير من المهاجرين والانصار
قال وكان المنكر لامارة اسامة عياش بن ابي ربيعة وغير الواقدي يقول
عبد الله بن عباس وقد قيل عبد الله بن عياش وقد قيل عبد الله بن ابي
ربيعة اخو عياش وقال الواقدي وجاء عمر بن الخطاب فودع رسول الله
صلى الله عليه وآله ليسير مع اسامة وقال جاء ابو بكر فقال يا رسول الله اصبحت
مفيقا بحمد الله واليوم يوم ابنة خارجة فأذن لي فأذن له فذهب الى منزله
بالسنح وسار اسامة في العسكر وهذا تصريح بان ابا بكر لم يكن في جيش اسامة

مشتبه

ابا بكر لم يكن في جيش
اسامه

وكثير من المحدثين يقولون بل كان في جيشه فاما ابو جعفر محمد بن جرير
الطبري فلم يذكر انه كان في جيش اسامة الا عمر قال ابو جعفر حدثني السدي
باسناد ذكره ان رسول الله صلى الله عليه وآله ضرب قبل وفاته بعثا على اهل
المدينة ومن حولهم وفيهم عمر بن الخطاب وامر عليهم اسامة بن زيد فلم يجاوز
آخرهم الخندق حتى قبض رسول الله فوقف اسامة بالناس ثم قال لعمر ارجع الى
خليفة رسول الله فاستأذنه يأذن لي ارجع الى خليفة رسول الله فاستأذنه
يأذن لي ارجع بالناس فان معي وجوه الصحابة ولا آمن على خليفة رسول الله
ولا ثقال المسلمين ان يتخطفهم المشركون بدخول المدينة وقالت الانصار لعمر
فان ابى الا ان يمضي فابلغه عنا واطلب اليه ان يولي رجلا اقدم سنا من اسامة
فخرج عمر بامر اسامة فاتى ابا بكر فاخبره بما قال اسامة فقال ابو بكر لو تخطفتني
الكلاب والذئاب لم ارد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وآله قال فان الانصار
امروني ان ابلغك انهم يطلبون اليك ان تولي امرهم رجلا اقدم سنا من اسامة
فوثب ابو بكر وكان جالسا فاخذ بلحية عمر وقال ثكلتك امك يا ابن الخطاب
استعمله رسول الله وتأمرني ان انزعه فخرج عمر الى الناس فقالوا له ما صنعت قال
امضوا ثكلتكم امهاتكم ما لقيت في سبيلكم اليوم من خليفة رسول الله ثم خرج ابو بكر
حتى اتاهم فاشخصهم وشيعهم وهو ماش واسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف
يقود دابة ابي بكر فقال له اسامة يا خليفة رسول الله لتركبن او لانزلن فقال والله
لا تنزل ولا اركب وما علي ان اغبر قدمي في سبيل الله ساعة فان للغازي بكل
خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وسبعمائة تمحى
بجماعة حتى اذا انتهى قال لاسامة ان رأيت ان تعينني بعمر فافعل فاذن له ثم قال

ايها الناس قفوا حتى اوصيكم بعشر فاحفظوها عني لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا
ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا
نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكلة
وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم للعبادة في الصوامع فدعوهم وما فرغوا
انفسهم له وسوف تقدمون على اقوام يأتونكم بصحاف فيها الوان الطعام فلا تأكلوا
من شيء حتى تذكروا اسم الله عليه وسوف تلقون اقواما قد فحصوا اوساط رؤوسهم
وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيوف خفقا افناهم الله بالطعن
والطاعون سيروا على اسم الله واما قول الشيخ ابو علي يدل على انه لم يكن في
جيش اسامة امره اياه بالصلوة وقول المرتضى هنا اعتراف بان الامر بتنفيذ
الجيش كان في الحال دون ما بعد الوفاة وهذا ينقض ما بنى عليه قاضي القضاة
امره فلقائل ان يقول انه لا ينقض ما بناه لان قاضي القضاة ما قال ان الامر
بتنفيذ الجيش ما كان الا بعد الوفاة بل قال انه امره وان الامر على التراخي فلو
نفذ الجيش في الحال لجاز ولو تأخر الى بعد الوفاة لجاز فاما انكار المرتضى
ان تكون صلوة ابي بكر بالناس كانت عن امر رسول الله صلى الله عليه
وآله فقد ذكرنا ما عندنا في هذا فيما تقدم واما قوله يجوز ان يكون
امره بصلوة واحدة او صلاتين ثم امره بالنفوذ بعد ذلك فهذا العمر
جائز وقد يمكن ان يقال انه خرج متحاملا من شدة المرض فتأخر ابو بكر عن
مقامه وصلى الله بالناس امره بالنفوذ مع الجيش [illegible] رسول
الله صلى الله عليه وآله في اثناء ذلك اليوم فاستمر ابو بكر في الصلوة الى ان
توفي عليه السلام فقد جاء في الحديث انه سكت وان اسامة دخل

رسول

اليه

اليه فلم يستطع كلاما لكنه كان يرفع يديه ويضعهما عليه كالداعي له ويمكن
ان يكون زمان هذه السكتة قد امتد يوما او يومين وهذا الموضع من المواضع
المشتبهة عندي ومنها قوله قاضي القضاة ان الامر على التراخي فلا يلزم
من تأخر ابي بكر عن النفوذ ان يكون عاصيا فاما قول المرتضى الامر على الفور
اما لغة من قال به او شرعا لاجماع الكل على ان الاوامر الشرعية على الفور الا
ما خرج بالدليل فالظاهر في هذا الموضع صحة ما قاله المرتضى لان قرائن
الاحوال عندي من نقل السير ويعرف التواريخ تدل على ان الرسول عليه السلام
كان يحثهم على الخروج والمسير وهذا هو الفور فاما قول المرتضى وقول
اسامة لم اكن لاسأل عنك الركب اوضح دليل على انه عقل من الامر الفور
لان سؤال الركب عنه بعد الوفاة لا معنى له فلقائل ان يقول ان ذلك
لا يدل على الفور بل يدل على انه مأمور في الجملة بالنفوذ والمسير وان التعجيل
والتأخير مفوضان الى رأيه فلما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تأخرت
عند المسير قال لم اكن لاسير وانا اسأل عنك الركب اي انتظرت عافيتك فاني
اذا سرت وانت على هذه الحال لم يكن في قلبي الجهاد بل اكون قلقا شديد
الجزع اسأل عنك الركبان وهذا الكلام لا يدل على انه عقل من الامر الفور
لا محالة بل هو على ان يدل على التراخي اظهر وقول النبي صلى الله عليه وآله
لم تأخرت عن المسير لا يدل على الفور لانه قد يقال لمثل ذلك لمن يؤمر بالشيء
على جهة التراخي اذا لم يكن سؤال انكار وقول المرتضى لان سؤال الركب عنه
بعد الوفاة لا معنى له قول من توهم على قاضي القضاة ذلك وانما ادعى
ان الامر على التراخي لا غير وكيف يظن بقاضي القضاة انه حمل كلام اسامة

على سائر الركب بعد الموت ولو كان اسامة يعلم الغيب فيقول ذلك وهل
سال احد عن حال احد من المرتضى بعد فاما قول المرتضى عقيب هذا
الكلام ولا معنى لقول قاضي القضاة انه لم ينكر على اسامة تأخره فان
الانكار قد يقع بتكرار الامر حالا فلقائل ان يقول ان قاضي القضاة
لم يجعل عدم الانكار على اسامة حجة على كون الامر على التراخي وانما جعل
ذلك دليلا على ان الامر مشروطا بالمصلحة ومن تامل قاضي القضاة
الذي حكاه عنه المرتضى تحقق ذلك فلا يجوز للمرتضى ان ينتزع عن الموضع
الذي ورده فيه فيجعل في موضع آخر ومنها قول قاضي القضاة الامر
بتنفيذ الجيش بحيث ان يكون متوجها الى الخليفة بعده والمخاطب
لا يدخل تحت الخطاب واعتراض المرتضى عليه بان لفظة الجيش يدخل
تحتها ابو بكر فلا بد من وجوب النفوذ عليه لان عدم نفوذه لسلب الجماعة
اسم الجيش فليس بجيد لان لفظة الجيش لفظة موضوعة لجماعة من الناس
قد اعتدت للحرب فاذا خرج منها واحد او اثنان لم يزل مسمى الجيش عن الباقين
والمرتضى اعتقد ان ذلك مثل الماهيات المركبة نحو العشرة اذا عدم منها واحد زال
مسمى العشرة وليس الامر كذلك يبين ذلك انه لو قال بعض الملوك لما يتراءى الناس [?]
انتم جيش لم يزل [?] الواحد منهم اذا مات فاعط كل واحد من جيشي درهما من
خزائني فقد جعلتك اميرا عليهم لم يكن له ان يأخذ لنفسه درهما ويقول
انا من جملة الجماعة الذين اطلق عليهم لفظ الجيش ومنها قوله قاضي القضاة
هذه القضية تدل على انه لم يكن هناك امام منصوص عليه واما قول المرتضى
قد بينا ان الخطاب انما توجه الى الحاضرين لا الى القائم بالامر بعده فلم

يجد

يجد في كلامه في هذا الفصل بطوله ما يبين فيه ذلك ولا اعلم على ماذا
احال ولو كان قد بين كان زعم ان الخطاب متوجه الى الحاضرين لكان
الاشكال قائما لانه يقال اذا كان الامام المنصوص عليه حاضرا عنده فلم
وجه الخطاب الى الحاضرين الا ترى انه لا يجوز ان يقول الملك للرعية
انفذوا بين يدي هذين الشخصين والقاضي حاضر عنده الا اذا كان قد عزل
له عن القضاء في تلك الواقعة الى الرعية فاما قول المرتضى هذا ينقلب
عليكم فليس ينقلب وانما ينقلب لو كان يريد تنفيذ الجيش بعد موته
فقط ولا يريده وهو حي فكان يجيء ما قاله المرتضى لينفذ القائم بالامر
بعده جيش اسامة فاما اذا كان يريد نفوذ الجيش من حين ما امر بنفوذه
فقد سقط النقض [?] لان الخليفة ح لم يكن قد تعين لان الاختيار ما وقع
بعد وعلى مذهبه يعني الامام متعين حاضر عنده نصب عينيه فافترق
الموضعان ومنها قول قاضي القضاة ان مخالفة امره صلى الله عليه في النفوذ
مع الجيش او في انفاذ الجيش لا يكون معصية ويبين ذلك من وجوه احدها
ان امره عليه السلام بذلك لا بد ان يكون مشروطا بالمصلحة وان لا يعرض
ما هو اهم من نفوذ الجيش لانه لا يجوز ان يامرهم بالنفوذ وان اعقبه ضرر في
الدين واما قول المرتضى الامر المطلق يدل [?] بشرط المصلحة كما يقول
في التمكين من الفعل انه مشروط وان لم يصرح به لان الحكيم لا يامر الا بالمصلحة
فقول جيد اذا اعترض به على الوجه الذي اورده قاضي القضاة واما
اذا اورده اصحابنا على وجه آخر فانه يندفع كلام المرتضى وذلك انه يجوز تخصيص
عمومات النص بالقياس الجلي عند كثير من اصحابنا على ما هو مذكور في اصول الفقه

وجه آخر

فلم لا يجوز لأبي بكر ان يخص عموم قوله انفذوا بعث اسامة لمصلحة غلبت
على ظنه في عدم نفوذه نفسه كالمفسدة غلبت على ظنه في نفوذه مع البعث
وثانيهما انه عليه السلام كان يبعث السرايا عن اجتهاد لا عن وحي وتحريم مخالفته
فاما قول المرتضى ان للدين تعلقا قويا بامثال ذلك وانها ليست
من الامور الدنياوية المحضة نحو اكله وشربه ونومه قال لانه يعود على
الاسلام بفتوح عز وقوة وعلو كلمة فيقال له واذا اكل اللحم وقوي مزاجه
بذلك ونام نوما طبيعيا نزول عنه المرض والاعيا اقتضى ذلك ايضا
عز الاسلام وقوته فقل اذا ذلك ايضا عن وحي ثم ان الذي يقتضيه من
وعن واته وحروبه من العز وعلو الكلمة لا ينافي كون تلك الغزوات
والحروب باجتهاد لانه لا منافاة بين اجتهاد وبين عز الدين وعلو
كلمة بحروبه وانما الذي ينافي الاجتهاد بالرأي هو مثل فرايض الصلوات
ومقادير الزكوة ومناسك الحج ونحو ذلك من الاحكام التي تشعر بانها
متلقاة عن محض الوحي وليس للرأي والاجتهاد فيها مدخل وايضا فان الصحابة
كانوا يراجعونه في الحروب وآرائه التي يدبرها بها ويرجع عليه السلام
اليهم في كثير منها بعد ان كان قد رأى رأيا واما الاحكام فلم يكن يراجع فيها
اصلا فكيف يحمل احد البابين على الآخر فاما قوله لو كانت عن اجتهاد
لوجب ان يحرم مخالفته فيها بعد موته كما يحرم مخالفته وهو حي لا فرق
بين الحالين فلقايل ان يقول القياس يقتضي ما ذكرت الا انه وقع
الاجماع على انه لو كان او في الحروب والجهاد ما هو باجتهاد لما جازت
مخالفته والعمل على مذهبه وهو حي لم يختلف احد من المسلمين

في ذلك

في ذلك اجازوا مخالفته بعد وفاته بتقدير ان يكون ما صدر اليه عن اجتهاد
والاجماع حجة فاما قول قاضي القضاة لان اجتهاده وهو حي اولى من
اجتهاد غيره فليس يكاد يظهر لان اجتهاده وهو ميت اولى ايضا من اجتهاد
غيره وتغليب على ظنهم ثم فرقوا بين حالتي الحيوة والموت فان في
مخالفته وهو حي نوع اذى له واذاه محرم لقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله والاذى بعد الموت لا يكون فقد افترق الحالات وثانيهما انه لو كان
الامام منصوصا عليه لجاز ان يسترد جيش اسامة او بعضه لنصرته فكذلك
اذا كان بالاختيار وهذا قد منع منه المرتضى وقال انه لا يجوز للمنصوص عليه
ذلك ولان يرتجع من عزله رسول الله ولا ان يعزل من ولاه رسول الله وربما
انه عليه السلام ترك حرب معوية في بعض الحالات ولم يوجب ذلك ان يكون
عاصيا فكذلك ابو بكر في تركه النفوذ في جيش اسامة فاما قول المرتضى
ان عليا كان مأمورا بحرب معوية مع التمكن ووجود الانصار وقد عدم التمكن
لما استخلف فانه قد تحمل اعباء الامامة فلم يكن مأمورا والحال هذه بالنفوذ
في جيش اسامة فان قلت الاشكال عليكم انما هو من قبل الاستخلاف
كيف جاز لابي بكر ان يتأخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قلت لعل
اسامة اذن له فهو مأمور بطاعته ولانه راى اسامة وقد عاد بالكلية فعاد
هو لانه لم يكن يمكنه ان يسير الى الروم وحده وايضا فان اصحابنا قالوا ان
ولاية اسامة بطلت بموت النبي صلى الله عليه وعاد الامر الى راي من نصب
للامر قالوا لان تصرف اسامة انما كان من جهة النبي صلى الله عليه وآله فزال
تصرف النبي صلى الله عليه بموته فوجب ان تزول تصرف اسامة لان تصرفه

واجازوا

تبع لتصرف الرسول صلى الله عليه قالوا وذلك كالوكيل يبطل وكالته بموت
الموكل قالوا ويفارق الوصي لان ولايته لا تثبت الا بعد موت الموصي فهو
كعهد الامام الى غيره لا يثبت الا بعد موت الامام ثم فرع اصحابنا على هذا
الاصل مسئلة وهو ان الحاكم هل ينعزل بموت الامام ام لا فقال قوم من اصحابنا
لا ينعزل و يتوجه على ان التولي من غير جهة الامام يجوز فجعلوا الحاكم نائبا
عن المسلمين اجمعين لا عن الامام وان وقف تصرفه على اجتهاده ورضاه وذلك
عندهم بمنزلة ان يختار المسلمون واحدا يحكم بينهم ثم يموت من رضي بذلك
تصرفه يبقى على ما كان عليه وقال قوم من اصحابنا ينعزل وان هذا النوع من
التصرف لا يستفاد الا من جهة الامام ولا يقوم به غيره واذا ثبت ان امارة اسامة
بطلت ولا يلزم من يتعرض على ابي بكر في الرجوع من بعض الطريق الى المدينة
وخامسها ان امير المؤمنين ولى ابا موسى الحكم وولى رسول الله صلى الله عليه
خالد بن الوليد السرية الى الغميصاء وهذا الكلام انما ذكره قاضي
القضاة تتميما لقوله ان امره عليه السلام بنفوذ بعث اسامة كان مشروطا
باتباع القرآن وكان تولية رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد
كانت مشروطة فكذلك امره صلى الله عليه وآله جيش اسامة بالنفوذ كان
مشروطا بالمصلحة وان لا يعرض ما يقتضي رجوع الجيش او بعضه الى المدينة
وقد سبق القول فكذلك امره مشروطا وسادسها ان ابا بكر كان محتاجا
الى مقام عمر عنده ليعاضده ويقوم في تمهيد امر الامامة ما لا يقوم غيره وكان
ذلك اصلح في باب الدين من مسيره مع الجيش فاذن يجب عنده لذلك وهذا
الوجه مختص بمن قال ان ابا بكر لم يكن في الجيش وانما يصلح عذره في حبس عمر عن

ثم تتبع

النفوذ

النفوذ مع الجيش فاما قول المرتضى ان ذلك غير جائز لان مخالفة النص
حرام فقد قلنا ان هذا مبني على مسئلة تخصيص العمومات الواردة في
القرآن بالقياس واما قوله اي حاجة لابي بكر الى عمر بعد وقوع البيعة
ولم يكن هناك تنازع ولا اختلاف فعجيب وهل كان لولا مقام عمر وحضوره
في تلك المقامات يتسم لابي بكر امر وينتظم له حال ولولا عمر لما بايع علي ولا
الزبير ولا اكثر الانصار والامر في هذا اظهر من كل ظاهر وسابعها ان من يصلح
للامامة ممن ضمه جيش اسامة يجب تأخرهم ليختاروا للامامة احدهم فان ذلك
اهم من نفوذهم فاذا جاز لهذه العلة التأخر قبل العقد جاز التأخر بعده
للمعاضدة وغيرها فاما قول المرتضى ان ذلك الجيش لم يضم من يصلح للامامة
فبناء على مذهبه في ان كل ليس معصوم لا يصلح للامامة فاما قوله ولو صح ذلك
لم يكن عذرا في التأخر لان من خرج في الجيش يمكن ان يختار ولو كان بعيدا
ولا يمنعه بعده من صحة الاختيار فلقائل ان يقول دار الهجرة هي التي فيها
اهل الحل والعقد واقارب رسول الله صلى الله عليه وآله والقراء واصحاب السقيفة
فلا يجوز العدول عن المشاورة فيها الى الاختيار على البعد وعلى جناح السفر من
غير مشاورة من ذكرناه من اعيان المسلمين فاما قوله من غير مشاورة العقد
لكان عذرا في التأخر قبل ان يقول لما بعد ابرامه فلا عذر فيه فلقائل ان يقول
اذا جوزت التاخر قبل العقد لنوع من المصلحة فاجز التاخر بعد العقد
لنوع آخر من المصلحة وهي المعاضدة والمساعدة بهذه الوجوه التسعة
كلها البيان قوله تاخر ابي بكر وعمر عن النفوذ في جيش اسامة وان كان
مأمورا بالنفوذ ثم نعود الى تمام اقسام الفصل ومنها قول قاضي القضاة لا معنى

فيجب

ولولا عمر لما

لقول من قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله قصد ابعادهم عن المدينة
لان بعدهم عنها لا يمنعهم من ان يختاروا واحدًا منهم للامامة ولانه
عليه السلام لم يكن قاطعًا على موته لا محالة لانه يرد نفذوا جيش اسامة في
حيوته وقد اعترض المرتضى هذا فقال انه لم يتبين معنى الطعن لان الطاعن
لا يقول انهم ابعدوا عن المدينة كي لا يختاروا واحدا للامامة بل يقول انما
بعدوا عن المدينة لينتصب بعد موته صلى الله عليه وآله في المدينة الشخص
الذي نص عليه ولا يكون حاضرًا بالمدينة من يخالفه وينازعه وليس بضرر ان لا
يكون صلى الله عليه وآله قاطعًا على موته لانه وان لم يكن قاطعًا فهو لا محالة يشفق
ويخاف من الموت وعلى الخائف ان يتحرز مما يخاف منه وكلام المرتضى في هذا
الموضع اظهر من كلام قاضي القضاة ومنها قول قاضي القضاة ان ولاية اسامة
عليهما لا يقتضي كونهما دونه في الفضل كما ان عمرو بن العاص لما ولي عليهما
لم يقتض كونه افضل منهما وقد اعترض المرتضى هذا بانه يقبح تقديم المفضول
على الفاضل فيما هو افضل منه وان تقديم عمرو بن العاص عليهما في الامرة يقتضي
ان يكون افضل منهما فيما يرجع الى الامرة والسياسة لا يقتضي افضليته عليهما
في غير ذلك وكذلك القول في اسامة ولقائل ان يقول ان الملك قد يؤمر من
الامراء على الجيوش لوجهين احدهما ان يقصد الملك بتأمير ذلك الشخص ان
يسوس الجيش ويدبره لفضل رأيه وشيخوخته وقديم تجربته وما عرف من
يمن نقيبته في الحرب وقود العساكر والثاني ان يؤمر على الجيش غلامًا حدثًا
من غلمانه او من ولده او من اهله ويأمر الاكابر من الجيش ان يثقفوه ويعلموه بالمراد و
يتدبر بتدبيرهم ويرجع الى رأيهم ويكون قصد الملك من ذلك تخريج ذلك الغلام

وتمرينه

وتمرينه على الامارة وان يثبت له في نفوس الناس منزلة وان يرشحه لجلائل
الامور ومعاظم الشؤون ففي الوجه الاول يقبح تأمير المفضول على الفاضل وفي
الوجه الثاني لا يقبح فلم لا يجوز ان يكون تأمير اسامة عليهما من قبيل الوجه
الثاني والحال يشهد لذلك لان اسامة كان غلامًا لم يبلغ ثماني عشرة سنة
حين قبض النبي صلى الله عليه وآله فمن اين حصل له تجربة الحرب وممارسة
الوقائع وقود الجيوش ما يكون به اعرف بالامر من ابي بكر وعمر وابي عبيدة
وسعد بن ابي وقاص وغيرهم ومنها قول قاضي القضاة ان السبب في كون عمر في
الجيش ان ابا بكر على عبد الله بن عباس بن ابي ربيعة يسخط امرة اسامة وقال
انا اخرج في جيش اسامة فخرج من تلقاء نفسه تعظيما لامر رسول الله صلى الله
عليه وآله وقد اعترضه المرتضى فقال هذا شيء لم نسمعه من راوٍ ولا قرأناه في
كتاب وصدق المرتضى فيما قال فان هذا حديث غريب لا يعرف واما قول
عمر دعني اضرب عنقه فقد نافق فمنقول مشهور لا محالة وانما الغريب الذي
لم يعرف كون عمر خرج من تلقاء نفسه في الجيش مراغمة لعبد الله بن عباس بن ابي
ربيعة حيث انكر ما انكر ولعل قاضي القضاة سمعه من راوٍ او نقله من كتاب الا
انا نحن ما وقفنا على ذلك الطعن الخامس قالوا انه صلى الله عليه وآله لم يول ابا
بكر الاعمال وولى غيره ولما ولاه الحج بالناس وقراءة سورة براءة على الناس عزله عن
ذلك كله وجعل الامر الى امير المؤمنين وقال لا يؤدي عني الا انا او رجل مني حتى
رجع ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وآله اجاب قاضي القضاة فقال لو سلمنا
انه لم يوله لما دل ذلك على نقص ولا على انه لا يصلح للامارة والامامة بل لو
قيل انه لم يوله لحاجته اليه بحضرته وان ذلك رفع له كان اقرب لا سيما وقد روي

عنه عليه السلام ما يدل على انهما وزيراه وانه كان محتاجا اليهما والى بانهما
فلذلك لم يولهما ولو كان للمفضل على تركه مفضل كان عمرو بن العاص و خالد بن
الوليد وغيرهما افضل من اكابر الصحابة لانه عليه السلام ولاهما وقدمهما وقد
قدمنا ان توليته بحسب الصلاح وقد يولى المفضول على الفاضل تارة والفاضل
اخرى وربما ولى الواحد لاستغنائه عنه بحضرته وربما ولاه لانفصال بينه وبين
من يولى عليه الى غير ذلك فاما ادعاؤه ان ولاية ابي بكر على الموسم والحج قد ثبتت بلا خلاف
بين اهل الاخبار ولم يصح انه عزل ولا يدل رجوع ابي بكر الى النبي صلى الله عليه وآله
مستفهما عن القصة على العزل ثم جعل انكار من انكر حج ابي بكر في تلك السنة
بالناس كانكار عباد وطبقته اخذ امير المؤمنين سورة براءة من ابي بكر [illegible]
عن ابي بكر على ان الحج كان في اخذ السورة من ابي بكر ان عادة العرب ان سيدا
من سادات قبائلهم اذا عقد عقدا للقوم فان ذلك العقد لا ينحل الا ان يحله هو
او بعض سادات قومه فلما كان هذا عادتهم واراد النبي عليه السلام ان ينبذ اليهم
عهدهم وينقض ما كان بينه وبينهم علم انه لا يحل ذلك الا هو او سيد
من سادات رهطه فعدل عن ابي بكر الى امير المؤمنين للقرب في النسب ثم ادعى
الله عليه السلام ولى ابا بكر في مرضه الصلاة وذلك اشرف الولايات وقال في
ذلك يابى الله ورسوله والمسلمون الا ابا بكر ثم اعترض نفسه بصلوته عليه السلام
خلف عبد الرحمن بن عوف واجاب بانه عليه السلام انما صلى خلفه لا انه ولاه الصلاة
وقدمه فيها قال وانما قدمه وقد ضاق الوقت فجاء النبي فصلى خلفه واعترض [illegible]
فقال قد بينا ان تركه عليه السلام الولاية لبعض اصحابه مع حضوره وامكان [illegible]
والعدول عنه الى غيره مع تطاول الزمان وامتداده لا بد من ان يقتضي غلبة الظن

عبد الرحمن عند غيبة النبي صلعم فصلى بغير امره صلعم

بانه

بانه لا يصلح للولاية فاما ادعاؤه انه لم يولهما لافتقاره اليهما بحضرته وحاجته
الى تدبيرهما ورايهما فقد بينا انه عليه السلام ما كان يفتقر الى راي احد وانما
كان يشاور اصحابه على سبيل التعليم لهم والتاديب او لغير ذلك مما قد ذكر بعد
فكيف استمرت هذه الحاجة واتصلت منه اليهما حتى لم يستغن في زمان
من الازمان عن حضورهما فيوليهما وهل هذا الا قدح في راي رسول الله صلى الله
عليه وآله ونسبة له الى انه كان يحتاج الى ان يوقف على كل شيء وقد نزهه الله
الله تعالى عن ذلك فاما ادعاؤه ان الرواية قد وردت بانهما وزيراه فقد كان
يجب ان يصحح ذلك قبل ان يعتمده ويحتج به فانا ندفعه عنه اشد دفع فاما ولاية
عمرو بن العاص وخالد بن الوليد فقد تكلمنا عليهما من قبل وبينا ان ولايتهما
تدل على صلاحهما لما ولياه ولا تدل على صلاحهما للامامة لان شرائط الامامة لم
تتكامل فيهما وبينا ايضا ان ولاية المفضول على الفاضل لا يجوز فاما تعظيمه
واكباره قول من يذهب الى ان ابا بكر عزل عن اداء براءة والموسم جميعا وجمعه بين
ذلك في البعد وبين انكار عباد ان يكون امير المؤمنين ارتجع سورة براءة
من ابي بكر فاول ما فيه انا لا ننكر ان يكون اكثر الاخبار واردة بان ابا بكر حج بالناس
في تلك السنة الا انه قد روى قوم من اصحابنا خلاف ذلك وان امير المؤمنين حج في
تلك السنة وان عزله للرجل كان عن الامرين واستكبار ذلك ونفيه خلاف لا يقتضي
له فاما ما حكاه عن عباد فانا لا نعرفه وما نظن احدا يذهب الى مثله وليس يمكنه
بازاء ذلك جحد مذهب اصحابنا الذي حكاه وليس عباد لو صحت الرواية
عنه بازاء من ذكرناه فهو على بالجهالات ودفع الضرورات وبعد فلو سلمنا
ان ولاية الموسم لم تنفسخ لكان الكلام باقيا لانه اذا كان ما ولي مع تطاول الزمان

الا هذه الولاية ثم سلب شطرها والاغنم الاعظم منها فليس ذلك الا تنبيها
على ما ذكرنا فاما ما حكاه عن ابي علي من ان عادة العرب ان لا يحل ما عقده
الرئيس منهم الا هو او المتقدم من رهطه فمعاذ الله ان يجري النبي صلى الله
عليه وآله سنته واحكامه على عادات الجاهلية وقد بين عليه السلام
لما رجع اليه ابو بكر فسأله ان اخذ السورة منه الحال فقال انه اوحي ان لا يؤدي
عني الا انا او رجل مني ولم يذكر ما ادعاه ابو علي على ان هذه العادة قد كان
يعرفها النبي صلى الله عليه وآله قبل بعثه ابا بكر بسورة براءة فما باله
لم يعتمدها في الابتداء ويبعث من يحل عقده من قومه فاما ادعاؤه ولاية
ابي بكر الصلوة فقد ذكرنا فيما تقدم انه لم يولها اياها فاما فضله
بين صلوته عليه السلام خلف عبد الرحمن وبين صلوة ابي بكر
بالناس فليس بشيء لانا اذا كنا قد دللنا على ان الرسول عليه السلام
لم يقدم ابا بكر الى الصلوة فقد استوى الامران وبطل ان يفرق بين
ان يصلي خلفه وبين ان يوليه ويقدمه ونحن نعلم ان صلوته خلفه اقوى في
الولاية والرضا بها فقد عاد الامر الى ان عبد الرحمن كانه قد صلى بامره
واذنه على ان قصة عبد الرحمن اوكد لانه قد اعترف بان الرسول عليه السلام
صلى خلفه ولم يصل خلف ابي بكر وان ذهب كثير من الناس الى انه قدمه وامره
بالصلوة قبل خروجه الى المسجد وتحامله ثم سأل المرتضى رحمه الله نفسه
فقال ان قيل اليس يجوز النبي صلى الله عليه وآله من ان يكون سلم في الابتداء
سورة براءة الى ابي بكر بامر الله او باجتهاده ورأيه فان كان بامر الله تعالى فكيف يجوز
ان يرتجع منه السورة قبل وقت الاداء وعندكم عنده لا يجوز نسخ الشيء قبل

تقتضي

تقتضي وقت فعله وان كان باجتهاده عليه السلام فعندكم لا يجوز ان يجتهد
فيما يجري هذا المجرى واجاب فقال انه صلى الله عليه وآله ما سلم السورة
الى ابي بكر الا باذنه تعالى الا انه لم يامره باداءها ولا كلفه قراءتها على اهل الموسم
لان احدا لا يمكنه ان ينقل عنه عليه السلام في ذلك لفظ الامر والتكليف فكانه
عليه السلام سلم سورة براءة اليه لينفذ على اهل الموسم ولم يصرح القاري المبلغ لها في
الحال ولو نقل عنه تصريح لجاز ان يكون مشروطا بشرط لم يظهره فان قيل فاي
فائدة في دفع السورة الى ابي بكر وهو لا يريد ان يؤديها ثم ارتجاعها منه وهلا
دفعت في الابتداء الى امير المؤمنين قبل ومرتبته وان الرجل الذي نزعت السورة
منه لا يصلح لما يصلح له وهذا غرض قوي في وقوع الامر على ما وقع عليه قلت قد
ذكرنا فيما تقدم القول في تولية الملك بعض صحابه وترك تولية بعضهم وكيفية الحال
في ذلك على انه قد روي اصحاب المغازي انه امر ابا بكر في شعبان من سنة سبع
على سرية بعثها الى نجد فلقوا جمعا من هوازن فبيتوهم فروي ابن سلمة عن ابيه
قال كنت في ذلك البعث فقتلت بيدي سبعة منهم وكان شعارنا امت امت
وقتل من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله قوم وجرح ابو بكر وارتث وعاد الى
المدينة على ان امراء السرايا الذين كان يبعثهم صلى الله عليه وآله كانوا قوما
مشهورين بالشجاعة ولقاء الحروب كمحمد بن مسلمة وابي دجانة وزيد بن حارثة
ونحوهم ولم يكن ابو بكر مشهورا بالشجاعة ولقاء الحروب ولم يكن جبانا
ولا خوارا وانما كان رجلا مجتمع القلب عاقلا ذا راي وحسن تدبير فكان
رسول الله صلى الله عليه وآله يترك بعثه في السرايا لان غيره انفع منه فيها
ولا يدل ذلك على انه لا يصلح للامامة فان الامامة لا تحتاج ان يكون صاحبها

من المشهورين بالشجاعة وانما يحتاج الى ثبات القلب وان لا يكون هلعا طايرالجنا ن
وكيف يقول المرتضى انه صلى الله عليه وآله لم يكن محتاجا الى راى احد وقد نقل الناس
كلهم رجوعه عن راى الى راى عند المشورة نحو ما جرى يوم بدر من تغيير

رجوع عن راى

المنزل لما اشار عليه الحباب بن المنذر ونحو ما جرى يوم الخندق من نسخ رأيه
في دفع ثلث تمر المدينة الى عيينة بن حصين ليرجع بالاحزاب عنهم لاجل
ما راه سعد بن معاذ وسعد بن عبادة من الحرب والعدول عن الصلح ونحو
ما جرى في تلقيح النخل بالمدينة وغير ذلك فاما ولاية ابي بكر الموسم فاكثر
الاخبار على ذلك ولم يرو عزله عن الموسم الا قوم من الشيعة وما انكر المرتضى
من حال عباد بن سليمن ودفعه ان يكون عليه السلام اخذ براة من حال
من ابي بكر واستغرابه ذلك عجيب فان قول عباد قد ذهب اليه كثير من
الناس ورووا ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يدفع براة الى ابي بكر وانه
بعد ان نفذ ابو بكر بالحج اتبعه عليا ومعه تسع آيات من براة وقد امره ان
يقرأها على الناس ويؤذنهم بنقض العهد وقطع الذمة فانصرف ابو بكر
الى رسول الله صلعم فاعاده على الحج وقال له انت الامير وعلي المبلغ فانه لا يؤدي
عني الا انا او رجل مني ولم ينكر عباد امر براة بالكلية وانما انكر ان يكون النبي صلى الله
عليه وآله دفعها الى ابي بكر ثم انتزعها منه وطايفة عظيمة من المحدثين
يروون ما ذكرناه وان كان الاظهر انه دفعها اليه ثم اتبعه بعلي فانتزعها
منه والمقصود ان المرتضى قد يعجب مما لا يتعجب من مثله وظن ان عبادا
انكر حديث براة بالكلية وقد وقفت انا على ما ذكره عباد في هذه القصة
في كتابه المعروف بكتاب الابواب وهو الكتاب الذي نقضه عليه شيخنا ابو هاشم

فاما

فاما عذر شيخنا ابي علي وقوله ان عادة العرب ذلك واعتراض المرتضى عليه فالذي
قاله المرتضى اصح واظهر وما نسب الى عادة العرب غير معروف وانما هو تأويل تأول به
متعصبوا ابي بكر لانتزاع براة منه وليس بشيء ولست اقول ما قاله المرتضى من ان

ولست

غرض رسول الله صلى الله عليه وآله اظهار ان ابا بكر لا يصلح للاداء عنه بل اقول
فعل ذلك لمصلحة رآها ولعل السبب في ذلك ان عليا من بني عبد مناف وهم

ولعل

جمرة قريش بمكة وعلي ايضا شجاع لا يقام وقد حصل مثل هذا الشجاع البطل
وحوله من بني عمه منهم اهل العزة والقوة والحمية كان ادعى الى نجاته من قريش و
سلامة نفسه وبلوغ غرضه من نبذ العهد على يده الا ترى ان رسول الله صلى
الله عليه وآله في عمرة الحديبية بعث عثمان بن عفان الى مكة يطلب منهم الاذن
له في دخولها فانما بعثه لانه من بني عبد مناف ولم يكن بنو عبد مناف خصوصا
بنو عبد شمس ليمكنوا من قتله ولذلك حمله ابن سعيد بن العاص على بعيره يوم دخل
مكة واحد قوا به مستلئمين بالسلاح وقالوا له اقبل وادبر ولا تخف احدا
بنو سعيد اعزة الحرم واما القول في تولية رسول الله صلى الله عليه وآله
ابا بكر الصلوة فقد تقدم وما رامه قاضي القضاة من الفرق بين صلوة
ابي بكر بالناس وصلوة عبد الرحمن بهم مع كون رسول الله صلى الله عليه وآله
صلى خلفه ضعيف وكلام المرتضى اقوى منه فاما السؤال الذي سأله المرتضى
عن نفسه فقوي والجواب الصحيح ان بعث براة مع ابي بكر كان باجتهاد من الرسول
صلى الله عليه وآله ولم يكن عن وحي ولا من جملة الشرايع التي تتلقى عن جبرائيل
عليه السلام فلم يقبح نسخ ذلك قبل تقضي وقت فعله وجواب المرتضى بنفي
كان من البعيد ان يسلم سورة براة الى ابي بكر ولا يقال له ماذا يصنع بها بل يقال

خذ هذه معك لا غير والقول بان الكلام مشروط لشرط لم يظهر خلاف الظاهر وفتح
هذا الباب يفسد كثيرا من القول الطعن السادس ان ابا بكر لم يكن يعرف القواعد
واحكام الشريعة فقد قال في الكلالة اقول فيها برأيي فان يكن صوابا فمن الله
وان يكن خطأ فمني ولم يعرف ميراث الجدة ومن حاله هذه لا يصلح للامامة اجاب
قاضي القضاة بان الامام لا يجب ان يعلم جميع الاحكام وان القدر الذي
يحتاج اليه الحاكم وان القول بالرأي هو الواجب فيما لا نص فيه وقد قال
امير المؤمنين بالرأي في مسائل كثيرة اعترض المرتضى فقال قد دللنا على
ان الامام لا بد ان يكون عالما بجميع الشرعيات وفرقنا بينه وبين الحاكم و
على فساد الرأي والاجتهاد واما امير المؤمنين فلم يقل قط بالرأي وما يروى
من خبر بيع امهات الاولاد غير صحيح ولو صح لجاز ان يكون اراد بالرأي الرجوع
الى النصوص والادلة ولا شبهة عندنا ان قوله كان واحدا في القولين وان اظهر
في احدهما خلاف مذهبه للتقية قلت هذا الطعن يبنى على امرين احدهما
هل من شرط الامامة ان يعلم الامام كل الاحكام الشرعية ام لا وهذا مذكور في
كتبنا الكلامية والثاني هل القول بالاجتهاد والرأي حق ام لا وهذا
مذكور في كتبنا الاصولية الطعن السابع قصة خالد بن الوليد وقتله
مالك بن نويرة ومضاجعته امرأته من ليلته وان ابا بكر ترك اقامة الحد
عليه وزعم انه سيف من سيوف الله سله على اعدائه مع ان الله تعالى قد اوجب
القود وحد الزنا عموما وان عمر نبهه وقال له اقتله فانه قتل مسلما اجاب
قاضي القضاة فقال ان شيخنا ابا علي قال ان الردة ظهرت من مالك بن نويرة لانه
جاء في الاخبار انه رد صدقات قومه عليهم لما بلغه موت رسول الله صلى

عليه

عليه وآله كما فعله سائر اهل الردة فاستحق القتل فان قال قائل فقد كان يصلي
قيل له وكذلك سائر اهل الردة وانما كفروا لما بالامتناع من الزكوة واعتقادهم
اسقاط وجوبها دون غيره فان قيل فلم انكر عمر قيل كان الامر الى ابي بكر فلا وجه
لانكار عمر وقد يجوز ان يعلم ابو بكر من الحال ما يخفى عن عمر فان قيل فما معنى
ما روي عن ابي بكر من ان خالدا تاول فاخطا قيل اراد عجلته عليه بالقتل
وقد كان الواجب عنده على خالد ان يتوقف للشبهة واستدل ابو علي
على ردته بان اخاه قال لو وددت اني اقول الشعر فارثي اخي زيدا بمثل
ما رثيت به اخاك فقال متمم لو قتل اخي على مثل ما قتل عليه اخوك ما رثيته
فقال عمر ما عزاني احد بمثل تعزيتك فدل هذا على ان مالكا لم يقتل
على الاسلام كما قتل زيد واجاب عن تزويج خالد بامرأته بانه اذا قتل على
الردة في دار الكفر جاز تزويج امرأته عند كثير من اهل العلم وان كان لا يجوز
ان يطأها الا بعد الاستبراء وحكى عن ابي علي انه انما قتله لانه ذكر رسول الله
صلى الله عليه وآله فقال صاحبك واوهم بذلك انه ليس بصاحب له وكان
عنده ان ذلك ردة وعلم عند المشاهدة المقصد وهو امير القوم فجاز ان يقتله
وان كان الاولى ان لا يستعجل وان يكشف الامر في ردته حتى يتضح فلهذا
لم يقتله ابو بكر به فاما وطؤه لامرأته فلم يثبت فلا يصح ان يجعل طعنا فيه
اعترض المرتضى فقال ما صنع خالد في قتل مالك بن نويرة واستباحة
امرأته وماله لنسبة اياه الى ردة لم يظهر منه بل كان الظاهر خلافها
من الاسلام عظيم ويجري مجراه في العظم تغافل من تغافل عن امره ولم يقم
عليه حكم الله تعالى واقره على الخطاء الذي شهد به على نفسه ويجري مجراهما

من امكن ان يعلم الحال فاهملها او لم يتصفح ما روي من الاخبار في هذا النبأ
وتعصب لاسلافه ومذهبه وكيف يجوز عند خصومنا على مالك واصحابه
جحد الزكاة مع المقام على الصلوة وهما جميعا في قرن لان العلم الضروري بانهما
من دينه عليه السلام وشريعته على حد واحد وهل نسبة مالك الى الردة
مع المقام ذكرنا الا قدح في الاصول ونقض لما تضمنته من ان الزكوة معلومة من
ضرورة من دينه عليه السلام واعجب من كل عجيب قوله وكذلك سائر
اهل الزكوة يعني انهم كانوا يصلون ويجحدون الزكوة لانا قد بينا ان ذلك
مستحيل غير ممكن وكيف يصح ذلك وقد روى جميع اهل النقل ان ابا بكر لما
وصى الجيش الذين انفذهم بان يؤذنوا ويقيموا فان اذن القوم كاذانهم واقامتهم
كفوا عنهم وان لم يفعلوا اغاروا عليهم فجعل امارة الاسلام والبراءة من
من الردة الاذان والاقامة وكيف يطلق في سائر اهل الردة ما اطلقه
من انهم كانوا يصلون وقد علمنا ان اصحاب مسيلمة وطليحة وغيرهما
ممن كان ادعى النبوة وخلع الشريعة ما كانوا يرون الصلوة ولا شيئا مما جاءت
به شريعتنا وقصة مالك معروفة عند من تاملها من كتب السيرة والنقل
لانه كان على صدقات قومه بني يربوع واليا من قبل رسول الله صلى الله
عليه وآله فلما بلغته وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله امسك عن اخذ
الصدقة من قومه وقال لهم تربصوا بها حتى يقوم قائم بعد النبي صلى الله
عليه وآله وننظر ما يكون من امره وقد صرح بذلك في شعره حيث يقول
وقال رجال سدد اليوم مالك وقال رجال مالك لم يسدد فقلت دعوني
لا ابا لابيكم فلم اخطا رايا في المقام ولا الندي وقلت خذوا اموالكم غير خائف

ولا ناظر

ولا ناظر فيما يجي به غدي فدونكموها انما هي مالكم مصررة اخلافها لم تجدد
ساجعل نفسي دون ما تحذرونه وارهنكم يوما بما قلته يدي فان قام
بالامر المجدد قائم اطعنا وقلنا الدين دين محمد فصرح كما ترى انه استبقى الصدقة
في يدي قومه رفقا بهم وتقربا اليهم الى ان يقوم بالامر من يدفع ذلك اليه
وقد روى جماعة من اهل السير وذكره الطبري في تاريخه ان مالكا نهى قومه
عن الاجتماع على منع الصدقات وفرقهم وقال يا بني يربوع انا قد كنا عصينا
امراءنا اذا دعونا الى هذا الدين وبطانا الناس عنه فلم نفلح ولم ننجح واني
قد نظرت في هذا الامر فوجدت الامر يتاتى لهؤلاء القوم بغير سياسة واذا
امر لا يسوسه الناس فاياكم ومعاداة قوم يصنع لهم فتفرقوا على ذلك الى اموالهم
ورجع مالك الى منزله فلما قدم خالد البطاح بث السرايا وامرهم بداعية
الاسلام وان ياتوه بكل من لم يجب وامرهم ان امتنع ان يقاتلوه فجاءته الخيل بمالك
بن نويرة في نفر من بني يربوع واختلفت السرية ابو قتادة الحرث بن ربعي فكان
ممن شهد انهم اذنوا واقاموا وصلوا فلما اختلفوا فيهم امر بهم خالد فحبسوا وكانت
ليلة باردة لا يقوم لها شيء فامر خالد مناديا فنادى ادفئوا اسراكم فظنوا
انه امر بقتلهم لان هذه اللفظة تستعمل في لغة كنانة للقتل فقتل
ضرار بن الازور مالكا وتزوج خالد زوجته ام تميم بنت المنهال وفي خبر آخر
ان السرية التي بعث بها خالد لما غشيت القوم تحت الليل راعهم فاخذ
القوم السلاح قال فقلنا انا المسلمون فقالوا ونحن المسلمون قلنا فما بال
السلاح معكم قلنا فضعوا السلاح فلما وضعوا ربطوا اسارى فاتوا بهم
خالدا فحدث ابو قتادة خالد بن الوليد ان القوم نادوا بالاسلام وان لهم امانا

فلم يلتفت خالد الى قوله وامر بقتلهم وقسم سبيهم فحلف ابو قتادة ان لا يسير تحت
لواء خالد في جيش ابداً وركب فرسه شاذاً الى ابي بكر فاخبره بالقصة وقال اني
نهيت خالداً عن قتله فلم يقبل قولي واخذ بشهادة الاعراب الذين غرضهم
الغنائم وان عمر لما سمع ذلك تكلم فيه عند ابي بكر فاكثر وقال ان القصاص قد
وجب عليه ولما اقبل خالد بن الوليد قافلاً دخل المسجد وعليه قباء له عليه
صدأ الحديد معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته اسهماً فلما دخل المسجد قام اليه
عمر فنزع الاسهم عن راسه فحطمها ثم قال له يا عدو نفسه اعدوت على امرء
مسلم فقتلته ثم نزوت على امرأته والله لنرجمنك باحجارك وخالد لا يكلمه
ولا يظن الا ان رأي ابي بكر مثل رأيه حتى دخل الى ابي بكر واعتذر اليه فعذره
وتجاوز عنه فخرج خالد وعمر جالس في المسجد فقال هلم الي يا بن ام شملة يعرض
عمر ان ابا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه ودخل بيته وقد روى ايضاً ان عمر لما ولي جمع من
عشيرة مالك بن نويرة من وجد منهم واسترجع ما وجد عند المسلمين من اموالهم
ولدين كانوا واولادهم ونسائهم فرد ذلك عليهم جميعاً مع نصيبه كان منهم وقيل
انه ارتجع بعض نسائهم من نواحي دمشق وبعضهن حوامل فردهن على ازواجهن
فالامر ظاهر في خطاء خالد وخطاء من تجاوز عنه وقول صاحب الكتاب انه يجوز
ان يخفى عن عمر ما يظهر لابي بكر ليس بشيء لان الامر في قصة خالد لم يكن
مشتبهاً بل كان مشاهداً معلوماً لكل من حضره وما تأول به في القتل
لا يعذر لاجله وما رأينا ابا بكر حكم فيه بحكم المتأول ولا غيره ولا تلافى
خطاءه وزلله وكونه سيفاً من سيوف الله على ما ادعاه لا يسقط عنه
الاحكام ويبريه من الاثام واما قول متمم قتل اخي على ما قتل عليه اخوك

ما رثيته لا تدل على انه كان مرتداً وكيف يظن عاقل ان متمماً يعترف
بردة اخيه وهو يطالب ابا بكر بدمه والاقتصاص من قاتله ورد سبيه
وانما اراد في الجملة التقرب الى عمر بتقريظ اخيه ثم لو كان ظاهر هذا القول
كباطنه لكان انما يقتضي تفضيل قتلة زيد على قتلة مالك والحال في ذلك
اظهر لان زيداً قتل في بعث المسلمين ذاباً عن وجوههم ومالك قتل على
شبهة وبين الامرين فرق واما قوله في النبي صلى الله عليه وآله صاحبك
فقد قال اهل العلم انه اراد القرشية لان خالداً قرشي وبعد فليس في ظاهر هذا
اليه دلالة على نفيه له عن نفسه ولو كان علم من مقصده الاستخفاف
والاهانة على ما ادعاه صاحب الكتاب لوجب ان يعتذر خالد بذلك عند ابي
بكر وعمر ويعتذر به ابو بكر لما طالبه عمر بقتله فان عمر ما كان يمنع من قتل
قادح في نبوة النبي صلى الله عليه وآله وان كان الامر على ذلك فاي معنى لقول
ابي بكر تأول فاخطأ وانما تأول فاصاب ان كان على ما ذكر قلت اما
تعجب المرتضى من كون قوم منعوا الزكوة واقاموا الصلوة ودعواه ان هذا
غير ممكن ولا صحيح فالعجب منه كيف ينكر وقوع ذلك وكيف ينكر امكانه
اما الامكان فلانه لا ملازمة بين العبادتين الا من كونهما مقترنتين
في بعض المواضع في القرآن وذلك لا يوجب تلازمهما في الوجود واما وقوعه
فان الناس يعلمون كون الزكوة واجبة في دين الاسلام ضرورة وهذا لا
يمنع اعتقادهم سقوط وجوب الزكوة بشبهة دخلت عليهم فانهم قالوا
ان الله تعالى قال للرسول خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل
عليهم ان صلاتك سكن لهم قالوا فوصف الصدقة المفروضة بانها صدقة

من شانها ان يطهر رسول الله صلى الله عليه وآله الناس ويزكيهم باخذها منهم
ان يصلي عليهم تكون سكنا لهم قالوا وهذه الصفات تحقق في غيره لان
غيره لا يطهر الناس ويزكيهم باخذ الصدقة ولا اذا صلى على الناس كانت
صلاته سكنا لهم فلم يجب علينا دفع الزكوة الى غيره وهذه الشبهة لا تنافي
كون الزكوة معلوما وجوبها ضرورة من دين محمد صلى الله عليه وآله لانهم
ما جحدوا وجوبها ولكنهم قالوا انه وجوب مشروط وليس يعلم بالضرورة وانما يعلم
ذلك بنظر وتاويله فقد بان ان ما ادعاه من الضرورة ليس بدال على انه لا يمكن
احدا ان يذهب الى انها قد سقطت عن الناس واما الوقوع وهو المعلوم ضرورة
بالتواتر كما يعلم ان ابا ولي الخلافة بعد الرسول عليه السلام ضرورة بطريق التواتر
ومن اراد الوقوف على ذلك فلينظر في كتب التواريخ فانها تشتمل على ما يشفي
ويكفي وقال ابو جعفر محمد بن جرير في التاريخ الكبير باسناده ذكره ان ابا
بكر اقام بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وتوجيه اسامة في
جيشه الى حيث قتل ابوه زيد بن حارثة لم يحدث شيئا وجاءته وفود العرب
مرتدين يقرون بالصلوة ويمنعون الصدقة فلم يقبل منهم وردهم واقام حتى
قدم اسامة بعد اربعين يوما من شخوصه ويقال بعد سبعين يوما وروى
ابو جعفر قال امتنعت العرب قاطبة من اداء الزكوة بعد رسول الله صلى الله عليه
وآله الا قريشا وثقيفا وروى ابو جعفر عن السري عن شعيب عن سيف
عن هشام بن عروة عن ابيه قال ارتدت العرب ومنعت عن هشام الا
قريشا وثقيفا فاما هوازن فقدمت رجلا واخرت اخرى امسكوا الصدقة
وروى ابو جعفر قال لما منعت العرب كان ابو بكر ينتظر قدوم اسامة بالجيش

فلم يحارب

فلم يحارب احدا قبل قدومه الا عبسا وذبيان فانه قاتلهم قبل رجوع اسامة
وروى ابو جعفر قال قدمت وفود من قبائل العرب المدينة فنزلوا على
وجوه الناس بها ويحملونهم الى ابي بكر ان يقيموا الصلوة ولا يؤتوا الا
الزكوة فعزم الله لابي بكر على الحق وقال لو منعوني عقالا لجاهدتهم
عليه وروى ابو جعفر شعر الحطيل بن اوس اخي الحطيئة في معنى منع الزكوة
وان ابا بكر رد سؤال العرب ولم يجبهم من جملته اطعنا رسول الله اذ كان
بيننا فيا لعباد الله ما لابي بكر ايورثها بكرا اذا مات بعده وتلك
لعمر الله قاصمة الظهر فهلا رددتم وفدنا باجابة وهلا خشيتم منه عثرة
البكر فان الذي سالكم فمنعتم لكالتمر او احلى لحلف بني فهر وروى ابو جعفر
قال لما قدمت العرب المدينة على ابي بكر فكلموه في اسقاط الزكوة نزلوا على وجوه
الناس بالمدينة فلم يبق احد الا وقد نزل عليه ناس الا العباس بن عبد المطلب
ثم اجتمع الى ابي بكر المسلمون يخوفونه باس الحرب واجتماعها قال ضرار بن الازور فما
رايت احدا ليس برسول الله صلى الله عليه وآله املا بحرب شعواء من ابي بكر لجعلنا
نخوفه ونروعه كانما انما نخبره بما له لا بما عليه واجتمعت كلمة المسلمين على اجابة
العرب الى ما طلبت وابى ابو بكر ان يفعل الا ما كان يفعل رسول الله صلى الله
عليه وآله وان ياخذ الا ما كان ياخذ ثم اجلهم يوما وليلة وامرهم بالانصراف
فطاروا الى عشائرهم وروى ابو جعفر قال كان رسول الله صلى الله عليه
وآله بعث عمرو بن العاص الى عمان قبل موته فمات وهو بعمان فاقبل
قافلا الى المدينة فوجد العرب قد منعت الزكوة فنزل في بني عامر على قرة
بن هبيرة وقرة يقدم رجلا ويؤخر اخرى وعلى ذلك بنو عامر كلهم الا الخواص

ثم تقدم المدينة فاطافت بر قريش فاخبرهم ان العساكر معسكرة حولهم
فتفرق المسلمون وتحلقوا حلقا واقبل عمر بن الخطاب فمر بحلقة وهم
يتحدثون فيما سمعوا من عمرو وفي تلك الحلقة علي وعثمان وطلحة والزبير
وعبد الرحمن بن عوف وسعد فلما دنا منهم عمر سكتوا فقال في اي شيء
انتم فلم يخبروه فقال ما اعلمني بالذي خلوتم عليه فغضب طلحة وقال الله
يا ابن الخطاب انك لتعلم الغيب فقال لا يعلم الغيب الا الله ولكن اظن
قلتم ما اخوفنا على قريش من العرب واخلقهم الا يقروا بهذا الامر قالوا
صدقت قال فلا تخافوا هذه المنزلة انا والله منكم على العرب اخوف مني عليكم
من العرب قال ابو جعفر وحدثنا السري قال حدثنا شعيب عن سيف
عن هشام بن عروة عن ابيه قال نزل عمرو بن العاص بمنصرفه من عمان بعد
وفاة رسول الله صلى الله عليه بقرة بن هبيرة بن سلمة بن قشير وحوله عساكر
من افنائهم فذبح له واكرم منزلته فلما اراد الرحلة خلا به وقال يا هذا ان العرب
لا تطيب لكم انفسنا بالاتاوة وان انتم اعفيتمونا من اخذ اموالنا فتسمع
وتطيع وان ابيتم فانها تجتمع عليكم فقال عمرو اتوعدنا بالعرب وتخوفنا
بها موعدنا حفش امك اما والله لاوطئنه عليك الخيل وقدم على
ابي بكر والمسلمين فاخبرهم وروى ابو جعفر قال كان رسول الله صلى الله
عليه وآله قد فرق عماله في بني تميم على قبض الصدقات فجعل الزبرقان
بن بدر على عوف والرباب وقيس بن عاصم على مقاعس والبطون وصفوان
بن صفوان وسبرة بن عمرو على بني عمرو ومالك بن نويرة على بني حنظلة
فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله ضرب صفوان الى ابي بكر حين وقع

الى الخبر بموت النبي صلى الله عليه وآله بصدقات بني عمرو وبما ولي منها
وبما ولي سبرة واقام سبرة في قومه لحدث ان ناب واطرق قيس بن عاصم ينظر ما
الزبرقان صانع وكان له عدوا فقال وهو ينتظر وينظر ما يصنع ويلي
عليه ما ادري ما اصنع ان انا بايعت ابا بكر واتيته بصدقات قومي
خلفني فيهم فساءني عندهم وان رددتها عليهم فلياتين ابا بكر فليسوءني
عنده ثم عزم قيس على قسمها في مقاعس والبطون ففعل وعزم الزبرقان
على الوفاء فاتبع صفوان بصدقات عوف والرباب حتى قدم بها المدينة
وقال شعرا يعرض فيه بقيس بن عاصم من جملته وفيت باداء الرسول وقد
ابت سعاة فلم ترد بعيرا اميرها فلما ارسل ابو بكر الى قيس العلاء
بن الحضرمي اخرج الصدقة فتلقاه بها وقدم قومه الى المدينة وفي تاريخ
ابي جعفر الطبري من هذا الكثير الواسع وكذلك في تاريخ غيره من التواريخ
وهذا امر معلوم بالاضطرار لا يجوز لاحد ان يخالف فيه فاما قوله يصح ذلك
وقد قال لهم ابو بكر اذا اذنوا واقاموا كاذانكم واقامتكم فكفوا
عنهم فجعل امان الاسلام والبراءة من الردة الاذان والاقامة فانه قد
اسقط بعض الخبر قال ابو جعفر الطبري في كتابه كانت وصيته لهم اذا نزلتم
فاذنوا واقيموا فان اذن القوم واقاموا فكفوا عنهم وان لم يفعلوا فلا
شيء الا الغارة ثم اقتلوهم كل قتلة الحرق فما سواه وان اجابوا داعية
الاسلام فاسئلوهم فان اقروا بالزكوة فاقبلوا منهم وان ابوا فلا شيء الا الغارة
ولا كلمة فاما قوله وكيف يطلق قاضي القضاة في سائر اهل الردة ما اطلقه

من انهم كانوا يصلون ومن جملتهم اصحاب مسيلمة وطليحة فانما اراد قاضي
القضاة باهل الردة ههنا مانعي الزكوة لا غيرهم بل يرد من جحد الاسلام بالكلية
فاما قصة مالك بن نويرة وخالد بن الوليد فانها مشتبهة عندي ولا
غرو فقد اشتبهت على الصحابة وذلك ان من حضرها من العرب اختلفوا
في حال القوم هل كان عليهم شعار الاسلام ام لا واختلف ابوبكر وعمر في خالد
مع شدة اتفاقهما فاما الشعر الذي رواه المرتضى لمالك بن نويرة فهو معروف
الا البيت الاخير فانه غير معروف وعليه عمدة المرتضى في هذا المقام وما
ذكره بعده من قصة القوم فصحيح كله مطابق لما في التواريخ الا في بعض
يسير منها قوله ان مالكا نهى قومه عن الاجتماع على منع الصدقات فان
ذلك غير منقول وانما المنقول انه نهى قومه عن الاجتماع على منع الصدقة
وقال الطبري انما كان تردد في امره هل يحمل الصدقات ام لا فجاء خالد
وهو متحير شجي ومنها ان الطبري ذكر ان ضرار بن الازور قتل مالكا عن غير امر
خالد وان خالدا لما سمع الداعية وقد خرج وقد فرغوا منهم فقال اذا اراد
الله امرا اصابه قال الطبري وغضب ابو قتادة لذلك وقال لخالد هذا
عملك وفارقه واتى ابابكر فاخبره فغضب عليه ابوبكر حتى كلمه فيه عمر
فلم يرض الا ان يرجع الى خالد فرجع اليه حتى قدم معه المدينة ومنها
ان الطبري يروي ان خالدا تزوج ام تميم بنت المنهال امرأة مالك لم يدخل
بها وتركها حتى تنقضي طهرها فلم يذكر المرتضى ذلك ومنها ان الطبري
روى ان متمما لما قام المدينة طالب الى ابي بكر في سبيهم فكتب له برد السبي

والمرتضى

والمرتضى ذكر انه لم يرد الا في خلافة عمر فاما قول المرتضى ان قول متمم لو قتل
اخي على ما قتل عليه اخوك لما رثيته لا يدل على ردة فصحيح ولا ريب
انه قصد تقريظ زيد بن الخطاب وان يرضي عمر اخاه بذلك ونعما قال
المرتضى ان بين القبيلتين فرقا ظاهرا واليه اشار متمم لا محالة فاما
قول مالك صاحبك يعني النبي صلى الله عليه وآله فيقول انه قال
له وهو يراجعه ما اخال صاحبكم الا قال كذا وكذا فقال له
خالد او ما تعده لك صاحبا وهذه لعمري كلمة جافية وان كان لها
مخرج في التأويل لكنه مستكره وقرائن الاحوال يعرفها من شاهدها
وسمعها فاذا كان خالد قد كان يعتذر بذلك فقد اندفع قول
المرتضى هلا اعتذر بذلك ولست انزه خالدا عن الخطاء واعلم
انه كان جبارا فاتكا لا يراقب الدين فيما يحمله عليه الغضب وهوى
نفسه ولقد وقع منه في حيوة رسول الله صلى الله عليه وآله
مع بني خذيمة بالغميصاء اعظم مما وقع منه في حق مالك بن نويرة
وعفى عنه رسول الله صلى الله عليه بعد ان غضب عليه مدة واعرض
عنه وذلك العفو هو الذي اطمعه حتى فعل ببني يربوع ما فعل
بالبطاح الطعن الثاني قولهم ان مما يؤثر في حاله وحال عمر دفنهما
مع الرسول صلى الله عليه وآله في بيته وقد منع الله تعالى الكل
من ذلك في حال حيوته فكيف بعد الممات بقوله تعالى لا تدخلوا
بيوت النبي الا ان يؤذن لكم اجاب قاضي القضاة بان الموضع
كان ملكا لعائشة وهي حجرتها التي كانت معروفة بها والحجر كلها كانت

املاكاً لازواج النبي صلى الله عليه وآله وقد نطق القرآن بذلك
في قوله وقرن في بيوتكن وذكر ان عمر استأذن عايشة في ان يدفن
في ذلك الموضع وحتى قال ان لم تأذن فادفنوني في البقيع وعلى هذا
الوجه يحمل ما روي عن الحسن انه لما مات اوصى ان يدفن الى جنب
رسول الله صلى الله عليه وآله فان لم يترك ففي البقيع فلما كان من مروان
وسعيد ابن العاص ما كان دفن بالبقيع وانما اوصى بذلك باذن
عايشة ويجوز ان يكون علم من عايشة انها جعلت الموضع في حكم
الوقف فاستباح ذلك لهذا الوجه قال وفي دفنه عليه السلام في
ذلك الموضع ما يدل على فضل ابي بكر لانه عليه السلام لما مات اختلفوا
في موضع دفنه وكثر القول حتى روى ابو بكر عنه صلى الله عليه وآله
وسلم ان الله تعالى ما يدل على ان الانبياء اذا ماتوا دفنوا حيث ماتوا فزال
الخلاف في ذلك اعترض المرتضى فقال لا يخلو موضع قبر النبي صلى الله
عليه وآله من ان يكون باقياً على ملكه عليه السلام او يكون انتقل
في حياته الى عايشة على ما ادعاه فان كان الاول لم يخل ان يكون ميراثاً
بعده او صدقة فان كان ميراثاً فما كان يحل لابي بكر ولا لعمر من بعده
ان يأمرا بدفنهما فيه الا بعد ارضاء الورثة الذين هم على مذهبنا
فاطمة وجماعة الازواج وعلى مذهبهم هؤلاء والعباس ولم نجد
احداً منهما خاطب احداً من هؤلاء الورثة على ابتياع هذا المكان
والاستنزال عنه بثمن ولا غيره وان كان صدقة فقد كان يجب ان
يرضى عنه جماعة المسلمين ويبتاعه منهم هذا ان جاز الابتياع لما يجري

هذا

هذا المجرى وان كان انتقل في حياته فقد كان يجب ان يستظهر
سبب انتقاله والحجة فيه فان فاطمة لم يقنع منها في انتقال فدك
الى ملكها بقولها ولا بشهادة من شهد لها فاما تعلقه
باضافة البيوت اليهن في قوله وقرن في بيوتكن فمن ضعيف الشبهة لانا قد
بينا فيما مضى من هذا الكتاب بان هذه الاضافة لا تقتضي الملك وانما
يقتضي السكنى والعادة في استعمال هذه اللفظة فيما ذكرناه ظاهرة قال
تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن ولم يرد تعالى الا حيث يسكن وينزلن
دون حيث يملكن بلا شبهة واطرف من كل شيء تقدم قوله ان الحسن
استأذن عايشة في ان يدفن في البيت حتى منعه مروان وسعيد بن
العاص لان هذه مكابرة منه ظاهرة فان المانع للحسن من ذلك لم يكن
الا عايشة ولعل من ذكر من مروان وسعيد وغيرهما اعانها واتبع في
ذلك امرها وروي انها خرجت في ذلك اليوم على بغل حتى قال ابن
عباس يوماً على بغل ويوماً على جمل فكيف تاذن عايشة في ذلك
وهي مالكة الموضع على قولهم ويمنع منه مروان وغيره ممن لا ملك له
في الموضع ولا شركة ولا يد وهذا من قبيح ما يرتكب واي فضل لابي
بكر في روايته عن النبي صلى الله عليه وآله حديث الدفن وعملهم بقوله
ان صح فمن مذهب صاحب الكتاب واصحابه العمل بخبر الواحد العدل
في احكام الدين العظيمة فكيف لا يعمل بقوله الى في الدفن وهم يعملون
بقول من هو دونه فيما هو اعظم من ذلك قلت اما ابو بكر فانه لا يلحقه
بدفنه مع الرسول صلى الله عليه وآله ذم لانه ما دفن نفسه واما دفنه

الناس وهو ميت فان كان ذلك خطا فالاثم والذم لاحقان بمن فعله
ولم يثبت عندنا انه صح بان يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وآله ولعله لم
يمكن ان يتوجه هذا الطعن لان عمر لما سأل عايشة ان يدفن في الحجرة
مع رسول الله وابي بكر والقول عندي مشتبه في امر حجر الازواج هل كانت
على ملك رسول الله صلى الله عليه وآله الى ان توفي ام ملكها نساءه والذي
تنطق به التواريخ انه لما خرج من قبا ودخل المدينة وسكن منزل
ابي ايوب اختط المسجد واختط حجر نسائه وبناته وهذا يدل على انه كان
هو المالك للمواضع فاما خروجها من ملكه الى الازواج فمما لم اقف عليه ويجوز
ان تكون الصحابة قد فهمت من قراين الاحوال ومما شاهدوه منه عليه السلام
انه قد كل بيت منها يد زوجة من الزوجات على سبيل الهبة والعطية وان
لم ينقل عنه في ذلك صيغة لفظ معين والقول في بيت فاطمة كذلك لان
فاطمة لم تكن تملك مالا وعلي بعلها كان فقيرا في حيوة رسول الله صلى الله
عليه وآله حتى انه كان يستقي الماء لليهودي بيده يسقي بها تمرا لقوت يد
اليه فمن اين كان له ما يبتاع به حجرة يسكن فيها هو وزوجته والقول في
كثير من الزوجات كذلك انهن كن فقيرات مدقعات نحو صفية بنت
حيي بن اخطب وجويرية بنت الحارث وميمونة وغيرهن فلا وجه
يمكن ان يتملك منه هؤلاء النسوة والبنت الحجر الا ان يكون رسول الله
صلى الله عليه وآله وهبها لهن هذا ان ثبت انها خرجت عن ملكيته عليه
السلام والا فهي باقية على ملكيته باستصحاب الحال والقول في حجرة
زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك لانا [illegible]

لبعلها ابي العاص بن الربيع فاسكنها بالمدينة في حجرة مفردة خالية عن
فلا بد ان يكون تلك الحجرة بمقتضى ما يغلب على الظن ملكا عليه السلام فيستدام
الحكم بملكه لها الى ان نجد دليلا ينقلنا عن ذلك واما رقية وام كلثوم
زوجتا عثمان كان مثريا ذا مال فيجوز ان يكون ابتاع حجرة سكنت فيها الاولى
منهما ثم الثانية بعدها فاما احتجاج قاضي القضاة بقوله وقرن في بيوتكن
فاعتراض المرتضى عليه قوي لان هذه الاضافة انما تقتضي التخصيص فقط لا
التمليك كما قال لا تخرجوهن من بيوتهن ويجوز ان يكون ابو بكر لما روى
قوله نحن لا نورث ترك الحجر في ايدي الزوجات والبنت على سبيل الاقطاع لهن
لا التمليك اي اباحهم السكنى لا التصرف في رقاب الارض والابنية والالات
لما راى في ذلك من المصلحة ولانه كان من المستهجن القبيح اخراجهن من
البيوت وليس كذلك فدك فانها قرية كثيرة ذات نخل كثير خارجة من
المدينة ولم تكن فاطمة متصرفة فيها من قبل نفسها ولا بتوكيلها ولا رأتها
قط فلا تشبه حالها حال الحجر وايضا فلو سلم هذه الحجر ولنزول اغيانهن فانها
كانت مبنية من طين قصيرة الجدران فلعل ابا بكر والصحابة استحقروها
فاقروا النساء فيها وعوضوا المسلمين عنها بالشيء اليسير مما يقتضي الحسا
او يكون من سهم الازواج والبنت عند قسمة الفيء فاما القول في الحسن وما
جرى من عايشة وبني امية فقد تقدم وكذلك القول في الخبر المروي في
دفن الرسول صلى الله عليه وآله وكان ابو المظفر هبة الله بن الموسوي
صدر المخزن المعمور كان في ايام الناصر لدين الله اذا حادثته حديث وفاة رسول الله
صلى الله عليه وآله ورواية ابي بكر ما رواه من قوله الانبياء يدفنون حيث يموتون

بحليف ان ابا بكر افتعل هذا الحديث في الحال والوقت ليدفن النبي صلى الله
عليه في حجرة بنته ثم يدفن هو معه عند موته علما منه انه لم يبق من عمره الا مثل ظمي
الحمار وانه اذا دفن النبي صلى الله عليه وآله في حجرة ابنته تدفنه لا محالة في
حجرتها عند بعلها وان دفن النبي صلى الله عليه وآله في موضع آخر فربما
لا يتهيا له ان يدفن عنده فرأى ان الفوز بهذا الشرف العظيم وهذا المكان
الجليل مما لا يقتضي حسن التدبير تفويته فان تهاون الفرصة فيه واجب فروى
لهم الخبر فلم يمكنهم بعد روايته ان لا يعملوا به لا سيما وقد صار هو الخليفة
واليه السلطان والنفع والضرر فادرك ما كان في نفسه ثم استنبع
عمر على منواله ورغب الى عايشة في مثل ذلك وقد كان يكرمها ويقدمها
على ساير الزوجات في العطا وغيره فاجابته اليه وكان مطاعا فيه
وكان يقول واعجبا للحسن وطمعه في ان يدفن في حجرة عايشة والله لو كان
ابوه الخليفة يومئذ لما تهيأ له ذلك ولا تم لبغض عايشة لهم وحسد الناس
اباهم وتمالي بني امية وغيرهم من قريش عليهم ولهذا قالوا يدفن عثمان
في حش كوكب ويدفن الحسن في حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله فكيف
والخليفة معوية والامراء المدينة بنو امية وعايشة صاحبة الموضع والناصر
لبني هاشم قليل والناصب كثير وانا استغفر الله مما كان ابو المظفر يحلف
عليه ولعلّ واظن ظنا شبيها بالعلم ان ابا بكر ما روى الا ما سمع وانه كان
اتقى لله من ذلك الطعن التاسع قولهم انه نص على عمر بالخلافة فخالف رسول الله
صلى الله عليه وآله على زعمه لانه كان يزعم هو ومن قال بقوله ان رسول الله
صلى الله عليه وآله لم يستخلف والجواب ان كونه صلى الله عليه وآله لم يستخلف

وانا استغفر

لابدل

لا يدل على تحريم ركوب الفيل فان قالوا ركوب الفيل منه منفعة ولا مضرة فيه
ولم يرد نص بتحريمه فوجب ان يحسن قبل لهم والاستخلاف مصلحة ولا
مضرة فيه وقد اجمع المسلمون على انه لا طريق الى الامامة فوجب كونه
طريقا اليها وقد روي عن عمر انه قال ان استخلف فقد استخلف من هو
خير مني ابا بكر وان اترك فقد ترك من هو خير مني يعني رسول الله صلى الله
عليه وآله فاما الاجماع المشار اليه فهو ان الصحابة اجمعوا على ان عمر امام
بنص ابي بكر عليه وانفذوا احكامه وانقادوا اليه لاجل نص ابي بكر لا لشيء
سواه فلو لم يكن ذلك طريقا الى الامامة لما اتفقوا عليه وقد اختلف الشيخان
ابو علي وابو هاشم فان نص الامام على امام بعده هل يكفي في انعقادا امامته
فقال ابو علي لا يكفي بل لا بد من ان يرضى بها اربعة فاذا قارنه رضا اربعة
صار بذلك اماما ويقول في بيعة عمر ان ابا بكر احضر جماعة من الصحابة
لما نص عليه ورجع الى رضاهم بذلك وقال ابو هاشم بل يكفي نصه عليه
ولا ابا عمى في ذلك رضي غيره به ولو ثبت ان ابا بكر فعله لكان على طريق
التبع للنص لا انه ليوثر في امامته مع العهد ولعل ابا بكر ان كان فعل ذلك
فقد استطاب به نفوسهم ولهذا لم يوثر فيه كراهة طلحة حين قال
وليت علينا فظا غليظا ويبين ذلك انه لم ينقل استيناف العقد
من الصحابة لعمر بعد موت ابي بكر ولا اجتماع جماعة لعقد البيعة
والرضا به فدل على انهم اكتفوا بعهد ابي بكر اليه الطعن العاشر قولهم
ان سمى نفسه بخليفة رسول الله مع اعترافه انه لم يستخلفه والجواب
ان الصحابة سمته خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله لا استخلافه اياه

ايام على الصلوة عند موته والاستخلاف على الصلوة عند المرض لم تزل مرتبة
على الاستخلاف والوصايا ومما يهتم به الانسان من امور الدنيا والدين
لانها حال المفارقة وايضا فان رسول الله صلى الله عليه وآله ما استخلف
احدا على الصلوة بالمدينة وهو حاضر وانما كان يستخلف على الصلوة قوما
ايام غيبته عن المدينة ولم يحصل الاستخلاف المطلق على الصلوة بالناس
كلهم وهو صلى الله عليه وآله حاضر بين الناس حي الا لابي بكر وهذه مرتبة
ظاهرة على سائر استخلافاته في امر الصلوة فلذلك سموه خليفة رسول الله
وبعد فاذا ثبت ان الاجماع على كون الاختيار طريقا الى الامامة حجة
وثبت ان قوما من افاضل الصحابة اختاروه للخلافة فقد ثبت انه
خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله لانه لا فرق بين ان ينص الرسول على
شخص معين وبين ان يشير الى قوم فيقول من اختاره هؤلاء القوم فهو
الامام في ان كان كل واحد منهما يصح ان يطلق عليه خليفة رسول الله صلى
الله عليه الطعن الحادي عشر قولهم ان حرق الفجاءة السلمي بالنار وقد
نهى النبي صلى الله عليه وآله ان يحرق احد بالنار والجواب ان الفجاءة
جاء الى ابي بكر كما ذكر اصحاب التواريخ فطلب منه سلاحا يتقوى به على
الجهاد في اهل الردة فاعطاه فلما خرج قطع الطريق ونهب اموال المسلمين
واهل الردة جميعا وقتل كل من وجد كما فعلت الخوارج حيث خرجت فلما
ظفر به ابو بكر راى حرقه بالنار ارهابا لامثاله من اهل الفساد ويجوز للامام
ان يخص النص العام بالقياس الجلي عندنا الطعن الثاني عشر قولهم
انه تكلم في الصلوة قبل التسليم فقال لا يفعلن خالد ما امرته قالوا لكن

عند ابي

عند ابي حنيفة ان يخرج الانسان من الصلوة بالكلام وغيره من مفسدات
الصلوة من دون تسليم وبهذا احتج ابو حنيفة والجواب ان هذا من
الاخبار التي تفرد بها الامامية ولم يثبت واما ابو حنيفة فلم يذهب الى
ما ذهب اليه لاجل هذا الحديث وانما احتج بان التسليم خطاب آدمي وليس
من الصلوة واذكارها ولا من اركانها بل هو ضدها ولذلك يبطلها قبل
التمام ولذلك لا يسلم المسبوق تبعا للامام بل يقوم من غير تسليم لما دل
على انه ضد للصلوة وجميع الاضداد بالنسبة الى دفع الضد على وتيرة
واحدة ولذلك استوى الكل في الابطال قبل التمام فيستوي الكل في
الانهاء بعد التمام وما يذكره القوم من سبب كلام ابي بكر في الصلوة امر
بعيد ولو كان ابو بكر يريد ذلك لامر خالدا ان يفعل ذلك الفعل بالشخص
المعروف وهو نائم ليلا في بيته ولا يعلم احد من الفاعل الطعن الثالث
عشر قولهم انه كتب الى خالد بن الوليد وهو على الشام يامره ان يقتل
سعد بن عبادة فكمن له هو وآخر ليلا فلما مر بهما رمياه فقتلاه وهتف صاحب
خالد في ظلام الليل لقينا سعدا في بئر هناك فيها ماء ببيتي شعر نحن قتلنا
سيد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده يوهمان
ذلك شعر الجن فان الجن قتلت سعدا فلما اصبح الناس فقدوا سعدا
وقد سمع قوم منهم ذلك الهاتف فطلبوه ثلاثة ايام في تلك البير وقد اخضر
فقالوا هذا مسيس الجن وقال مؤمن الطاق لسائل ساله ما منع عليا ان
يخاصم ابا بكر في الخلافة يا ابن اخي خاف ان يقتله الجن والجواب اما انا
فلا اعتقد ان الجن قتلت سعدا ولا ان هذا شعر الجن ولا اتيان البشر بقتله

مؤمن الطاق
اما انا

وان هذا شعر البشر ولكن لم يثبت عندي ان ابا بكر امر خالدا بذلك ولا
استبعد ان يكون خالد فعله من تلقاء نفسه ليرضي بذلك ابا بكر
فيكون الاثم على خالد وابو بكر بريء من اثمه وما ذلك من افعال خالد
ببعيد الطعن الرابع عشر قولهم انه لما استخلف قطع لنفسه على بيت
المال اجرة كل يوم ثلثة دراهم قالوا وذلك لا يجوز لان مصارف اموال بيت
المسلمين من لم يذكر فيها اجرة للامام والجواب انه تعالى جعل في جملة
مصرف اموال الصدقات العاملين عليها وابو بكر من العاملين
واعلم ان الامامية لو انصفت لقالت ان هذا الفعل بان يكون من مناقب
ابي بكر اولى من ان يكون من مساويه ومثالبه ولكن العصبية لا حيلة
فيها الطعن الخامس عشر قولهم انه لما استخلف صرخ مناديه في المدينة
من كان عنده شيء من كلام الله فليأتنا به فانا عازمون على جمع القرآن
ولا يأتنا بشيء منه الا ومعه شاهدا عدل قالوا هذا خطأ لان القرآن
قد بان بفصاحته من فصاحة البشر فاي حاجة له الى شاهد عدل
والجواب ان المرتضى ومن تابعه من الشيعة لا يصح لهم هذا الطعن لان
القرآن عندهم ليس معجزا بفصاحته على ان من جعل معجزه الفصاحة لم
يقل ان كل آية من القرآن ولا السورة بتمامها وكمالها التي يتحقق الاعجاز
من طريق الفصاحة فيها وايضا فانه لو احضر انسان آية وآيتين ولم
يكن معه شاهد عدل ربما يختلف العرب هل هذه في الفصاحة بالغة مبلغ الاعجاز
الكلي ام هي بائنة من كلام العرب بينونة غير بالغة الى حد الاعجاز فكان
يلتبس الامر ويقع النزاع فاستظهر ابو بكر بطلب الشهود تاكيدا لانه

لو انصفت

اذا

اذا نقصت الشهادة ثبت ان ذلك الكلام من القرآن **الاصل** ومن
هذا الكتاب والله لو لقيتهم واحدا وهم طلاع الارض كلها ما باليت ولا
استوحشت واني من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي انا عليه
لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي واني الى لقاء ربي لمشتاق ولحسن ثوابه
لمنتظر ولكنني آسى ان يلي هذه الامة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله
دولا وعباده خولا والصالحين حربا والفاسقين حزبا فان منهم الذي
شرب فيكم الحرام وجلد حدا في الاسلام وان منهم من لم يسلم حتى رضخت له
على الاسلام الرضائخ فلولا ذلك ما اكثرت تأليبكم وتأنيبكم وجمعكم و
تحريضكم ولتركتكم اذا ابيتم وونيتم الا ترون الى اطرافكم قد انتقصت
والى امصاركم قد افتتحت والى ممالككم تزوى والى بلادكم تغزى انفروا
رحمكم الله الى قتال عدوكم ولا تثاقلوا الى الارض فتقروا بالخسف
وتبوؤا بالذل ويكون نصيبكم الاخس ان اخا الحرب الارق ومن نام
لم ينم عنه والسلام **الشرح** طلاع الارض ملؤها ومنه قول عمر لو ان
لي طلاع الارض ذهبا لافتديت به من هول المطلع وآسى احزن واكثرت
تأليبكم تحريضكم واغراءكم بهم والتأنيب اشد اللوم وونيتم ضعفتم
وفترتم وممالككم تزوى او تقبض ولا تثاقلوا بالتشديد بدا اصله تتثاقلوا
وتقروا بالخسف تعترفوا بالضيم وتصبروا له وتبوؤا بالذل ترجعوا به والارق
الذي لا ينام ومثل قوله من نام لم ينم عنه قول الشاعر لله درك ما اردت
نبا بدمران ليس عن التراب براقد اسهرتم ثم اضطجعت ولم ينم حنقا
عليك وكيف ينوم الحاقد فاما الذي رضخت له على الاسلام الرضائخ

معاوية والرضيعة شيء قليل بعطاء الاسلام بصايع بدعن امر يطلب منه كالجزية
وذلك لانه من المؤلفة قلوبهم الذين رغبوا الاسلام والطاعة بجمال
وشاء دفعت اليهم وهم قوم معروفون كمعوية واخيه يزيد وابيه ابي سفيان
وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام بن المغيرة وحويطب ابن
عبد العزى والاخنس بن شريق وصفوان بن امية وعمرو بن وهب وعيينة
بن حصين والاقرع بن حابس وعباس مرداس وغيرهم فكان اسلام هؤلاء
للطمع والاعراض الدنياوية ولم يكن عن اصل ولا عن يقين وعلم وقال
الراوندي عن يقين انه صحبت طم الرضايع عمرو بن العاص وليس بصحيح لان
عمرا لم يسلم بعد الفتح واصحاب الرضايع كلهم بعد الفتح سوبعوا عن الاسلام
بغنايم حنين ولعمري ان اسلام عمرو كان مدخولا ايضا الا لم يكن عن صحيح
وانما كان لمعنى اخر فاما الذي شرب الحرام وجلد حدا في الاسلام فقد قال
الراوندي هو المغيرة بن شعبه واخطا فيما قال لان المغيرة انما اتهم بالزنا
ولم يحد ولم يجر للمغيرة ذكر في شرب الخمر وقد تقدم خبر المغيرة مستوفى وايضا
فان المغيرة لم يشهد صفين مع معوية ولا مع علي وما للراوندي ولهذا انما
يعرف هذا الفن اربابه والذي عناه علي الوليد بن عقبه بن ابي معيط وكان
اشد الناس عليه وابلغهم تحريضا لمعوية واهل الشام على حربه ونحن نذكر
بذكر حديث الوليد وشربه الخمر منقولا من كتاب الاغاني الفرج علي بن الحسين
الاصفهاني قال ابو الفرج كان سبب امارة الوليد بن عقبه الكوفة ما حدثني
به احمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد العزيز
بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن ابيه قال لم يكن

يجلس

يجلس مع عثمان على سريره الا العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن حرب
والحكم بن ابي العاص والوليد ابن عقبه ولم تكن سريره يسع الا عثمان
وواحدا منهم فاقبل الوليد يوما فجلس فجاء الحكم ابن ابي العاص فاوما عثمان
الى الوليد فرحل عن مجلسه فلما قام الحكم قال الوليد والله يا امير المؤمنين
لقد تلجلج في صدري بيتان قلتهما حين رايتك آثرت عمك على ابن امك
وكان الحكم عم عثمان والوليد اخاه لامه فقال عثمان ان الحكم شيخ قريش فما البيتان
فقال • رايت لعم المرء زلفى قرابة • دوين اخيه حادثا لم تكن قدما • فاملت
عمرا ان يشب وخالد • لكي يدعواني يوم نائبة عما • يعني عمرا وخالدا
ابني عثمان قال فرق له عثمان وقال قد وليتك الكوفة فاخرج اليها قال ابو
الفرج واخبرني احمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني
بعض اصحابنا عن ابن داب قال لما ولى عثمان الوليد بن عقبة الكوفة
قدمها وعليها سعد بن ابي وقاص فاخبر بقدومه ولم يعلم انه قد امر فقال
وما صنع قالوا وقف في السوق وهو يحدث الناس ولسنا ننكر شيئا
من امره فلم يلبث ان جاء نصف النهار فاستاذن على سعد فاذن
له فسلم عليه بالامرة وجلس معه فقال له سعد ما اقدمك ابا وهب قال
احببت زيارتك قال وذاك اجئت بريدا قال انا ارزن من ذاك ولكن
القوم احتاجوا الى عملهم فسرحوني اليه وقد استعملني امير المؤمنين على
الكوفة فسكت سعد طويلا ثم قال والله ما ادري اصلحت بعدنا ام فسدنا
بعدك ثم قال كليني وجريني ضباع وابشري بلحم امرء لم يشهد اليوم ناصره فقال
الوليد اما والله لانا اقول للشعر منك واروى له ولو شئت لاجبتك ولكن

ادع ذاك لما تعلم نعم والله وقد امرت بمحاسبتك والنظر في امر عمالك
ثم بعث الى عمال سعد فحبسهم وضيق عليهم فكتبوا الى سعد يستغيثون
فكلمه فقال له اوللمعروف عندك موضع قال نعم فخلى سبيلهم قال احمد وحدثني
عمر عن ابي بكر الباهلي عن هيثم عن العوام بن حوشب قال لما قدم الوليد
على سعد قال له سعد والله ما ادري اكست بعدنا ام حمقنا بعدك فقال لا تجزعن
ابا اسحاق فانما الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون فقال سعد اراكم والله
ستجعلونه ملكا قال ابو الفرج وحدثنا احمد قال حدثني عمر قال حدثني هرون
بن معروف عن ضمرة بن ابي ربيعة عن ابن شوذب قال صلى الوليد باهل
الكوفة الغداة اربع ركعات ثم التفت اليهم فقال ازيدكم فقال عبد الله بن
مسعود ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم قال ابو الفرج وحدثني احمد قال حدثنا
عمر قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا جرير عن الاجلح عن الشعبي قال قال
الحطيئة يذكر الوليد ۔ شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ان الوليد احق بالغدر
نادى وقد تمت صلاتهم ازيدكم سكرا ولم يدري ۔ فابوا ابا وهب ولو اذنوا
لقرنت بين الشفع والوتر ۔ كفوا عنانك اذ جريت ولو ۔ تركوا عنانك لم تزل
تجري ۔ وقال الحطيئة ايضا ۔ تكلم في الصلوة وزاد فيها ۔ علانية واعلن
بالنفاق ۔ ومج الخمر في سنن المصلى ۔ ونادى والجميع الى افتراق ۔ ازيدكم على
ان تحمدوني فما لكم وما لي من خلاق ۔ قال ابو الفرج واخبرنا محمد بن خلف وكيع
قال حدثني حماد بن اسحاق قال حدثني ابي قال ابو عبيدة وهشام بن الكلبي
والاصمعي كان الوليد زانيا يشرب الخمر فشرب بالكوفة وقام ليصلي بهم الصبح في
المسجد الجامع فصلى بهم اربع ركعات ثم التفت اليهم فقال ازيدكم وتقيأ

بعد ان قرا بهم رافعا صوته في الصلوة علق القلب الربابا بعد ما شابت
وشابا فشخص اهل الكوفة الى عثمان فاخبروه بخبره وشهدوا عليه بشرب الخمر فاتي به
فامر رجلا من المسلمين ان يضربه الحد فلما دنى منه قال نشدتك الله وقرابتي من
امير المؤمنين فتركه فخاف علي بن ابي طالب ان يعطل الحد فقام اليه فحذفه بيده
فقال الوليد نشدتك الله والقرابة فقال علي اسكت ابا وهب فانما هلكت بنو اسرائيل
بتعطيلهم الحدود فلما ضربه وفرغ منه قال لتدعوني قريش بعدها جلادا قال
اسحاق وحدثني مصعب الزبيري قال قال الوليد بعد ما شهدوا عليه فجلد اللهم
انهم قد شهدوا علي بزور فلا ترضهم عن امير ولا ترض عنهم اميرا قال وقد عكس الحطيئة
ابياته فجعلها مدحا للوليد فقال شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ان الوليد احق
بالعذر ۔ كفوا عنانك اذ جريت ولو ۔ تركوا عنانك لم تزل تجري ۔ ورأوا شمائل
ماجد انف ۔ يعطي على الميسور والعسر ۔ فنزعت مكذوبا عليك ولم تنزع على
طمع ولا ذعر ۔ قال ابو الفرج ونسخت من كتاب هرون بن الزيات بخطه عن عمر بن
شبه قال شهد رجل عند ابي العجاج وكان على قضاء البصرة على رجل من المعيطيين
بشهادة وكان الشاهد سكران فقال المشهود عليه وهو المعيطي اعزك الله ايها

لطيفه

القاضي انه لا يحسن من السكر ان يقرا شيئا من القرآن فقال الشاهد بلى احسن
قال فاقرا فقال علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا يتمجن بذلك ويحكي
ما قاله الوليد في الصلوة وكان ابو العجاج محمقا فظن ان هذا من القرآن فجعل
يقول صدق الله ورسوله ويلكم كم تعلمون ولا تعلمون قال ابو الفرج اخبرني
احمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبه عن المدائني عن مبارك بن سلام
عن فطر بن خليفة عن ابي الضحى قال كان ناس من اهل الكوفة يتطلبون عثرة

الوليد ابن عقبة منهم ابو زينب الازدي وابو مورع فجاءا يوما ولم يحضر الوليد
الصلوة فسألا عنه وتلطفا حتى علما انه يشرب فاقتحما الدار فوجداه يقئ فاحتملاه
وهو سكران حتى وضعاه على سريره واخذا خاتمه من يده فافاق فافتقد
خاتمه فسأل عنه اهله فقالوا لا ندري وقد راينا رجلين دخلا عليك
فاحتملاك على سريرك فقال صفوهما لي فقالوا احدهما آدم طوال حسن الوجه
والآخر عريض مربوع عليه خميصة فقال هذا ابو زينب وهذا ابو مورع قال
ولقي ابو زينب وصاحبه عبد الله بن حنبيش الاسدي وعلقمة بن يزيد البكري
وغيرهما فاخبروهم فقالوا اشخصوا الى امير المؤمنين فاعلموه وقال بعضهم
لا يقبل قولكم في اخيه فشخصوا اليه فقالوا انا جئناك في امر ونحن مخرجوه اليك
من اعناقنا وقد قيل انك لا تقبله قال وما هو قالوا راينا الوليد وهو سكران
من خمر شربها وهذا خاتمه اخذناه من يده ولا يعقل فارسل عثمان الى علي
فاخبره فقال ارى ان تشخصه فاذا شهدوا عليه بمحضر منه حددته فكتب عثمان
الى الوليد فقدم عليه ابو زينب وابو مورع وجندب الازدي وسعد بن
مالك الاشعري فقال عثمان لعلي قم انت الى ليبل فاجلده فقال علي للحسن ابنه
قم فاضربه فقال الحسن ما لك ولهذا يكفيك غيرك فقال علي لعبد الله بن
جعفر قم فاضربه فضربه بمخصرة فيها سير له راسان فلما بلغ اربعين قال حسبك
قال ابو الفرج وحدثني احمد قال حدثنا عمر قال حدثني المدائني عن الوقاصي
عن الزهري قال خرج رهط من اهل الكوفة الى عثمان في امر الوليد فقال
كلما غضب رجل على اميره رماه بالباطل لئن اصبحت لكم لانكلن بكم واستجاروا
بعائشة واصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتا وكلاما فيه بعض الغلظة

فقال

فقال اما يجد فساق العراق ومراقها ملجاء الا بيت عائشة فسمعت فرفعت
نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت تركت سنة صاحب هذا النعل
وتسامع الناس فجاؤا حتى ملاء والمسجد فمن قائل قد احسنت ومن قائل ما للنساء
ولهذا حتى تخاصموا وتضاربوا بالنعال ودخل رهط من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وآله على عثمان فقالوا له اتق الله ولا تعطل الحدود واعزل اخاك
عنهم ففعل قال ابو الفرج حدثنا احمد قال حدثني عمر عن المدائني عن ابي محمد الناجي
عن مطر الوراق قال قدم رجل من اهل الكوفة الى المدينة لعثمان اني صليت
صلوة الغداة خلف الوليد فالتفت في الصلوة الى الناس فقال ازيدكم فاني
اجد اليوم نشاطا وشممنا منه رائحة الخمر فضرب عثمان الرجل فقال الناس عطلت
الحدود وضربت الشهود قال ابو الفرج وحدثنا احمد قال حدثنا ابو بكر الباهلي
عن بعض من حدثه قال لما شهد على الوليد عند عثمان بشرب الخمر كتب اليه يامره
بالشخوص فخرج وخرج معه قوم يعذرونه فيهم عدي بن حاتم الطائي فنزل
الوليد يوما يسوق لهم فارتجز وقال لا تحسبنا قد نسينا الايجاف والنشوات
من معتق صاف وعزف قينات علينا عراف فقال عدي فاين تذهب
اذا فاقم قال ابو الفرج وقد روى احمد عن عمر عن رجاله عن الشعبي عن جندب
الازدي قال كنت فيمن شهد على الوليد عند عثمان فلما استتممنا عليه الشهادة
ثم ذكر باقي الخبر وضرب علي اياه وقول الحسن ابنه له ما لك ولهذا وزاد فيه فقال
علي لست اذا مسلما او قال من المسلمين قال ابو الفرج واخبرني احمد عن عمر عن رجاله
الشهادة لما تمت قال عثمان لعلي دونك ابن عمك فاقم عليه الحد فامر علي ابنه الحسن فلم
يفعل وقال يكفيك غيرك فقال علي بل ضعفت ووهنت وعجزت قم يا عبد الله بن جعفر

عطلت الحدود وضربت الشهوة

فقال علي

فقال الحسن

١٩٩

فاجلد فقام فجلده وعلي يعد حتى بلغ اربعين فقال علي حسبك جلد رسول الله
صلى الله عليه وآله اربعين وجلد ابو بكر اربعين وكملها عمر ثمانين وكل سنة قال ابو الفرج
وحدثني احمد عن عمر عن عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد قال
واخبرني ايضا به ذكا براهيم بن محمد بن ايوب عن عبد الله بن مسلم قالوا جميعا
لما ضرب عثمان الوليد الحد قال انك لتضربني بشهادة قوم ليقتلنك عاما فعاما
قال ابو الفرج وحدثني احمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شبة عن عبد الله قالوا
جميعا كان ابو زبيد الطائي نديما للوليد بن عقبة ايام ولايته الكوفة
فلما شهدوا عليه بالسكر من الخمر خرج عن الكوفة معزولا فقال ابو زبيد يتذكر
ايامه وندامه من يرى العير لابن اروى على ظهر المروري حداتهن عجال
ناعجات والبيت بيت ابي وهب • خلاء تحن فيه الشمال • يعرف الجاهل المضلل
ان الدهر فيه النكراء • والزلزال • ليت شعري كذاكم العهد ام كانوا اناسا ممن
يزول فزالوا • بعدما تعلمين يا ام عمرو • كان فيهم عز لنا وجمال ووجوه بودنا
مشرقات • ونوال اذا اريد النوال اصبح البيت قد تبدل بالحي وجوها
كانها الاقتال • كل شيء يحتال فيه الرجال • غير ان ليس للمنايا احتيال ولعمر الا
لو كان للسيف مصال وللسان مقال ما تناسيتك الصفاء ولا الود ولا
حال دونك الاشتغال وتحرمت لحمك المتغشي ضلة ضل حلمهم ما اغتالوا
قولهم شربك الحرام وقد كان • شراب سوى الحرام حلال • وابى الظاهر
العداوة والشنان • الامقال ما لا يقال من رجال • تقارضوا منكرات
لينالوا الذي ارادوا فنالوا • غير ما طالبين وحلا ولكن ما الدهر على
اناس فالوا من تخيل الصفا او بتبدل • او بذل مثل ما بذل الاظلال

فاعلمن

فاعلمن انني اخوك اخو الود • حياتي حتى تزول الجبال • ليس بخلا عليك
يوما بمال • ابدا ما اقل نعلا قبال • ولك الصبر باللسان وبالكف اذا كان
للبد بين مصال • قال ابو الفرج وحدثني احمد قال حدثني عمر قال لما قدم
الوليد بن عقبة الكوفة قدم عليه ابو زبيد فانزله دار عقيل بن ابي
طالب على باب المسجد وهي التي تعرف بدار القبطي فكان مما احتج به عليه اهل
الكوفة ان ابا زبيد كان يخرج اليه من داره وهو نصراني يخترق المسجد فيجعله
طريقا قال ابو الفرج واخبرني محمد بن العباس اليزيدي قد حدثني عمي عبيد الله
عن ابن حبيب عن ابن الاعرابي ان ابا زبيد وفد على الوليد حين استعمله
عثمان بن الكوفة فانزله الوليد دار عقيل بن ابي طالب عند باب المسجد
واستوهبها منه فوهبها له فكان ذلك اول الطعن عليه من اهل الكوفة
لان ابا زبيد كان يخرج من داره حتى يشق المسجد الى الوليد فيسمر عنده
ويشرب معه ويخرج فيشق المسجد وهو سكران فذاك نبههم عليه قال وقد كان
عثمان ولى الوليد صدقات بني تغلب فبلغه عنه شعر فيه خلاعة فعزله قال
فلما ولاه الكوفة اختص ابا زبيد الطائي وقربه ومدحه ابو زبيد بشعر كثير وقد
كان الوليد استعمل الربيع بن مري بن اوس بن حارثة بن ام الطائي على
الحمى فيما بين الجزيرة والحيرة فاجدبت الجزيرة وكان ابو زبيد في بني تغلب
نازلا فخرج بهم ليرعيهم فاباها عليهم الربيع بن مري ومنعهم وقال لابي زبيد ان شئت
عندك وحدك فعلت فاتى ابو زبيد الى الوليد فشكاه فاعطاه ما بين
القصور الحمر من الشام الى القصور الحمر من الحيرة وجعلها حمى واخذها من
الربيع بن مري فقال ابو زبيد يمدح الوليد والشعر يدل على ان الحمى كان بيد مري

ابن اوس لا يبعد ابن بيع ابيه وهكذا هو في رواية عمر بن شبة لعمر ابيك يا ابن ابي
مري: لتغير كنه من اباح لنا الديار اباح لنا ابارق وان فوز نزيح العيش عنها
والقفارا: بحمد الله ثم فتى قريش ابي وهب غدت بدنا غزارا
اباح لنا ولم يحمي عليكم اذا ما كنتم سنة حرارا قال يقول اذا اجدبتم فانا
لا نحميها عليكم اذا ما كنتم اساءتم وحميتموها علينا: فتى طالت يداه
الى المعالي وطحطحت المحدمة القصارا قال ومن شعر ابي زبيد فيه
يذكر عرضه له على مري بن اوس بن حارثة: ياليت شعري بانباء انبؤها
قد كان يعنى به صدري وتقديري عن امرء ما يزده الله من شرف
افرح بعمري غير مسرور ان الوليد له عندي وحق له: ود الخليل ونصح
غير مدخور: لقد رعاني وادناني واظهرني: على الاعادي بنصر غير
تعذيري وشذب القوم عني غير مكترث: حتى تناهوا على رغم وتصغير نفسي
فداء ابي وهب وقل له: يا ام عمرو فخلي اليوم اوسيري وقال ابو زبيد
يمدح الوليد: وبنيا لم تعرافه حين غربت عن الكوفة لعمري ان اتيت الوليد
ببلدة سواي لقد امسيت للدهر معورا: خلا ان رزق الله غاد ورائح
واني له راج وان سار اسهرا: وكان هو الحصن الذي ليس مسلمي اذا
انا بالنكراء اصبحت معسرا اذا اصابك غول دون الوليد فانما بوادي
ذي خماس من عفرا وهي طويلة يصف فيها الاسد قال ابو الفرج وحدثنا
احمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر عن رجاله عن الوليد قال لما فتح رسول الله
صلى الله عليه وآله مكة باتوه بصبيانهم فيدعوا لهم بالبركة ويمسح بيده على
رؤسهم فجيء بي اليه وانا مخلق فلم يمسني من اجل الخلوق قال ابو الفرج وحدثني

اسحق

اسحق بن بنان الانماطي قال حدثنا حنيش بن ميسر عن عبد الله بن موسى عن ابن ابي
ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال الوليد بن عقبة
لعلي بن ابي طالب انا احد منك سنانا وابسط منك لسانا واملا
للكتيبة فقال له علي اسكت يا فاسق فنزل القرآن فيهما افمن كان مؤمنا
كمن كان فاسقا لا يستوون وقال ابو الفرج وحدثني احمد بن عبد العزيز
عن عمر بن شبة عن محمد بن حاتم عن يونس بن عمر عن شيبان عن قتادة في قوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا قال هو الوليد بن عقبة بعثه
النبي صلى الله عليه وآله مصدقا الى بني المصطلق فلما راوه اقبلوا نحوه
فهابهم فرجع الى النبي صلى الله عليه وآله فقال له انهم ارتدوا عن الاسلام
فبعث النبي صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد وامره ان يتثبت وقال انطلق
ولا تعجل فانطلق حتى اتاهم ليلا وانفذ عيونه نحوهم فلما جاؤا واخبروه انهم
متمسكون بالاسلام وسمعوا اذانهم وصلاتهم فلما اصبح اتاهم فرأى ما يعجبه
فرجع الى الرسول صلى الله عليه وآله فاخبره فنزلت هذه الآية قلت قد ذكر ابن عبد
البر صاحب كتاب الاستيعاب في هذا الموضع نكتة حسنة فقال في حديث
الخلوق هذا حديث مضطرب منكر لا يصح وليس يمكن ان يكون من بعثه
النبي عليه واله مصدقا صبيا يوم الفتح قال ويدل ايضا على فساده ان الزبير
بن بكار وغيره من اهل العلم بالسير والاخبار ذكروا ان الوليد واخاه عمارة
ابني عقبة بن ابي معيط خرجا من مكة ليردا اختهما ام كلثوم عن الهجرة
وكانت هجرتها في الهدنة التي بين النبي صلى الله عليه وآله وبين اهل مكة
ومن كان غلاما مخلقا بالخلوق يوم الفتح ليس يجيء منه مثل هذا

فوجب ان تنظر في حديث الخلوق فان رواية جعفر بن برقان بن ثابت عن الحجاج
عن ابي موسى الهمداني وابو موسى مجهول لا يصح حديثه ثم نعود الى كتاب ابي الفرج
الاصبهاني قال ابو الفرج حدثني احمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عن عبد الله بن
عمر عن نعيم بن حكيم عن ابي مريم عن علي رض ان امراة الوليد بن عقبة جاءت
الى النبي صلى الله عليه وآله تشتكي اليه الوليد وقالت انه يضربها فقال لها ارجعي اليه وقولي
له ان رسول الله صلى الله عليه وآله قد اجارني فانطلقت فمكثت ساعة ثم رجعت فقالت
انه ما اقلع عني فقطع رسول الله صلى الله عليه وآله هدبة من ثوبه وقال اذهبي
بها اليه وقولي له ان رسول الله صلى اجارني فانطلقت فمكث ساعة ورجعت فقالت
ما زادني الا ضربا فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله يديه ثم قال اللهم عليك بالوليد
مرتين او ثلاثا قال ابو الفرج واتخذ الوليد لما كان واليا بالكوفة ساحرا كان
يفتن الناس كان يريه كتيبتين يقتتلان فتحمل احداهما على الاخرى فتهزمها
ثم يقول له ايسرك ان اريك المنهزمة تغلب الغالبة فتهزمها فيقول نعم فجاء جندب
الازدي مشتملا على سيفه فقال افرجوا افرجوا فضربه وقتله فحبسه الوليد
قليلا ثم تركه قال ابو الفرج وروى احمد عن عمر عن رجاله ان جندبا لما قتل
الساحر حبسه الوليد فقال له دينار بن دينار فيم حبست هذا وقد قتل من اعلن
بالسحر في دين محمد ثم مضى اليه فاخرجه من الحبس فارسل الوليد الى دينار
فقتله قال ابو الفرج حدثني الحسن بن محمد قال حدثني الخراز عن المدائني
عن علي بن مجاهد بن اسحاق عن يزيد بن رومان عن الزهري وغيره ان رسول
الله صلى الله عليه وآله لما انصرف من غزاة المصطلق نزل رجل من المسلمين فساق
بالقوم ورجز ثم آخر فساق بهم ورجز ثم بدا لرسول الله صلى الله عليه وآله ان يواسي

اصحابه

اصحابه فنزل فساق بهم ورجز وجعل يقول فيما يقوله جندب وما جندب والاقطع
زيد الخير فدنا منه اصحابه فقالوا يا رسول الله ما ينفعنا سيرنا مخافة ان
تنهشك دابة او تصيبك نكبة فركب ودنوا منه وقالوا قلت قولا لا ندري
ما هو قال وما ذاك قالوا كنت تقول جندب والاقطع زيد الخير فقال رجلان
يكونان في هذه الامة يضرب احدهما ضربة تفرق بين الحق والباطل وتقطع
يد الآخر في سبيل الله ثم يتبع آخر جسده باوله فكان زيد هو زيد بن صوحان
قطعت يده في سبيل الله يوم جلولاء وقتل يوم الجمل مع علي بن ابي طالب
رض واما جندب فهذا دخل على الوليد بن عقبة وعنده ساحر
يقال له ابو شيبان يأخذ اعين الناس فيخرج مصارين بطنه ثم يردها
فجاء من خلفه فضربه فقتله وقال العن وليدا وابا شيبان وابن حبيش
راكب الشيطان رسول فرعون الى هامان قال ابو الفرج وقد روي
ان هذا الساحر كان يدخل عند الوليد في جوف بقرة حية ثم يخرج
منها فرآه جندب فذهب الى بيته فاشتمل على سيف فلما دخل الساحر
في البقرة قال جندب اتأتون السحر وانتم تبصرون ثم ضرب وسط البقرة
فقطعها وقطع الساحر واذعر الناس فسجنه الوليد وكتب بامره الى عثمان
قال ابو الفرج فروى احمد بن عبد العزيز عن عمر عن حجاج بن نصير عن قرة
عن محمد بن سيرين قال فانطلق بجندب بن كعب قاتل الساحر بالكوفة
السجن وعلى السجن رجل نصراني من قبل الوليد فكان يرى جندب بن كعب
يقوم بالليل ويصبح صائما فوكل بالسجن رجلا ثم خرج فسأل الناس عن
افضل اهل الكوفة فقالوا الاشعث بن قيس فجعل يستضيفه فجعل يراه

ينام الليل ثم يصبح فيدعوا بعشائه ثم يخرج من عنده وسال اهل الكوفة
افضل قالوا جرير بن عبد الله البجلي فذهب اليه فوجده ينام الليل ثم يصبح
فيدعوا بعشائه فاستقبل القبلة وقال ربي رب جندب وديني دين
جندب ثم اسلم قال ابو الفرج فلما نزع عثمان الوليد عن الكوفة امر عليها
سعيد بن العاص فلما قدمها قال اغسلوا هذا المنبر فان الوليد كان رجسا
نجسا فلم يصعده حتى غسل قال ابو الفرج وكان الوليد اسن من سعيد
بن العاص واسخى نفسا والين جانبا وارضى عندهم فقال بعض شعرائهم
وجاءنا من بعد سعيد ينقص في الصاع ولا يزيد وقال الاخر قد زادني
وليدلي سعيد ٭ كاهل الحجاز فرعوا فنا ردبلينا بن قريش كل عام
امير محدث او مستشار لنا نار تحرقنا فنخشى وليس لهم ولا يخشون
قال ابو الفرج وحدثنا احمد قال حدثنا عمر عن المدائني قال قدم الوليد
عقبة الكوفة في ايام معوية زائرا للمغيرة بن شعبة فاتاه اشراف
الكوفة فسلموا عليه وقالوا والله ما راينا بعدك مثلك فقال اخيرا ام شرا
قالوا بل خيرا قال ولكني ما رايت بعدكم شرا منكم فاعادوا الثنا
عليه فقال بعض ما تاتون به فوالله ان بغضكم لتلف وان حبكم لصلف
قال ابو الفرج وروى عمر بن شبة ان قبيصة بن جابر كان ممن كثر
على الوليد فقال معوية يوما والوليد وقبيصة عنده يا قبيصة ما كان
شانك وشان الوليد قال خيرا يا امير المؤمنين انه في اول الامر وصل
الرحم واحسن الكلام فلا تسال عن شكر وحسن ثناء ثم غضب على الناس
وغضبوا عليه وكنا منهم فاما ظالمون فنستغفر الله واما مظلومون فيغفر الله

له وخذ لي غير هذا يا امير المؤمنين فان الحدث ينسي القديم قال معوية
ما اعلم الا فتا حسن السيرة وبسط الخير وقبض الشر قال فانت اليوم
يا امير المؤمنين اقدر على ذلك فافعله قال اسكت لا سكت فسكت و
سكت القوم فقال معوية بعد يسير ما لك لا تتكلم يا قبيصة قال نهيتني عن كلام كنت
احب فسكت عما لا احب قال ابو الفرج ومات الوليد بن عقبة غربي الرقة
ومات ابو زبيد هناك فدفنا جميعا في موضع واحد فقال في ذلك اشجع
السلمي وقد مر بقبريهما مررت على عظام ابي زبيد هنا كالاحب ببلقعه
صلد وكان له الوليد نديم صدق فنادم قبره قبر الوليد وما ادري بمن تبدا
المنايا بحمزة ام باشجع ام يزيد تبل هم اخوته وقيل نداماه قال ابو الفرج وحدثني
احمد بن عبد العزيز عن محمد بن زكريا الغلابي عن عبد الله بن الضحاك عن هشام
بن محمد عن ابيه قال وفد الوليد بن عقبة وكان جوادا الى معوية فقيل له
هذا الوليد بن عقبة بالباب فقال والله ليرجعن مغيظا غير معطى فانه
الآن قد اتانا يقول علي دين وعلي كذا ايذن له فاذن فسايله وتحدث
معه ثم قال له معوية اما والله ان كنا لنحب اتيان مالك بالوادي ولقد كان
يعجب امير المؤمنين فان رايت ان تهبه ليزيد فافعل قال هو ليزيد ثم خرج
وجعل يختلف الى معوية فقال له يوما انظر يا امير المؤمنين في شاني فان
علي مؤونة وقد ارهقني دين فقال له الا تستحي لنفسك وحسبك تاخذ
ما تاخذ فتبذره ثم لا تنفك تشكو دينا تشكوا فقال الوليد افعل ثم انطلق
من مكانه فصار الى الجزيرة وقال يخاطب معوية فاذا سيلت تقول لا واذا
تقول هات تاق فقال الخير لا تزوى وانت على الفرات افلا تميل الى ثم اوذك

لا حتى الممات وبلغ معوية شخوصه فخاف وتركت اليه ان اقبل وكتب اليه : اعف
كما انى امرؤ تجبي فاعط سرا اي ما بدالك والحمل ساجدا وراكعا فى عنك انى عزمتي اذا انا
امر كسلة متصل ما فى امر المدائن بنى نظرب : ولست سيا فقل على بفعل ثم رحل
الى الحجاز فبعث اليه معوية بجائزته فاما ابو عمر بن عبد البر فانه ذكر فى الاستيعاب
فى باب الوليد قال ان له اخبارا فيها شناعة فقطع على سوء حاله وقبح فعاله غفر الله
لنا وله فلقد كان من رجال قريش ظرفا وحلما وشجاعة وجودا وادبا وكان من
الشعراء المطبوعين قال وكان الاصمعي وابو عبيدة وابن الكلبي وغيرهم يقولون
انه كان فاسقا شريب خمر وكان شاعرا كريما قال واخباره فى شربه الخمر ومنادمته
ابا زبيد الطائي كثيرة مشهورة ويسمج بنا ذكرها ولكنا نذكر منها طرفا ثم نذكر ما
ذكره ابو الفرج فى الاغانى وقال ان خبر الصلوة وهو سكران وقوله ازيدكم خبر
مشهور رواه الثقات من نقلة الحديث قال ابو عمر بن عبد البر وقد ذكر الطبرى
فى رواية انه تعصب عليه قوم من اهل الكوفة حسدا وبغيا وشهدوا عليه بشرب
الخمر وقال ان عثمان قال له يا اخى اصبر فان الله يأجرك ويبوء القوم باثمك قال ابو عمر
وهذا الحديث لا يصح عند اهل الاخبار ونقلة الحديث ولا له عند اهل العلم
اصل والصحيح ثبوت الشهادة عليه عند عثمان وجلده الحد وان عليا هو الذى
جلده قال ولم يجلده بيده وانما امر بجلده فنسب الجلد اليه قال ابو عمر ولم يرو
الوليد من السنة ما يحتاج فيها اليه ولكن حارثة بن مضرب روى عنه انه ما
كانت نبوة الا كان بعدها ملك **الاصل** ومن كتاب له الى ابى موسى
الاشعري وهو عامله على الكوفة وقد بلغه تثبيطه الناس عن الخروج اليه لما
ندبهم لحرب اصحاب الجمل من عبد الله على امير المؤمنين الى عبد الله بن قيس اما بعد فقد

بلغني

بلغني عنك قول هو لك وعليك فاذا قدم عليك رسولي فارفع ذيلك واشدد
مئزرك واخرج من جحرك واندب من معك فان حققت فانفذ وان تفشلت فابعد
وايم الله لتؤتين من حيث انت ولا تترك حتى يخلط زبدك بخاثرك وذائبك
بجامدك وحتى تعجل عن قعدتك وتحذر من امامك كحذرك من خلفك وما هى
بالهوينا التى ترجو ولكنها الداهية الكبرى يركب جملها ويذل صعبها ويسهل
فاعقل عقلك واملك امرك وخذ نصيبك وحظك فان كرهت فتنح الى غير
رحب ولا فى نجاة فبالحرى لتكفين وانت نائم حتى لا يقال اين فلان والله
انه لحق مع محق وما يبالى ما صنع الملحدون والسلام **الشرح** المراد بقوله قول
هو لك وعليك ان ابا موسى كان يقول لاهل الكوفة ان عليا امام هدى وبيعته
صحيحة الا انه لا يجوز القتال معه لاهل القبلة وهذا القول بعضه حق وبعضه
باطل قوله فارفع ذيلك اي شمر للنهوض معى واللحاق بى لتشهد حرب اهل البصرة
وكذلك قوله واشدد مئزرك وكلاهما كنايتان عن الجد والتشمير فى الامر
واخرج من جحرك امره بالخروج من منزله لانه لما اراد عظامه لقاك واخرج من جحرك او
من عندك كما يقال للاسد ولكنه جعله ثعلبا او ضبعا قال واندب من معك
من اهل الكوفة الى الخروج معى واللحاق بى ثم قال وان حققت فانفذ اى امرك
مبنيا على الشك وكلامك فى طاعتى كالمناقض فان حققت لزوم طاعتك
فانفذ اى سر حتى تقدم على وان اقمت على الشك فابعد عن العمل فقد عزلتك
قوله لتؤتين معناه ان اقمت على الشك والاسترابة وتثبيط اهل الكوفة عن
الخروج الى وقولك لهم لا يحل لكم سل السيف لا مع على ولا مع طلحة فالزموا بيوتكم
واكسروا سيوفكم لنأتينكم وانتم فى منازلكم باهل الكوفة اهل البصرة مع طلحة ولنأتينكم

نحن یا اهل المدینة والحجاز فیجتمع علیکم سقان من امامکم ومن خلفکم فیکون
ذلک الداهیة الکبری التی لا سوٴ لها قوله ولا تترک حتی یخلط زبدک بخاثرک
تقول للرجل اذا ضربته حتی اثخنته لقد ضربته خلطت زبده بخاثره وکذلک
خلطت دابته بحاسه والخاثر اللبن الغلیظ والزبد خلاصة اللبن
وصفوته فاذا اثخنت الانسان ضربا کنت کانک خلطت ما رق ولطف
من اخلاطه بما کثف وغلظ منها وهذا مثل ومعناه لیفسدن حالک
ولیخلطن ولیضطربن ما هو الآن منتظم من امرک قوله وحتی تعجل عن قعدتک
القعدة بالکسر هیئة القعود کالجلسة والرکبة ولیعجلنک الامر عن هیئة
قعودک بصف شدة الامر وصعوبته قوله وتحذر من امامک کحذرک
من خلفک یعنی انک ان اقمت علی منع الناس عن الحرب معنا ومعهم
اهل البصرة واهل المدینة فتکون کما قال الله تعالی اذ جاءکم من فوقکم ومن
اسفل منکم قوله وما هی بالهوینا التی ترجوا الهوینا تصغیر الهونی التی
هی اهون ای لیست هذه الداهیة والجا بحذا ذکرها لک بالشیئ الهین التی
ترجوا اندفاعه وسهولته ثم قال بل هی الداهیة الکبری ستفعل لا محالة
ان استمررت علی ما انت علیه وکنی عن قوله ستفعل لا محالة بقوله یرکب
جملها وتمّا بعد وذلک لانها اذا رکب جملها وذلک صعبها وسهل وعرها
فقد فعلت ای لا یقل هذا امر عظیم صعب المرام ای قصد الجیوش من کلا
الجانبین الکوفة من التخاذل والجلوس فی البیوت وقولک لهم کن عبد الله
المقتول لتقعن بموجب ما ذکرنا لک ولیرتکبن اهل الحجاز واهل البصرة هذا
الامر المستصعب لانا نحن نطلب ان تملک الکوفة واهل البصرة کذلک فیجتمع

علیها

علیها الفریقان ثم عاد الی امره بالخروج الیه فقال له فاعقل عقلک واملک
امرک وخذ نصیبک وحظک ای من الطاعة واتباع الامام الذی لزمتک
بیعته فان کرهت ذلک فتنح عن العمل فقد عزلتک وابعد عنا لا فی رحب
ای لا فی سعة وهذا ضد قولهم مرحبا ثم قال فجدیر ان تکفی ما کلفته من حضور
الحرب وانت نایم ای لست معدودا عندنا ولا عند الناس من الرجال الذین
تفتقر الحروب والتدبیرات فسیغنی الله عنک ولا یقال این فلان ثم اقسم
انه لحق ای انی فی حربی هؤلاء لعلی حق وان من اطاع علی محق لیس یبالی
ما صنع الملحدون وهذا اشارة الی قول النبی صلی الله علیه وآله اللهم
ادر الحق معه حیث دار **الاصل** ومن کتاب کتبه الی معویة جوابا
اما بعد فانا کنا نحن وانتم علی ما ذکرت من الالفة والجماعة ففرق بیننا
وبینکم امس انا آمنا وکفرتم والیوم انا استقمنا وفتنتم وما اسلم
مسلمکم الا کرها وبعد ان کان انف الاسلام کله لرسول الله حربا وذکرت
انی قتلت طلحة والزبیر وشردت بعایشة ونزلت بین المصرین وذلک
امر غبت عنه فلا علیک ولا العذر فیه الیک وذکرت انک زائری فی
المهاجرین والانصار وقد انقطعت الهجرة یوم اسر اخوک فان کان فیک
عجل فاسترفه فانی ان ازرک فذلک جدیر ان یکون الله انما بعثنی للنقمة
وان تزرنی فکما قال اخو بنی اسد • مستقبلین ریاح الصیف تضربهم
بحاصب بین اغوار وجلمود • وعندی السیف الذی اعضضته بجدک
وخالک واخیک فی مقام واحد فانک والله ما علمت الاغلف القلب المقارب
العقل والاولی ان یقال لک انک رقیت سلما اطلعک مطلع سوء علیک

لانك لشدت عن رضا لتك ورعيت عن سايمنك وطلعنا مرا لست من اهله
ولا في معدنه فما ابعد قولك من فعلك وقريب ما اشبهت من اعمام واخوال
حلتهم الشقاوة وتمنى الباطل على الجحود لمحمد عليه السلام فصرعوا مصارعهم
حيث علمت لم يدفعوا عظيما ولم يمنعوا حريما بوقع سيوف ما خلا منها الوغى
ولم تماشها الهوينا وقد اكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس
ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله واما تلك التي تريد فانها
خدعة الصبي عن اللبن والسلام لاهله **الشرح** اما الكتاب الذي
كتبه معوية اليه وهذا الكتاب جوابه فهو من معاوية بن ابي سفيان
الى علي بن ابي طالب اما بعد فانا بني عبد مناف لم نزل ننزع من قليب
واحد ونجري في حلبة واحدة ليس لبعضنا على بعض فضل ولا لقائمنا
على قاعدنا فخر كلمتنا مؤتلفة والفتنا جامعة ودارنا واحدة يجمعنا
كرم العرق ويحوينا شرف النجار ويحنو قوينا على ضعيفنا ويواسي غنينا
فقيرنا قد خلصت قلوبنا من دغل الحسد وطهرت انفسنا من خبث
النية فلم نزل كذلك حتى كان منك ما كان من الادهان في امر ابن
عمك والحسد له وتضريب الناس عليه حتى قتل بمشهد منك لا تدفع عنه بلسان
ولا يد فليتك اظهرت نصره حيث اسررت قلت كالمتعلق بين الناس
حتى قلت كالمتعلق بين الناس بعذر وان ضعف والمتبري من دمه
بدفع وان وهن ولكنك جلست في دارك تدس اليه الدواهي وترسل
اليه الافاعي حتى اذا قضيت وطرك منه اظهرت شماتة وابديت طلاقة
وحسرت للامر عن ساعدك وشمرت عن ساقك ودعوت الى نفسك

واكرهت

واكرهت اعيان المسلمين الى بيعتك ثم كان منك بعد ما كان من قتلك
شيخي المسلمين ابي محمد طلحة وابي عبد الله الزبير وهما من الموعودين بالجنة
والمبشر قاتل احدهما بالنار في الآخرة هذا الى تشريدك بام المؤمنين عائشة
واحلالها محل الهون مبتذلة بين ايدي الاعراب وفسقة اهل الكوفة فمن
بين مشهر لها وبين شامت بها وبين ساخر منها اترى ابن عمك لو كان
بهذا اليوم حيا اكان يرضى ام كان يكون عليك ساخطا ولك عنه زاجرا ان تؤذي
اهله وتشرد بحليلته وتسفك دماء اهل ملته ثم تركك دار الهجرة التي قال
رسول الله صلى الله عليه وآله عنها ان المدينة لتنفي خبثها كما ينفي الكير خبث
الحديد فلعمري لقد صح وعده وصدق قوله ولقد نفت خبثها وطردت
عنها من ليس باهل ان يستوطنها فاقمت بين المصرين وبعدت عن بركة
الحرمين ورضيت بالكوفة بدلا من المدينة وبمجاورة الخورنق والحيرة
عوضا عن مجاورة قبر خاتم النبوة ومن قبل ذلك ما عبت خليفتي رسول الله
صلى الله عليه وآله ايام حياتهما فقعدت عنهما والبت عليهما وامتنعت
من بيعتهما ورمت امرا لم يرك الله تعالى له اهلا ورقيت سلما وعرا وحاولت مقاما
دحضا وادعيت ما لم تجد عليه ناصرا ولعمري لو وليتها حينئذ لما ازدادت الا فسادا
واضطرابا ولا اعقبت ولايتكها الا انتشارا وارتدادا لانك الشامخ بانفه
الذاهب بنفسه المستطيل على الناس بلسانه ويده وها انا سائر اليك في
جمع من المهاجرين والانصار تحفهم سيوف شامية ورماح قحطانية حتى
يحاكموك الى الله فانظر لنفسك وللمسلمين وادفع الي قتلة عثمان فانهم خاصتك
وخلصاؤك والمحدقون بك فان ابيت الا سلوك سبيل اللجاج والاصرار

على الغيّ والضلال فاعلم ان هذا الآية انما نزلت فيك وفي اهل العراق معك ضرب
الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ثم نعود الى تفسير الفاظ
الفصل ومعانيه قال لعمري انا كنا بيتا واحدا في الجاهلية لانا بنو عبد مناف
الا ان الفرقة بيننا وبينكم حصلت منذ بعث الله رسوله محمدا عليه السلام فانا
امنا به وكفرتم ثم تاكدت الفرقة اليوم بانا استقمنا على منهاج الحق وفتنتم
ثم قال وما اسلم منكم الا كرها كابي سفيان واولاده يزيد ومعوية وغيرهم من
بني عبد شمس قال وان كان انف الاسلام محاربا لرسول الله صلى الله عليه وآله
في اول الاسلام يقال كان ذلك في انف دولة بني فلان اي في اولها وانف
كل شيء اوله وطرفه وكان ابو سفيان واهله من بني عبد شمس اشد الناس على
رسول الله صلى الله عليه وآله في اول الهجرة الى فتح مكة ثم اجاب عن قوله قتلت
طلحة والزبير وشردت بعايشة ونزلت بين المصرين مختصرا اعرض فيه عن الاعتذار
به فقال هذا امر غبت عنه فليس عليك كان العدوان الذي تزعم ولا العذر
اليك لو وجب العذر عنه فاما الجواب المفصل فان يقال ان طلحة والزبير
قتلا انفسهما ببغيهما ونكثهما ولو استقاما على الطريق لسلما ومن قتله الحق
فدمه هدر واما كونهما شيخين من شيوخ الاسلام فغير مدفوع ولكن العيب
يحدث واصحابنا يذهبون الى انهما تابا وفارقا الدنيا نادمين على ما صنعا
وكذلك نقول نحن فان الاخبار كثرت عنهما بذلك فهما من اهل الجنة
لتوبتهما ولولا توبتهما لكانا هالكين كما هلك غيرهما فان الله تعالى لا يحابي احدا
في الطاعة والتقوى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة واما الذي

من اهل الجنه

لها بالجنة

لها بالجنة فمشروط بسلامة العاقبة والكلام في سلامتهما واذا ثبت توبتهما
فقد صح الوعد لهما وتحقق بشر قاتل ابن صفية بالنار فقد اختلف فيه فقال
قوم من ارباب السير وعلماء الحديث هو كلام امير المؤمنين غير مرفوع وقوم منهم
جعلوه مرفوعا وعلى كل حال فهو حق لان ابن جرموز قتله موليا خارجا من
الصف مفارقا للحرب فقد قتله على توبة وانابة ورجوع من الباطل وقاتل
من هذه حاله فاسق مستحق للنار واما ام المؤمنين عائشة فقد صحت توبتها
والاخبار الواردة في توبتها اكثر من الاخبار الواردة في توبة طلحة والزبير
لانها عاشت زمانا طويلا وهما لم يبقيا والذي جرى لها كان خطاء منها
فاي ذنب لامير المؤمنين في ذلك ولو اقامت في منزلها لم تبتذل بين الاعراب
واهل الكوفة على ان امير المؤمنين اكرمها وصانها وعظم من شانها
ومن احب ان يقف على ما فعله معها فليطالع كتب السيرة ولو كانت فعلت
بعمر ما فعلت به وشقت عصا الامة عليه ثم ظفر بها لقتلها ومزقها
اربا اربا ولكن عليا كان حليما كريما واما قوله لو عاش رسول الله صلى
الله عليه وآله فتراك هل كان يرضى لك ان تؤذي حليلته فلعلي ان يقلب
عليه الكلام ويقول افتراه لو عاش كان يرضى لحليلته ان تؤذي اخاه
ووصيه وايضا اتراه لو عاش كان يرضى لابن ابي سفيان ان تنازع
عليا الخلافة وتفرق جماعة هذه الامة وايضا اتراه لو عاش كان يرضى
لطلحة والزبير ان يبايعا ثم ينكثا لا لسبب بل قالا جئنا نطلب الدراهم
فقد قيل لنا ان بالبصرة اموالا كثيرة هذا كلام يقوله مثلهما فاما تركت دار الهجرة
فلا عيب عليه اذا انتقضت عليه اطراف الاسلام بالبغي والفساد ان يخرج عن

ما الفساد ان يخرج عن المدينة اليهما ويهدي لعلها وليس كل من خرج من المدينة
كان خبيثا فقد خرج عنها عمر مرارا الى الشام ثم لعل ان يتقلب عليه الكلام
فيقول له وانت يا معوية نفتك المدينة ايضا عنها فانت اذا خبث
وكذلك طلحة والزبير وعايشة الذين تتعصب لهم وتحتج على الناس بهم
وقد خرج عن المدينة الصالحون كابن مسعود وابي ذر وغيرهما وماتوا
في بلاد نائية عنها واما قوله بعدت عن تربة الحرمين ومن مجاورة
قبر الرسول صلى الله عليه فكلام اقناعي ضعيف والواجب على الامام
ان يقدم الاهم فالاهم من مصالح الاسلام وتقديم قتال اهل البغي على
المقام بين الحرمين اولى فاما ما ذكره من خذلانه عثمان وشماتته بالناس
بعد قتله الى نفسه واكراهه طلحة والزبير وغيرهما على بيعته فكل دعوى
والامر بخلافه ومن نظر كتب السير عرف انه قد بهته وادعى عليه ما لم يقع
منه واما قوله التويت على ابي بكر وعمر وقعدت عنهما وحاولت الخلافة
بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فان عليا لم يكن يجحد ذلك ولا ينكره
ولا ريب انه كان يدعي الامر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لنفسه
على الجملة اما للنص كما تقوله الشيعة او لامر آخر كما تقوله اصحابنا
فاما قوله لو وليتها حاج لفسدة الامر واضطرب الاسلام فهذا علم غيب
لا يعلمه لو وليتها حاج استقام الامر وصلح الاسلام وتمهد فانه ما وقع
الاضطراب عند ولايته بعد عثمان الا لان امرها هان عندهم بتاخره عن الخلافة
وتقدم غيره عليه فصغر شانه في النفوس وقرر من تقدمه في قلوب الناس
انه لا يصلح لها كل الصلاحية والناس على ما يحصل في نفوسهم ولو كان

ولهما

وليها ابتداء وهو على تلك الحالة التي كان عليها ايام حيوة رسول الله
صلى الله عليه وآله وتلك المنزلة الرفيعة والاختصاص الذي كان له لكان الامر
غير الذي رايناه عند ولايته بعد عثمان واما قوله لانك الشامخ بانفه الذاهب
بنفسه فقد اسرف في وصفه بما وصفه به ولا شك ان عليا كان عنده زهو لكن
لا هكذا وكان مع زهوه الطف الناس خلقا ثم نرجع الى تفسير الفاظه قوله
وذكرت انك زايري في جمع من المهاجرين والانصار ليس معك منهم الان
اكثر من معك ممن راى رسول الله صلى الله عليه وآله ابناء الطلقاء ومن اسلم
بعد الفتح وقد قال النبي صلى الله عليه وآله لا هجرة بعد الفتح بعبارة حسنة فيها
تقريع لمعاوية واهله بالكفر وانهم ليسوا من ذوي السوابق فقال قد انقطعت
الهجرة يوم اسر اخوك يعني يزيد بن ابي سفيان اسر يوم الفتح في باب الخندمة
وكان خرج في نفر من قريش يحاربون ويمنعون من دخول فقتل منهم قوم واسر
يزيد بن ابي سفيان اسره خالد بن الوليد فخلصه ابو سفيان منه وادخله
داره فامن لان رسول الله صلى الله عليه وآله قال من دخل دار ابي سفيان فهو امن
ويحسب ان نذكر في هذا الموضع ملخصا ما ذكره الواقدي في كتاب المغازي في
فتح مكة فان الموضع يقتضيه لقوله رض ما اسلم مسلمكم الا كرها وقوله يوم اسر اخوك
قال محمد بن عمر الواقدي في كتاب المغازي كان رسول الله صلى الله عليه وآله
قد هادن قريشا في عام الحديبية عشر سنين وجعل خزاعة داخلة معه
وجعلت قريش بني بكر بن عبد مناة بن كنانة داخلة معهم وكان بين
بكر وخزاعة ترات في الجاهلية ودماء وقد كانت خزاعة من قبل حالفت
عبد المطلب بن هاشم وكان معها كتاب منه وكان رسول الله صلى الله عليه

وآله يعرف ذلك فلما صلح الحديبية وآمن الناس سمع غلام من خزاعة انسانا
من بني كنانة يقال له انس بن زنيم الدئلي ينشد هجاء له في رسول الله صلى الله
عليه وآله فضربه فشجه فخرج انس الى قومه فاراهم شجته فثار الشر بينهم
وتذكروا احقادهم القديمة والقوم مجاورون بمكة واستمدت بنو بكر بن عبد مناة
قريشا على خزاعة فمن قريش من كره ذلك وكان صفوان بن امية وحويطب
بن عبد العزى ومكرز بن حفص ممن اعان بني بكر ودسوا اليهم بالرجال
اليهم بالرجال بالسلاح سرا وبيتوا خزاعة ليلا وهم غارون فقتلوا منهم
عشرين رجلا فلما اصبحوا [illegible] قريشا تحدث قريش انها اعانت بكرا وكذب
في ذلك وتبرا ابو سفيان وقوم من قريش مما جرى وشخص قوم من خزاعة
الى المدينة مستصرخين برسول الله صلى الله عليه وآله فدخلوا عليه
وهو في المسجد فقام عمرو بن سالم الخزاعي فانشد لاهم اني ناشد محمدا
حلف ابينا وابيه الاتلدا كنت والدا وكنا ولدا ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا بيتونا بالوتير
هجدا نتلوا القرآن ركعا وسجدا وزعموا ان لست تدعو احدا وهم اذل
واقل عددا فانصر هداك الله نصرا ابدا وادع عباد الله ياتوا مددا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا فيهم رسول الله قد تجردا قرم لقرم من قروم
اصيدا ثم ذكروا له ما اتاهم الخبر وقالوا ان بن زنيم هجاك وان صفوان
بن امية وفلانا وفلانا دسوا الينا رجال قريش فبيتونا بالوتير فقتلونا
وجئناك مستنصرين بك فزعموا ان رسول الله صلى الله عليه وآله قام
مغضبا يجر رداءه ويقول لا نصرت ان لم انصر خزاعة فيما انصر منه نفسي فقيل

فصادق

فصادق ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله ايثارا وحبا لنقض العهد
لانه كان يريد ان يفتح مكة وهم بها في عام الحديبية فصدتهم عنها في عمرة القضية
ثم وقف لاجل العهد والميثاق الذي كان عقد معهم فلما جرت ما جرى على
خزاعة اغتنمها قال الواقدي فكتب الى جميع الناس في اقطار الحجاز وغيرها
فامرهم ان يكونوا بالمدينة في رمضان من سنة ثمان للهجرة فوافته الوفود والقبائل
من كل جهة فخرج من المدينة يوم الاربعاء لعشر خلون من رمضان في عشرة
الاف فكان المهاجرون سبعمائة ومعهم من الخيل ثلثمائة فرس وكانت الانصار
اربعة الاف معهم من الخيل خمسمائة وكانت مزينة الفا فيها من الخيل مائة فرس
وكانت اسلم اربعمائة فيها من الخيل ثلاثون فرسا ومن سائر العرب تمام عشرة
الاف وهم بنو ضمرة وبنو غفار واشجع وبنو سليم وبنو كعب بن عمرو وغيرهم وعقد
للمهاجرين ثلاثة الوية لواء مع علي ع ولواء مع الزبير ولواء مع سعد بن ابي وقاص
وكانت الرايات في الانصار وغيرهم وكتم عن الناس الخبر فلم يعلم به الا خاصته
واما قريش بمكة فندمت على ما صنعت بخزاعة وعرفت ان ذلك انقضاء ما
بينهم وبين النبي صلى عليه من العهد ومشى الحارث بن هشام وعبد الله بن ابي
ربيعة الى ابي سفيان فقالا له ان هذا امر لا بد له ان يصلح والله ان لم يصلح
هذا الامر لا يروعنكم الا محمد في اصحابه قال قد رأت هند بنت عتبة رؤيا
كرهتها واقطعتها وخفت من شرها قالوا وما رأت قالت رأت كان دما اقبل من الحجون يسيل
حتى وقف بالخندمة مليا ثم كان ذلك الدم لم يكن فكره القوم ذلك وقالوا
هذا شر قال الواقدي فلما راى ابو سفيان ما راى من الشر قال هذا والله امر لم اشهده
ولم اغب عنه لا يحمل هذا الا علي ولا والله ما شوورت ولا هويت حين بلغني والله

ليغزونا محمد ان صدق ظني وهو صادق ومالي بُدٌ ان آتي محمدا فاكلمه ان يزيد في الهدنة
ويجدد العهد قبل ان يبلغه هذا الامر قالت قريش قد والله اصبت وندمت قريش
على ما صنعت بخزاعة وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وآله لابد ان يغزوها
فخرج ابو سفيان وخرج معه مولى له على راحلتين فاسرع السير وهو يرى انه
اوّل من مكة الى رسول الله صلى الله عليه قال الواقدي وقد روى الخبر على
وجه آخر وهو انه لما قدم ركب خزاعة على رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبروه بمن
قتل منهم قال لهم فمن تهمتكم وطلبتكم قالوا بنو بكر بن عبد مناة قال كلها
قالوا لا ولكن تهمتنا بنو نفاثة قصرة وراس القوم نوفل بن معاوية النفاثي فقال
هذا بطن من بكر فانا باعث الى اهل مكة فسائلهم عن هذا الامر ومخيرهم في
خصال فبعث اليهم ضمرة يخيرهم بين احدى خلال ثلاث بين ان يدوا خزاعة
او يبرؤوا من حلف نفاثة او ينبذ اليهم على سواء فاتاهم ضمرة فخيرهم بين الخلال
الثلاث فقال قرظة بن عمرو الاعمى اما ان ندي قتلى خزاعة فانا ان
وديناهم لم يبق لنا سبد ولا لبد واما ان نبرأ من حلف نفاثة فانه ليس قبيلة
تحج لهذا البيت اشد تعظيما له من نفاثة وهم حلفاؤنا فلا نبرأ من
حلفهم ولكن ننبذ اليهم على سواء فعاد ضمرة الى رسول الله صلى الله عليه وآله
بذلك وندمت قريش على ان ردت ضمرة بما ردت به قال الواقدي وقد روي
غير ذلك روي ان قريشا لما ندمت على قتل خزاعة وقالوا محمد غازينا
قال لهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وهو يومئذ كافر عندهم ان عندي
رأيا ان محمدا ليس يغزوكم حتى يعذر اليكم ويخيركم في خصال كلها اهون عليكم
من غزوه قالوا ما هي قال يرسل اليكم ان دوا قتلى خزاعة وتبرؤوا من حلف من

نقض

نقض العهد وهم بنو نفاثة او ننبذ اليكم العهد فقال القوم احرى ما قال ابن ابي
سرح ان يكون فقال سهيل بن عمرو ما خصلة ايسر علينا من ان نبرأ من حلف
نفاثة فقال شيبة بن عثمان العبدري حطت اخوالك خزاعة وغضبت
لهم قال سهيل واي قريش لم تلده خزاعة قال شيبة ولكن ندي قتلى خزاعة
فهو اهون علينا قال قرظة بن عبد عمرو لا والله لا نديهم ولا نبرأ من نفاثة
ابر العرب بنا واعمرهم لبيت ربنا ولكن ننبذ اليهم على سواء فقال ابو سفيان
ما هذا بشيء وما الرأي الا جحد هذا الامر ان يكون قريش في نقض عهد او قطع
مدة فان قطعه قوم بغير هوى منا ولا مشورة فما علينا قالوا هذا هو الرأي
لا الجحد لكل ما كان من ذلك فقال انا اقسم اني لم اشهد ولم اوامر وانا صادق
لقد كرهت ما صنعتم وعرفت ان سيكون له يوم غماس قالت قريش لابي
سفيان فاخرج انت بذلك فخرج قال الواقدي وحدثني عبد الله بن عامر
الاسلمي عن عطاء بن ابي مروان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعائشة
صبيحة الليلة التي اوقعت فيها نفاثة وقريش بخزاعة بالوتير يا عائشة
لقد حدث الليلة في خزاعة فقالت عائشة يا رسول الله اترى قريشا تجترئ
على نقض العهد بينك وبينهم وقد افناهم السيف قال ينقضون العهد
لامر يريده الله بهم فقالت خير ام شر يا رسول الله قال لخير قال الواقدي
وحدثني عبد الحميد بن جعفر قال حدثني عمر بن ابي انس عن ابن عباس قال قام رسول الله
صلى الله عليه وآله وهو يجر رداءه وهو يقول لا نصرت ان لم انصر بني كعب يعني خزاعة
فيما انصر منه نفسي قال الواقدي وحدثني حزام بن
هشام عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لكأنكم بابي سفيان

قد جاءكم يقول جدد العهد وزد في الهدنة وهو راجع بسخطة وقال لبني خزاعة
عمرو بن سالم واصحابه ارجعوا وتفرقوا في الاودية وقام فدخل على عايشة وهو مغضب
فدعا بماء فدخل يغتسل قالت عايشة فسمعته يقول وهو يصب الماء عليه
لا نصرت ان لم انصر بني كعب قال الواقدي فاما ابو سفيان فخرج من مكة وهو
متخوف ان يكون عمرو بن سالم ورهط من خزاعة سبقوه الى المدينة وكان
القوم لما رجعوا من المدينة واتوا الابواء تفرقوا كما اوصاهم رسول الله صلى الله
عليه وآله فذهبت طايفة الى الساحل تعارض الطريق ولزم بديل بن ام اصرم
الطريق في نفر معه فلقيهم ابو سفيان فلما رآهم اشفق ان يكونوا لقوا محمداً
عليه السلام بل كان اليقين عنده فقال للقوم منذ كم عهدكم بيثرب قالوا لا عهد
لنا بها فعرف انهم كتموه فقال اما معكم من تمر يثرب شيء تطعموناه فان لتمر يثرب
فضله على تمر تهامة قالوا لا ثم ابت نفسه ان تقر فقال ابديل هل جئت
محمداً قال لا ولكني سرت في بلاد خزاعة من هذا الساحل في قتيل بينهم حتى اصلحت
بينهم قال يقول ابو سفيان انك والله ما علمت بر واصل فلما راح بديل
واصحابه جاء ابو سفيان الى ابعار ابلهم ففتتها فاذا فيها النوى ووجد
في منزلهم نوى من تمر عجوة كانه السنة العصافير فقال احلف بالله لقد
جاء القوم محمداً ثم اقبل حتى قدم المدينة فدخل على النبي صلى الله عليه وآله
فقال يا محمد اني كنت غايباً في صلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا
في المدة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ولذلك قدمت يا ابا سفيان
قال نعم فقال فهل قبلكم حدث قال معاذ الله فقال رسول الله فنحن على مدتنا
وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبدل فقام من عنده فدخل على ابنته ام حبيبة فلما ذهب

منع ام حبيبة اباها عن الجلوس على فراش رسول الله ص

ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله طوته دونه فقال ارغبت بهذا
الفراش عني ام رغبت بي عنه فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه
وآله وانت امرء نجس مشرك فقال يا بنية لقد اصابك بعدي شر فقالت
ان الله هداني للاسلام وانت يا ابت سيد قريش وكبيرها كيف يخفى عنك
فضل الاسلام وتعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر فقال يا عجباه وهذا منك ايضاً
ما كان يعبد آباي واتبع دين محمد ثم قام من عندها فلقي ابا بكر فكلمه وقال تكلم
انت محمداً او تجير انت عند الناس فقال ابو بكر جواري جوار رسول الله ثم لقي
عمر فكلمه بمثل ما كلم به ابا بكر فقال عمر والله لو وجدت الذر يقاتلكم لاعنتها
عليكم قال ابو سفيان جزيت من ذي رحم شراً ثم دخل على عثمان بن عفان
فقال له انه ليس في القوم احد اقرب بي رحماً منك فزد في الهدنة وجدد العهد
فان صاحبك لا يرده عليك ابداً والله ما رايت رجلاً قط اشد اكراماً لصاحب
من محمد لاصحابه فقال عثمان جواري جوار رسول الله صلى الله عليه وآله فكلمها
وقال اجيري بين الناس قالت انما انا امرأة قال ان جوارك جايز وقد اجارت اختك
ابا العاص بن الربيع فاجاز محمد ذلك فقالت فاطمة ذلك الى رسول الله صلى الله
عليه وآله وابت عليه فقال مري احد ابنيك يجير بين الناس قالت انهما
صبيان وليس مثلهما يجير فلما ابت عليه اتى علياً فقال يا ابا حسن اجر بين الناس
وكلم محمداً ليزيد في المدة فقال علي ويحك يا ابا سفيان ان رسول الله صلى الله
عليه وآله قد عزم ان لا يفعله وليس احد يستطيع ان يكلمه في شيء يكرهه
قال ابو سفيان فما الراي عندك تيسر لي لامري فانه قد ضاق علي فمر لي بامر
ينفعني قال علي والله ما اجد لك شيئاً مثل ان تقوم فتجير بين الناس فانك سيد كنانة

قال ترى ذلك مغنيا علي شيئا قال علي انني لا اظن ذلك والله ولكني لا اجد لك
غيره فقام ابو سفيان بين ظهري الناس فصاح الا اني قد اجرت بين الناس
ولا اظن محمدا يخفرني ثم دخل على رسول الله فقال يا محمد ما اظن ان ترد جواري
فقال عليه السلام انت تقول ذلك يا ابا سفيان ويقال انه لما صاح لم يات
النبي صلى الله عليه وآله وركب راحلته وانطلق الى مكة ويروى ايضا انه
اتى سعد بن عبادة فكلمه في ذلك وقال يا ابا ثابت قد عرفت الذي كان بيني
وبينك واني كنت لك في حرمنا جارا وكنت بيثرب مثل ذلك وانت
سيد هذه المدرة فاجر بين الناس وزد في المدة فقال سعد جواري في
جوار رسول الله صلى الله عليه وآله ما يجير احد على رسول الله فلما انطلق ابو
سفيان الى مكة وقد كان طالت غيبته عن قريش وابطا فاتهموه وقالوا
نراه قد صبا واتبع محمدا سرا وكتم اسلامه فلما دخل على هند ليلا قالت لقد
احتبست حتى اتهمك قومك فان كنت جئتهم بنجح فانت الرجل وقد كان دنا منها
ليغشاها فاخبرها وقال لم اجد الا ما قال لي علي فضربت برجليها في صدره وقالت
قبحت من رسول قوم قال الواقدي فحدثني عبد الله بن عثمان عن ابي سليمن
عن ابيه قال لما اصبح ابو سفيان حلق راسه عند الصنمين وتاويله وذبح لهما
وجعل يمسح بالدم رؤوسهما ويقول لا افارق عبادتكما حتى اموت على ما مات
عليه ابي قال فعل ذلك ليبرئ نفسه مما اتهمته قريش به قال الواقدي وقالت
قريش لابي سفيان ما صنعت وما وراءك وهل جئتنا بكتاب من محمد او زيادة
في المدة فانا لا نامن ان يغزونا فقال والله لقد ابى علي ولقد كلمت عليه
اصحابه فما قدرت على شيء منهم ورموني بكلمة واحدة الا ان عليا قال

لما ضاقت بك الامور انت سيد كنانة فاجر بين الناس فناديت بالجوار ثم
دخلت على محمد فقلت اني قد اجرت بين الناس وما اظن ان يرد جواري
فقال انت تقول ذلك يا ابا سفيان لم يزد على ذلك قالوا ما زاد على
ان يلعب بك تلعبا قال فوالله ما وجدت غير ذلك قال الواقدي فحدثني
محمد بن عبد الله عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم قال لما خرج ابو
سفيان عن المدينة قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعائشة جهزينا
واخفي امرك وقال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم خذ عن قريش
الاخبار والعيون حتى نأتيهم بغتة وروي انه قال اللهم خذ على
ابصارهم فلا يروني الا بغتة ولا يسمعون بي الا فجاءة قال واخذ رسول
الله صلى الله عليه وآله على الانقاب وجعل يحليها الرجال ومنع من
يخرج عن المدينة فدخل ابو بكر على عائشة وهي تجهز رسول الله تعمل له
قمحا سويقا ودقيقا وتمرا فقال لها اهم رسول الله بغزو قالت لا ادري قال
ان كان هم بسفر فآذنينا نتهيا له قالت لا ادري لعله اراد بني سليم لعله
اراد ثقيفا او هوازن فاستعجمت عليه فدخل على رسول الله صلى الله
عليه وآله فقال يا رسول الله اردت سفرا قال نعم قال افاتجهز قال نعم قال
واين تريد قال قريشا واخف ذلك يا ابا بكر وامر رسول الله صلى الله عليه وآله
الناس فتجهزوا وطوى عنهم الوجه الذي يريد وقال له ابو بكر يا رسول الله
اليس بيننا وبينهم مدة فقال انهم غدروا ونقضوا العهد فانا غازيهم
فاطو ما ذكرت لك فكان الناس بين ظان يظن انه يريد سليما وظان
يظن انه يريد هوازن وظان يظن ان يريد ثقيفا وظان يظن

امر بطن الشام وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله قتادة ابن ربعي في نفر
الى بطن ليظن الناس ان رسول الله صلى الله عليه وآله قدم امامه ولتلك
الرجال ليوجهها الى تلك الجهة ولتذهب بذلك الاخبار قال الواقدي حدثني
المنذر ابن سعد عن يزيد بن رومان قال لما اجمع رسول الله صلى الله عليه
وآله المسير الى قريش وعلم بذلك من علم من الناس كتب حاطب بن ابي بلتعة الى قريش
يخبرهم بالذي اجمع عليه رسول الله في امرهم واعطى الكتاب امرأة من مزينه
وجعل لها على ذلك جعلا على ان تبلغه قريشا فجعلت الكتاب في راسها ثم فتلت
عليه قرونها وخرجت به واتى الخبر النبي صلى الله عليه وآله من السماء بما صنع
حاطب فبعث عليا والزبير فقال ادركا امرأة من مزينة قد كتب معها حاطب
كتابا يحذر قريشا فخرجا فادركاها بذي الحليفة فاستنزلاها والتمسا الكتاب
في رحلها فلم يجدا شيئا فقال لها احلف بالله ما كذب رسول الله ولا كذبنا
ولتخرجن الكتاب او لنكشفنك فلما رأت منهما الجد حلت قرونها فاستخرجت
الكتاب فدفعته اليهما فاقبلا به الى رسول الله صلى الله عليه وآله فدعا حاطب
وقال له ما حملك على هذا فقال يا رسول الله والله اني لمسلم مؤمن بالله وبرسوله
وما غيرت ولا بدلت ولكني كنت امرا ليس لي في القوم اصل ولا عشيرة بين
اظهرهم اهل وولد فصانعتهم فقال عمر قاتلك الله ترى رسول الله ياخذ
بالانقاب وتكتب الى قريش تحذرهم دعني يا رسول الله اضرب عنقه فانه
قد نافق فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وما يدريك يا عمر لعل الله
قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم قال الواقدي فلما
خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة بالالوية المعقودة والرايات

لعل الله

بعد العصر

بعد العصر من يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر رمضان لم يحل عقده حتى انتهى
الى الصلصل من المسلمون يقودون الخيل وقد امتطوا الابل وقدم امامه الزبير
بن العوام في مائتين قال فلما كان بالبيداء نظر الى عنان السماء فقال اني لارى
السحاب تستهل بنصر بني كعب يعني خزاعة قال الواقدي وجاء كعب بن مالك ليعلم
اي جهة يقصد فبرك بين يديه على ركبتيه ثم انشد • قضينا من تهامة كل ريب
وخيبر ثم اجممنا السيوفا • نسائلها ولو نطقت لقالت • قواطعهن دوسا او ثقيفا
فلست لحاضر ان لم تروها بساحة • داركم منها الوفا • فننتزع الخيام ببطن وج
ونترك داركم منها خلوفا • قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يزد على
ذلك فجعل الناس يقولون والله ما بين لك رسول الله شيئا فلم يزل الناس
كذلك حتى نزلوا بمر الظهران قال الواقدي وخرج العباس بن عبد المطلب ومخرمة
بن نوفل من مكة يطلبان رسول الله صلى الله عليه وآله ظنا منهما انه بالمدينة
يريدان الاسلام فلقياه بالسقيا قال الواقدي فلما كانت الليلة التي اصبح فيها
بالجحفة راى ابو بكر في منامه ان النبي صلى الله عليه وآله واصحابه قد دنوا
من مكة فخرجت عليهم كلبة تهر فلما دنوا منها استلقت على ظهرها واذا
اطباؤها تشخب لبنا فقصها على رسول الله صلى الله عليه فقال ذهب كلبهم واقبل
درهم وهم سائلونا بارحامهم وانتم لاقون بعضهم فان لقيتم ابا سفيان فلا
تقتلوه قال الواقدي والى ان وصل مر الظهران لم يبلغ قريشا حرف واحد من حاله
فلما نزل مر الظهران امر اصحابه ان يوقدوا النيران فاوقدوا عشرة الاف نار واجمعت
قريش ان يبعثوا ابا سفيان يتحسس لهم الاخبار فخرج هو وحكيم بن حزام وبديل
بن ورقاء وقد كان العباس بن عبد المطلب قال واصباح قريش والله ان دخلها

رسول الله عنوة انه لهلاك قريش آخر الدهر قال العباس فاخذت بغلة رسول الله
صلى الله عليه وآله الشهباء فركبتها وقلت التمس حطابا او انسانا ابعثه الى قريش
فيلقوا رسول الله صلى الله عليه وآله قبل ان يدخلها عليهم عنوة فوالله انى لفى الاراك
ليلا ابتغي ذلك اذ سمعت كلاما يقول والله ما رايت كالليلة نارا قال يقول بديل
بن ورقا انها نيران خزاعة جاشتها الحرب قال يقول ابو سفيان خزاعة اقل واذل
من ان تكون هذه نيرانها فعرفت فقلت ابا حنظلة فعرف صوتي فقال لبيك
ابا الفضل فقلت ويحك هذا رسول الله في عشرة آلاف وهو مصبحكم فقال بابي وامي
فهل من حيلة قلت نعم تركب عجز هذه البغلة فاذهب بك الى رسول الله فانه
ان ظفر بك دون ذلك ليقتلك قال وانا والله ارى ذلك فركب خلفي ورجع بديل وحكيم
فوجهت به كلما مررت به على نار من نيران المسلمين قالوا من هذا فاذا راوني قالوا
عم رسول الله على بغلة رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فلما رآني قال من هذا
قلت العباس فذهب ينظر فراى ابا سفيان خلفي فقال ابو سفيان ان عدو الله
الحمد لله الذي امكن منك بغير عهد ولا عقد ثم خرج يشتد نحو رسول الله
وركضت البغلة حتى اجتمعنا جميعا على باب قبة رسول الله صلى الله عليه وآله
فدخلت ودخل عمر على اثري فقال عمر يا رسول الله هذا عدو الله ابو سفيان
قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني اضرب عنقه فقلت يا رسول الله
اني قد اجرته ثم التزمت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت والله لا يناجيه
الليلة احد دوني فلما اكثر عمر فيه قلت مهلا يا عمر فانه لو كان رجلا من عدي بن
كعب ما قلت هذا ولكنه احد بني عبد مناف فقال عمر مهلا يا ابا الفضل
فوالله لاسلامك كان احب الي من اسلام الخطاب وقال من اسلام رجل من ولد

الخطاب

الخطاب لو اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اذهب به فقد اجرناه
فليبت عندك حتى تغدو به علينا اذا اصبحت فلما اصبحت غدوت به فلما راه
رسول الله صلى الله عليه وآله قال ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان لا اله
الا الله قال بابي انت ما احلمك واكرمك واعظم عفوك لقد كان يقع
في نفسي ان لو كان مع الله اله آخر قال يا ابا سفيان الم يأن لك
ان تعلم اني رسول الله قال بابي انت ما احلمك واكرمك واعظم عفوك اما
هذه فوالله ان في النفس منها بعد قال العباس فقلت ويحك تشهد وقل لا اله
الا الله محمد رسول الله قبل ان تقتل فتشهد وقال العباس يا رسول الله انك قد عرفت
ابا سفيان وحبه الشرف والفخر فاجعل له شيئا فقال من دخل دار ابي سفيان
فهو آمن ومن اغلق داره فهو آمن ثم قال اذهب فاحبسه بمضيق الوادي الى خطم
الجبل تمر به جنود الله فيراها قال العباس فعدلت به في مضيق الوادي الى خطم
الجبل فحبسته هناك فقال اغدرا يا بني هاشم فقلت له ان اهل النبوة لا يغدرون
وانما حبستك لحاجة فقال فهلا بدات بها اولا فاعلمتنيها فكان افرخ
لروعه ثم مرت به القبائل على قادتها والكتائب على راياتها فكان اول من مر به
خالد بن الوليد في بني سليم وهم الف لهم لواءان يحمل احدهما العباس
بن مرداس والآخر خفاف بن ندبة وراية يحملها المقداد فقال ابو سفيان يا
ابا الفضل من هؤلاء قال بنو سليم وعليهم خالد بن الوليد قال الغلام قال نعم
فلما حاذى خالد العباس وابا سفيان كبر ثلاثا وكبروا معه ثم مضى
ومر على اثره الزبير بن العوام في خمسمائة فيهم جماعة من المهاجرين
وقوم من افناء الناس ومعه راية سوداء فلما حاذاهم كبر ثلاثا

وكبر اصحابه فقال من هذا قال هذا الزبير قال ابن اختك قال نعم ثم مرت
به غفار في ثلثمائة يحمل رايتهم ابو ذر ويقال ايماء بن رحضة فلما حاذ
ها كبروا ثلاثا قال يا ابا الفضل من هؤلاء قال بنو غفار قال مالي ولبني
غفار ثم مرت اسلم في اربعمائة يحمل لواها بريدة بن الحصيب ولواء آخر مع
ناجية بن الاعجم حاذوه كبروا ثلاثا فسأل عنهم فقال هؤلاء اسلم فقال
مالي ولاسلم ما كان بيننا وبينهم ترة قط ثم مرت بنو كعب بن عمرو قال نعم
هؤلاء خلفاء محمد فلما حاذوه كبروا ثلاثا ثم مرت بنو كعب بن عمرو قال نعم هؤلاء
خلفاء محمد فلما حاذوه كبروا ثلاثا ثم مرت مزينة في الف فيها فلما حاذوه كبروا وقال
من هؤلاء قال مزينة قال يا ابا الفضل مالي ولمزينة قد جاءتني تقعقع من شواهقها
ثم مرت جهينة في ثمانمائة باربعة الوية مع معبد بن خالد وسويد بن صخر
ورافع بن مكيث وعبد الله بن بدر فلما حاذوه كبروا ثلاثا فسأل عنهم فقيل
جهينة ثم مرت بنو كنانة بنو ليث وضمرة وسعد بن بكر في مائتين يحمل لواهم
ابو واقد الليثي فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال بنو بكر قال نعم اهل شوم هؤلاء
الذين غزانا محمد لاجلهم اما والله ما شورت فيهم ولا علمته ولقد كنت له
كارها حيث بلغني ولكنه امر حم قال العباس لقد خار الله لك في غزو محمد اياكم
ودخلتم في الاسلام كافة ثم مرت اشجع وهم آخر من مر قبل ان تاتي كتيبة
رسول الله صلى الله عليه وآله وهم ثلثمائة يحمل لواهم معقل بن سنان ولواء آخر
مع نعيم بن مسعود فكبروا قال من هؤلاء قال اشجع فقال هؤلاء كانوا اشد العرب على
محمد قال العباس نعم ولكن الله ادخل الاسلام قلوبهم فذلك من فضل الله
فسكت ثم قال اما مر محمد بعد قال لو رايت الحديد والخيل والرجال وما ليس لاحد به طاقة

حاذوه كبروا

فلما

لما طلعت كتيبة رسول الله صلى الله عليه وآله الخضراء طلع سواد شديد
وغبرة من سنابك الخيل وجعل الناس يمرون كل ذلك يقول اما مر محمد بعد
فيقول العباس لا حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وآله يسير على ناقته القصواء
بين ابي بكر واسيد بن حضير وهو يحدثهما فقال له العباس هذا رسول الله
في كتيبته الخضراء فانظر قال وكان في تلك الكتيبة وجوه المهاجرين
والانصار وفيها الالوية والرايات وكلهم منغمسون في الحديد لا يرى منهم
الا الحدق ولعمر بن الخطاب فيها زجل وعليه الحديد وصوته عال وهو يزعها
فقال يا ابا الفضل من هذا المتكلم قال هذا عمر بن الخطاب قال لقد امر امر بني
عدي بعد قلة وذلة فقال العباس ان الله يرفع من يشاء وان عمر ممن رفعه
الاسلام وكان في الكتيبة الفا دارع وراية رسول الله صلى الله عليه
وآله مع سعد بن عبادة وهو امام الكتيبة فلما حاذاهما سعد نادى
يا ابا سفيان امرت بقتل قومك ان سعدا قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل
الحرمة اليوم اذل الله قريشا واني انشدك الله في قومك فانت ابر الناس
وارحم الناس واوصل الناس فقال عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف
يا رسول الله صلى الله عليه وآله ونادى يا ابا سفيان اليوم يوم المرحمة
اليوم اعز الله قريشا وارسل الى سعد فعزله عن اللواء واختلف فيمن دفع اليه
اللواء فقيل دفعه الى علي بن ابي طالب فذهب به حتى دخل مكة فغرزه عند الركن
وهو قول ضرار بن الخطاب الفهري وقيل دفعه الى قيس بن سعد بن عبادة
وراى رسول الله صلى الله عليه وآله انه لم يخرجه عن سعد حيث دفعه الى ولده
فذهب به حتى غرزه بالحجون قال وقال ابو سفيان للعباس ما رايت مثل هذه

فعزله

الكتيبة قط ولا خبر بنيه مجز سبحان الله ما احد بهؤلاء طاقة ولا يدان
لقد اصبح ملك ابن اخيك يا عباس عظيما قال فقلت ويحك انه ليس
بملك وانها النبوة قال فنعم قال الواقدي قال العباس فقلت له النجا ويحك
فادرك قومك قبل ان يدخل عليهم فخرج ابو سفيان حتى دخل من كداء
وهو ينادي من دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن اغلق عليه بابه فهو
امن حتى انتهى الى هند بنت عتبة فقالت ما وراءك قال هذا محمد في عشرة
الاف عليهم الحديد وقد جعل لي انه من دخل داري فهو آمن ومن اغلق عليه
بابه فهو آمن ومن القى سلاحه فهو فقالت قبحك الله من رسول قوم وجهلت
تقول ويحكم اقتلوا وافدكم قبحه الله وافد قوم فيقول ابو سفيان ويحكم
لا تغرنكم هذه من انفسكم فاني رايت ما لم تروا الرجال والكراع والسلاح ليس
لاحد بهذا طاقة محمد في عشرة الاف فاسلموا تسلموا وقال المبرد في الكامل اسكت
عند راس ابي سفيان وقالت بئس طليعة القوم والله ما خدشت خدشا
يا اهل مكة عليكم الحميت الموسم فاقبلوه قال الحميت الزق المزفت قال الواقدي
وخرج اهل مكة الى ذي طوى ينظرون الى رسول الله صلى الله عليه وآله
وانضوى الى صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو ناس
من اهل مكة ومن بني بكر وهذيل فلبسوا السلاح واقسموا لا يدخل محمد مكة
عنوة ابدا وكان رجل وكان من بني الديل يقال له حماس بن قيس بن خالد
الديلي لما سمع برسول الله صلى الله عليه وآله جلس يصلح سلاحه فقالت له امرأته
لمن تعد السلاح قال لمحمد واصحابه واني لارجوا ان اخدمك منهم خادما فانك
اليه محتاجة قالت ويحك لا تفعل لا تقاتل محمدا والله ليضلن هذا عنك

لو رايت

لو رايت محمدا واصحابه قال سترين قال واقبل رسول الله صلى الله عليه وآله
وهو على ناقته القصوا معتجرا ببرد حبرة وعليه عمامة سودا ورايته سودا
ولواؤه اسود حتى وقف بذي طوى وتوسط الناس وان عثنونه ليمس
واسط الرحل او يقرب منه تواضعا حيث راى ما راى من الفتح وكثرة المسلمين
ثم قال لا عيش الا عيش الاخرة وجعلت الخيل تمج بذي طوى في كل وجه ثم ثابت وسكنت
والتفت رسول الله صلى الله عليه وآله الى اسيد بن حضير فقال كيف قال
حسان بن ثابت فانشد عدمنا خيلنا ان لم تروها تثير النقع موعدها
كداء تظل جيادنا متمطرات يلطمهن بالخمر النساء فتبسم رسول الله
عليه وآله وامر الزبير بن العوام ان يدخل من كداء وامر خالد بن الوليد
ان يدخل من الليط وامر قيس بن سعد ان يدخل من كدى ودخل هو صلى الله
عليه وآله من اذاخر قال الواقدي وحدثني مران بن محمد بن عيسى بن عميلة
الفزاري قال دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكة بين الاقرع ابن
حابس وعيينة بن حصين قال الواقدي وحدثني عيسى بن معمر عن عباد
ابن عبد الله عن اسما بنت ابي بكر قالت صعد ابو قحافة يومئذ بصغرى
بناته وانها قريبة وهو يومئذ اعمى وهي تقوده حتى ظهرت به على
ابي قبيس فلما اشرفت به قال يا بنية ماذا ترين قالت ارى سوادا مقبلا
كثيرا قال يا بنية تلك الخيل فانظري ماذا ترين قالت ارى رجلا
يسعى بين ذلك السواد مقبلا ومدبرا قال ذاك الوازع فانظري ماذا
ترين قالت قد تفرق السواد قال قد تفرق الجيش البيت البيت فانزلت
الجارية به وهي ترعب لما ترى فقال يا بنية لا تخافي فوالله ان اخاك

عتيقا لان اصحاب محمد عند محمد قالت وعليها طوق من فضة فاختلسه
بعض من دخل فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكة جعل ابو بكر ينادي
انشدكم الله ايها الناس طوق اختي فلم يرد احد عليه فقال يا اخية احتسبي طوقك
فان الامانة في الناس قليل قال الواقدي ونهى رسول الله صلى الله عليه
وآله عن الحرب وامر بقتل ستة رجال واربع نسوة عكرمة ابن ابي جهل
وهبار بن الاسود وعبد الله بن سعد بن ابي سرح ومقيس بن صبابة
الليثي والحويرث بن نقيذ وعبد الله بن هلال بن خطل الادرمي وهند
بنت عتبة وسارة مولاة لبني هاشم وقينتين لابن خطل فرتنا وقريبة
ويقال فرتنا وارنب قال الواقدي ودخلت الجيوش كلها فلم يلق حربا الا خالد بن
الوليد فانه وجد جمعا من قريش واحابيشها قد جمعوا له فيهم صفوان بن امية
وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو فمنعوه الدخول وشهروا السلاح ورموه
بالنبل وقالوا لا يدخلها عنوة ابدا فصاح خالد في اصحابه وقاتلهم فقتل
من قريش اربعة وعشرين ومن هذيل اربعة ثم انهزموا اقبح انهزام حتى قتلوا
بالحزورة وهم مولون من كل وجه وانطلقت طائفة منهم فوق رؤس الجبال واتبعهم
المسلمون وجعل ابو سفيان ابن حرب وحكيم بن حزام يناديان يا معشر قريش
علام تقتلون انفسكم من دخل داره فهو امن ومن وضع السلاح فهو امن فجعل
الناس يقتحمون الدور ويغلقون عليهم ويطرحون السلاح في الطرق حتى ياخذها
المسلمون قال الواقدي واشرف رسول الله صلى الله عليه وآله من ثنية
اذاخر فنظر الى البارقة فقال ما هذه البارقة الم انه عن القتال فقيل يا رسول الله
خالد بن الوليد قوتل ولو لم يقاتل ما قاتل فقال قضاء الله خير وقتل ابن خطل

ملجا

مدجج في الحديد على فرس ذنوب بيده قناة يقول لا والله لا يدخلها حتى
يرى ضربا كافواه المزاد فلما انتهى الى الخندمة ورأى القتال دخله رعب حتى
ما يستمسك من الرعدة ومر هاربا حتى انتهى الى الكعبة فدخل استارها بعد
ان طرح سلاحه وترك فرسه واقبل حماس بن خالد الديلي منهزما حتى اتى بيته
فدقه ففتحت له امرأته فدخل ذهبت روحه فقالت اين الخادم الذي وعدتني
ما زلت منتظرتك منذ اليوم تسخر به فقال دعي هذا واغلقي الباب فانه
من اغلق بابه فهو آمن قالت ويحك الم انهك عن قتال محمد وقلت لك اني ما رأيته
يقاتلكم مرة الا ظهر عليكم وما بابنا قال انه لا يفتح على احد بابه ثم انشدها انك
لو شهدت يوما بالخندمة اذ فر صفوان وفر عكرمة وابو يزيد كالعجوز المؤتمة
وضربتنا بالسيوف المسلمة لهم زئير خلفنا وغمغمة لم تنطقي في اللوم ادنى
كلمة قال الواقدي وحدثني قدامة بن موسى عن بشير مولى المازنيين
عن جابر بن عبد الله قال كنت ممن لزم رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ
فدخلت معه يوم الفتح من اذاخر فلما اشرف نظر الى بيوت مكة فحمد الله واثنى
عليه ونظر الى موضع قبته بالابطح تجاه شعب بني هاشم حيث حصر رسول الله
واهله ثلاث سنين فقال يا جابر ان منزلنا اليوم حيث تقاسمت علينا قريش
في كفرها قال جابر فذكرت كلاما كنت اسمعه منه بالمدينة قبل ذلك كان يقول
منزلنا غدا ان شاء الله اذا فتح علينا مكة في الخيف حيث تقاسموا على الكفر قال
الواقدي وكانت قبته يومئذ من ادم ضربت له بالحجون فاقبل حتى انتهى اليها
ومعه ام سلمة وميمونة قال الواقدي وحدثني معوية بن عبد الله ابن عبيد الله
ابن عبيد الله عن ابيه عن ابي رافع قال قيل للنبي صلى الله عليه وآله الا تنزل منزلك بالشعب

قال وهل ترك لنا عقيل من منزل وكان عقيل قد باع منزل رسول الله ص
ومنازل اخوته من الرجال والنساء بمكة فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله
فانزل في بعض بيوت مكة من غير ذلك فابى وقال لا ادخل البيوت فلم يزل
مضطربا بالحجون لم يدخل بيتا وكان ياتي الى المسجد من الحجون قال وكذلك
فعل في عمرة القضية وفي حجته قال الواقدي وكانت ام هاني بنت ابي طالب
تحت هبيرة بن ابي وهب المخزومي فلما كان يوم الفتح دخل عليها حموان لها
عبد الله بن ابي ربيعة والحارث ابن هشام المخزوميان فاستجارا بها
وقالا نحن في جوارك فقالت نعم انتما في جواري قالت ام هاني فبينما عندي
اذ دخل علي فارس مدجج في الحديد ولا اعرفه فقلت له انا بنت عم رسول الله
فاسفر عن وجهه فاذا علي اخي فاعتنقته ونظر اليهما فشهر السيف عليهما
فقلت اخي من بين الناس تصنع بي هذا فالقيت عليهما ثوبا فقال اتجيرين
المشركين فحلت دونهما وقلت والله لتبدأن بي قبلهما قالت فخرج ولم يكد
فاغلقت عليهما بيتا وقلت لا تخافا وذهبت الى خباء رسول الله صلى الله
عليه وآله بالبطحاء فلم اجده ووجدت فيه فاطمة فقلت لها ما لقيت من ابن
امي علي اجرت حموين لي من المشركين فتفلت عليهما ليقتلهما قالت فكانت
اشد علي من زوجها وقالت لم تجيرين المشركين وطلع رسول الله صلى الله
عليه وآله وعليه الغبار فقال مرحبا بفاختة وهو اسم ام هاني فقلت
ماذا لقيت من ابن امي علي ما كدت افلت منه اجرت حموين لي من المشركين
فتفلت عليهما ليقتلهما فقال ما كان ذلك له قد اجرنا من اجرت وامنا
من امنت ثم امر فاطمة فسكبت له غسلا فاغتسل ثم صلى ثماني ركعات في

ثوب

ثوب واحد ملتحفا به وقت الضحى قالت فرجعت اليهما فاخبرتهما وقلت
ان شئتما فاقيما وان شئتما فارجعا الى منازلكما فاقاما عندي في
منزلي يومين ثم انصرفا الى منازلهما واتى آت الى النبي صلى الله عليه وآله فقال
ان الحارث بن هشام وعبد الله بن ابي ربيعة جالسان في ناديهما متفضلان
في الملاء المزعفر فقال لا سبيل اليهما قد اجرناهما قال الواقدي ومكث رسول الله
صلى الله عليه وآله في قبته ساعة من النهار ثم دعا براحلته بعد ان اغتسل
وصلى فادنيت الى باب القبة وخرج وعليه السلاح والمغفر على راسه وقد صف
له الناس فركبها والخيل تمج ما بين الخندمة الى الحجون ثم مر وابو بكر الى جانبه
على راحلة اخرى يسير يحادثه واذا بنات ابي احيحة سعيد بن العاص بالبطحاء
حذاء منزل ابي احيحة وقد نشرن شعورهن يلطمن وجوه الخيل بالخمر فنظر رسول الله
صلى الله عليه وآله الى ابي بكر وتبسم فانشد قول حسان تظل جيادنا متمطرات
يلطمهن بالخمر النساء فلما انتهى الى الكعبة تقدم على راحلته فاستلم الركن
بمحجنه وكبر فكبر المسلمون لتكبيره ورجعوا التكبير حتى ارتجت مكة وجعل رسول الله
صلى الله عليه وآله يشير اليهم ان اسكتوا والمشركون فوق الجبال ينظرون
ثم طاف بالبيت على راحلته ومحمد بن مسلمة آخذ بزمامها وحول الكعبة ثلثمائة وستون
صنما مرصصة بالرصاص وكان هبل اعظمها وهو تجاه الكعبة على بابها
واساف ونائلة حيث ينحرون ويذبحون الذبائح فجعل كلما مر بصنم منها
يشير بقضيب في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فيقع
الصنم لوجهه ثم امر بهبل فكسر وهو واقف عليه فقال الزبير لابي سفيان قد
كسر هبل اما انك قد كنت منه يوم احد في غرور حين تزعم انه قد انعم فقال

دع هذا عنك يا ابن العوام فقد ارى ان لو كان مع آل محمد غيرنا لكان غيرنا
قال الواقدي ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس بآخر المسجد وارسل
بلالا الى عثمن بن طلحة يأتيه بالمفتاح الكعبة فقال عثمان نعم وخرج الى امه وهي
بنت شيبة فقال لها والمفتاح عندها يومئذ ان رسول الله صلى الله عليه
وآله قد طلب المفتاح فقالت اعيذك بالله ان يكون الذي يذهب
بمأثر قومه على يدك فقال فوالله لتأتيني به او ليأتينك غيري فيأخذها
منك فادخلته في حجزتها وقالت اي رجل يدخل يده ههنا فبينما هما على
ذلك وهو يكلمها اذ سمعت صوت ابي بكر وعمر في الدار وعمر رافع
صوته حين رای ابطاء عثمان اخرج فقالت امه خذ المفتاح فان تأخذه
انت احب الي من ان يأخذه تيم وعدي فاخذه فاتى به رسول الله صلى الله عليه وآله
فلما ناوله بسط العباس بن عبد المطلب يده وقال يا رسول الله بابي انت
اجمع لنا بين الحجابة والسقاية فقال انما اعطيكم ما ترزؤن فيه ولا اعطيكم
ما ترزؤن منه قالوا وكان عثمان بن طلحة فقد قدم على رسول الله صلى الله
مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص مسلما قبل الفتح قال الواقدي وبعث رسول الله
صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب ومعه عثمان بن طلحة وامره ان يفتح البيت
فلا يدع فيه صورة ولا تمثالا الا محاه الا صورة ابراهيم الخليل عليه السلام
فلما دخل الكعبة رای صورة ابراهيم شيخا يستقسم بالازلام قال الواقدي وقد
روی انه امره بمحو الصورة كلها الا بيستين فترك عمر صورة ابراهيم فلما دخل
رسول الله صلى الله عليه وآله الكعبة رای صورة ابراهيم فقال يا عمر الم امرك
ان لا تدع فيها صورة فقال عمر كانت صورة ابراهيم قال فامحها وقال قاتلهم الله

بنت شيبة

صورة ابراهيم

جعلوه

جعلوه شيخا يستقسم بالازلام قال ومحى صورة مريم قال وقد روی ان رسول الله
عليه وآله محى الصور بيده روى ذلك ابن ابي ذئب عن عبد الرحمن ابن مهران عن عمير
مولى ابن عباس عن اسامة بن زيد قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله
الكعبة فرأى فيها صورا فامرني اذا يته في الدلو بماء فجعل يبل الثوب ويضرب
به الصور ويقول قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون قال الواقدي
وامر رسول الله صلى الله عليه وآله بالكعبة فاغلقت عليه ومعه
فيها اسامة بن زيد وبلال بن رباح وعثمان بن طلحة فمكث فيها
ما شاء الله وخالد بن الوليد قائم على الباب يذب الناس عنه حتى
خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فوقف واخذ بعضادتي الباب
واشرف على الناس في يده المفتاح ثم جعله في كمه واهل مكة قيام تحته
وبعضهم جلوس قد ليط بهم فقال الحمد لله صدق وعده وهزم الاحزاب
وحده ماذا تقولون وماذا تظنون قالوا نقول خيرا ونظن خيرا
اخ كريم وقد قدرت فقال اني اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين الا ان كل ربا في الجاهلية او دم او
مأثرة فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة الكعبة وسقاية الحاج الا
في قتيل شبه العمد قتيل العصا والسوط الدية مغلظة مائة ناقة منها
اربعون في بطونها اولادها ان الله قد اذهب نخوة الجاهلية وتكبرها بآبائها
كلكم لآدم وآدم من تراب واكرمكم عند الله اتقاكم الا ان الله حرم مكة
يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرام الله لم تحل لاحد كان قبلي ولا
تحل لاحد ياتي بعدي وما احلت لي الا ساعة من النهار فقال يقصرها رسول الله

سبيل هكذا لا ينفر صيدها ولا يعضد عضاهها ولا تحل لقطتها الا لمنشد
ولا يختلى خلاها فقال العباس الا الاذخر يا رسول الله فانه لا بد منه للقبور
والبيوت فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة ثم قال الا الاذخر
فانه حلال ولا وصية لوارث للفراش وللعاهر الحجر ولا يحل لامرأة ان تعطي
من مالها الا باذن زوجها والمسلم اخو المسلم والمسلمون اخوة يد واحدة
على من سواهم تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم ادناهم ويرد عليهم
اقصاهم ولا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده ولا يتوارث اهل
ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها والبينة
على من ادعى واليمين على من انكر ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاث الا مع
ذي محرم ولا صلاة بعد العصر ولا بعد الصبح وانهاكم عن صيام يومين
يوم الاضحى ويوم الفطر ثم قال ادعوا لي عثمان بن طلحة فجاء وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وآله قال له يوما بمكة قبل الهجرة ومع عثمان المفتاح
لعلك سترى هذا المفتاح بيدي يوما اضعه حيث شئت فقال عثمان
لقد هلكت قريش اذا وذلت فقال عليه السلام بل عمرت وعزت قال عثمان
فلما دعاني يومئذ والمفتاح بيده ذكرت قوله حين قال فاستقبلته ببشر
فاستقبلني بمثله ثم قال خذوها يا بني ابي طلحة خالدة تالدة لا ينزعها
منكم الا ظالم يا عثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا بالمعروف قال
عثمان فلما وليت ناداني فرجعت فقال الم يكن الذي قلت لك يعني ما كان
قاله بمكة من قبل فقلت بلى اشهد انك رسول الله قال الواقدي وقال الا
خزاعة عن بني بكر الى صلاة العصر فخبطوهم بالسيف ساعة وهي الساعة

التي احلت لرسول الله دون غيره قال الواقدي وقد كان نوفل بن معاوية
الديلي من بني بكر استأمن رسول الله صلى الله عليه وآله على نفسه فأمنه
وقد كانت خزاعة طلبته بدماء من قتلت بكر وقريش منها بالوتير وقد كانت
خزاعة قالت ايضا لرسول الله صلى الله عليه وآله ان انس بن زنيم هجاك فهدر
رسول الله صلى الله عليه وآله دمه فلما فتح مكة هرب ولحق بالجبال وقد كان
قال ان بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله مكة شعرا يعتذر فيه الى رسول الله
صلى الله عليه وآله من جملته انت الذي تهدي معدا بامره بل الله يهديها
وقال لها اشهد فما حملت من ناقة فوق كورها ابر واوفى ذمة من محمد
احث على خير واوسع نائلا اذا راح يهتز اهتزاز المهند واكسى لبرد الخال
قبل ابتذاله واعطى لرأس السابق المتجرد تعلم رسول الله انك مدركي
وان وعيدا منك كالاخذ باليد تعلم رسول الله انك قادر على كل حي
من تهام ومنجد ونبئ رسول الله اني هجوته فلا رفعت سوطي الي اذا يدي
سوى انني قد قلت يا ويح فتية اصيبوا بنحس يوم طلق واسعد اصابهم
من لم يكن لدمائهم كفيا فعزت عبرتي وتبلدي ذؤيبا وكلثوما وسلمى
تتابعوا جميعا فالا تدمع العين اكمد على ان سلمى ليس فيهم كمثله واخوته
وهل ملوك كالعبد فاني لا عرضا خرقت ولا دما هرقت ففكر عالم الحق واقصد
قال الواقدي وكانت كلمته هذه قد بلغت رسول الله صلى الله عليه وآله
قبل ان تفتح مكة وكلمه يوم الفتح فيه نوفل بن معاوية الديلي فقال يا رسول الله
انت اولى الناس بالعفو ومن منا لم يعادك ولم يؤذك ونحن في جاهلية
لا ندري ما ناخذ وما ندع حتى هدانا الله بك وانقذنا بيمنك من الهلكة

وقد كذب عليها الركب وكثروا في امره عندك فقال رسول الله صلى الله عليه
وآله دع الركب عنك انا لم نجد بتهامة احدًا من ذي رحم ولا بعيد الرحم
كان ابر بنا من خزاعة فاسكت نوفل فلما سكت قال رسول الله صلى الله عليه
وآله قد عفوت عنه فقال نوفل فداك ابي وامي قال الواقدي وجاءت
الظهر فامر رسول الله صلى الله عليه وآله بلالا ان يؤذن فوق ظهر الكعبة
وقريش في رؤس الجبال ومنهم من قد تغيب وستر وجهه خوفا ان يقتلوا
فمنهم من يطلب الامان ومنهم من قد اومن فلما اذن بلال وبلغ الى
قوله اشهد ان محمدًا رسول الله وقع صوته كاشد ما يكون قال تقول جويرية
بنت ابي جهل قد لعمري رفع لك ذكرك فاما الصلوة فسنصلي ولكن
والله لا نحب من قتل الاحبا ابدًا ولقد كان جاء ابي الذي جاء محمدًا من
النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه وقال خالد بن سعيد بن العاص
الحمد لله الذي اكرم ابي فلم يدرك هذا اليوم قبل ان اسمع بلالا ينهق فوق
الكعبة وقال الحكم بن ابي العاص هذا والله الحدث العظيم ان يصيح عبد بني
جمح يصيح بما على بنية ابي طلحة وقال سهيل بن عمرو ان كان هذا سخطا
من الله فسيغيره وان كان لله رضا فسيقره وقال ابو سفيان اما انا
فلا اقول شيئا لو قلت شيئا لاخبرته هذه الحصباء قال فاتى جبرئيل عليه السلام
رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبره مقالة القوم قال الواقدي فكان
سهيل بن عمرو يحدث ويقول لما دخل محمد مكة انقمعت فدخلت بيتي واغلقت
علي وقلت لابني عبد الله بن سهيل اذهب فاطلب لي جوارا من محمد فاني لا امن
ان اقتل وجعلت اتذكر اثري عنده وعند اصحابه فلما ارى اسوا اثرا مني فاني

لقيته

لقيته يوم الحديبية بما لم يلقه وكنت الذي كاتبته مع حضوري بدرًا واحدًا
وكلما تحركت قريش كنت فيها فذهب عبد الله بن سهيل الى رسول الله صلى الله
عليه وآله فقال يا رسول الله ابي تؤمنه قال نعم هو امن بامان الله فليظهر
ثم التفت الى من حوله فقال من لقي سهيل بن عمرو فلا يشدد اليه النظر
اليه ثم قال قل له فليخرج فلعمري ان سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل من
جهل الاسلام ولقد راى ما كان يوضع فيه ان لم يكن له بتابع فخرج عبد الله
الى ابيه فاخبره بمقالة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال سهيل كان
والله برا صغيرا وكبيرا فكان سهيل يقبل ويدبر غير خائف
وخرج الى حنين مع النبي صلى الله عليه وآله وهو على شركه حتى اسلم بالجعرانة

تم الجزء السابع عشر من شرح
نهج البلاغة والحمد لله وحده

كتبه العبد الفقير الحقير الى الله الراجي محمد بن درويش محمد
غفر الله عنهم وعفا عنه روز سه شنبه هشتم ربيع الاول
سنه ١٠٥٢



